المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة



إعداد:

الطالب / عبد القادر محمد عبد الله



إشراف:

الدكتور / علي بن نفيع العلياني

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر

كلمة الشكر والتقدير

أحمد الله تبارك وتعالى وحده على نعمائه وأثني عليه بما هو أهله ، وأشكره تعالى على اعانته وتوفيقه الذى بيده العون والتوفيق فقد أنعم عليّ بنعم كثيرة لا أحصيها ولا أقدر على شكرها .

أما بعد ،فاعترافا بالفضل لأهله ،وعملا بالحديث " من صنع اليكم معروفا فكافئوه ،فان لم تجدوا ما تكافئونه به ،فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه ".(١)

أتقدم بشكري وعظيم تقديري لفضيلة شيخي الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني الذى تفضل بالاشراف على هذه الرسالة ، فلقد حظيت بنصحه وارشاده وتوجيهاته القيمة ،وأولاني من عنايته الكثير رغم كثرة مسئولياته مما كان له أكبر الأثر في انجاز هذا البحث ، فأسأل الله العلي القدير أن يجزيه عني أحسن الجزاء وأن يبارك له في وقته وعلمه وعمله .

كما لا أنسى أن أشكر أساتذتي الأفاضل، الأستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم ،والأستاذ الشيخ كمال هاشم نجا / رحمه الله ،والأستاذ الدكتور عبد العزيز عبيد ، فقد تولوا الاشراف على هذه الرسالة في البداية فجزاهم الله عني خيرا وبارك فيهم.

---

(١) والحديث بألفاظ متقاربة أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ٢١٦ ،وأبو داود في الزكاة باب عطية من سأل بالله (ح :١٦٧٢) ، والنسائي في الزكاة باب من سأل بالله عز وجل ،وأحمد في المسند ٦٨/٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٧ ،وابن حبان في صحيحه (رقم ٢٠٧١) ،والحاكم (٤١٢/١) ،والبيهقي (١٩٩/٤) ،وأبو نعيم في الحلية (٥٦/٩) ،وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ،قال الألباني : وهو كما قالا . راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٥٤/١ .

كما أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم التقدير لجامعة أم القرى متمثلة في القائمين عليها ، وأخص منهم معالي الدكتور راشد بن راجح الشريف مدير الجامعة ، وعميد كلية الدعوة وأصول الدين سعادة الدكتور علي بن نفيع العلياني ، المشرف على هذه الرسالة ، ووكيل الكلية سعادة الدكتور أحمد بن عطية الزهراني المناقش لهذه الرسالة ، ورئيس فرع العقيدة سعادة الدكتور سفر عبد الرحمن الحوالي ، والتي أتاحت لي فرصة مواصلة دراستي العليا وهيئت لي ولزملائي المناخ العلمي للبحث والدراسة ، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء .

كما أتقدم بعظيم شكري لكل من ساعدني في اخراج هذا البحث الى حيز الوجود من الأخوة الزملاء وأساتذتي ، فجزاهم الله عني كل خير وبارك فيهم .

كما لا أنسى أن أشكر الاخوة القائمين بمكتبة البحث العلمي ، والمكتبة المركزية ومكتبة الحرم الشريف لما قدموا لي ولاخواني طلبة العلم وخاصة الباحثين منهم من خدمات جليلة تعيننا على البحث والدراسة فجزاهم الله عنا خيرا .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾.(١)

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ،الداعي الى الوحدة والاعتصام بكتاب الله تبارك وتعالى في أقواله وأفعاله ، المحذر من الاختلاف والتفرق (ذروني ما تركتكم ، فانما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم).(٢) الحديث .

وقد ترك الناس على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده الا هالك.(٣)

---

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) أخرجه الامام الشافعي في مسنده ١٩/١ ،وأخرج البخاري في صحيحه في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح : ٧٢٨٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن في موضعين في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ح : ٥ ،وباب اتباع سنة خلفاء الراشدين المهديين ح : ٤٣ ، وجاء الحديث في الترغيب والترهيب ٦٦/١ ،وقال المنذرى : رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن ،وقال الألباني : صحيح ،رجاله ثقات على ضعف في ابراهيم بن سليمان الأفطس ،وهشام بن عمار، لكنه ينجبر بالحديث الذى بعده ،السنة لابن أبي عاصم تحقيق الألباني ٢٦/١ - ٢٧.

فبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، وكان من أقواله : " يد الله على الجماعة ومن شذّ شذّ في النار ".(١)

وما يدل على حرصه للمحافظة على الجماعة وكراهته للاختلاف والتفرق قصة تنازع الصحابة لمّا خرج عليهم وهم متنازعون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال : " بهذا أمرتم - أو بهذا وكلتم - أن تضربوا كتاب الله بعضه بعضا ، انظروا الى ما أمرتم به فاتبعوه وما نُهيتم عنه فاجتنبوه ".(٢)

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة تحقيق الألباني ١/٤٠ وقال : " حديث صحيح ، واسناده ضعيف جدا ، ابن أبي المساور قال الحافظ : متروك ، وكذبه ابن معين ومن طريقه أخرجه الطبراني ١/٢٢٥ لكن الحديث صحيح له شواهد ذكر بعضها في تخريج اصلاح المسجد ، رقم ٦١ - طبع المكتب الاسلامي .

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة باب في القدر ح : ٨٥ ويشهد له ما رواه الترمذي ح : ٢١٣٣ وقال حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، ورواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ح : ١٧٩-١٨٠ ، ١١١٩) وانظر مشكاة المصابيح تحقيق الألباني ١/٣٦ والحديث سنده حسن على أقل الأحوال للعلماء في راوي هذا الحديث (عمرو بن شعيب بن محمد ابن عبد الله) كلام طويل ، واختلفوا فيه ، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ، انظر تهذيب التهذيب ٧/٤٨ - ٥٥ ، وقد صحح روايته الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ١٠/٣٣ وعلى السنن الترمذي ٢/١٤٠ وعلى نصب الراية ١/٥٨ وحسنه الشيخ الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/٣٦ ، وصححه في تخريجه على شرح الطحاوية ص ٢١٨ وسيأتي الحديث في التمهيد لافتراق الأمة ص ٧١ من الرسالة .

وكذلك كما في الحديث : " ألا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتانِ وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة ".[1]

وفي رواية قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : " ما أنا عليه وأصحابي ".[2] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين .

أما بعد : فمن الأمور المعروفة لدى كلِّ مريدٍ للحق أن جيل الصحابة هو أفضل أجيال المسلمين قاطبة وبهذا صرح القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وقد أثنيا عليهم كثيرا ، قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[3] وقال تعالى ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ... ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾.[5]

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٣/٢ - ٥٠٤ والدارمي ٢٤١/٢ وأحمد ١٠٢/٤ والحاكم ١٢٨/١ والآجري في الشريعة ص ١٨ ، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٠٢/١ . راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الأول ص ٣٥٨ برقم (٢٠٤) واسناده حسن .

(٢) هذه الزيادة أخرجها الامام الترمذي في السنن وحسنه في أبواب الايمان باب افتراق هذه الأمة .

(٣) آل عمران : ١١٠ .   (٤) الفتح : ١٨ .   (٥) التوبة : ١٠٠ .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق على صحته : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم " الحديث .(1) وقال : " لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسي بيده ، لو أن احدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه ".(2)

وقال : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ".(3)

وما نالوا هذه الدرجة الا بحسن اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايثار مرضاته على كل شيء ، فكانت لهم هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية يذّكرهم اللاحقون بالتقدير والاكرام ويتأسّون بهم في حسن اعتقادهم وصلاح أعمالهم.

----

(1) أخرجه البخارى في صحيحه في الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور اذا استشهد ، وفي الفضائل باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي الايمان والنذور باب اثم من لا يفي بالنذر ، وأخرجه مسلم في الفضائل باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ح : ٢٥٣٥ .

(2) متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا " الحديث (ح : ٣٦٧٣) ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ح : ٢٥٤٠ وأحمد في المسند ٣ / ١١ وأبي داود : ١٦٥٨ والترمذى: ٤٦٥٨ .

(3) أخرجه أبو داود في السنة باب في لزوم السنة ح : ٤٦٠٧ ، والترمذى في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع - ح : ٢٦٧٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع الخلفاء الراشدين المهديين ح : ٤٣ ، ٤٢ ، والدارمي في باب اتباع السنة ١ / ٤٤ ، وأحمد في المسند ٤ / ١٢٦ ، ١٢٧ وقال الألباني : اسناده صحيح ، رجاله ثقات ، كتاب السنة لابن أبي عاصم تخريج وتعليق الألباني ١ / ٢٩ .

وميزة هذا الجيل الكريم هي صفاء مصدرهم فلم يكونوا يتلقـون تعاليمهم الا من مصادر الوحي -المتلو وغير المتلو- ولا شك أن من يتلقى تعاليمه من مصدر معصوم لا يقع في محظور منهجي رغم نقصان البشر وتعرضهم للخطأ. ومن ميزات ذلك الجيل أيضا حسن الاتباع، فما أن ثبت عندهم النص عملوا به وقدموه على كل شيء وآثروه على ما يحبونه من نفس ومال، فقد كان العلم عندهم يقتضي العمل لا كما شاع في الأزمنة المتأخرة من تنافر العلم والعمل.

إضافة الى ذلك كانوا يكرهون الفرقة والاختلاف في أمور الدين كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ بن عسل الذى كان يتتبع المتشابه ضربه حتى عاد الى رشده. كما حارب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فرقة الخوارج لما استحلوا دماء المسلمين وحرق بعض الشيعة الذين ألهوه وجلد بعضهم الذين قدموه على أبي بكر وعمر وتبرأ ابن عمر وابن عباس وغيرهما من القدرية وأنكروا عليهم.

وهكذا فعل علماء السلف الذين اتبعوا الصحابة من التابعين وتابعيهم اذ تصدوا للفرق المبتدعة كالمرجئة والجهمية والمعتزلة والكرامية وغيرهم x والكرامية من هذه الفرق المبتدعة .

وقد كان منشؤهم وموطنهم في خراسان الذى كان منبع المعطلة والمجسمة كجهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان، اذ ظهر زعيمهم هناك في النصف الأخير من القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث الهجريين.

x وقد كان الصحابة ومن اتبعهم من السلف رضوان الله تعالى عليهم على درجة عظيمة من التبصر والفهم بالدين وأساليب اللغة العربية ما يمكنهم من فهم نصوص الكتاب والسنة واشاراتهما الدقيقة فهما صحيحا.[1]

---

(1) راجع ابن تيمية السلفي تأليف د. محمد خليل هراس ص ٣.

فهم الذين كانوا سببا في حفظ القرآن والسنة ، جمعوا القرآن الكريم ونقلوا ألفاظه ومعانيه بعد أن بيّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ،قال تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾.[1]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ،قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.[2]

ومن التابعين من تلقى جميع تفسير القرآن الكريم من الصحابة رضي الله عنهم فقد قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما أوقفه عند كل آية منه واسأله عنها كما تلقوا عنهم علم السنة ،فالصحابة أعلم الأمة واسلمها طريقة وأحكمها مسلكا .

والأمثلة على كراهيتهم للاختلاف والحذر منه كثيرة.

ولا شك أن اتساع رقعة الاسلام ودخول أقوام ذوى حضارات متعددة ، وتداخل الأمم أدى الى ظهور مناحي فكرية لم تكن معهودة من جيل الصحابة ، وأسباب ذلك كثيرة الا أننا نذكر من أهم الاسباب في ظهور الفرق هي :

١ - دخول أناس كانوا على أديان وحضارات متعددة ، ودخول أولئك في الاسلام أدى الى ظهور هذه الفرق الكثيرة ، نعم قد كان بعض أولئك ذوى نوايا خبيثة هي : هدم الاسلام من الداخل بعد عجزهم عن مواجهته عسكريا وعلميا.

---

(١) النحل : ٤٤.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيميه ص ٥ .

وللانصاف قد يكون بعضهم سليمَ الطوّية الا أن قصوره في فهم مرامي العربية ومقاصدِه وإلفه في اتجاهات فلسفية موروثة أدّيا الى انحرافه وتنكبه عن الجادة.

٢ - تعريب علوم الأوائل في زمن المأمون فقد كانت هذه الخُطْوة فاتحة شر امتدّ أثرها إلى اليوم، وهي من الأسباب التي جعلت العقيدة السمحة مثار جدل ومراء مما أفقدها تأثيرها الروحي.

ولم يكن وجود هذه الفرق الكثيرة دليلا على الرقي والحضارة وعلى اثراء الفكر وحرية الرأى كما يقول البعض. بل الخلاف شر كما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: الخلاف شر خصوصا إذا كان في أمر العقيدة. بل نستطيع أن نقول ان انشغال المسلمين عن أمر الجهاد وتطبيق شرع الله قولا وعملا واعتقادا وانكبابهم بمنطق أرسطو والبحث النظرى التجريدى أدى الى تخلف المسلمين وضعفهم.

ومهما يكن، فمن الحق اظهار المنهج الصحيح لفهم العقيدة الاسلامية، وهو المنهج الذى سار عليه الصحابة ومن تبعهم، ومن الحق كذلك اظهار المنهج الباطل الذى سار عليه كثير من الفرق.

ومن الانصاف كذلك، اعطاء كل طائفة حقها في بيان ماوافقت عليه طريقة الصحابة ومن تبعهم وما خالفته، بالرجوع الى منهج أولئك الصحب الأبرار ومن تبعهم وجَعْله معيارا وفيصلا يُتحاكم اليه.

وقد كانوا بحق كما وصفهم الامام الحافظ ناصر السنة وقامع البدعة وامام أهل السنة الذى صبر واحتسب وثبت أمام التعذيب والضرب المبرّح فقد أسالوا دمه ومزقوا جسده رحمه الله تعالى رحمة واسعة، فقال في نعت السلف الصالح رحمهم الله تعالى:

(الحمد لله الذى جعل في كل زمان ،فتره من الرسل ، بقايا من أهل العلم ،يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون كتاب الله الموتى ،ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ،وأقبح أثر الناس عليهم .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ،وانتحال المبطلين ،وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ،وأطلقوا عقال الفتنة ،فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب ،يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ،ويخدعون جهّال الناس بما يشبهون عليهم ،فنعوذ بالله من فتن المضلين) (1) .

وعليه كان عليّ ابراز منهج السلف من خلال مناقشاتي للكرامية التي هي موضوع رسالتي للماجستير " موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من الكرامية في الالهيات ".

وقد يكون العنوان غريبا اذ أن شيخ الاسلام ابن تيميه لم يعاصر الكرامية حتى تذكر موقفه هذا . ويزول هذا الاستغراب اذا علمنا أن شيخ الاسلام يمثل التيار السلفي في عصره ، وقد كانت جهوده كلها لصالح ابراز هذا المنهج السلفي ،ومن ثم فموقفه يدل على موقف السلف من الكرامية. والذى دعاني الى اختيار هذا العنوان بالذات ،أن شيخ الاسلام ابن تيميه اتهم بأنه من الكرامية كما اتهم غيره من علماء السلف كشيخ الاسلام أبو أبي اسماعيل الهروى وغيرهم ،بل قال البعض : الحنابلة من الكرامية.

---

(1) خطبة الكتاب الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٥٢ عقائد السلف .

فأثرت معرفة الكرامية ومناهجهم الفكرية لاظهار ما وافقوا عليه السلف الصالح وما خالفوهم فيه ، وبيان أن هؤلاء العلماء لم يكونوا من الكرامية قطعا ،بل ان اتهامهم بهذه الطائفة اتهام يقصد من ورائه ترويج منهج المعطلة ومحاربة منهج اثبات الصفات على الوجه اللائق بالله تعالى.

*

كما دفعني الى اختياره أيضا أجلاء حقيقة الكرامية لاضطراب أقوال الناس فيهم ،فمنهم من يرميهم بكل نقيصة ، كالبغدادى والاسفراييني الى درجة أنهم يشبهونهم بالنصارى في قولهم ان الله تعالى جوهر على سبيل المثال.

كما اطلعت على رسالتين ألفتا في الكرامية لنيل درجة الماجستير أولاهما : بعنوان " فخر الدين الرازى وموقفه من الكرامية " اعداد فتح الله خليف .

والثانية : بعنوان " التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية " اعداد زهير مختار ، وقد تناولا الموضوع من جانب فلسفي بحت ، ولم يتعرضا لموقف السلف من الكرامية فيما ذهبوا اليه من آراء .

كما لم يفصلا القول في صفات الله عز وجل وخاصة صفة العلو والرؤية والصفات الخبرية عند الكرامية وموقف السلف من ذلك ،وكانت ترجيحاتهم دائما على مذهب الأشعرية المتأخرين ،بل اتهم د. فتح الله خليف شيخ الاسلام ابن تيميه بأنه يميل الى الكرامية ويعطف عليهم بل قال : ان أثر الكرامية قوى على طوائف كثيرة من الحنابلة الذين يعيشون حتى اليوم .

لذلك كله ، وما كان يجول في قلبي من حب الاطلاع على حياة وفكر شيخ الاسلام ابن تيميه الذى كان مثلا للعالم العامل المجاهد في سبيل الله بلسانه وقلمه وسيفه ،والصابر لما أصابه في سبيل الله المتخلق بأخلاق النبوة السمحة والذى بذل حياته كلها في سبيل احياء الطريقة التي سلكها نبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين رضي الله عنهم جميعا ،والذب عنها ، وتخليصها مما شابها من أنواع البدع والأهواء ،واستدل على ذلك بحجج نقلية صحيحة وبحجج عقلية صريحة [والتي لا تتعارض]وما كان لي من رغبة في مساهمة احياء بعض من التراث السلفي الضخم الذى خلفه هذا العالم الرباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة ،رأيت أن من الضروري الاهتمام بهذا الموضوع وبيان الحق في هذه المسائل ومعرفة أقوال العلماء المحققين فيهم كشيخ الاسلام ابن تيميه .

*

وقد واجهتني صعوبات أثناء اعداد هذه الرسالة منها :

١ - ندرة المادة واندراس كتبهم ولم أجد أكثر آرائهم الا عند خصومهم كأبي طاهر البغدادى وأبي المظفر الاسفرا ييني والرازى وغيرهم ، وقد سافرت من أجل هذا الغرض الى مصر . فلم أظفر بشيء يفيد في هذا الموضوع .

٢ - وقد أشرف على هذه الرسالة عدة أساتذة لا يقلون عن أربعة مما أخذ من وقتي الكثير كما بلغت المدة التي كانت بين مشرف وآخر والتي جلست فيها بدون اشراف نحو سنة ونصف سنة اضافة الى ذلك فالكل مشرف من وجهة نظر تختلف عن الآخر وهذا من شأنه أن يؤخر البحث .

أما طريقتي التي تناولت فيها الموضوع بالبحث فهي أني قد جعلت الحديث عن كل صفة على حدة مع أن غالبيتها لا تختلف آراء الكرامية فيها، فانهم يثبتون صفات الله تعالى الذاتية والفعلية الا أن بعضهم يسمى الله سبحانه وتعالى جسما وجوهرا وتحيزا وان فسروها بمعنى صحيح كالموجود أو القائم بنفسه بيد أن استعمال الألفاظ المجملة المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل غير صحيح ومخالف لمذهب السلف الصالح ، ولم ترد في كتاب الله عزوجل ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا نفيا ولا اثباتا.

وذكرت المعنى اللغوى أيضا لبعض الكلمات اذا رأيت أن ذلك ضرورى قبل عرض المسائل ثم أذكر موقف الكرامية من هذه الصفة .

وبعد ذلك أذكر موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من هذه المسألة ونقده للكرامية وبيان ما أصابوا فيه وما أخطأوا كذلك. وكنت أرجح دوما ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيميه الذى يتصدى للانتصار لمذهب السلف.

وأخرج الأحاديث الواردة في البحث إذا لم ترد في الصحيحين أوأحدهما وأترجم للاعلام اذا رأيت ذلك مناسبا وكذلك الأماكن.

*

هذا ،وقد قسمت البحث الى بابين :

الباب الأول : حياة ابن كرام .

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول : التعريف بابن كرام .

ويحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث هي :

الباب الأول

حيـــاة ابـن كـــــرام

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : التعريف بابن كرام .

الفصل الثاني : عصر ابن كــرام .

الفصل الأول

التعريف بابن كـــــــرام

١ - أصله وأسرته .

٢ - اسمه ولقبه .

٣ - نسبته ، مولده ، نشأته .

٤ - رحلاته .

٥ - وفاتـــه .

٦ - شيوخه .

٧ - تلاميذه .

٨ - مؤلفاتـــه .

٩ - أقوال العلماء فيه .

الفصل الأول

التعريف بابن كـــرام

أصله وأسرته :

محمد بن كرّام من بني نزار كذا ذكره ابن عساكر (١) والسمعاني (٢) ولم ينسبه غيرهما الى بني نزار بل لم يذكر الذين ترجموا له غيرهما نسبا اللهم الا ما ذكره ابن كثير في ترجمته لابن كرّام أنه من بني تراب (٣) .

ولم أعثر فيما اطلعت عليه من الكتب التي تعنى بالقبائل قبيلة تسمى ببني تراب ويبدو أنه تصحيف وقع في نسخ البداية والنهاية .

نعم قد كان جماعة من العلماء (بمرو) ينسبون الى (ترابى) كما ذكره ابـــن ماكولا (٤) والسمعاني (٥) إلا أن ابن ماكولا لم يذكر ابن كرّام من بين الذين ذكرهـم .

ومما يؤكد ما ذهبت اليه أنه لو كان ينسب الى هذه الجماعة التي كانت (بمـرو) أو لو كانت النسبة تشيعا الى علي رضي الله عنه كما ذكره ابن الأثير حيث قال" وقد كـان أيام بني أميه يقولون لكل من يعلمون أنه يميل الى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويتـولاه فلان ترابى ينسبون الى أبى تراب" (٦) .

أقول لو كانت النسبة الى الجماعة التي كانت "بمرو" أو الى الميل الى علي رضـي الله عنه لقال ابن كثير محمد بن كرام الترابى لا أنه من بني تراب هذا هو المعروف فـــي لغة العرب .

شيء آخر يؤكد ما ذهبت اليه وهو قرب أن يصحف نزار الى تراب ولا يحتج علينــــا أحد بعجمة لسانه حيث ذكر الصفدى قصة خروج ابن كرام من السجن في نيسابور وسؤال الأمير له " من أين لك هذا العلم الذى جئت به فقال ابن كرام: "الحام الحمنيه الله تعالى" بالحاء المهملة بدلا من الهاء فقال له:"أتحسن" التشهد ؟ فقال: الطحيات لله بالطــاء المهمله (٧) .

---

(١) تاريخ دمشق المصورة (١١/٦٦
(٢) الأنساب (١١/٦١) .
(٣) البداية والنهاية (١١/٢٠) .
(٤) الإكمال (١/٥٣٤) .
(٥) الأنساب (٣/٣٠) .
(٦) اللباب (١/٢١٠) .
(٧) الوافي بالوفيات ٤/٣٧٥ وطبقات الشافعية ٢/٣٠٤

أقول لا يحتج أحد بهذه القصة ولا تلك التي أوردها البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق في معرض حديثه عن كتاب ابن كرام المعروف بعذاب القبر حيث ذكر البغدادي أن ابن كرام عقد بابا له ترجمة عجيبة هو (باب في كيفوفية الله عزوجل)، ثم علق عليه فقال: "ولا يدرى العاقل ماذا يتعجب أعن جسارته على إطلاق لفظ الكيفية في صفات الله تعالى أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية ؟

ثم قال وله من جنس هذه العبارة أشكال منها قوله في باب الرد على أصحاب الحديث في الايمان فإن قالوا صحوفيتهم الإيمان قول وعمل قيل لهم كذا وكذا، وذكر أنه قد عبر عن مكان معبوده في بعض كتبه بالحيثوثية ثم قال وهذه العبارات السخيفة لائقة بمذهبه السخيف (١).

فان هذه القصة التي أوردها البغدادي أو تلك التي أوردها الصفدي إن دلت على شيء فانما تدل على عجمة لسانه، وكم من عربي أصيل دخلت عليه "لكنة" أعجمية بعد اختلاط الأمم وفشو اللحن في وقت مبكر جدا نتيجة دخول كثير من الأمم في الاسلام فلا غرو أن تسوء عبارة ابن كرّام أو تكون فيه هجنة مع كونه عربي الأصل من بني نزار.

أسـرته :

ان المصادر التي ترجمت لابن كرّام لم تزودنا بمعلومات عن أسرته التي تربى بين أحضانها ومعلوم أن دور الأسرة في تأثير الفرد كبير إذ هي المدرسة الأولى التي يتلقى منها التوجيه والإرشاد وتكوين شخصيته مع المؤثرات المعروفة الأخرى.

وبعد تتبع في المصادر التي ترجمت لابن كرام لم أقف على شيء يشير الى نشأته الأولى ولا ذكروا عن مكانة أبيه وأجداده شيئا، بيد أن السمعاني قال: "وكان والده يحفظ الكرم فقيل له "الكرّام" (٢).

ويبدو أنه لم يكن لأسرته من الشهرة ما يدعوا المؤرخين الكتابة عنها.

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) الانساب (١١/٦٠).

اسمه :

هو محمد بن كرّام بن عراق بن حزابة بن البراء أبو عبد الله السجزي (١)
يكنى بأبي عبد الله وقد اشتهر بذلك ذكره ابن عساكر (٢) والسمعاني (٣)
وابن حجر (٤) والزبيدي (٥) والقاضي مجير الدين الحنبلي (٦) .

ولم أجد فيما اطلعت عليه من المراجع من تعرض لحالته الاجتماعية وهل كان متزوجا أو أعزبا ؟ وهل كان له أولاد أو لا ؟ .

لم يتعرض أحد لهذا فأصبحت حياته غامضة بالنسبة لنا مما يعوقنا عن ابراز شخصيته كاملة .

ويلقب بابن كرم وقد اختلف المترجمون له في ضبطه على قولين :

القول الأول : هو بفتح الكاف والراء وتشديدها وهو الجاري على الألسن قال الأمير ابن ماكولا " وأما كرام بفتح الكاف وتشديد الراء فهو محمد بن كرام . . . (٧)
ووافق عليه السمعاني والذهبي والسبكي وابن الأثير وابن حجر والزبيدي والقاضي مجير الدين الحنبلي على هذا الضبط . وضبط أكثر الناس لفظ الكرامية بفتح الكاف وتشديد الراء نسبة الى محمد بن كرام .

والقول الثاني : هو بفتح الكاف والراء وتخفيفها (كرم) حكاه محمد بن الهيصم وقرر أنه هو المعروف في ألسنة مشايخهم وذكر أنه بمعنى كرم أو كرامة .

وضبط آخرون بكسر الكاف وفتح الراء وتخفيفها (كِرام) جمع كريم .

---

(١) الاكمال (٧/ ١٦٤) ، "تبصير المشتبه لابن حجر" (٣/ ١١٩١) تاريخ دمشق مصور ١١/ ٦٦ ، تاريخ الاسلام خ (١٤/ ٢٥٧) ، عقد الجمان للعيني خ ٩/ ٧٤ ، تاج العروس (٩/ ٤٣) مادة كرم ، دائرة المعارف البستاني ٣/ ٤٧٨ .
في نسخ الكامل لابن الأثير عراف بالفاء بنقطة واحدة (٧/ ٢١٧) وكذا في نسخ البداية والنهاية (١١/ ٢٠) ولسان الميزان (٥/ ٣٥٥) والوافي بالوفيات (٤/ ٣٧٥) .
كما قد وقع في نسخ البداية (حزامه) بالميم كما وقع في الكامل (خزانه) بالخاء المعجمة والنون المعجمة بنقطة واحدة من فوق (٧/ ٢١٧) ووقع في الوافي بالوفيات خرابه بالخاء المعجمة والراء المهملة بعدها ياء معجمة بنقطتين من تحت (٤/ ٣٧٥) .
ولعل كل هذا تصحيف والله أعلم .
(٢) تاريخ دمشق مصورة رقم ٦٠٤
(٣) الانساب (١١/ ٦٠)
(٤) تبصير المشتبه (٣/ ١١٩١)
(٥) تاج العروس (٩/ ٤٣) .
(٦) الانس الجليل (١/ ٢٩٦) .
(٧) الاكمال (٧/ ١٦٤) .

وحكى ابن الهيصم هذا من أهل سجستان وأطال في ذلك .

قال السبكي "كنت "أسمع الشيخ الامام الوالد رحمه الله - يحكى أن الشيخ صدر الدين ابن المرحل(١) قرأ مرة بحضرة السلطان الملك الناصر جزءا ، وفيه ذكر محمد بن كرام فقال "كرام" وخفف له الراء ، فرد عليه بعض الحاضرين فقال : لا ، انما هو بالتخفيف فقد قال الشاعر :

الرأى رأى أبي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

فقال الوالد : فظن بعض الحاضرين أن الشيخ صدر الدين وضع هذا البيت على البديهة وأنه لا أصل له.

قال السبكي : "ثم رأيت بخط الشيخ تقي الدين ابن الصلاح في مجاميعه ، أن محمد بن كرام بالتخفيف وأن أبا الفتح البستي أنشد :

ان الذين نجلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام

الرأى رأى أبي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

ثم أضاف السبكي أنه رأى هذين البيتين بعينهما منسوبين الى قائلهما البستي في كتاب (اليميني) في سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٢) .

وأورد أبو منصور الثعالبي بيتين للقاضي أبي القاسم الداودى قال فيهما :

ان الوداد لأى أنا مرخدعة * كوميض برق في جهام غمام

فهو المقال الغرد عند القوم * كالايمان عند محمد بن كرام (٣)

وحكى ابن كثير عن بعضهم بكسر الكاف وتشديد الراء (كرام) وقد رجح الذهبي القول الأول و وصفه بأنه هو الجارى على الألسن .

وأورد عن أبي عمرو ابن الصلاح قوله "لا معدل عن الأول" .

كما رجح السبكي الأول بقوله "إنه هو المشهور .

واختار أكثر المترجمين لابن كرام القول الاول .

أما القول بان والد محمد بن كرام كان يحفظ الكرم فقيل له كرام رد الذهبي على الذى قال به وهو ابن السمعاني فقال : هذا الذى قاله ابن السمعاني بلا اسناد وفيه نظر فان كلمة كرام علم على والد محمد سواء عمل في الكرم أو لم يعمل .

ونرجح القول الأول لأنه اختيار علماء كثيرين أجلاء محققين كما تقدم آنفا ولاحتمال مدح ابن الهيصم فرقته والله أعلم.

---

(١) هو محمد بن عمر بن مكي صدر الدين ابن الوكيل وابن المرحل ويقال له ابن الخطيب أيضا ولد سنة ٦٦٥ هـ وتوفي سنة ٧١٦ هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٩/ ٢٥٣-٢٦٧ ، البداية والنهاية ١٤/ ٨٠-٨١ الدرر الكامنة ٤/ ٢٣٤-٢٤١ الوافي بالوفيات ٤/ ٢٦٤-٢٨٤ ، البدر الطالع ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٦ شذرات الذهب ٦/ ٤٠-٤٢ . قال ابن حجر وهو يتحدث عن مناسبة البيت المذكور : قال (يعني ابن المرحل) هذا في مجلس حافل الكرامية بالتخفيف فأنكروا عليه وقالوا هو بالتشديد فأنشد في الحال . الدرر الكامنة ٤/ ٢٤٠ وانظر الوافي بالوفيات ٤/ ٢٧٦ وكان ينصب العداوة لشيخ الاسلام ابن تيمية ويناظره في كثير من المحافل والمجالس ، البداية والنهاية ١٤/ ٨٠ .

(٢) انظر طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٥ .

(٣) الاعجاز والايجاز ص ٢٦٦ ، غمام - سحاب دخن مطر كثير ، جهام هاجم - اقتحم الوداد - الصداقة ، وميض : لمعان .

نسبته :

ينسب ابن كرام الى سجستان فيقال محمد بن كرام السجزى أو السجستاني لأنه ولد فيها ونشأ بها .

وينسب أيضا الى نيسابور لأنه مكث فيها طويلا .

مولده :

ولد محمد بن كرام في قرية من قرى زرنج وزرنج حاضرة سجستان بتاريخ لم يحددها المؤرخون الا أن المستشرق الفرنسي ماسينيون ذكر أنه ولد في عام ١٩٠هـ. تقريبا وقد ذكر الجوزقاني أن أبا عبد الله محمد بن كرام كان من نواحي سجستان من قرية يقال لها الحروى (١) .

نشأته :

ان المترجمين لابن كرام لم يذكروا كثيرا عن نشأته منذ الصغر حتى استوى رجلا له أتباع يستنيرون طريقهم بآراءه العقدية ، والمعلومات المتوفرة عنه لا تتناسب مع صاحب فرقة له أتباع كثيرون .

وكل ما تذكره المصادر أنه نشأ في سجستان (٢) وعاش فيها وان لم تزودنا بمعلومات كافية عن هذه الفترة قال الشهرستاني "قد نبغ رجل متنمس (٣) بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله محمد بن كرام قليل العلم قد قمش (٤) من كل مذهب ضغثا (٥) وأثبته في كتابه (٦) وروجه (٧) على أغتام (٨) غور (٩) وغرجه (١٠) وسواد بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا (١١) .

وهكذا عرفنا أنه كان زاهدا وأنه نشأ في سجستان ودخل خراسان (١٢) من أجل طلب العلم وسنذكر رحلاته فيما بعد ان شاء الله .

---

(١) الأباطيل والمناكير ٢٩٢/١ لم أجد ترجمة/ في معاجم البلدان التي أطلعت عليها . للفظ الحروى

(٢) تاريخ دمشق : ١١ ص ٦٦ - ٦٧ طبقات الشافعية (٣٠٤/٢) ، لسان الميزان ٣٥٥/٥ .

(٣) وانمس الرجل ، بتشديد النون أى استتر ، وهو انفعل . الصحاح ٩٨٧/٣ مادة نمس .

(٤) قمش : جمع الشيء من هنا وهنا مختار الصحاح ص ٥٥١

(٥) ضغث الحديث : خلطه الصحاح مادة ضغث ٢٨٥/١

(٦) لعله يقصد به كتابه عذاب القبر .

(٧) روج فلان كلامه زينه وأبهمه فلا تعلم حقيقته . المصباح المنير مادة راج .

(٨) الغتمة بالضم : العجمة ، والأغتم : من لا يفصح شيئا . قاموس المحيط مادة غتم .

(٩) غور بالضم بلاد معروفة بطرف خراسان ويجوز دخول الالف واللام فيقال الغور المصباح المنير مادة الغور .

(١٠) يرجع الى الغور المتقدم وهو غورجي على غير قياس وبلا هاء قاموس المحيط مادة غور .

(١١) الملل والنحل (٣٢/١ - ٣٣) .

(١٢) تاريخ دمشق جـ ١١ ص ٦٦ - ٦٧ طبقات الشافعية (٣٠٤/٢) ، لسان الميزان (٣٥٥/٥) .

رحلات ابن كرّام :

كانت سنة العلماء من قبل الرحلة في طلب العلم والتجوال في عواصم العلم اهتماما بالعلم، وكانت الرحلة تزيد العالم رسوخا في فنه وقدرا في أعين الناس فقل من العلماء من لم يرحل فقد قام ابن كرام برحلات متعددة الى بعض البلدان منها خراسان التي من مدنها .

بلخ ومرو وهراة، ونيسابور كما رحل الى مكة والشام وبيت المقدس التي قيل انه توفي فيها . وقد تلقى العلم من علماء مختلفة عقائدهم فمنهم من كان على درجة من العلم والثقة ومنهم من كان ساقط العدالة لا يعول عليه كالكذابين الوضاعين .

مما كان له أثره البالغ في تكوين آرائه واتجاهاته الفكرية .

فابن كرام رحل لطلب الحديث كما سيأتي ان شاء الله وان كان هو ساقط الحديث لا يلتفت اليه، فقد دخل خراسان بعد أن نشأ في سجستان ، وخراسان بلاد واسعة كما يقول ياقوت الحموي فأول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان" ثم قال :" وليس ذلك منها انما هو أطراف حدودها ، وتشتمل على أمهات من البلاد كنيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبتها وبلخ" (١)

وقبل الحديث عن رحلات ابن كرّام يجدربنا أن نذكر انه كان له أتباع كثيرون في سجستان منذ البداية مما خوف الحكام قال الجوزقاني:"فصار له تبع كثير وجمع كبير فرفع أمره الى ابراهيم[٢] بن الحصين أمير سجستان فتعجب من ذلك وأمر باحضاره فجاء لابسا مسبحا معلقا صبحة بيده معه أصحابه ،عليهم البرانس[٣] ففاوضه فوجده مبتدعا ضالا فقال لوزرائه : ما أعمل في بابه فأشاروا بقتله قال: (لست أرى ذلك ،انه شهر نفسه بالزهد ،فلا أحب أن يحدث مني أني قتلت زاهدا قالوا ما الرأى للأمير ؟ فقال : اني أرى أن أنفيه من هذا الأقليم واطهر مملكتي منه ومن أصحابه ويتولى قتله غيرى (٤) .

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٣٥٠)

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) البرانس : البرنس: قلنسوة طويلة ،وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام الصحاح ٣/ ٩٠٨، "مادة برنس" لسان العرب ج ٦/ ٢٦.

(٤) الأباطيل (١/ ٢٩٣ - ٢٩٤) .

رحلته الى غرجستان : (١)

طرد صاحب سجستان ابن كرام من مملكته كما ذكره الجوزقاني ونفاه الى غرجستان وكان أتباعه وقتئذ أهل شومين (٢) وأفشين (٣) .

ذكر ذلك الاسفراييني أيضا حيث قال " زعيمهم محمد بن كرام كان من سجستان فنفى عنها فوقع في غرجستان فاغتر بظاهر عباداته أهل شومين وأفشين وانخدعوا بنفاقه وبايعوه على خرافاته ". (٤)

وقال السبكي : وصاحب سجستان هو الذى نفاه . ولم يكن قصد الساعين عليه الا اراقة دمه وانما صاحب سجستان هاب قتله لما رأى عليه من مخايل العبادة والتقشف ولقد افتتن به خلق كثير. (٥)

رحلته الى بلخ (٦)

قام محمد بن كرام برحلة الى بلخ حيث سمع من ابراهيم بن يوسف الماكياني أورد ذلك ابن عساكر والسمعاني .

وسكت المؤرخون عن أخبار ابن كرام اثناء وجوده ببلخ وعن أحواله فيها ومدة سماعه وكم من الحديث سمعه ؟ الى آخر ما يتعلق بهذه الرحلة .

رحلته الى مرو (٧)

رحل ابن كرام الى مرو الشاهجان كبرى مدن خراسان وسمع من الحافظ الحجة العلامة على بن حجر المروزى ذكره ابن عساكر وابن السمعاني .

ولم أجد معلومات عن رحلته تلك غير هذا .

---

(١) واسمها المعروف غرشستان بالفتح ثم سكون وشين معجمة مكسورة وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون يراد به النسبة الى غرش معناه موضع الغرش ويقال غرشتان وهي ولاية برأسها ليس لها سلطان ، ولا لسلطان عليها سبيل ، هراة في غربيها والغور في شرقها ومرو الروذ عن شماليها والفرج : هي الجبال ، والشار هو الملك ، العوام يسمونها غرجستان . معجم البلدان (١٩٣/٤) .

(٢) شومان بالضم والسكون وآخره نون بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون وهو من الثغور الاسلامية معجم البلدان (٣٧٣/٣ - ٣٧٤) بالصغانيان المذكور ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الاعمال .

(٣) لم أجد أفشين ولكنني وجدت أفشوان لعلها هي : بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الشين و واو وألف ونون ، من قرى بخارى على أربعة فراسخ منها وهناك أيضا (أفشنة) بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين معجمة مفتوحة ونون وهاء من قرى بخارى أيضا ، معجم البلدان ١/ ٢٣١-٢٣٢ . (٤) التبصير في الدين ص١١١ (٥) طبقات الشافعية ٣٠٥/٢ .

(٦) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، من أجل مدن خراسان معجم البلدان ٤٧٩/١

(٧) مرو الشاهجان العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها مرو بالعربية الحجارة البيض التي يقتدح بها والشاهجان فهي فارسية معناها نفس السلطان . معجم البلدان ١١٢/٥-١١٣ .

رحلته الى هـراة :(١)

رحل ابن كرام الى هراة وسمع من عبد الله بن مالك بن سليمان الهروى ذكره ابن عساكر (٢) وابن السمعاني (٣) وأورد الذهبي والسبكي أن الامام أبو سعيد الدارمي قام على محمد بن كرام وطرده من هراة وكان الدارمي جذعا في عين المبتدعة كما هو معروف (٤)

وقيل انه حدث عن مالك بن سليمان الهروى .

رحلته الى نيسابور : (٥)

دخل ابن كرام نيسابور أكثر من مرة . قال ابن عساكر: وسمع بنيسابور من أحمد ابن حرب وعتيق بن محمد الحرشي ومحمد بن الأزهر وأحمد بن الأزهر النيسابوري (٦) ويبدو أن لقاءه بهؤلاء الشيوخ كان قبل سجنه بنيسابور لأن رحلته الى نيسابور تكررت أكثر من مرة .

فالمؤرخون ذكروا أنه دخل خراسان بعد أن خرج من حيث نشأ وترعرع فيها وهي سجستان ، ومعلوم أن نيسابور من أمهات مدن خراسان .

ثانيا : ان بعض المؤرخين ذكروا أن ابن كرام لما ورد بنيسابور راجعا من مكة المكرمة التي جاورها خمس سنوات أنصرف منها الى سجستان وباع ما كان يملكه ثم انصرف الى نيسابور فحبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر (٧) مما يدل على أنه زجه في السجن عقب دخوله مباشرة فلا فرصة لسماع العلم والله أعلم .

---

(١) هراة بالفتح ، مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان معجم البلدان ٥/ ٣٩٦ .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١/ ٦٦ مصورة .
(٣) الأنساب لابن السمعاني ١٠/ ٣٧٥
(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٦٢٢ وطبقات الشافعية ٢/ ٣٠٤
(٥) نيسابور بفتح أوله والعامة يسمونه نشاوور ، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء معجم البلدان ٥/ ٣٣١ .
(٦) تاريخ دمشق ١١/ ٦٦
(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١/ ٦٦ مصور وانظر الأنساب لابن السمعاني ١٠/ ٣٧٥- ٣٧٦ ، واللباب لابن الأثير ٣/ ٩٢ والبداية والنهاية ١١/ ٢٠ ولسان الميزان ٥/ ٣٥٥ ، وتاج العروس للزبيدي مادة كرم .

وقد تكرر سجنه في نيسابور فانه لما أطلق عنه في المرة الأولى خرج الى ثغور الشام ثم لما رجع الى نيسابور حبسه محمد بن طاهر بن عبد الله وفي هذه المرة طالت محنته ولبث في السجن مدة طويلة (١) .

وقدر بعضهم مدة سجنه في نيسابور بثمان سنين قال الحاكم :-
مكث في السجن ثماني سنين (٢) .

قال الحاكم ابو عبد الله : فكان يغتسل كل يوم جمعة، ويتأهب للخروج الى الجامع ثم يقول للسجان أتأذن لي في الخروج ؟ فيقول : لا ، فيقول : اللهم انـي بذلت مجهودي والمنع من غيري (٣) .

وكان له فيها أتباع قال الحاكم لقد بلغني أنه كان معه جماعة من الفقراء (٤) .

وقد جاء في التبصير وخرج معه (اى ابن كرام) قوم الى نيسابور في أيـام محمد بن طاهر بن عبد الله فأغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد وقـد دعاهم الى بدعته وأفشى فيهم ضلالا تهواتبع فيها قوم من أتباعه (٥) .

وقال البغدادي : (ورد نيسابور في زمن ولاية) محمد بن طاهر بن عبد اللـه وتبعه على بدعته من أهل سواد نيسابور شرذمه (٦) من أكرة (٧) القرى والدهم (٨) (٩) .

ويذكر الحافظ الجوزقاني : أن ابن كرام لما دخل نيسابور أستقبله أهلهـا بالرحب، وتمسحوا به ، وقبلوه أحسن قبول وعظمت الفتنة على الخاصة وأهل العلـم به وأعياهم أمره حتى اجتمع أهل العلم بشأنه الى امام الأئمة الحافظ أبي بكر بن خزيمـة رحمة الله فرفع أمره الى الأمير فنفاه الى بيت المقدس (١٠) .

---

(١) تاريخ دمشق ١١/٦٦ مصور، الأنساب ١٠/٢٧٦ واللباب ٣/٩٨ و الوافي بالوفيات ٤/٣٧٥ طبقات الشافعية ٢/٣٠٤ ، البداية والنهاية ١١/٢١ ، لسان الميزان ٥/٣٥٥

(٢) سير اعلام النبلاء (١١/٥٢٤) وانظر الميزان ٤/٢١ والوافي بالوفيات ٤/٣٧٥

(٣) تاريخ دمشق ١١/٦٦ وانظر الأنساب ١٠/٢٧٦ ، طبقات الشافعية ٢/٣٠٤ الوافي بالوفيات (٤/٣٧٥) لسان الميزان ٥/٣٥٥

(٤) طبقات الشافعية ٢/٣٠٤

(٥) التبصير في الدين ص ١١١

(٦) الشرذمة : القليل من الناس، لسان العرب مادة شرذم

(٧) الأكرة : بالضم الحفرة في الأرض ، وجمعها أكر ، والأكار : الحراث ، الزراع ، وقد يراد به للاحتقار والانتقاص . انظر الصحاح ٢/٥٨٠ مادة الأكرة ، ولسان العرب مادة اكر ٤/٢٦ .

(٨) والدهم : العدد الكثير ، الصحاح ٥/١٩٢٤ مادة دهم ، لسان العـرب مادة دهم ١٢/٢٠٩ .

(٩) الفرق بين الفرق ص ٢١٦ .

(١٠) انظر الأباطيل ١/٢٩٤ .

وعلا شأنه وأظهر معتقده بصورة أشد من ذي قبل كما تدل عليه عبارة السبكي وباح بالتجسيم وقال : ان الايمان بالقول كاف ، وان لم يكن معه معرفة بالقلب ولهذا عقدت له مجالس سئل فيها عما يقوله ، فكان جوابه أنه الهام يلهمه الله (١) .

رحلته الى مكة :

جاور ابن كرام مكة المكرمة خمس سنين كما تذكره المصادر (٢) ، وهذا زمن طويل نسبيا بامكان طالب العلم أن يفيد منه ويأخذ بحظ وافر من العلم الا أن المصادر لم تذكر شيئا من حاله ولا أظن أنه قضاها كلها في طلب العلم وربما كان مشغولا بالعبادة والزهد .

قال الذهبي : " وكان ناشفا (٣) عابدا قليل العلم (٤) .

رحلته الى الشام :

دخل ابن كرام الشام أكثر من مرة نفاه الأمير طاهر بن عبد الله صاحب نيسابور الى ثغور الشام بعد حبس لم يدم طويلا ثم عاد الى نيسابور فحبسه أميرها وهو محمد بن طاهر ومكث في السجن ثماني سنين كما مر من قبل (٥) وبعد أن لقي من السجن الاهانة والأذى في نيسابور تحول الى بيت المقدس أو بعبارة أدق نفي اليها . ويبدو والله أعلم أنه كان يحب خراسان حيث أكثر التردد اليها ولم يخرج منها طواعية بل أجبر على تركها . قال ابن عساكر : " خرج أبو عبد الله محمد بن كرام من نيسابور في شوال سنة احدى وخمسين ومائتين (٦) .

وقال ابن الأثير : " ثم خرج من نيسابور سنة احدى وخمسين ومائتين فانتقل الى بيت المقدس وأقام به الى أن مات " (٧) .

وكان له شأن وأتباع في بيت المقدس ، قال الحاكم " وكان لأصحاب ابن كرام رباط ببيت المقدس (٨) .

وذكر ابن كثير انه كان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم أنه يقول : إن الايمان قول بلا عمل فتركه أهلها ونفاه متوليها الى غوار (٩) زغر فمات بها (١٠) .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٢/٣٠٤) وأنظر الوافي بالوفيات (٤/٣٧٥) .
(٢) تاريخ دمشق (١١/٦٦) الأنساب (١٠/٣٧٦) طبقات الشافعية (٢/٣٠٤) .
لسان الميزان (٥/٣٥٥) الوافي بالوفيات (٤/٣٧٠) تاج العروس (٩/٤٣) .
(٣) لعله يقصد نشف النشافة بمعنى الرغوة وهي الحفالة التي هي الحثالة وهو الرذل من كل شيء وهذا ذم لابن كرام انظر لسان العرب مادة نشف ٩/٣٣٠ وانظر مختار الصحاح لمحمد الرازي ص ١٤٤
(٤) سير اعلام النبلاء ١١/٥٢٤
(٥) ص ٩ من الرسالة .
(٦) تاريخ دمشق ١١/٦٦ . (٧) اللسان ٣/٨٩ . (٨)
(٩) تاريخ دمشق ١١/٦٦ ، الوافي بالوفيات ٤/٣٧٦ ، لسان الميزان ٥/٣٥٦ الأنس الجليل ١/٢٩٦ ، وزغر : قرية بمشارف الشام ، بينها وبين بيت المقدس ثلاث ايام . معجم البلدان ٣/١٤٢ ، ١٤٣ .
(١٠) البداية والنهاية (١١/٢٠) .

وأفاد ابن عساكر ان إنسانا غريبا سأله عن الإيمان وكان يمسك عن الجواب حتى تكرر سؤال هذا الانسان فلما أجاب بأن الإيمان قول وسمعه الناس أحرقوا كتبه التي قد كتبوا عنه ونفاه والي الرملة واسمه بأنس الموقس الى زغر ومات بها (١).

وفاتـــه:

أجمع أكثر المؤرخين بأن وفاة محمد بن كرام كانت في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) الموافق (٨٦٩م) في القدس بالشام (٢).

وذكر الصفدي أنه توفي سنة ست وخمسين ومائتين (٢٥٦) (٣).

وورد في معجم المؤلفين بانه توفي في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين (٤).
ومات في قرية في شارف الشام تسمى زغر وحمله أصحابه الى بيت المقدس قال الحاكم " توفي أبو عبد الله ببيت المقدس من الليل فحمل بالغداة ولم يعلم بموته الا خاصته ودفن في مقابر الانبياء عليهم السلام بباب أريحا عند قبر زكريا ويحيى بن زكريا وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما توفي كان أصحابه ببيت المقدس نحو عشرين الفا . (٥)

* * *



---

(١) انظر هامش ٩ ص ١٠.

(٢) تاريخ دمشق (١١/٦٦) الانساب (١٠/٣٧٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٢١) . البداية والنهاية (١١/ ٢٠) . طبقات الشافعية (٢/ ٣٠٤).
(٣) الوافي بالوفيات (٤/٣٧٥).
(٤) معجم المؤلفين (١١/ ٦١) ويبدو أنه خطأ مطبعي.
(٥) تاريخ دمشق ١١/٦٦ الوافي بالوفيات (٤/ ٣٧٥).

شـــيوخ ابن كـــرام

المعروف أن طلاب العلم في عصر ابن كرّام كانوا يستكثرون من الشيوخ وخاصة المحدثين منهم فقد كانوا يبذلون أقصى جهدهم في تحصيل أكبر قدر ممكن من العلم والكتابة عن أكثر عدد من الشيوخ فكانوا يتلقون العلم من الشيوخ في بلدهم وفي خارج بلدهم قال الامام البخارى رحمه الله كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم الا صاحب حديث ذكر ذلك وراقه محمد بن أبي حاتم (١).

وكان ابن كرام في عصر ائمة الحديث كأحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن وابن خزيمة وقد مر بنا أنه هو الذى رفع أمر ابن كرام الى الوالي حتى نفاه الى بيت المقدس.(٢)

كما أن الامام ،أبو سعيد الدارمي قام في وجهه وطرده من هراة.(٣)

فأكثر المحدثين الكبار الذين ذكرناهم وغيرهم من خراسان ونواحيها ومع أنه استكثر من الرحلات والتقى بشيوخ كثيرين كما ذكره المؤرخون،فيبدو أنه لم يستفد من نقاد الحديث وحفظته بل كان قليل البضاعة في الحديث يروى المناكير لا يميز بين صحيح وسقيم،وقد أخذ من حفاظ ثقات كما تلقى من وضاعين لا يعول عليهم وفيما يلي نورد نبذة من تراجم شيوخه .

١- ابراهيم بن يوسف الماكياني :

ذكره كل من ابن ماكولا(٤) وابن عساكر(٥) وابن السمعاني (٦) وابن كثير (٧) والزبيدى(٨) أن ابن كرّام سمع منه،وهو ابراهيم بن يوسف بن ميمون بن قدامة. وقيل : رزين بدل قدامة، عالم بلخ ،ابو اسحاق الباهلي الفقيه المعروف بالماكياني (٩) وماكيان قرية من قرى بلخ(١٠)

روى عن ابن المبارك وابن عيينة وحماد بن زيد وشريك وخالد بن عبد الله وأبى الأحوص وأبى معاوية وأبى يوسف القاضي وهشيم واسماعيل بن جعفر وغيرهم سمع من مالك حديثا واحدا (١١).

---

(١) سير اعلام النبلاء ١٢/٣٩٥،تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥،مقدمة صحيح البخارى شرح السندى ٣/١.
(٢) انظر ص ٩ من الرسالة ويأتي بالتفصيل في ص ٣٥.
(٣) تقدم في ص ٨ من الرسالة . (٤) الاكمال ٧/١٦٤.
(٥) تاريخ دمشق ١١/٦٦
(٦) الانساب ١٠/٣٢٥.
(٧) البداية والنهاية ١١/٢٠
(٨) تاج العروس ٩/٤٣ مادة كرم
(٩) سير اعلام النبلاء ١١/٦٣ وانظر تهذيب التهذيب ١/١٨٤
(١٠) سير اعلام النبلاء ١١/٦٢
(١١) سير اعلام النبلاء (١١/٦٢) وانظر تهذيب التهذيب ١/١٨٤

كما روى عن علي بن عابس وأبى بكر بن عياش وعقبة بن خالد وحفص بن غياث وعبد السلام بن حرب والمحاربي (١). قال الذهبي (لزم أبا يوسف حتى برع) (٢).

حدث عنه النسائي ومحمد بن المنذر شكّر ومحمد بن كرّام شيخ الكرّامية وخالد ابن سهل البخاري وجعفر بن محمد بن سوّار، ومحمد بن عبد الله بن يوسف الدويرى، واحمد بن قدامة البلخي وزكريا بن يحيى خياط السنة ومحمد بن محمد بن صديق وخلق كثير (٣).

وثقه النسائي وابن حبان وقال ظاهره الارجاء واعتقاده في الباطن السنة (٤).

قال ابن حبان سمعت احمد بن محمد سمعت محمد بن داود الفوعي يقول: حلفت الا أكتب الاعمن يقول الإيمان قول وعمل فأتيت ابراهيم بن يوسف فأخبرته فقال اكتب عني فاني أقول الايمان قول وعمل (٥).

كان من آئمة الحنفية (٦) وكان يقول القرآن كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن وقف فهو جهمي بل قال وبانت منه امرأته لا يصلى خلفه ولا يصلى عليه اذا مات ومن وقف فهو عندنا جهمي، ضعفه أبو حاتم قال ابن ابي حاتم سمعت أبي يقول لا يشتغل به.

قال الذهبي هذا تحامل لاجل الإرجاء الذى فيه وقد تقدم قول ابن حبان ظاهره الارجاء واعتقاده في الباطن السنة (٧).

وقال الدارقطني ذكرته لعلى بن سعيد الرازى فقال ثقة ثقة.

وذكره النسائي في اسماء شيوخه وقال ثقة (٨).

فابن كرّام تتلمذ على هذا الشيخ، ومعروف أن ابن كرّام من المرجئة إذ يقول: إن الايمان بالقول كاف وإن كان مجردا عن عقد القلب وعمل الجوارح.

---

(١) انظر الجرح والتعديل (٢/ ١٤٨)
(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٧٦).
(٣) انظر تهذيب الكمال (٢/ ٢٥٢) سير اعلام النبلاء (١١/ ٦٢).
(٤) ميزان الاعتدال (١/ ٧٦).
(٥) سير اعلام النبلاء (١١/ ٦٢ - ٦٣ انظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٥٢ وتهذيب التهذيب ١/ ١٨٤ والوافي بالوفيات ٦/ ١٧٢
(٦) سير أعلام النبلاء ١١/ ٦٣
(٧) انظر المصدر السابق نفسه.
(٨) انظر تهذيب التهذيب ١/ ١٨٤ - ١٨٥

وقد اتهم ابراهيم بن يوسف الباهلي بالإرجاء اتهمه قتيبة بن سعيد عند مالك الامام وطرده من مجلسه ولهذا لم يسمع منه غير حديث واحد ، وتحامل عليه أبو حاتم فضعفه لكونه مرجئا كما نبه عليه الحافظ الذهبي نعم ذكر محمد بن داود القومي أن ابراهيم بن يوسف قال له اكتب عني فاني أقول الايمان قول وعمل ، وثبت ان ابن حبان قال عنه ظاهر مذهبه الارجاء واعتقاده في الباطن السنة .

وغاية ما أفاد هذان النصان انه لم يكن من الغالين في الارجاء ، وأنه فيه ارجاء الفقهاء ومعلوم أنه كان حنفيا وفيهم هذا النوع من الارجاء .

ولعل ان ابن كرام تأثر بشيخه هذا وأخذ عنه هذا النوع من الارجاء ثم غلا .

توفي ابراهيم بن يوسف مفتي بلخ في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائتين (٢٣٩هـ) . وكان من ابناء التسعين رحمه الله ذكره الذهبي (١) .

وقال ابن حبان مات سنة أربعين يعني بعد المائتين (٢) .

وقيل توفى سنة احدى واربعين في أولها يعني بعد المائتين (٣) .

علي ابن حجر المروزي :

من شيوخ ابن كرام كما ذكره ابن ماكولا وابن عساكر وابن السمعاني وابن كثير والزبيدي وهو علي بن حجر بن اياس بن مقاتل بن مغاوش من مشمرج الحافظ العلامة الحجة أبو الحسن السعدي المروزي ، ولجده مشمرج بن خالد صحبة ولد علي سنة أربع وخمسين ومائة وارتحل في طلب العلم الى الآفاق (٤) .

حدث عن اسماعيل بن جعفر وشريك بن عبد الله القاضي وهشيم ، وعبيد الله بن عمرو ، وابن المبارك والربيع بن بدر السعدي واسماعيل بن عياش والهقل بن زياد ، ويحيى بن حمزة وعبد الله بن جعفر المديني ، وعبد الحميد بن الحسن الهلالي ، وعبد العزيز ابن أبي حازم ، ومعروف الخياط صاحب واثلة بن الاسقع وعبد الرحمن بن أبي زناد ، وبقية وابن عيينة ويزيد بن هارون وخلق سواهم (٥) .

---

(١) سير اعلام النبلاء ١١/٦٣ ، تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٤ ، العبر في خبر من غبر ١/٤٢٩

(٢) تهذيب التهذيب ١/١٨٤

(٣) طبقات الحنابلة .

(٤) سير اعلام النبلاء (١١/٥٠٧ - ٥٠٨) وانظر تاريخ بغداد ١١/٤١٦ ، الانساب ١٠/٨٥ ، تهذيب التهذيب ٧/٢٩٤

(٥) تذهيب الكمال ص ١٣٠ ، سير اعلام النبلاء ١١/٥٠٨ تهذيب التهذيب ٧/٢٩٣-٢٩٤ وانظر تاريخ بغداد ١١/٤١٦ والأنساب ٧/٨٥ وطبقات المفسرين ١/٣٩٥ ، شذرات الذهب ٢/١٠٥ .

حدث عنه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو عمرو المستملي وامام الائمة ابن خزيمة وأبو رجاء محمد بن حمدويه المروزي المؤرخ ومحمد بن علي الحكيم الترمذي ومحمد بن كرام السجستاني وآخرين (١) . وقد روى عنه عامة الخراسانيين وانتشر حديثه بمرو (٢) .

واختلف هل روى عنه أبو داود أولا ؟ قال ابن السمعاني روى عنه أبو داود وقال الحافظ الداودي (٣) ، وعنه اى (علي بن حجر)الجماعة سوى أبي داود وابن ماجه ولو روى عنه أبو داود لما أغفله الذهبي وابن حجر عن ذكره وهما من الاطلاع والتحقيق الذروة العلا ولما لم يكن من اللائق ذكر من دونهما والاعراض عنهما .

وعليه فلم يروعنه ابو داود وابن ماجه فيما أرى والله أعلم .

كان ينزل ببغداد ثم تحول الى مرو فنزل قرية زرزم (٤) وكان فاضلا حافظا (٥)

قال عنه النسائي : ثقة مأمون حافظ (٦) .

وقال عنه أبو بكر الخطيب كان صادقا متقنا حافظا (٧) .

وقال عنه الحافظ أبو بكر الأعين : مشايخ خراسان ثلاثة قتيبة ، وعلي بن حجر ومحمد بن الطهران الرازي . قال عنه الذهبي كان على بن حجر من أوعية العلم . كتب عنه بضع وسبعون ومائة بالحرمين والعراق والشام والجزيرة وخراسان .

كان له أدب وشعر وله تصانيف منها كتاب احكام القرآن (٨) .

توفي في منتصف جمادى الأولى سنة أربع وأربعين ومائتين (٢٤٤هـ) (٩) مات في قرية زرزم عن كشمان (١٠) وهي التي نزلها لما تحول من بغداد وكان من المعمرين أكمل التسعين كما ذكره الذهبي .

---

(١) انظر سير اعلام النبلاء ١١ / ٥٠٨ وتهذيب التهذيب ٧ / ٢٩٤ الأنساب ٧ / ٨٥ وطبقات المفسرين ١ / ٣٩٥

(٢) انظر تاريخ بغداد ١١ / ٤١٦

(٣) طبقات المفسرين ١ / ٣٩٥

(٤) زرزم بفتح أوله وسكون ثانيه وزاى أخرى مفتوحة من قرى مرو على ستة فراسخ قرب كمسان وقد خربت ولم يبق منها الامزرعتها ، معجم البلدان ٣ / ١٣٦

(٥) تاريخ بغداد ١١ / ٤١٦ - ٤١٧ ، الأنساب ٧ / ٨٤ ، سير اعلام النبلاء ١١ / ٥٠٩ ، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٩٣ طبقات المفسرين ١ / ٣٩٦

(٦) المصادر السابقة نفسها .

(٧) تاريخ بغداد ١١ / ٤١٧ وانظر المصادر الأخرى السابقة نفسها

(٨) انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٠٩

(٩) البخاري ، تاريخ الكبير ٦ / ٢٧٢ ، وتاريخ الصغير له ٢ / ٣٧٩ ، تاريخ بغداد ١١ / ٤١٨ ، اللباب ٢ / ١١٨ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٠ تهذيب التهذيب ٧ / ٢٩٤ طبقات المفسرين ١ / ٣٩٦

(١٠) الأنساب ٧ / ٨٥

وقال الحافظ الداودي على بن حجر قد قارب المائة أو جاوزها رحمه الله وإيانا (١)
وكان يقول : انصرفت من العراق وانا ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فقلت : لو بقيت ثلاثا وثلاثين سنة أخرى فأروى بعض ما جمعته من العلم ، وقد عشت بعد ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين أخرى وأنا أتمنى بعد ما كنت اتمنى وقت انصرافي من العراق (٢) .

قال ابن حجر : والحكاية المتقدمة تقتضي أنه عاش قريب المائة أو اكملها والله أعلم (٣) .

والصحيح أنه أكمل التسعين كما قال الذهبي (٤) فقد قال احمد بن المبارك المستملي : سمعته (اى علي بن حجر) يقول : ولدت سنة أربع وخمسين ومائة. (٥)

واجمع المترجمون له فيما اطلعت عليه انه مات عام أربع وأربعين ومائتين ولم يذكروا قولا آخر مما يدل على صحة ما قاله الذهبي .

مالك بن سليمان الهروى : (٦)

ذكر ابن عساكر (٧) وابن السمعاني (٨) وابن الأثير (٩) وابن كثير (١٠) وابن حجر (١١) .

أن ابن كرام سمع منه . وهو مالك بن سليمان بن مرة النهشلي (١٢) قاضي هراة (١٣) روى عن اسرائيل وشعبه (١٤) وثابت وابن ابى ذئب ومالك (١٥) .

---

(١) طبقات المفسرين ١/٣٩٦
(٢) تاريخ بغداد ١١/٤١٧ ، سير اعلام النبلاء ١١/٥٠٩ ، تهذيب التهذيب ٧/٢٩٤
(٣) تهذيب التهذيب ٧/٢٩٤
(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٠ ، وانظر سير اعلام النبلاء ١١/٥٠٩
(٥) تاريخ بغداد ١١/٤١٧
(٦) الثقات لابن حبان ٩/١٦٥ ، ميزان الاعتدال ٣/٤٢٧ ، المغني في الضعفاء ٢/٥٣٨ لسان الميزان لابن حجر ٥/٤ الضعفاء الكبير العقيلي ٤/١٧٣ .
(٧) تاريخ دمشق ١١/٦٦
(٨) الأنساب ١٠/٣٧٥ .
(٩) ٣/٨٩
(١٠) البداية والنهاية ١١/٢٠
(١١) لسان الميزان ٥/٣٥٥
(١٢) الثقات ٩/١٦٥
(١٣) الميزان ٣/٤٢٧ لسان الميزان ٥/٤
(١٤) ميزان الاعتدال ٣/٤٢٧
(١٥) الثقات ٩/١٦٥

قال عنه العقيلي يروى مناكير وضعفه الدارقطني .

وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان مرجئا جمع وصنف بخطيء وامتحن باصحاب سوء كانوا يقلبون حديثه ويقرأون عليه فاذا اعتبر المعتبر حديثه الذى يرويه عن الثقات ويروى عنه الأثبات مما بين السماع فيه لم يجدها الا شبيه حديث الناس على أنه من جملة الضعفاء وهو من أستخير الله فيه .

وقال أيضا مالك بن سليمان أبوغسان النهشلي من أهل البصرة ، يروى عن يزيد الضبي والبصريين ، روى عنه الصلت بن مسعود يأتي عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات. روى عنه أهل بلده (١) وقال الذهبي صدوق (٢).

عبد الله بن مالك بن سليمان الهروى : (٣)

ذكره ابن ماكولا[٤] وابن عساكر (٥) وابن السمعاني (٦) أن ابن كرام سمع منه يروى عن سفيان بن عيينة قال البناني في ذيل الكامل لا أعرف حاله (٧).

وذكر ابن حبان في ترجمة مأمون بن أحمد السلمى أن مأمونا هذا دجال من الدجاجلة وظاهر أحواله مذهب الكرامية وباطنها مالا يوقف على حقيقته .

وذكر أن ما وضعه على الثقات ما يرويه عن عبد الله بن مالك بن سليمان عن سفيان بن عيينة عن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الايمان) قول والعمل شرائعه (٨) فأنت ترى صنيع ابن حبان هذا وأنه يرى عبد الله بن مالك من الثقات وذكره ابن حجر في ترجمة بارح بن احمد بن بارح أبو النضر الهروى فقال : ذكره الخطيب في ذيل المؤتلف فقال ... حدث بالموصل عن عبد الله بن مالك الهروى عن سفيان حديثا) (٩).

---

(١) الثقات ٩/ ١٦٥

(٢) المغني في الضعفاء ٢/ ٥٣٨

(٣) ذكره ابن حبان في المجروحين ٣/ ٤٥ ، وترجم له ابن حجر في لسان الميزان ٣/ ٣٣٠ وانظر المصدر السابق ٢/ ٢٠.

(٤) الاكمال ٧/ ١٦٤

(٥) تاريخ دمشق ١١/ ٦٦

(٦) الأنساب ١٠/ ٣٧٥

(٧) لسان الميزان ٣/ ٣٣٠

(٨) انظر ابن حبان المجروحين ٣/ ٤٥

(٩) لسان الميزان ٢/ ٢

ومع هذا فقد جوز ابن حجر أن يكون عبد الله بن مالك الهروى هو نفس عبد الله ابن مالك بن سليمان السعدى (١) الذى قال عنه الدارقطني هو وأبوه من خبثاء المرجئة كما نقله ابن الجوزى في الموضوعات (٢) وهذا التجويز صحيح في نظرى والله أعلم فابن الجوزى ذكر في الموضوعات ما رواه مأمون بن احمد عن عبد الله بن مالك بن سليمان السعدى عن أبيه عن أبي الأحوص سلام بن سليم عن سطة بن وردان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي المرجئة والقدرية - الحديث .

فقال ابن الجوزى هذا حديث موضوع في اسناده مأمون الذى ليس بمأمون ثم ذكر قول الدارقطني ما حدث بهذا الا سلمة ولا يعرف عنه الا من رواية عبد الله بن مالك عن ابيه ، وعبد الله وأبوه من خبثاء المرجئة (٣) .

وعبد الله بن مالك بن سليمان السعدى هروى أيضا وهو ابن لمالك بن سليمان الهروى النهشلي الذى مر من قبل والذى قال عنه أبو حاتم بن حبان مالك يروى عن الثقاة مالا يشبه حديث الأثبات . ونهشل بطن كبير من تميم (٤) ، كما أن السعود كثيرة منها سعد تميم (٥) فلا غرابة ان ينسب الأب الى نهشل والابن الى السعدى تفننا .

احمد بن حرب النيسابورى :

ذكره ابن ماكولا (٦) وابن عساكر (٧) وابن كثير (٨) وابن حجر (٩) وغيرهم أنه شيخ لابن كرام ، وقال ابن السمعاني وأكثر الاختلاف الى أحمد بن حرب الزاهد (١٠) وقال ابن الأثير (١١) وصحب احمد بن حرب الزاهد ، وقال الذهبي "أخذ التقشف عن احمد بن حرب" (١٢)

---

(١) لسان الميزان (٣ / ٣٣٠) .
(٢) الموضوعات لابن الجوزى (١ / ١٣٤) .
(٣) الموضوعات (١ / ١٣٤) .
(٤) اللباب (٣ / ٣٤٩)
(٥) اللباب (١ / ٥٤٣) .
(٦) الاكمال ٧ / ١٦٤
(٧) تاريخ دمشق ١٠ / ٦٦
(٨) البداية والنهاية ١١ / ٢٠
(٩) لسان الميزان ٥ / ٣٥٥
(١٠) الأنساب (١٠ / ٣٧٥) .
(١١) اللباب ٣ / ٨٩ .
(١٢) سير اعلام النبلاء ١١ / ٥٢٤

وهو أحمد بن حرب بن عبد الله بن سهل بن فيروز أبو عبد الله الزاهد النيسابوري (١)، وقيل انه مروزي الامام القدوة كان من كبار الفقهاء والعباد (٢).

سكن نيسابوري وحدث بها عن سفيان بن عيينة وعبد الله بن الوليد العدني ورأى أبا عامر العقدي وأبا داود الطيالسي وأبا اسامة حماد بن أسامة، وعبد الوهاب ابن عطاء ومكي بن ابراهيم (٣) ورد بغداد حاجا في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل وحدث بها فكتب عنه أحمد بن يحيى الحلواني (٤).

حدث عنه أحمد بن الأزهر وسهل بن عمار والعباس بن حمزة ومحمد بن شادل وابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه وأحمد بن نصر الخفاف واسماعيل بن قتيبة وزكريا ابن دلويه وعدد سواهم (٥) وكان تنتحله الكرامية وتعظمه لأنه استاذ محمد بن كرام وكان حسن الطريقة ظاهر النسك سليم الاعتقاد .

وأخبر محمد بن أحمد بن حنبل أن احمد بن حرب قدم من مكة فقال لي أحمد : من هذا الخراساني الذي قدم ؟ قلت من زهده كذا وكذا ، فقال لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا . (٦)

وقيل ليحيى بن يحيى من الأبدال (*) ؟ قال ان لم يكن احمد بن حرب منهم فلا أدري من هم . (٧)

وذكروا من زهده أشياء كثيرة .

صنف كتاب الأربعين وكتاب عيال الله ، وكتاب الزهد وكتاب الدعاء وكتاب الحكمة وكتاب المناسك وكتاب التكسب . (٨)

رغب الناس في سماع كتبه قال ابن حبان كان يدعو الى الارجاء ضمن للناس أمره جمعة بن عبد الله البلخي (٩) روى أشياء كثيرة لا أصول لها (١٠) عاش ثمان وخمسين سنة (١١) وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين (٢٣٤) . (١٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٢ - ٣٣
(٢) تاريخ بغداد ٤/١١٨
(٣) تاريخ بغداد ٤/١١٨ سير أعلام النبلاء ١١/٣٣ والميزان ١/٨٩ ولسان الميزان ١/١٥٠
(٤) تاريخ بغداد ٤/١١٨
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/٣٣ وانظر تاريخ بغداد ٤/١١٨
(٦) تاريخ بغداد ٤/١١٩
(٧) المصدر السابق نفسه .
(٨) سير اعلام النبلاء ١١/٣٣ - ٣٤
(٩) ميزان الاعتدال ١/٨٩، لسان الميزان ١/١٤٩
(١٠) تاريخ بغداد ٤/١١٩، لسان الميزان ١/١٥٠
(١١) ميزان الاعتدال ١/٨٩ ولسان الميزان ١/١٤٩
(١٢) تاريخ بغداد ٤/١١٩، سير اعلام النبلاء ١١/٣٥، ميزان الاعتدال ١/٨٩ ولسان الميزان ١/١٤٩
(*) الابدال في اصطلاح الصوفية هم الاولياء الذين لا يعرفهم الناس وهم ===

....

===

يحفظون نظام الكون وعددهم مختلف عند الصوفية ، فمنهم من حدد عددهم بسبعة ويضعهم في المرتبة تحت الأوتاد الذين في الطبقة الثالثة ،وهذا قول ابن عربي (الفتوحات المكية ٢/٧) وقال : يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة وذكره الشعراني في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ٨٢/٢ «لكل بدل اقليم فيه ولايته» ويذكر جولد تسيهر المستشرق في (دائرة المعارف الاسلامية ،مادة أبدال : « أنه وفقا لأكثر الاراء الصوفية شيوعا يؤلف الابدال ، وعددهم اربعون ، الطبقة الخامسة من طبقات الأولياء أما الأوتاد فعددهم خمسة وهم يؤلفون الطبقة الثالثة ، والنجباء عددهم سبعون وهم يمثلون الطبقة السادسة .

كما يعرف نيكلسون في دائرة المعارف الاسلامية البدل قال : (الأبدال جمع البدل والبدلاء جمع البديل ،يتصلان بطريق الصوفية الذى يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجرى ، وهو أن نظام العالم مكلف بحفظه عدد معين من الأولياء ،اذا مات واحد منهم حل محله بدل أو بديل والجمع أبدال ، يستعمل عادة في الفارسية والتركية مفردا ،ويفسر بعض الكتاب البدل بأنه الشخص الذى له قدرة على أن يخلف شخصا روحانيا عندما يترك مكانه ،أو الشخص الذى له قدرة على التحول الروحاني .

والاختلاف بين فيما أورده عن عدد الأبدال و مكانهم من سلسلة المراتب الصوفية التي يكون القطب على رأسها) . ويذكر المكي الى ثلاثمائة من الابدال يضمون الصديقين والشهداء والصالحين (قوت القلوب ١٧٨/٢) ويقول الهجويرى : انهم اربعون وانهم في المرتبة الرابعة يلون الأبرار السبعة وفوقهم الاوتاد الأربعة ثم النقباء الثلاثة (كشف المحجوب ط/ تشوكوفسكي ص ٢٦٩ ،ترجمة نيكلسون ص ٢٨٤) وراجع تعريف (البدلاء) في التعريفات للجرجاني ، (اصطلاحات الصوفية) للقاشاني ،وانظر تعليق الدكتور محمد مصطفى حلمي على (بدل) في دائرة المعارف الاسلامية) . وقد تكلم به بعض السلف (منهاج السنة ٩٤/١ المحقق د/ محمد رشاد سالم ،مطابع جامعة الامام وتقدم وصف يحيى بن يحيى بأحمد بن حرب أنه من الأبدال (ص ١٩ من الرسالة) .

وقد وردت أحاديث في الأبدال فعند أبي داود من حديث أم سلمة رضي الله عنه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المهدى ومنه :
(فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال الشام) في المهدى ح : ٤٢٨٦
ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)
١١٩/٦ وعند الامام أحمد في المسند عن علي رضي الله عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم : الابدال بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .
وكذلك عند المسند من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم (الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا ، قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل خليل الرحمن (عليه الصلاة والسلام) كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا) .
أما حديث علي رضي الله عنه المذكور فقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر قال : اسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي : لم يدرك عليا ، بل لم يدرك الا بعض متأخرى الوفاة من الصحابة ، قال : (وسيأتي في شأنهم حديث آخر في مسند عبادة بن الصامت (٥ : ٣٢٢) قال فيه أحمد هناك : " وهومنكر الحديث " المسند بتحقيقه ٢ / ١٧١ (برقم : ٨٩٦) .
وكذا ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٢ / ٢٧٥ برقم : ٢٢٦٦ كما ضعف حديث عبادة بن الصامت هذا وغيرها من الأحاديث التي وردت في الأبدال ، راجع ضعيف الجامع الصغير : ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٦ .
وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية لفظة (الابدال) وغيرها من ألفاظ الصوفية في كتبه ورسائله وتبين أن ما ورد من الاحاديث بشأنها غير صحيحة ، ومما قال : (ويروى فيه " أى في الابدال " عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث ضعيف) منهاج السنة النبوية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ١ / ٩٤ ، وقال : (ومثل (حديث غلام المغيرة بن شعبة أحد الأبدال الأربعين) وكذلك حديث فيه ذكر الأبدال والاقطاب والأغوات وعدد الأولياء ، وامثال ذلك مما يعلم أهل العلم بالحديث أنه كذب) منهاج السنة النبوية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ٧ / ٤٣١ .

. . . .

=== وفي حديث علي المذكور قال شيخ الاسلام ابن تيمية : حديث علي منقطع ليس بثابت .مجموع فتاوى ١٦٧/١١ . وقال في موضع آخر : (وقد روى أنه بها (أي بالصفة) غلام للمغيرة بن شعبة وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (هذا من السبعة) وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وان كان قد رواه أبو نعيم في الحلية ،وكذلك كل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب) مثل أربعة أو سبعة أواثني عشر أواربعين أو سبعين أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب الواحد وليس في ذلك شيء صحيح عند النبي صلى الله عليه وسلم . مجموع فتاوى ١٦٧/١١.

وبعضهم صححوا اسناد بعض احاديث الأبدال أو حسنوهم والراجح عندي والصحيح هو ما تقدم من عدم صحة احاديث الأبدال ،والله أعلم ،راجع عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣٧٦/١١ - ٣٧٨.

وما روى شيخ الاسلام ابن تيميه المستدلين بأحاديث الأبدال قوله : ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق) وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما ؟ مجموع فتاوى ١٦٧/١١ - ١٦٨.

محمد بن تميم الفاريابي : (١)
يعني ابن كرام

قال ابن عساكر أكثر الرواية /عن محمد بن تميم الفاريابي ولو عرفه لأمسك الرواية عنه (٢) .

وقال الذهبي " جالس الجويباري وابن تميم، ولعلهما قد وضعا مائة ألف حديث (٣) .

وقال الصفدي محمد بن تميم شيخ الكرامية (٤) .

وقال ابن كثير " سمع من محمد بن تميم الفاريابي وكان كذابا وضاعا " (٥) .

وقال الذهبي : كان محمد بن تميم السعدي ساقطا (٦) .

وهو محمد بن تميم بن سليمان السعدي الفاريابي يضع الحديث تعلق محمد بن كرام برجله وأكثر الرواية عنه وكان ضعيفا في الحديث ولم يضعف من أجل الارجاء فقط وانما ضعف لكونه وضاعا (٧) وقال سهل بن ساذويه رأيت ببخارى ثلاثة من الكذابين الذين يكذبون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمد بن تميم والحسن بن سهل وآخر (٨) .

قال الحاكم هو كذاب خبيث قال النقاش وضع غير حديث .

وقال أبو نعيم كذاب وضاع (٩) . وقد ذكر السيوطي ، حديث " فضل حملة القرآن على الذي لم يحمله كفضل الخالق على المخلوقين " فقال " قال الحافظ ابن حجر " في زهر الفردوس " هذا كذب قلت (اي السيوطي) آفته من محمد بن تميم (١٠) .

قال ياقوت الحموي " وفارياب بكسر الراء ثم ياء مثناة من تحت وآخره باء مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون (١١) .

---

(١) مصادر ترجمته : المجروحين ٢/ ٣٠٦ ، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٤ ، المغني في الضعفاء ٢/ ٥٦٠ ، لسان الميزان ٥/ ٩٨ ، كشف الخبيث عمن رمي بوضع الحديث برهان الدين الحلبي ص ٣٥٦

(٢) تاريخ دمشق ١/ ٦٦ مصور .

(٣) سير اعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣ ، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٧٥

(٤) انظر الوافي بالوفيات ٤/ ٣٧٥ وانظر كشف الخبيث ص ٣٥٦

(٥) انظر البداية والنهاية ١١/ ٢٠

(٦) انظر المغني في الضعفاء ٢/ ٦٢٢ وشذرات الذهب ٢/ ١٣١

(٧) انظر كتاب المجروحين ٢/ ٣٠٦ وانظر كشف الخبيث ص

(٨) لسان الميزان ٥/ ٩٨

(٩) المصدر السابق نفسه .

(١٠) سلسلة أحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني المجلد الأول ص ٣٨٩

(١١) معجم البلدان مادة (فارياب) .

أحمد بن عبد الله الجويباري[1] :

وذكر ابن حبان ان ابن كرام جالس الجويباري هذا ومحمد بن تميم ، ولعلهما وضعا على النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف حديث (٢) .

قال ابن عساكر في تاريخه " وقد أكثر الرواية (اى ابن كرام) عن أحمد الجويباري.. ولو عرفه لأمسك الرواية عنه " (٣) .

وقال الذهبي : " جالس الجويباري " (٤) .

وقال ابن كثير : " وقد روى ... عن أحمد بن عبد الله الجويباري ومحمد بن تميم ، وكانا كذابين وضاعين (٥) .

وهو أحمد بن عبد الله بن خالد بن موسى بن فارس بن مرداس بن نهيك التميمي العيسى أبو علي الجويباري (٦) وجويبار من عمل هراة ويعرف بستّوق (٧) .

قال ابن حبان : " دجال من الدجاجلة كذاب " (٨) .

وقال ابن عدى : " كان يضع الحديث لابن كرام على ما يريده ، وكان ابن كرام يضعها في كتبه عنه ويسميه أحمد بن عبد الله الشيباني (٩) .

وقال الخليلي : " كذاب يروى عن الأئمة أحاديث موضوعة ، وكان يضع لابن كرام أحاديث مصنوعة وكان ابن كرام يسمعها وكان مغفلا " (١٠) .

قال أبو سعيد النقاش : " لا نعرف أحدا اكثر وضعا منه (١١) .

---

(١) مصادر ترجمته : المجروحين لابن حبان (١/ ١٤٢) الكامل في الضعفاء لابن عدى (١/ ١٨١) الأباطيل والمناكير للجوزقاني (١/ ١٨ - ١٩) ، الموضوعات لابن الجوزى (١/ ١٣٢) ، اللالئ المصنوعة للسيوطي (١/ ٣٩ - ٤٠) ، المغني في الضعفاء للذهبي (١/ ٤٣) ، ميزان الاعتدال (١/ ١٠٦) ، لسان الميزان لابن حجر (١/ ١٩٣) جويبار بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء وباء موحدة وآخره راء في عدة مواضع منها : جوبار من قرى هراة قال أبو سعد : ينسب اليها الكذاب الخبيث ، أبو علي أحمد بن عبد الله الجويباري الهروى معجم البلدان ٢/ ١٩١ انظر الأنساب لابن السمعاني . واللباب ١/ ٣١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٥٢٣ وتقدم هذا القول في الصفحة قبل هذه .

(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٦٦) مصور ، تاريخ الاسلام للذهبي مصور من المخطوط ص ٥٨ .

(٤) سير اعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣

(٥) البداية والنهاية ١١/ ٢٠

(٦) كتاب المجروحين ١/ ١٤٢ .

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ١٨١ ميزان الاعتدال ١/ ١٠٦

(٨) كتاب المجروحين ١/ ١٤٢ .

(٩) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ١٨١

(١٠) لسان الميزان ١/ ١٩٤ .

(١١) المصدر السابق نفسه .

قال البيهقي : "اما الجويباري فاني أعرفه حق المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وضع عليه أكثرمن ألف حديث" (١)

قال ابن حبان : "يروى عن ابن عيينه و وكيع وأبى ضمرة وغيرهم من ثقات اصحاب الحديث ويضع عليهم مالم يحدثوا وقد روى عن هؤلاء ألوف حديث ما حدثوا بشيء منها كان يضعها عليهم لا يحل ذكره في الكتب الا على سبيل الجرح فيه".

وقال : ولو أن أحداث اصحاب الرأى بهذه الناحية خفي عليهم شأنه لم أذكره في هذا الكتاب لشهرته عند اصحاب الحديث قاطبة بالوضع على الثقات مالم يحدثوا (٢)..

"و يروى أيضا عن أبى يحيى المعلم وابى البخترى وهو شر منه" (٣).

قال النسائي والدارقطني : "كذاب" (٤) قال الذهبي : "وهو ممن يضرب المثل بكذبه"(٥) وتابعه ابن حجر (٦) وذكروا كثيرا من طاماته فليرجع اليها في مظانها.

وهو الذى روى "أطلبوا العلم ولو بالصين" وحديث يكون في أمتي رجل يقال له النعمان بن ثابت يكنى بأبى حنيفة يجدد الله سنتي على يديه" (٧).

علي ابن اسحاق الحنظلي السمرقندى : (٨)

سمع ابن كرام التفسير من علي بن اسحاق الحنظلي كذا ذكره ابن عساكر (٩) وابن كثير (١٠) وقال ابن ماكولا : (سمع (يعني ابن كرام) علي بن اسحاق الحنظلي (١١). ولم يذكر أنه أخذ عنه التفسير.

وهو علي بن اسحاق بن ابراهيم بن مسلم بن ميمون بن نذير بن عدى بن ماهان الحنظلي أبو الحسين السمرقندى روى عن ابن المبارك واسماعيل بن جعفر وابن عيينة وأبى معاوية وأبى بكر ابن عياش وعبد الله بن الاجلح وجماعة (١٢).

---

(١) ميزان الاعتدال ١/١٠٦، لسان الميزان ١/١٩٤
(٢) المجروحين ١/١٤٢
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٨١
(٤) ميزان الاعتدال ١/١٠٧ ولسان الميزان ١/١٩٣
(٥) ميزان الاعتدال ١/١٠٧
(٦) لسان الميزان ١/١٩٣
(٧) الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٨٢
(٨) مصادر ترجمة : الثقات لابن حبان ٨/٤٦٦ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/١٧٥ وتهذيب التهذيب، تميز لابن حجر ٧/٢٨٣
(٩) تاريخ دمشق (١١/٦٦) مصور.
(١٠) البداية والنهاية ١١/٢٠
(١١) الاكمال ٧/١٦٤ وانظر لسان الميزان ٥/٣٥٥
(١٢) تهذيب التهذيب ٧/٢٨٣ وانظر الجرح والتعديل ٦/١٧٥ وانظر الثقات ٨/٤٦٦

وروى عنه أبو حاتم الرازى بالرى في خروجه الى الحج وأبو وهب أحمد بن رافع وراق سويد بن نصر وعبد الله بن حفص الطراويسى وفتح بن عبيد الله السمرقندى وعبد الله ابن محمد بن سليمان المجزى وعلى بن اسماعيل الخجندى وغيرهم (١) .

قال : ابو حاتم: " لما سئل عنه " صدوق (٢) .

وقال الدارقطني في العلل على بن اسحاق ثقه (٣) .

ويروى ايضا عن ابن مروان عن الكلبى وعن هذا الطريق أخذ عنه محمد بن كرام التفسير كما ذكره ابن كثير وابن مروان هذا هو السدى الكوفى وهو المعروف بالسدى الصغير وهو صاحف الكلبى (٤) . وهذا طريق ساقط لا يعول عليه قال البخارى " محمد بن مروان الكوفي صاحب الكلبى سكتوا عنه لا يكتب حديثه ألبتة" (٥) وقال عنه النسائي : " متروك الحديث "(٦) . واما الكلبي فهو محمد بن السائب الكلبي الكوفي المفسر النسابه (٧) .

قال البخارى : " تركه يحيي بن سعيد وقال : قال سفيان : قال الكلبي قال لي أبو صالح كل شي" حدثتك فهو كذب " (٨)

اذا عرفنا هذا ندرك آن ابن كرام أخذ من التفسير والحديث أضعفها وأوهاها فلا غرو أن يبتدع ويحدث أقوالا لا تقوم على ساق .

مات علي بن اسحاق في شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين (٢٣٧هـ) (٩) .

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٨٣ وانظر الجرح والتعديل ٦ / ١٧٥
(٢) الجرح والتعديل ٦ / ١٧٥ وانظر تهذيب التهذيب ٧ / ٢٨٣
(٣) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٨٣
(٤) ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٣٦
(٥) كتاب الضعفاء الصغير ص ١١٠
(٦) كتاب الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٤
(٧) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٦ ، تقريب التهذيب ٢ / ١٦٣
(٨) كتاب الضعفاء الصغير ص ١٠٦
(٩) الثقات ٨ / ٤٦٦ ، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٨٣

أحمد بن الأزهر : (١)

قال ابن عساكر حدث يعني ابن كرام ... وعن أحمد بن الأزهر النيسابوري(٢)، وكذا قال ابن كثير (٣) وابن حجر (٤) وهو أحمد بن منيع بن سليط بن ابراهيم الامام الثبت أبو الأزهر العبدي النيسابوري محدث خراسان في زمانه ولد بعد السبعين ومائة (٥).

رأى سفيان بن عيينه ولم يسمع منه، وسمع عبد الله بن نمير وأسباط بن محمد ومالك ابن سعيد ويعقوب بن ابراهيم، ووهب بن جرير، وعبد الرزاق، ويعلى بن عبيد وأنس ابن عياض الليثي، وعبد الله بن ميمون القداح ... وخلقا سواهم بالحجاز واليمن والشام والكوفة والبصرة وخراسان (٦).

حدث عنه رفيقاه محمد بن رافع ومحمد بن يحيى وحدث عنه ائمة المحدثين كالنسائي وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعه وموسى بن هارون وابن خزيمة.

ومن قبل إنه روى عنه ابو محمد الدارمي، والبخاري ومسلم خارج الصحيحين ومحمد ابن جرير الطبري والذهلي وهو من أقرانه (٧).

قال النسائي والدارقطني لا بأس به (٨) وقال ابوحاتم وصالح بن محمد صدوق(٩) ونقل ابن عدي عن الشرقي قوله : "أبو الأزهر هذا كتب الحديث فأكثر ومن أكثر لابد من أن يقع في حديثه الواحد والاثنان والعشرة مما ينكر" (١٠)

---

(١) مصادر ترجمته : الجرح والتعديل ٢/١/٤١، تاريخ بغداد ٤/٣٩، تهذيب الكمال ١/٢٥٥ - ٢٦١، تهذيب التهذيب ١/٦/١، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٦٣ تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٥، ٥٤٦، ميزان الاعتدال ١/٢/٨ العبر ٢/٢٦ البداية والنهاية ١١/٣٦، تهذيب التهذيب ١/١١ - ١٣ لسان الميزان ١/١٣٦، طبقات الحفاظ ص. ٢٤ خلاصة تهذيب الكمال : ٣، شذرات الذهب ٢/١٤٦، ١٤٧ تاريخ بغداد (٤/٣٩ - ٤٠)

(٢) تاريخ دمشق ١/٦٦

(٣) البداية والنهاية ١١/٢٠

(٤) لسان الميزان ٥/٣٥٥

(٥) سير اعلام النبلاء ١٢/٣٦٣ - ٣٦٤ وانظر تاريخ بغداد ٤/٣٩ والجرح والتعديل ٢/١/٤١ وتهذيب الكمال ١/٣٥٥ وتهذيب التهذيب ١/١١

(٦) انظر سير اعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٤) وتذكرة الحفاظ (٢/٥٤٦) وتهذيب الكمال ١/٢٥٥ وتهذيب التهذيب ١/١١

(٧) انظر سير اعلام النبلاء (١٢/٣٦٤) تهذيب الكمال ١/٢٥٦ - ٢٥٧ وتهذيب التهذيب ١/١١ وانظر تاريخ بغداد ٤/٣٩ - ٤٠ وانظر تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٦

(٨) تهذيب الكمال ١/٢٥٨، سير اعلام النبلاء ١٢/٣٦٥، تهذيب التهذيب ١/١٢

(٩) الجرح والتعديل ٢/١/٤١، تهذيب التهذيب ١/١٢ - ١٣

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٩٦.

وقيل لأبي حامد الشرقي لم لم ترحل الى العراق ؟ فقال وما أصنع بالعراق؟ وعند نا من بنادرة الحديث ثلاثة الذهلي ، وابو الأزهر ، وأحمد بن يوسف السلمي فاستغنينا بهم عن أهل العراق (١) .

سأل مكي بن عبدان الامام مسلم عن أبي الأزهر فقال أكتب عنه (٢) .

قال الدارقطني : قد أخرج في الصحيح عن من هو دون أبي الأزهر (٣) .

قال الذهبي : وهو ثقة بلا تردد غاية ما نقموا عليه ذلك الحديث في فضل علي رضي الله عنه ولا ذنب له فيه (٤) .

مات أبو الأزهر سنة ثلاث وستين ومائتين (٢٦٣) (٥) هذا هو الصحيح الذى رجحه الذهبي (٦) وقال احمد بن سيار في تاريخه مات في أول سنة احدى وستين ومائتين (٢٦١)(٧).

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٤/ ٤٢) وتهذيب الكمال (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩) ، سيرأعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٥ وانظر تهذيب التهذيب ١/ ١٢ .
(٢) انظر تاريخ بغداد ٤/ ٤٣ ، تهذيب الكمال ١/ ٢٥٨ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٥
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣٦٨) تهذيب التهذيب ١/ ١٢ -
(٤) سيرأعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥).
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٤٣ ، تهذيب الكمال ١/ ٢٦١ ، سير اعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٨ ، تهذيب التهذيب ١/ ١٣
(٦) سير اعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٦
(٧) تهذيب الكمال ١/ ٢٦١ ، سير اعلام النبلاء ٢/ ٣٦٨ ، تهذيب التهذيب ١/ ١٣

تلاميذ ابن كرام:

سبق أن ذكرنا أن ابن كرام أخذ عن كثيرين وكان يرتحل ويلتقي بالعلماء فيسمع منهم، ثم اصبح شيخا يؤخذ عنه ولذلك نجد المترجمين له يقولون: (شيخ الكرامية) (١) أو الطائفة المعروفة بالكرامية، فهو شيخ لهذه الفرقة المبتدعة فقط، وليس شيخا من مشائخ أهل السنة الا من انخدع له من العامة يسمع منه حينا من الزمن حتى اذا انكشف له أمره تركه كما تقدمت قصته مع أهل بيت المقدس (٢).

وفيما يلي نذكر بعض تلاميذه الذين رووا عنه كما اشارت المصادر التي ترجمت له مع ايراد ترجمتهم ان وجدت الى ذلك سبيلا.

وكثيرا ما تسكت هذه المصادر عن ترجمة أتباع ابن كرام.

١- ابراهيم بن الحجاج:

قال ابن عساكر: (٣) يروى عنه (أى عن ابن كرام) ابراهيم ابن الحجاج النيسابورى، وكذا قال السمعاني (٤) وابن ماكولا (٥) وابن كثير (٦)، ولعله الذى يروى عن عبد الرزاق.

قال الذهبي: ابراهيم بن الحجاج عن عبد الرزاق، وعنه محمود بن غيلان، نكرة لا يعرف، والخبر الذى رواه باطل (٧) وما هو بالشامي ولا بالنيلي فانك صدوقان (٨).

وقال الذهبي: (قال أبو الشيخ: حدثنا عبد الرحمن بن سلم الرازى حدثنا محمود ابن غيلان، حدثنا حمد بن صالح المصرى، عن ابراهيم بن الحجاج عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (لما زوج النبي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١/ ٦٦، المغنى في الضعفاء ٢/ ٦٢٧، الانساب للسمعاني ١٠/ ٣٧٥، سير اعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣، العبر ٢/ ١٠، الميزان للذهبي ٤/ ٢١ البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٠، طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٤، اللسان لابن حجر ٥/ ٣٥٣

(٢) تقدم في ص ١٠ - ١١ من الرسالة.

(٣) تاريخ دمشق ١١/ ٦٦

(٤) الانساب ١٠/ ٣٧٥

(٥) الاكمال ٧/ ١٦٤

(٦) البداية والنهاية ١١/ ٢٠

(٧) الذهبي المغنى في الضعفاء ١/ ١٢ مختصرا والعبارة للميزان ١/ ٢٦ واللسان ١/ ٤٥

(٨) الذهبي ميزان الاعتدال ١/ ٢٦ وابن حجر اللسان ١/ ٤٥

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فاطمة من علي قالت فاطمة (رضي الله عنها) يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له شيء فقال: أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين: أباك وزوجك! تابعه عبد السلام بن صالح أحد الهلكي عن عبد الرزاق (١).

قال ابن حجر: (وقد فرق الخطيب بين هذا وبين ابراهيم بن الحجاج ابن يوسف الملقب جده يوسف نخرة بضم النون وسكون المعجمة ولا استبعد أن يكونا واحدا، وذكر معهم ابراهيم بن الحجاج الصنعاني يروى عن وهب بن منبه وهو أقدم طبقة منهما (٢) ولم أجد معلومات أخرى عنه كمولده و وفاته الخ.

٢- ابراهيم بن محمد بن سفيان:

هو ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه ابو اسحاق النيسابوري الزاهد المجتهد العابد (٣).

قال الحاكم: (كان ابراهيم بن سفيان من العباد المجتهدين) (٤).

و نقل عن محمد بن أحمد بن شعيب أنه قال: (ما كان من مشائخنا أزهد ولا أكثر عبادة من ابراهيم بن سفيان) (٥).

قال الحاكم: (سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول انه كان من الصالحين) (٦) (وقال الحاكم أبو عبد الله بن البيع: سمعت محمد بن يزيد العدل يقول: كان ابراهيم بن سفيان مجاب الدعوة) (٧).

و سمع بنيسابور، والري، ورحل وسمع ببغداد والكوفة والحجاز (٨).

---

(١) الميزان ١/٢٦، اللسان ١/٤٥
(٢) اللسان ١/٤٥
(٣) مقدمة صحيح مسلم للنووي ص ١٠، الذهبي العبر ٢/١٣٦، الصفدي الوافي بالوفيات ٦/١٢٨ طبقات الحنفية ١/٢٦٣، وابن العماد شذرات الذهب ٢/٢٥٢.
(٤) مقدمة صحيح مسلم للنووي ص ١٠
(٥) طبقات الحنفية ١/٢٦٣
(٦) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠، العبر ٢/١٣٦، شذرات الذهب ٢/٢٥٢
(٧) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠، العبر ٢/١٣٦، الوافي ٦/١٢٩، طبقات الحنفية ١/٢٦٣ شذرات الذهب ٢/٢٥٢
(٨) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠

(وكان من الملازمين لمسلم بن الحجاج) (١) وكان راوي صحيح مسلم عن مسلم بن الحجاج (٢) .

وقال النووي : (وأما شيخ ابراهيم بن محمد بن سفيان فهو الامام مسلم صاحب الكتاب) يعني صحيح مسلم (٣) .

وقال ابراهيم هذا : (فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب في شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين) (٢٥٧ هـ) (٤) .

قال ابن الأثير : (ومن طريقه يروى صحيح مسلم الى اليوم) (٥) .

وقد ساق الامام النووي سنده الى ابراهيم بن سفيان عن الامام مسلم بن الحجاج في روايته لصحيح مسلم ، وعقد فصلا سماه (فصل اسناد الكتاب) يعني صحيح مسلم (٦) .

قال الحاكم : (كان ابراهيم بن سفيان . . . من اصحاب ايوب بن الحسن الزاهد صاحب الرأى . (يعني الفقيه الحنفي) (٧) .

فقد رأينا من خلال ما تقدم من ترجمة ابراهيم بن محمد بن سفيان أنه رجل صالح زاهد ، والأهم من ذلك كله أنه كان يلازم أحد أعلام أئمة الحديث وكبار المتقنين في الحفظ والمعترف له بالتقدم فيه بعد البخاري بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان .

قال النووي رحمه الله : (فصاحبنا ابراهيم بن سفيان لازم هذا العلم من اعلام الاسلام ، وهو راوي صحيح مسلم الذي هو وصحيح البخاري أصح الكتب بعد القرآن الكريم كما اتفق على ذلك العلماء رحمهم الله تعالى) (٨) .

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠ ، الوافي ٦/ ١٢٩

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٣ ، طبقات الحنفية ١/ ٢٣٦ ، العبر ٢/ ٣٦ ، البداية والنهاية ١١/ ١٣١ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٢ .

(٣) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠

(٤) المصدر السابق نفسه وطبقات الحنفية ١/ ٢٦٣

(٥) الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٣

(٦) مقدمة صحيح مسلم ص ٦

(٧) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠ ، طبقات الحنفية ١/ ٢٦٣ الوافي ٦/ ١٢٨ - ١٢٩

(٨) مقدمة صحيح مسلم ص ١٠ و ١٤ .

والسؤال كيف يروى رجل له هذه الرتبة العالية عن ابن كرام، فقد ذكر ابن ماكولا (١) وابن عساكر (٢) والسمعاني (٣)، وابن كثير (٤)، وابن حجر (٥) ان ابراهيم بن محمد بن صفيان روى عن ابن كرام ؟

ليس لدينا من المعلومات ما يجيب عن هذا السؤال، ولم أجد حديثا رواه عن ابن كرام، غير أن المترجمين لابن كرام ذكروا أنه روى عنه .

قال الحاكم : (مات ابراهيم في رجب سنة ثمان وثلاثمائة (٣٠٨هـ)) (٦) ولم أجد من ذكر تاريخ ميلاده من بين من ترجموا له .

٣- أحمد بن محمد بن يحيى الدهان :

وقد عده السمعاني بأنه ممن روى عن ابن كرام (٧)، ولم أجد من ترجم له .

---

(١) انظر الاكمال ٧/ ١٦٤

(٢) انظر تاريخ دمشق ١١/ ٦٦

(٣) الأنساب ١٠/ ٣٧٥

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٣٠

(٥) انظر اللسان ٥/ ٣٥٥

(٦) مقدمة صحيح مسلم ص ٦ الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٣١ العبر ٢/ ١٣٦، الوافي ٦/ ١٢٩، طبقات الحنفية ١/ ٢٦٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٢ .

(٧) الانساب ١٠/ ٣٧٥

٤- عبد الله بن محمد القيراطي :

هو ابوبكر عبد الله بن محمد بن عمرو القيراطي .

قال السمعاني (١) (وابوبكر عبد الله بن محمد بن عمرو القيراطي الواعظ قيل له القيراطي لأنه من ولد حماد بن قيراط من أهل نيسابور) .

قال (٢) (سمع الحسن بن عيسى ، واسحاق بن منصور ، واحمد بن حرب وقد ذكر كل من ابن ماكولا (٣) وابن عساكر (٤) والسمعاني (٥) ، وابن كثير (٦) وابن حجر (٧) رواية عبد الله بن محمد القيراطي عن ابن كرام .

قال السمعاني : (القيراطي بكسر وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفتح الراء وفي آخرها الطاء المهملة ، هذه النسبة الى القيراط وهو أكبر من الحبة وقال بعضهم :

ما للتجار والمكارم انما انب * تت أجسادهم على القيراط (٨)

روى عنه ثم أي عن عبد الله القيراطي)ابو الفضل محمد بن ابراهيم النيسابوري (٩)

مات في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثمائة (١٠) ٣٠٩ هـ .

---

(١) الانساب ١٠/٥٣٣

(٢) الانساب ١٠/٥٣٣

(٣) الاكمال ٧/١٦٤

(٤) تاريخ دمشق ١١/٦٦

(٥) الانساب ١٠/٣٧٥

(٦) البداية والنهاية ١١/٢٠

(٧) اللسان ٥/٣٥٥

(٨) الانساب ١٠/٥٣٣
هذا ما قاله السمعاني في معنى كلمة (قيراط) ولكني لم أجد هذا المعنى لهذه الكلمة في كتب اللغة ، فقد فسروها بأنها نصف الدانق ، والدانق (بالفتح والكسر) من الاوزان ، وربما قيل داناقة كما قالوا للدرهم درهام وهو سدس الدرهم ، انظر الصحاح ٤/١٤٧٧ ولسان العرب ١٠/١٠٥ ، وقال ابن منظور : (القيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره في أكثر البلاد ، وأهل الشام يجعلونه جزءا من اربعة وعشرين) . أنظر لسان العرب ٧/٣٧٥ . أما القيراط الذي جاء في الحديث فقد فسره صلى الله عليه وسلم بأنه مثل جبل أحد . انظر شرح السنة للبغوي ٥/٣٧٦

(٩) الانساب ١٠/٥٣٣

(١٠) المصدر السابق .

٥- محمد بن اسماعيل بن اسحاق :

محمد بن اسماعيل بن اسحاق ابو الحسن المروزى .

قال الحاكم حدث بنيسابور بعد محمد بن اسحاق يعنى الثقفي عن علي بن حجر فلم يصدق (١) .

وقد روى محمد بن اسماعيل هذا عن ابن كرام كما ذكره ابن عساكر (٢) والسمعاني (٣) وابن الأثير (٤) ، وابن حجر (٥) ، والزبيدى (٦) .

* * *

---

(١) لسان الميزان ٥/٧٢
(٢) تاريخ دمشق ١١/٦٦
(٣) الانساب ١٠/٣٧٥
(٤) اللباب ٣/٨٩
(٥) اللسان ٥/٣٥٥
(٦) تاج العروس ٩/٤٣

مؤلفات ابن كـــرام

لم تصل الينا مؤلفات ابن كرام ولكن يقال ان له مؤلفات منها :

١- كتاب عذاب القبر كما ذكره البغدادي ، فقال : (وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه) حتى قال (وذلك أنه قال في خطبة كتابه المعروف بكتاب عذاب القبـــر (١) ، كما ذكر أن كتاب (عذاب القبر) المذكور لابن كرام كل من الاسفراييني (٢) ، والشهرستاني (٣) ، والسمعاني (٤) ، وعمر رضا كحالة (٥) وقد ذكر بعضهم أن ابن كرام قال في كتابه هذا : (احدى الذات) (احدى الجوهر) كما اورده البغدادي (٦) والشهرستاني (٧) والسمعاني (٨) .

وقيل بأن له كتبا أخرى لم أقف على من تعرض لها الا ما ذكره ابن كرامة الجشمي المعروف بالحاكم والمستشرق ماسينيون أن لابن كرام كتابا اسمه التوحيد (٩) كما ذكر المستشرق المذكور بعض التعاليم المتمثلة في أحاديث ومقالات وتعاليم أخلاقية عن اقامة النفس الشهوانية بالتقشف والزهد (١٠) .

وقد ذكر أن ماكتب عنه تلاميذه في بيت المقدس أحرقوه لما علموا أنه يقـــول الايمان قول باللسان وليس اعتقادا في القلب ولا عملا بالجوارح .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢١٦

(٢) التبصير في الدين ص ١١١-١١٢ .

(٣) الملل والنحل ١/ ١٠٨

(٤) الانساب ١٠/ ٣٧٥

(٥) معجم المؤلفين ١١/ ١٦٢

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١٦

(٧) الملل والنحل ١/ ١٠٨ - ١٠٩

(٨) الانساب ١٠/ ٣٧٥

(٩) انظر التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية ص ٦٣

(١٠) ( ) وانظر التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية ص ٦٣

أقوال العلماء في ابن كرام

لقد جرح العلماء ابن كرام و وصفوه بأنه ساقط الحديث وأنه صاحب بدعة وكان يروي الموضوعات في أن الايمان لا يزيد ولا ينقص وفي مدح أبي حنيفة ، وكما وصفه بعضهم بأنه من غلاة المرجئة .

قال ابن حبان وهو يتحدث عن محمد بن تميم قال : " تعلق محمد ابن كرام برجله وتشبث (١) بالجويباري في كتابه (٢) فأكثر روايته عنهما وجميعا كانا ضعيفين في الحديث (٣) .

وأضاف ابن حبان على ذلك قائلا (ليس عند اصحابنا عنهما شيء وانما ذكرناهما لئلا يتوهم أحداث اصحابنا أن شيوخنا تركوهما للارجاء فقط ، وانما كان السبب في تركهم اياهما أنهما كانا يضعان الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وضعا) (٤) .

وكون ابن كرام تعلق بهذين الكذابين جرح وأي جرح . وفي التنزيل قوله تعالى : (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (٥) وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام الجليس الصالح ورغب فيه والجليس السوء ورغب عنه (٦) وفي الحديث الآخر : " المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " (٧) .

---

(١) التشبث بالشيء : التعلق به لسان العرب ٢ / ١٥٩

(٢) لعله يريد كتابه (عذاب القبر) .

(٣) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٢ / ٣٠٦ تحقيق محمود ابراهيم زايد .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سورة الزخرف : ٦٧

(٦) هذا اشارة الى الحديث المتفق عليه ، البخاري في الذبائح باب المسك ، ومسلم في البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين برقم ٢٦٢٨ .

(٧) رواه ابو داود في الأدب باب من يؤمر أن تجالس والترمذي (٢٣٧٩) في الزهد ، باب الرجل على دين خليله ، وأحمد ٢ / ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، وفي السند رجل سيء الحفظ وهو مؤمل بن اسماعيل وفي زهير بن محمد ضعف ، لكن له طريق آخر عند الحاكم بسند ضعيف يقوى بها ويحسن ، ولذا حسنه الترمذي وصححه النووي ، راجع البغوي شرح السنة ١٣ / ٦٨ - ٧٠

وفي الحديث الطويل المعروف المتفق على صحته : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله " منهم " ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا "(١).

فان كان يعرف أنهما كذابان ثم قصد أن يكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد تحقق عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (٢) ، وأشد من هذا الحديث الآخر الصحيح أيضا : (من يقل على مالم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار) (٣) وهذا خطر عظيم وهلاك واقع على صاحبه لا محالة .

وقد مر جرح ابن حبان احمد الجويباري و وصفه بالكذب والدجل وأنه كان يلازم ابن كرام وكان يضع الحديث لابن كرام على ما يريده ابن كرام فيضع ذلك ابن كرام في كتابه .

وذكر ابن حبان أن الجويباري كان يروى عن الثقات كابن عيينه و وكيع وأبي ضمره وغيرهم ويضع عليهم مالم يحدثوا من الأحاديث ما يصل عدده آلاف الأحاديث ولم يحدثوا بشيء منها .

وبين أنه لا يحل ذكره في الكتب الا على سبيل الجرح فيه وكل هذا وأكثر تقدم ذكره (٤) .

وقال الذهبي : محمد بن كرام السجستاني المبتدع شيخ الكرامية كان زاهدا عابدا ربانيا(٥) ، بعيد الصيت كثير الأصحاب ولكن يروى الواهيات (٦) .

---

(١) البخاري في الزكاة : باب الصدقة باليمين ، وفي الرقاق : باب البكاء من خشية الله وفي المحاربين : باب فضل من ترك الفواحش ، وفي الجماعة : باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة أو فضل المساجد ومسلم (١٠٣١) في الزكاة : باب فضل اخفاء الصدقة والموطأ ٢/٩٥٢، ٩٥٣ في الشعر : باب ما جاء في المتحابين في الله وانظر البغوي ، شرح السنة ٢/٣٥٤ - ٣٥٥

(٢) متفق عليه البخاري في الجنائز : باب ما يكره من النياحة على الميت ، ومسلم رقم (٤) في المقدمة : باب تغليظ الكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) تقدم في شيوخ ابن كرام .

(٥) ان وصف الامام الذهبي لابن كرام بأنه رباني فيه نظر مع جلالة الامام الذهبي رحمه الله تعالى ، فان الرباني مفرد وجمعه الربانيون وقد جاء في القرآن في اكثر من موضع كقوله تعالى ﴿ والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ الآية المائدة : ٤٤ ، وفسر العلماء الربانيين بأنهم العلماء العاملون المعلمون الذين يربون الناس بأحسن التربية ، ويسلكون معهم مسلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام المشفقين .
وأخرج ابن الجرير عن مجاهد قال : الربانيون العلماء الفقهاء ، وهم فوق الاحبار ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : الربانيون الفقهاء العلماء ، وأخرج عن الحسن قال : الربانيون هم العباد ، والاحبار العلماء . فتح القدير ٢/٤٥ ، وتفسير الكريم الرحمن ٢/٢٩٤ ، وعندى فان قول ابن عباس ومجاهد مقدمان على قول الحسن ، وعليه فان ابن كرام ليس من العلماء الفقهاء الربانيين .

(٦) سير أعلام النبلاء ١١/٥٢٣ .

ثم قال : ثم جالمر الجويباري وابن تميم ولعلهما وضعا مئة الف حديث (١) ، وأخذ التقشف عن أحمد بن حرب وكان ناشفا قليل العلم (٢) .

وقال قاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي : (ينصب اليهم يعني الكرامية تجويز وضع الأحاديث للترغيب والترهيب) (٣)

والمعروف أن ابن حبان من بست (٤) التي هي مدينة بين سجستان التي منها ابن كرام وبين غزنة وهراة فهو من اعرف الناس بابن كرام من حيث قربه في الموطن وأنه عاش بعده وعاصر أتباعه، وتتلمذ على الامام أبي بكر بن خزيمة ولازمه ، والامام ابن خزيمة هو الذى اجتمع اليه أهل العلم في ابن كرام لما قدم بنيسابور واستقبل أهلها بالرحب ، وتمسحوا به هو ومن معه من أصحابه وعظمت الفتنة على الناس.

يقول في ذلك الحافظ الجوزقاني الهمداني : (وكان الساماني ملك المشرق ، يكتب اليه (أى ابن خزيمة) امام الأئمة وحبر هذه الأمة ،فحين استفحل أمر ابن كرام وانتشر قوله في أعمال نيسابور كاتب محمد بن اسحاق السلطان ، وما قال له أن البلية قد عظمت على العامة بهذا الرجل وأمره يزداد كل يوم انتشارا فكتب السلطان الى نائبه بنيسابور: أن يمتثل جميع ما يأمره به الشيخ محمد بن اسحاق ولا يخالفه في شيء يشير اليه فجمع أهل العلم واستشارهم فقالوا : ليس نجد رأيا أرشد من رأى الأمير ابراهيم بن الحصين في اخراجه من الناحية (٥) .

والأمير ابراهيم بن الحصين هو أمير سجستان الذى أخرج ابن كرام منها واتبعه أصحابه في الخروج وقد أشار وزراء الأمير المذكور عليه قتل ابن كرام لكنه قال : لا أحب أن يحدث مني ،أني قتلت زاهدا ،إني أرى ان انفيه من هذا الاقليم وأطهر مملكتي منه (٦) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق وانظر الوافي في الوفيات ٤/ ٣٧٥ - ٣٧٦
(٣) الانس الجليل ١/ ٢٩٦.
(٤) انظر معجم البلدان ١/ ٤١٤
(٥) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ١/ ٢٩٤
(٦) المصدر السابق ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

قال الجوزقاني (*) (فخرج معه من أماثل نيسابور خلق كثير قيل ثمان مائة كنيسة من جلة الناس غير التبع وامتد على حاله بيت المقدس (١).

قال الذهبي : (أكثر عن الجويباري ومحمد بن تميم السعدي وكانا ساقطين (٢) وذكر ايضا (أنهما كانا كذابين) (٣).

وذكر ابن الجوزي : (أنه كان يجالسهما وكانا يضعان الحديث فيأخذ عنهما (٤).

وقال ابن حبان : (خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ، ومن الأحاديث أوهاها) (٥).

وقال الجوزقاني : (أخبر ابو جعفر بن أبي علي الحافظ أخبرنا عبد الله بن محمد الانصاري قال سمعت الحسين بن محمد القاشاني يقول : (حضرت على ابن عيسى وذكر عنده من كلام الكرامية شيء فقال : (اسكتوا لا تنجسوا مسجدي) (٦).

قال ابن الجوزي : (أنبأنا محمد بن ناصر عن أحمد بن علي بن خلف قال أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ قال (سمعت أبا سهل محمد بن سليمان الحنفي يقول سمعت أبا العباس محمد بن اسحاق السراج يقول شهدت محمد بن اسماعيل البخاري ورفع اليه كتاب من محمد بن كرام يسأله عن أحاديث منها سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبيه قال : (الايمان لا يزيد ولا ينقص) فكتب محمد بن اسماعيل على ظهر كتابه : (من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل) (٧).

(*) لم أجد الكنيسة في معناها هنا في معاجم اللغة التي اطلعت عليها كالصحاح واللسان .

(١) الأباطيل والمناكير ١/ ٢٩٤ - ٢٦٥
(٢) المغني في الضعفاء ٢/ ٦٢٧
(٣) انظر الميزان ٤/ ٢١
(٤) الموضوعات ٢/ ٥٠
(٥) الميزان ٤/ ٢١ ، المغني في الضعفاء ٢/ ٦٢٧ اللسان ٥/ ٣٥٣
(٦) الأباطيل والمناكير ١/ ٢٩٥ اللسان ٥/ ٣٥٦.
(٧) الموضوعات ١/ ١٣٢ ، تاريخ دمشق ١/ ٦٦ الميزان ٤/ ٢١ ، المغني في الضعفاء ٢/ ٦٢٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٠٥ ، اللسان ٥/ ٣٥٣ الأباطيل والمناكير ١/ ١٩ - ٢٠ ، اللالي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة للسيوطي ١/ ٣٩ ، كشف الخفاء ١/ ٢٢ .

وقال الذهبي : (ومن بدع الكرامية قولهم في المعبود : (انه جسم لا كالأجسام)

وعقد ابن حزم بابا بعنوان : (شنع المرجئة قال : غلاة المرجئة طائفتان احداهمـــا : الطائفة القائلة : بأن الايمان قول وان اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله تعالى ولى الله عزوجل من أهل الجنة، وهذا قول ابن كرام السجستاني (٢) .

وقال الذهبي بعد أن أورد مقالة ابن حزم المتقدمة : قلت هذا منافق محــض في الدرك الأسفل من النار قطعا ، فأيش ينفع ابن كرام أن يسميه مؤمنا (٣) وقال في موضع آخر : (قلت : هذه أشنع بدعة) (٤) .

وقال ايضا : (محمد بن كرام . . . ساقط الحديث على بدعته)(٥) وتابعه ابن حجر.

وقال الجوزقاني : (سمعت أبا جعفر الحافظ يقول سمعت ابابكر محمد بن أحمد ابن علي الدورقي يقول سمعت أبا نصر منصور بن محمد المحمش الأديب يقول : قال ابوالقاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاه قال سمعت أبابكر محمد بن عبد الله سمعت جدي العباس ابن حمزة ومحمد بن اسحاق بن خزيمة والحسين ابن الفضل البجلي يقولون : الكرامية كفـار يستتابون ، فان تابوا والا ضربت أعناقهم ، قال ابو القاسم : صمت أذناى ان لم أكن سمعت هذا من أبي بكر) (٦) .

وقد اختصر الحافظ ابن حجر فقال : (وقال ابوبكر محمد بن عبد الله سمعت جدى العباس بن حمزة وابن خزيمة ، والحسين بن الفضل البجلي يقولون : الكرامية كفـــار يستتابون فان تابوا والا ضربت أعناقهم (٧) .

وقال جعفر المستغفري (٨) : كان ابو القاسم عبد الله بن عبد الله بن الحسين النضري قاضي مرو ونسف وسأله صاحب سبكتكين والد محمود بن سبكتكين يمين الدولة ، فقال : مـــا تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء ؟

فقال النضرى : هؤلاء عندنا كفرة ، قال ما تقولون في ؟

---

(١) الميزان ٥/ ٢١
(٢) الفصل ٥/ ٧٣
(٣) الميزان ٤/ ٢١
(٤) المغنى في الضعفاء .
(٥) اللسان ٥/ ٣٥٣ .
(٦) الأباطيل والمناكير ١/ ٢٦٥
(٧) اللسان ٥/ ٣٥٦
(٨)

قال ان كنت تعتقد مذهبهم فقولنا فيك كذلك ، فوثب وجعل يضربهم بالدبوس حتى أدماهم وشج النضرى) (١) .

وقال الامام محمد بن أسلم الطوسي لم تعرج كلمة الى السماء أعظم ولا أخبث من ثلاث ، (اولاهن) فرعون حيث قال أنا ربكم الأعلى (الثانية) قول بشر المريسي القرآن مخلوق (الثالثة) قول ابن كرام المعرفة ليست من الايمان) (٢) .

وذكر ابن عساكر أن رجلا كان ببيت المقدس يقال له هجام يحب الكرامية ويحسن الظن بهم فنهاه الفقيه ابو الفتح نصر بن ابراهيم فقال : (انما لي منهم ما ظهر فقال له ظاهر حسن وباطن قبيح فلما كان بعد ليال رأى هجام في المنام كأنه اجتاز برباطهم وقد نبت الترجسي في حيطانه فاستحسنه فمد يده ليتناول منه شيئا فوجد أصوله في العذره فقص رؤياه على الفقيه نصر فقال : هذا تصديق ما قلت لك ان ظاهرهم حسن وباطنهم خبيث (٣) .

وقال ابن عساكر : ان ابا عبد الله بن كرام دخل بيت المقدس وقعد على العمود المنصوب وهو اليوم على باب المهد في جامعها شرقي باب القسيمو وتكلم (٤)

وقال ابن كثير : (عند مشهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير) (٥) .

قال ابن حجر : (سمع الناس منه حديثا كثيرا) (٦)

وقال مجير الدين الحنبلي : (أقام ببيت المقدس وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير (٧) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٨٤

(٢) اللسان ٥ / ٣٥٦

(٣) تاريخ دمشق مجلد مصور ١١ / ٦٧ ، الوافي في الوفيات ٤ / ٣٧٧ ، اللسان ٥ / ٣٥٥

(٤) تاريخ دمشق ١١ / ٦٦ مصور .

(٥) البداية والنهاية ١١ / ٢٠

(٦) اللسان ٥ / ٣٥٦ ، تاريخ دمشق ١١ / ٦٦ مصور .

(٧) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١ / ٢٩٦

وقد تقدمت [1] قصة الرجل الغريب الذى سأل ابن كرام عن الايمان وتشاغل عنه فكرر السؤال ثلاث مرات فأجابه أن الايمان قول فتركه تلاميـذه وحرقوا ما كتبوا عنه .

---

(١) في ص ١٠-١١ من الرسالة .

الفصل الثاني

عصر ابن كـــــــــرام

١ - الحالة السياسية .

٢ - الحالة الاجتماعية.

٣ - الحالة العلميـــة .

الفصل الثاني
عصر ابن كرام

انه لمن الضرورى في رأى دراسة العصر الذى عاش فيه ابن كرام والظروف التي احاطت به والبيئة التي نشأ فيها لعلنا نتمكن من الوقوف على العوامل والاسباب التي أدت الى بروز تلك الشخصية واتجاهاتها ولا ريب ان الانسان يتأثر بالمجتمع الذى ينمو فيه والبيت الذى يترعرع فيه وما يتلقى فيه من تربية وكذلك في المدرسة، وعلى ايدى المشائخ والموجهين الذين يتلقى عنهم والكتب التي يطلع عليها والأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية المعاصرة له .

لذلك كله أرى من اللازم على القاء الضوء على عصر ابن كرام من آخر القرن الثاني الى المنتصف القرن الثالث تقريبا فهو من نتائج هذا العصر فأتناول بالدراسة الموجزة بالأحوال التالية :

١- الحالة السياسية ٢- الحالة الاجتماعية ٣- الحالة العلمية

الحالة السياسية :

عاش ابن كرام في أواخر القرن الثاني الهجرى الى المنتصف القرن الثالث وقد حدد بعضهم تاريخ ميلاده في سنة تسعين ومائة ١٩٠هـ(١) وتاريخ وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) وقيل سنة ست وخمسين ومائتين (٢٥٦هـ) وقيل غير ذلك (٢) .

وقد عاصر من خلفاء بنى العباس عشرة ان اعتبرنا وفاته في سنة (٢٥٥هـ) في خلافة المهتدى بالله واحدى عشرة خليفة ان اعتبرنا وفاته في سنة (٢٥٦هـ) في خلافة المعتمد بالله وهؤلاء الخلفاء هم أبو جعفر هارون بن محمد بن عبد الله الرشيد الذى ولى الخلافة سنة سبعين ومائة (١٧٠هـ) (٣) اثر وفاة أخيه موسى الهادى وبعهد من أبيه المهدى بن المنصور ، واستمرت خلافته الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة(١٩٣هـ)(٤) وكانت مدة خلافته ثلاث وعشرين سنة وشهر وثمانية أيام (٢٣ سنة وشهر و٨ أيام) (٥) .

---

(١) انظر التجسيم عند المسلمين ص ٤٨ مذهب الكرامية ، نقلت عن المستشرق الفرنسي ماسينيون .

(٢) تقدم بيان ذلك في حياة ابن كرام وفاته .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٠ وابن الأثير الكامل في التاريخ ٦/ ١٠٦ ، العبر في خبر من عبر ١/ ٢٦٣ ، البداية والنهاية ١٠/ ١٦٠

(٤) أنظر تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٣٤٢ ، الكامل في التاريخ ٦/ ٢١١ ، مختصر تاريخ البشر ٤/ ١٨ البداية والنهاية ١٠/ ٢١٣

(٥) المصادر السابقة نفسها .

بلغت الدولة العباسية أيام الرشيد أوجها فعم الاستقرار و وصلت الدولة الى غاية قوتها وقمة مجدها فساد الأمن (١) . ثم ولى الخلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة (١٩٣ هـ) (٢) عقب وفاة أبيه وكان ولى عهده وكان خليفة المسلمين حتى قتل سنة ثمان وتسعين ومائة (١٩٨ هـ) (٣) و مدة خلافته كانت أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام (٤ سنوات و ٧ أشهر و ٨ أيام) وفي أيامه كانت الحروب والاضطرابات والمشاكل بينه وبين أخيه المأمون التي أدت الى خلعه وقتله (٤) . ثم ولى الخلافة بعده أخوه المأمون عقب قتله في نفس السنة (١٩٨ هـ)(٥) وهو عبد الله بن هارون الرشيد-وقد عهده أبوه هارون بالخلافة بعد أخيه الأمين-ولم يزل خليفة للمسلمين الى حين وفاته سنة ثمان عشرة ومائتين (٢١٨ هـ) (٦) وكانت مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر (٢٠ سنة ٥ أشهر) وقد كان له أثر كبير في رفع رأيه الابتداع كما سنرى ان شاء الله تعالى . ثم ولى الخلافة بعده أخوه أبو اسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد عقب وفاة أخيه المأمون وكان قد أوصاه بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) (٧) واستمرت خلافته حتى وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧ هـ) (٨) وكانت له أعمال عظيمة منها قتال بابك والقضاء عليه وحروب الروم و تأديبهم (٩) واستخدم جند التركي وأكثر من ذلك وقلل استخدام قوات العرب والفرس حتى زاد أذاهم في بغداد وتضايق الناس منهم حتى اضطر أن يقيم مدينة سامراء في مكان "القاطول" .

---

(١) محمود شاكر، التاريخ الاسلامي الدولة العباسية الجزء الأول ص ٥٧ ، وانظر الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية ص ١٣٤

(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٥ ، الكامل في التاريخ ٦/ ٢٢١ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ١٩ البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٢ .

(٣) أنظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٨٧ ، والكامل ٦/ ٢٨٢ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٢٠ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٠

(٤) أنظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٤١ - ٢٤٢ ، محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية ص ١٥٨ .

(٥) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٧ ، الكامل ٦/ ٢٨٧ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٢١ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤ .

(٦) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٤٦ ، الكامل ٦/ ٤٣١ - ٤٣٢ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٢ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٤ .

(٧) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٦٧ ، الكامل ٦/ ٤٣٩ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٣ ، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٠

(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٨ ، الكامل ٦/ ٥٢٤ ، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٤ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٥ .

(٩) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٥ - ٢٩٦ .

وسأتحدث عن مسألة خلق القرآن مفصلة في الحالة العلمية ان شاء الله ثم بويع هارون الواثق ابن المعتصم بالخلافة قبل موت أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧هـ) (١) وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام (٥ سنة و ٩ أشهر و ٥ ايام) واستمرت خلافته حتى توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٣٢هـ) (٢) ثم كانت بيعة المتوكل جعفر بن محمد المعتصم سنة (٢٣٢) (٣).

واستغرقت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام (١٤ سنة، ١٠ اشهر ٣ ايام) وكان هو الخليفة الى حين قتله سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧هـ)(٤) وقد أعز الله به الاسلام ورفع به السنة (٥) وكان محببا الى رعيته قائما في نصرة أهل السنة، أما رفعه لمسألة خلق القرآن ونصرته لأهل الحديث وعلماء أهل السنة فارجىء الحديث عنها في الحالة العلمية ان شاء الله تعالى.

ومع انتهاء حكم المتوكل على الله انتهى العصر العباسي الأول وهو عصر قوة الخلفاء والدولة وبدأ عصر الضعف اذ تسلط العسكر على الحكم فحكموا من وراء الخلفاء الذين كانوا صورة بل ألعوبة أحيانا بأيدي العسكريين، وأذلوا الشعب وبالتالي بدأت الدولة تتداعى وينهدم منها ركن بعد ركن حتى تهاوت على أيدي التتار (٦).

ثم ولي الحكم محمد المنتصر بن المتوكل قاتل أبيه سنة ٢٤٧هـ (٧) في شهر شوال واستمر فيها الى أن توفي في أواخر شهر صفر من السنة ٢٤٨هـ (٨) وكانت مدة خلافته ستة أشهر فقط، وقد حصل له ما حصل بشرويه بن كسرى حين قتل أباه لأجل الملك عقوبة معجلة.

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٣، الكامل ٦/ ٥٢٨، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١٥١، الكامل ٧/ ٣٠، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٥٤، الكامل ٧/ ٣٣، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٣٧، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٢٢، الكامل ٧/ ٩٥، تاريخ مختصر البشر ٢/ ٤١، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٩.

(٥) البداية والنهاية ١٠/ ٣٥٠ أنظر شذرات الذهب لابن عماد ٢/ ١١٤.

(٦) التاريخ الاسلامي لدولة العباسية الجزء الأول ص ٢٤ و ٢٤٦

(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٣٤، الكامل ٧/ ١٠٣، مختصر تاريخ البشر ٢/ ٤١، البداية والنهاية ١٠/ ٣٥٢.

(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥١، الكامل ٧/ ١١٤، البداية والنهاية ١٠/ ٣٥٤.

ثم ولي الخلافة أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم ، الملقب بالمستعين بالله سنة ثمان وأربعين ومائتين (٢٤٨)(١) ، واستمر في الخلافة الى حين قتله سنة ثنتين وخمسين ومائتين (٢٥٢هـ) قتله سعيد بن الصالح التركي بأمر المعتز، فقتل الأول المستعين بالله وهو ساجد في السجدة الأخيرة ، فانا لله وانا اليه راجعون .

ثم ولي الخلافة المعتز بالله ابن المتوكل على الله واسمه أبو عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل سنة ثنتين وخمسين ومائتين (٢٥٢هـ) (٢) واستمرت خلافته حتى قتل سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) (٣) وقتله الجند وعذبوه وأقاموه في وسط دار الخلافة في حر شديد وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة ثم لم يتركوه بل استمروا في العذاب ومنعوا منه الطعام والماء ثلاثة أيام حتى شربة الماء وما زالوا يعذبونه حتى مات فانا لله وانا اليه راجعون (٤) .

ثم ولي الخلافة المهتدي بالله وهو أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) (٥) .

واستمرت خلافته الى حين قتله سنة ست وخمسين ومائتين (٢٥٦هـ) (٦) وكانت مدة خلافته أقل من سنة (٧) ، أراد أن يعيد هيبة الخلافة لكنه لم يجد معينا ولا ناصرا (٨) قتله الجند التركي (٩) ثم بويع للخلافة المعتمد على الله وهو أحمد ابن المتوكل على الله ويعرف بابن فتيان سنة ست وخمسين ومائتين (٢٥٦هـ) (١٠) — وامتدت خلافته الا أن مات سنة (٢٧٩هـ) (١١) وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة (٢١ سنة) ، وكانت أيامه مضطربة الأحوال مختلفة التدبير لغلبة الامراء عليه فقام أخوه الموفق بالله طلحة بأمره أحسن قيام وهو الذي قتل صاحب الزنج (١٢) .

---

(١) تاريخ الطبري ٩ / ٣٤٨ ، الكامل ٧ / ١٦٧ ، البداية والنهاية ١١ / ١٠
(٢) " " ٩ / ٣٩٠ ، الكامل ٧ / ١٩٦ ، " " ١١ / ١٦
(٣) أنظر الطبري ٩ / ٣٩٠ ، أنظر الكامل ٧ / ١٩٦ ، أنظر البداية والنهاية ١١ / ١٦
(٤) تاريخ الطبري ٩ / ٣٩١ ، الكامل ٧ / ١٩٨ ، البداية والنهاية ١١ / ١٧ .
(٥) تاريخ الطبري ٩ / ٤٦٧ ، الكامل ٧ / ٢٣٠ ، البداية والنهاية ١١ / ٢٣
(٦) أنظر البداية والنهاية ١١ / ٢٣
(٧) أنظر العبر في خبر من غبر ٢ / ٤٧
(٨) أنظر البداية والنهاية ١١ / ٢٢ ، وانظر الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين لابن دقماق ص ١٢٧ .
(٩) تاريخ الطبري ٩ / ٤٧٤ ، الكامل ٧ / ٢٣٥ ، البداية والنهاية ١١ / ٢٣
(١٠) " " ١٠ / ٢٩ ، " ٧ / ٤٥٥ ، " " ١١ / ٦٥
(١١) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والسلاطين ص ١٢٨ .

أما خراسان وسجستان : موطن صاحبنا ابن كرام فانها كانت تابعة للخلافة منذ أن فتحت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة واحدى وعشرين من الهجرة (١) في موقعة نهاوند وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح (٢) ثم غزا المسلمون بلاد خراسان وكان أميرهم الأحنف بن قيس ففتحها وكتب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله بما فتح الله عليه من هذه البلاد وكانت ذلك سنة ٢٢ (٣)، وفتحت سجستان صلحا في سنة ٢٣هـ (٤) بعد أن حصر المسلمون أهلها في زرنج مولد صاحبنا ابن كرام، ثم استقر حكم الاسلام في هذه البلاد وكان الخليفة يعين والي خراسان من قبله، وعند ولادة صاحبنا ابن كرام تقريبا عين هارون الرشيد واليا لخراسان هو هرثمة بن أيمن وذلك في سنة ١٩١هـ. (٥) وقال بعضهم وصل خراسان في سنة ١٩٢هـ (٦) وكان يعين الولاة فيها حتى أسست دولة الطاهرية لما ولى المأمون طاهر بن الحسين خراسان سنة ٢٠٥هـ. (٧) وكان مقره نيسابور وأمتدت دولتهم في أبناء طاهر حتى استولى عليها يعقوب بن الليث الصفار سنة ٢٥٩هـ في خلافة المعتمد على الله. (٨)

وقد دخل ابن كرام نيسابور مرات وسمع فيها الحديث، وكان له فيها اتباع وقد سجن فيها أكثر من مرة ونفي في النهاية منها وذلك لكثرة أتباعه في مذهبه المبتدع كما نفي من سجستان قبل ذلك لنفس السبب، وعقد له مجالس سئل فيها عن قوله ومذهبه وقد مر تفصيل ذلك. (٩)

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٢٠ وما بعدها، الكامل ٣/ ١٤، البداية والنهاية ٧/ ١١١.
(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٠٥
(٣) انظر تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٦٨، الكامل ٣/ ٣٤، البداية والنهاية ٧/ ١٢٧
(٤) " " " ٤/ ١٨٠ - ١٨١ الكامل ٣/ ٤٤
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٣٢٤، الكامل ٦/ ٢٠٤
(٦) المصدر السابق نفسه ٦/ ٢٠٤، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٦
(٧) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٧٩، الكامل ٦/ ٣٦١
(٨) " " " ٩/ ٥٠٧، الكامل ٧/ ٢٦١ - ٢٦٢
(٩) في ص ٧ - ٨ - ٩ - من الرسالة.

فقد أدرك ابن كرام هؤلاء الخلفاء من بني العباس وطال عهد هذه الخلافة (١٣٢ - ٦٥٦هـ) وامتدت الى ما يقارب خمسة قرون وربع قرن وضعفت في أيامها الأخيرة اذ سيطر عليها الجنود والسلاطين واعتمدوا على الفرس والأتراك وقاتلوا بني أمية وعادوا العلويين وكثرت ظهور طوائف قويت شوكتهم كالقرامطة والباطنية وغيرهم اضافة الى ما أنغمس فيه بعض الخلفاء من الترف واللهو واللعب والمجون واقتناء الجوارى والمغنين والمغنيات .

فشجع هذا الضعف في مركز الخلافة أصحاب الطموحات للوصول الى السلطة فاستقل بعض الأسر المشهورة بامارة اقاليم ليست بالقليل ولم يبقوا للخليفة من التصرف في الأقاليم وفي مركز الخلافة شيئا غير أنهم أعترفوا له الولاء والسيادة الروحية كالدعاء لهم في يوم الجمعة والعيدين والسكه والاسم والهدايا . (١)

من هذه الأسر :

١- الطولونيون في مصر (٢٥٤ هـ - ٢٩٢هـ) .

٢- اليعفرية في اليمن من عام ٢٤٧ هـ - ٣٨٧هـ) .

٣- الطاهريون في خراسان من عام ٢٠٥ - ٢٥٩هـ) .

٤- الصفاريون في سجستان وخراسان من عام (٢٤٧ - ٢٨٧هـ) .

٥- الزيدية في جبال طبرستان والديلم من عام ٢٥٠ - ٣٥٥هـ) .

٦- السامانيون في بلاد ما وراء النهر من عام (٢٦١ - ٣٨٩هـ) .

غير أن هناك دولا استقلت عن الخلافة بالكلية كبني أمية في الأندلس من عام (١٣٨ أو ١٣٩هـ - ٤٢٢هـ) ، وكان أمراء دولة بني أمية فيها يتسمون باسم الأمير تاركا اسم الخلافة للعباسيين حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذى تسمى بأمير المؤمنين لما رأى من اضطراب أمر الخلافة في المشرق وضعفها وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله (٢) .

كما استقلت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى مع تلمسان من عام (١٧٢ - ٣٧٥هـ) كما استقلت الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام من سنة ٢٩٧هـ في رقاده ، عاصمة الاغالبة في تونس .

---

(١) انظر الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية ص ٢٩٦

(٢) انظر نفح الطيب ١ / ٣٥٣ ، وانظر الحميدى ، جدوة المقتبس ص ١٣ ، محاضرات الخضرى للعباسية ص ٣٣٥ .

وهناك بعض المآخذ على الدولة العباسية بصفة عامة رغم الصفات الطيبة لبعضهم كالمهتدي العباسي الذي حاول أن يصلح ومن أصلاحاته أمره بأن ينفي القيان (١) والمغنون من مقر الخلافة وابطال الملاهي ورد المظالم وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر (٢). قال الذهبي: كان ... ورعا تقيا متعبدا عادلا فارسا شجاعا قويا في أمر الله خليقا للامارة لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا على الخير (٣). وقال الخطيب: "وكان من أحسن الخلفاء مذهبا وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعا وعبادة وزهادة" (٤)، وكان في دولة العباسية كعمر بن عبد العزيز في دولة الأموية، وكان الأول يحب الاقتداء بالثاني (٥). كما أثنى المؤرخون كثيرا على هارون الرشيد وكان كثير الصلاة والجهاد والحج والصدقة وكان يحب العلماء الا ما كان فيه من حب الشهوات واللذات الدنيوية واتخاذ بعض المغنيات. قال الذهبي: "كان شهما شجاعا حازما جوادا ممدحا، فيه دين وسنة، مع انهماكه على اللذات والقيان ... وكان يصلي في اليوم مائة ركعة الى أن مات ويتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم، وكان يخضع للكبار، ويتأدب معهم، وعظه الفضيل وابن السماك وغيرهما (٦) وقال: وحج مرات في خلافته وغزا عدة غزوات حتى قيل فيه (٧).

من يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو اقصى الثغور

أما المآخذ التي أخذت عليهم فهي:

١- تحويل الحكم الى وراثية لا يخرج عن بني العباس كما سار عليه الأمويون (٨).

٢- ولاية العهد لأكثر من شخص ثم تحويلها الى الابن في أكثر الاحيان، ولى السفاح عهده رجلين يلي أحدهما بعد الآخر، أخاه أبا جعفر المنصور ثم ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي، فلما تولى الخلافة أبو جعفر وشب ابنه محمد المهدي عز عليه

---

(١) القينة: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والجمع القيان قال أبو عمرو: كل عبد هو عند العرب قين والأمة قينة، وبعض الناس يظن القينة المغنية خاصة، وليس هو كذلك ـ الصحاح للجوهري ٦/٢١٨٦، مادة القين، وأنظر لسان العرب لابن منظور المادة قين.

(٢) أنظر البداية والنهاية ١١/١٨، وأنظر المختصر في أخبار البشر ٢/٤٧، وأنظر العبر ٢/١٢

(٣) العبر في خبر من غبر ٢/١٢

(٤) البداية والنهاية ١١/٢٣

(٥) انظر البداية والنهاية ١١/٢٣، أنظر المختصر في أخبار البشر ٢/٤٧، العبر ٢/١٢

(٦) العبر ١/٣١٢، أنظر البداية والنهاية ١٠/٢١٤ وما بعدها، وانظر شذرات الذهب ٢/٣٢٤.

(٧) البداية والنهاية (١٠/٢٢٢) والبيت لأبي المعالي الكلبي. وانظر محاضرات الخضرى العباسية ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٨) محاضرات الخضرى العباسية ص ٤١، أنظر البداية والنهاية ١٠/٤١. وانظر التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر ـ العباسية الجزء الأول ص ٨١.

أن يلي بعد ابن أخيه ويحرم ابنه فخلع عيسى من ولاية العهد على أن تكون رتبته تلو رتبة المهدى وأجاب عيسى الى ما طلب منه خوفا من الفتنة.

والمعروف لما ولي المهدى وشب ابناه موسى وهارون أعاد هذه المخالفة فطلب من عيسى بن موسى أن يخلع نفسه من ولاية العهد لولدى المهدى موسى وهارون فكان ما أراد بعد ما قاسى عيسى ما قاسى من صنوف الأذى فلما تولى الهادى الخلافة لم يتعظ مما سبق لآبائه وانما أعاد نفس الخطأ فأراد أن يخلع هارون الرشيد من ولاية العهد ، ويجعل ولده وليا للعهد الذى لم يبلغ الحلم.

ولقد وعظه يحيى بن خالد البرمك من أن يخلع هارون الرشيد وقال : اني أخاف أن تهون الايمان على الناس (١) ، وهكذا لما ولى هارون بايع لولده محمد الأمين أن يكون ولي عهده ولم يتجاوز ثلاث سنوات (٢) ، وقد سببت هذه المخالفات وعدم الوفاء بالعهود التي أبرمت التناحر والفتنة بين أفراد الأسرة الحاكمة مما يصل أحيانا الى المحاربة وحمل السلاح بعضهم على بعض ولا أدل على ذلك من الخلاف الهائل والوقائع العظيمة التي كانت بين جند الأمين والمأمون وتعطلت الممالك والدروب وحصرت بغداد حصارا شنيعا وانتهى الأمر بخلع الأمين وقتله ، كل ذلك نتيجة تقديم ابنه على أخيه المأمون في ولاية العهد ، الأمر الذى أكده والده هارون الرشيد بالكتابة والبيعة وأشهد على ذلك الفقهاء والقضاة وقبل ذلك أشهد هارون على هذه البيعة الله تعالى وملائكته ومن كان في الكعبة من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقواده ووزرائه وكتابه وغيرهم وجعل الكتابين اللذين فيهما بيعة الأمين للخلافة وبيعة المأمون لولاية العهد في داخل الحرم المكي . ثم مزق الأمين ذلك الكتاب (٣) ، وكان ذلك نفس ما أصاب بني أمية من الخلاف والفرقة (٤) وكذلك النزاع الذى كان بين المعتز وبين المستعين حتى قتل المستعين في النهاية كل ذلك أدى الى نزع هيبة الخلافة في نفوس القواد وشجعهم على خلافهم كما جرأ الطامعين وفتح المجال لأعداء الخلافة داخل الدولة وخارجها والمفسدين من الملاحدة والفرق الضالة الذين يريدون هدم الاسلام .

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٥٨

(٢) أنظر محاضرات الخضرى الدولة العباسية ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية ، وانظر محاضرات الخضرى ص ٤٣

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٥٢ .

٣- نفوذ العناصر الأعجمية على سياسة الدولة الذى صاحب مع قيام الدولة العباسية التي قامت على أيدى أهل الخراسان والموالى فكان لهم النصيب الأكبر في حكم العباسيين فكان منهم الوزراء والولاة والقواد ثم ما كان من أمراء الأتراك في العصر العباسي الثاني لما سيطروا على الخلفاء و تحكمو فيهم فصارو يخلعون منهم من شاؤو وينصبون من شاؤو .

٤- انفاق الأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين في غير وجه شرعي من ذلك ما كانوا يقدمون للمداحين من الشعراء فقد أعطى المهدى ابن الخياط لما امتدحه بخمسين ألف درهم ففرقها ابن الخياط فأنشأ بقوله :

أخذت بكفي كفه ابتغى الغنى * ولم ادران الجود من كفي يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذو والغنى * أفدت وأعداني فبددت ما عندى

فلما بلغ ذلك المهدى أعطاه بدل كل درهم دينارا (١) .

وذكر ابن كثير أن مروان بن أبى حفصة أنشد الهادى قصيدته له منها قوله :

تشابه يوما بأسه ونواله * فما أحد يدرى لأيهما الفضل .

فأعطاه بمائة ألف وثلاثين ألف معجلة (٢) .

تساهل بعض الخلفاء كالمأمون والمعتصم والواثق في بعض موضوعات العقيدة وتركهم للمعتزلة الحبل على غاربه وتسبب ذلك افساد عقيدة هذه الأمة كما كان البعض الاخر على عكس من ذلك اذ اهتموا بالدين وشجعوا العلماء وحاربوا البدعة والزنادقة بدئا من خلافة أبي العباس السفاح الى عهد هارون الرشيد ،ثم من عهد الخليفة المتوكل على الله الى عهد الخليفة المعتمد على الله كما سيأتي (٣) وكذلك فعل غير هؤلاء.

(١) البداية والنهاية ١٠/١٥٥-١٥٦
(٢) المصدر السابق ١٠/١٥٩

(٣) في ص٥٣-٥٥ ، ص٦٢ من الرسالة .

الحالة الاجتماعية :

قد رأينا الحالة السياسية في عصر ابن كرام وان الخلافة استقرت للعباسيين اذ كسروا اقوى المخالفين لهم وان كان قد بقي بعض المناوئين لهم وذلك منذ خلافة المهدى الى نهاية خلافة الرشيد ثم بدأ الصراع بين الأمين والمأمون ثم استقر الأمر للمأمون ما عدا بعض الثورات .

وقد كان المجتمع في عصر ابن كرام مكونا من عناصر مختلفة من العرب والفرس والترك وغيرهم .

وقد أزال الاسلام بتعاليمه السامية ما كان بين هذه العناصر من خلاف في العقائد والعادات وان كان في بعضهم تعصب لعنصره وهذا يخالف تعاليم الاسلام الصحة التي لاتفرق بين الأجناس لا بين العرب والعجم ولا بين الأبيض والأسود الا بالتقوى قال تعالى:(ان اكرمكم عند الله أتقاكم) (١) وقال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر رضي الله عنه عند ما سب صحابيا لسواد لونه: " انك امرؤ فيك جاهلية" (٢) .

وكان الخلفاء من العرب من بني العباس ،أما الوزراء والولاة والقواد وكبار الدولة في عصر العباسي الأول فبعضهم كان من العرب وبعضهم كان من الفرس، ومعلوم أن الدولة العباسية قامت على أيدى أهل الخراسان والموالي مما جعل لهؤلاء شأنا عظيما في الدولة ومقاما لا ينقص عن مقام العرب (٣) .

وفي عهد أبي العباس السفاح كان معظم الولاة من أعمامه وبنى أعمامه (٤) ومن أكبر رجالاته الذين كان لهم نفوذ وسلطان أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة العباسية ، وقد استوزر خالد بن برمك بعد أبى سلمة خوص بن سليمان الخلال ،وكان المنصور يحب أن يرجح كفة جند العرب في الجيش على جند الخراسانية فاصطنع كثيرا من رجالات العرب وسلمهم قيادة الجيوش كما استعان بأهل بيته ومن أعظم قواده عيسى بن موسى (٥) .

---

(١) الحجرات : ١٣

(٢) متفق عليه : البخارى في الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن ، وفي العتق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : العبيد ،اخوانكم فاطعموهم مما تأكلون ومسلم في الايمان باب اطعام المملوك مما تأكل ، والباسه مما تلبس

(٣) انظر الخضرى العباسية ٣٠ ، ٧٤ ، ٢٠٢

(٤) محاضرات الخضرى العباسية ص ٥٢

(٥) المصدر السابق ص ٧٤

وكان الوزراء من العنصرين أى من العرب والفرس، ولم تكن للوزارة في عهده كبير أهمية لأن الأمور كانت بيده (١).

أما في عهد المهدى فقد كانت الوزارة أكثر أهمية مما كانت عليه في عهد أبيه وكان يعتمد عليها، وكانت من العنصرين العربي والفارسي مثل ما كانت في عهد أبيه ولما ولى المأمون الخلافة على أيدى أهل خراسان زاد نفوذهم في تلك الدولة وبقدر ما زاد هم نقص من شأن العرب حتى لم يعد من العرب قائد معروف كما كان في عهد المنصور والمهدى والرشيد وصار معظم المرتزقين من الجند انما هم من أهل خراسان والأبناء وصار معظم الاعتماد عليهم وظهرت قواد من عناصر أخرى من أتراك ما وراء النهر، ولكن جند الأتراك (٢) قليل في هذه المرحلة وسيكون له دوره الأكبر في الخلافة العباسية في العصر الثاني.

والعنصر الثالث الذى كان ذا أهمية كبيرة هو: الترك فقد استخدم الخليفة المعتصم من الاتراك خلقا عظيما وكان له من المماليك الترك ما يقرب من عشرين ألفا وملك من آلات الحرب والدواب مالم يتفق لغيره، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) (٣). قال: لو علمت أن عمرى قصير ما فعلت، وقال: اني أحدث هذا الخلق، وجعل يقول: ذهبت الحيل فلا حيلة (٤). كما أحدث المأمون عناصر غريبة في الأمة، فلما ولى المعتصم أربى على أسلافه في ذلك فقد كان يغلب عليه من أخلاق الرجال الشجاعة والميل الى الشجعان: رأى من بغداد من جنود الأبناء لا يوثق بهم لكثرة اضطرابهم وقيامهم على الخلفاء ورأى ما للأتراك من شدة البأس والنجدة فأراد أن يكون منهم جيش يستعز به على هؤلاء الابناء ويرغم أنوفهم فاستكثر من غلمان الاتراك وأحضر منهم عددا عظيما فوق ما كان منهم في عهد أخيه المأمون، وأسقط العرب من كافة الدواوين بحيث لم يبق مرتزق في عهده الا من كان من الأتراك أو الأبناء الا أنه اصطنع قوما من حوف مصر ومن حوف اليمن

---

(١) المصدر السابق ص ٧١.
(٢) تاريخ الأمم للخضرى العباسية ص ٨٨
(٣) الأنعام: ٤٤.
(٤) أنظر تاريخ الأمم للخضرى العباسية ص ٨٨ - ٩١.

و خوف قيس وسماهم المغاربة وغيرهم فكثر جيشه وكان هؤلاء القوم عجما وكان بين الاتراك وبين الأبناء في بغداد فاختط سامراء فسكنها، ثم غلبوعلى أمر الخلافة فيما بعد وكانوا غلاظ القلوب وأهانو الخلفاء . (١)

أما ناحية الترف فقد وصل ذلك عند بعض الخلفاء الى غايته وكذا الحال عند الوزراء والولاة والقواد ونحوهم .

لما ولى الخلافة محمد بن هارون وجه الى جميع البلدان في طلب الملهين و ضمهم اليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس في ابتياع فره الدواب ، وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك (٢) .

و حمل اليه ما كان في الرقة من الجواهر والخزائن والسلاح وأمر ببناء مجالس لمنتزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلّى ورقة الكلواذى ، وباب الأنبار وبناورى والهوب وأمر بعمل خمس حراقات في د جلة على خلقة الأسد والفيل والعقارب والحية والفرس وأنفق في عملها مالا عظيما (٣) .

و نضرب مثالا آخر يدل على أن الخلفاء والوزراء ونحوهم كانوا ينفقون الأموال الكثيرة في الأمور الشكلية كحفلات الزواج وغيرها ، فمن ذلك ما انفق وزير المأمون الحسن بن سهل في مناسبة زواج ابنته بوران من المأمون من الأموال الكثيرة ، وقد اشعلت بين يدى المأمون شموع العنبر ، ونثر على رأسه الدرر والجوهر فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر ، وكان عدد الجوهر منه ألف درة ، فأمر به فجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فقالوا : يا أمير المؤمنين انا نثرناه لتلتقطه الجوارى ، وكتب الحسن بن سهل أسماء قرى وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على الأمراء و وجوه الناس .

فمن وقعت بيده رقعة في قرية منها بعث الى القرية التي فيها نوابه فسلمها اليه ملكا خالصا ، وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة اقامته عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين ألف الف درهم ، ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم وأقطعه اقليم فم الصلح (٤) فهذا وزير يملك كل هذه الأموال ويوزعها بهذه الصورة فكيف بالخلفاء .

---

(١) انظر محاضرات الخضرى العباسية ص ٢٣٧

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٠٨ - ٥٠٩
(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٠٩
(٤) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٥

وهكذا كان الترف في عصر ابن كرام قد وصل الى هذه الصورة ، وأما عن الجوارى في بيوت الخلفاء والأكابر فقد كان الأمر الى أسوأ الأحوال ، يقول الامام الطبرى رحمه الله تعالى : " وذكر عن العباس بن أحمد " وساق سنده الى محمد بن زبيدة أنه أمر يوما أن يفرش له على دكان في الخلد ، فبسط له عليه بساط زرعى ، وطرحت عليه نمارق وفرش مثله ، وهيئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم ، وأمر قيّمة جواريه أن تهيئ له مائة جارية صانعة ، فتصعد اليه عشرا عشرا ، بأيديهم العيدان يغنين بصوت واحد ... (١) .

فهذه صورة الترف عند الخلفاء والوزراء وأمثالهم من كبار رجال الدولة وأصحاب النفوذ والأموال غير أنه كان في عصر ابن كرام عناصر طيبة من المجتمع وكان الترف مقصورا بالطبقة العليا والا فجمهور المجتمع كانوا متمسكين بالاسلام وتعاليمه ، فالعلماء والفقهاء والمحدثون والصالحون كانوا كثرة كاثرة وكان الجهاد قائما وجيوش المسلمين تجاهد في سبيل الله تعالى واعلاء كلمته وكانت الدول الكافرة في خوف من المسلمين .

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥١٢

الحالة العلمية :

بلغت العلوم الاسلامية بل جميع العلوم والفنون الى أوجه عظمتها بل الحضارة الاسلامية في هذا العصر عصر العباسي بصفة عامة وعصر العباسي الاول بصفة خاصة كانت في أعلى مراتبها ليس فقط الحركة العلمية المتعلقة بالعلوم الاسلامية وانما أيضا الفنون الاخرى من العلم وقد شملت هذه الحركة العلمية على امتداد الوطن الاسلامي الكبير.

وكان الخلفاء والأمراء يشجعون توسيع نطاق الحركة العلمية حتى في الاندلس فقد كان الأمويون يشجعون النشاط العلمي على اختلاف أنواعه أيضا حتى ازدهرت الحركة العلمية في حكمهم وكانوا يحبون العلم وأهله كالأمير عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك الداخل والحكم ومحمد بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الناصر (١) .

كما أن العباسيين ما كانوا مكتوفي الأيدى أمام تلك الحركة العلمية بل كانوا يتدخلون فيها ويشجعونها بل أحيانا يشرفون عليها .

اما العصر العباسي الاول من خلافة ابو العباس السفاح الى آخر خلافة هارون الرشيد سنة ١٣٢ - ١٩٣ هـ فقد كان مذهب أهل السنة والجماعة سائدا ، وكانوا يتتبعون الزنادقة والمبتدعه بالقتل والابادة هذا بصفة عامة وبصفة خاصة كان المهدى والهادى والرشيد يقتلون الزنادقة وأهل البدع (٢) قال الذهبي : (كان المهدى غصابا للزنادقة) (٣) وقال أيضا: (ولمغ في طلب الزنادقة وقتل منهم عدة) (٤) وكان ميالا الى سنة رسول الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - بحب الا يخالفها (٥) ، بل كان يرفض قبول الشفاعة في المبتدعة كما حاول أبو عون ان يشفع لابنه لدى المهدى فقال المهدى : (يا أبا عون انه على غير الطريق وعلى خلاف رأينا ورأيك انه يقع على الشيخين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ويسىء القول فيهما) (٦) .

---

(١) انظر جدوة المقتبس للحميدى ص ٩ - ١٢ .
(٢) محاضرات الخضرى العباسية ص ٣٠
(٣) العبر ١ / ٢٥٥ شذرات الذهب ١ / ٢٦٧ انظر محاضرات الخضرى العباسية ص ٨٨
(٤) العبر ١ / ٢٥٥
(٥) انظر محاضرات الخضرى العباسية ص ٩٥
(٦) المصدر السابق نفسه .

والخليفة الهادى اتبع أباه في تتبع الزنادقة وقتلهم قال ابن كثير: (وشرع الهادى في تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة، واقتدى في ذلك بأبيه (١)!

وقد ذكرنا (٢) ان هارون الرشيد كان يحب العلماء، كما كان يقتل الزنادقة والمبتدعة، ومما ذكر ان بعض الناس دخلوا على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول فقال الرشيد: (قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق، فقتله على ذلك قربة الى الله عز وجل (٣)، سبحان الله، معلوم أن ابنه المأمون حمل المحدثين والفقهاء والقضاة على القول بخلق القرآن مستخدما بالقوة في ذلك على عكس ما عليه أبوه الرشيد.

وكان الرشيد يحب الشيخين أبا بكر وعمر قال ابن كثير: (قال بعض أهل العلم: "يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبابكر وعمر رضي الله عنهما ويقدمونهما فأكرمهم بعز سلطانك، فقال الرشيد: أولست كذلك؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما) (٤) هذا أيضا على عكس ما كان عليه ابنه المأمون (٥) فانه كان يفضل عليا على الشيخين رضي الله عنهما جميعا (٦) وقال أبو معاوية حدثته يعني هارون يوما عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث احتجاج آدم موسى، فقال: عم الرشيد أين التقيا يا أبا معاوية؟ فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا، وقال: "أتعترض على الحديث؟ علي بالنطع والسيف فأحضر ذلك فقام الناس اليه يشفعون فيه فقال الرشيد: "هذه زندقة، ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى اليه هذا، فأقسم عمه بالأيمان المغلظة ما قال هذا له أحد، وانما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا استغفر الله وأتوب اليه منها، فأطلقه (٧) وكانت له مشاركة في الفقه والعلم والأدب (٨) وكان يتواضع لأهل الدين ويكثر من محاضرة العلماء والصالحين (٩) وكان يميل الى أهل العفة ويكره المراء في الدين (١٠) وكان كثير البكاء من خشية الله تعالى سريع الدمعة عند الذكر محبا للواعظ، وكان يحب الحديث وأهله، ودخل الامام الشافعي رحمه الله تعالى على الرشيد فقال له: عظني فقال: "على شرط رفع الحشمة وترك الهيبة وقبول النصيحة قال نعم، قال: "اعلم أن من أطال عنان الأمل في العزة طوى عنان الحذر في المهلة ومن لم

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٥٧

(٢) تقدم في ص ٤٦ من هذه الرسالة.

(٣) البداية والنهاية ١٠/٢١٥

(٤) المصادر السابق نفسه.

(٥) انظر البداية والنهاية ١٠/٢٧٧

(٦) العبر ١/٣١٢

(٧) البداية والنهاية ١٠/٢١٥

(٨) العبر ١/٣١٣، شذرات الذهب ١/٣٣٤

(٩) شذرات الذهب ١/٣٣٥

(١٠) المصدر السابق نفسه.

يعول على طريق النجاه خسر يوم القيامة اذا امتدت يد الندامة فبكي هارون و وصله بمال (١)

فلو ذهبنا نستقصي فضائل الرشيد لطال بنا المقال .

و خرج ابن كرام الى الوجود والحالة العلمية قد بلغت هذا المبلغ من الرفعة والازدهار .

وقد كان مذهب الاعتزال ظاهرا في خلافة المأمون والمعتصم والواثق (١٩٨هـ - ٢٣٢هـ) حتى ولي المتوكل ولقد كانت الفتنة عظيمه في القول بخلق القرآن وامتحن الناس فيها وخاصة أهل العلم منهم وذلك لما قويت شوكة المعتزلة كما قال الذهبي (٢) واستولوا على المأمون ،وقال الذهبي في المأمون : (وكان جهميا) (٣) .

و يستحسن أن نبين بدعة القول بخلق القرآن فنقول : قد أظهر المأمون القول بخلق القرآن في سنة ٢١٢هـ (٤) ،ولم تبدأ في سنة ٢١٨هـ لما كتب الى نائبه في بغداد كما هو المشهور لدى الكثيرين .

و هذا يتناسب مع تاريخ مناظرة الامام عبد العزيز الكناني المكي المشهورة مع بشر المريسي تحت اشراف الخليفة المأمون في بغداد كما ورد في كتاب عبد العزيز المذكور المسمى (بالحيدة) (٥) .وأنها وقعت قبل كتابات المأمون من طرسوس في آخر حياته والتي لم يرجع منها الى بغداد وانما مات بها .

---

(١) شذرات الذهب ١/ ٣٣٥

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩

(٣) العبر ١/ ٣٧٥

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦١٩ (حوادث سنة ٢١٢)الكامل ٦/ ٨٠،كتاب دول الاسلام للذهبي ١/ ١٠٠ - ١٠١

(٥) وقد طبع هذا الكتاب (الحيدة)للامام عبد العزيز بن يحيى الكناني أكثر من مرة، ولكن العلماء قد اختلفوا في نسبة هذا الكتاب الى عبد العزيز ،فقال الامام الذهبي: (لم يصح اسناد كتاب (الحيدة) اليه ،فكأنه وضع عليه والله اعلم، ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٩ و وافقه السبكي فقال : (وعلى أنه كان ناصرا للسنة في نفي خلق القرآن كما دلت عليه مناظرته مع بشر وكتاب (الحيدة) المنسوب اليه ،فيه أمور مستشنعة لكنه كما قال شيخنا الذهبي وذكر كلامه المتقدم آنفا طبقات الشافعية ٢/ ١٤٥ ولم يوضح السبكي ماهي الأمور المستشنعة ،والامام الذهبي والسبكي لم يشكا قيام المناظرة بين الامام عبد العزيز الكناني وبين الجهمي بشر المريسي وانما شكا في اسناد كتاب الحيدة الى الامام عبد العزيز ،ولم يقف الأمر الى هذا الحد وانما هناك علماء لهم وزنهم يثبتون أن كتاب الحيدة للعبد العزيز ،من هؤلاء العلماء الخطيب =

ولما خرج المأمون الى طرسوس لغزو الروم كتب الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم يأمره أن يدعو الناس الى القول بخلق القرآن وكانت في سنة ثمان عشرة ومائتين (٢١٨هـ) وفي آخر عمره قبل موته أمر نائبه المذكور في بغداد بامتحان أئمة الحديث والقضاة والعلماء وكتب اليه كتبا ذكر فيها أن عليه مسئولية تجاه الأمة وأمر دينها بصفته امام المسلمين وعليه حق الله تعالى ويحتمه هذا الحق الاجتهاد في اقامة دين الله عز وجل فهو يعتبر نفسه أنه يحافظ ويذود عن دين الله القويم بفعله هذا (١)

وقد كتب هذه الكتب عدة مرات الى نائبه المذكور بعضها طويله شملت صفحات، أوردها الامام ابن جرير الطبري في تاريخه وقد استدل المأمون بالآيات القرآنية في كتاباته الى نائبه المذكور على أن القرآن مخلوق، ووصف العلماء الذين يقولون بأن القرآن كلام الله تعالى وليس بمخلوق بأنهم يجادلون بالباطل، وذكر أن هؤلاء العلماء شر

= البغدادي قال: (عبد العزيز الكناني قدم بغداد أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة وكان من أهل الفضل والعلم) تاريخ بغداد ١٠/٤٤٩ وذكر ابن النديم أن كتاب المذكور له فقال: عبد العزيز بن يحيى المكي ... وله من الكتب كتاب الحيدة فيما جرى بينه وبين بشر المريسي) الفهرست ص٢٦١، وهذا القول الذى ذكره الخطيب البغدادي وابن النديم في اسناد كتاب الحيدة الى عبد العزيز الكناني قد أخذ بعدهما الحافظ ابن حجر وعبد الحي بن عماد الحنبلي، قال ابن حجر: (وجرى بينه (يعني عبد العزيز) وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة) تهذيب التهذيب ٦/٣٦٤، وقال ابن عماد الحنبلي: (وناظر عبد العزيز بشر المريسي في مجلس المأمون بمناظرة عجيبة غريبة فانقطع بشر وظهر عبد العزيز ومناظرتهما مشهورة وعبد العزيز صاحب كتاب الحيدة) شذرات الذهب ٢/٩٥، هذا وقد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الكتاب المذكور للامام عبد العزيز قال: (عبد العزيز المكي صاحب الحيدة) درء تعارض ٢/٢٤٥، وكذلك أثبت الامام ابن كثير هذا الكتاب لعبد العزيز البداية والنهاية ١٠/٣٠٦ والحق فيما أرى أن الكتاب ثابت للامام عبد العزيز والله اعلم ولمزيد من المعلومات والتفصيل انظر الكتاب الحيدة للامام عبد العزيز حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. ص ١٧ - ٢٣

(١) انظر تاريخ الرسل والملوك ٨/٦٣١، مجموع فتاوى ١٣/١٨٣، العبر ١/٣٧٣ تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩، البداية والنهاية ١٠/٢٧٢، ٣٣٢، شذرات الذهب ٢/٣٩.

الأمة في نظره ورؤوس الضلالة قال : المنقوصون من التوحيد حظا والمخسوسون (١) من الايمان نصيبا و وصفهم بأنهم أوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان ابليس الناطق في أوليائه الى آخر ما ذكر من الشتم والسباب (٢) .

وآمر المأمون نائبه ببغداد بامتحان العلماء على القول بخلق القرآن قال الامام الذهبي : وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله - الخ (٣) .

ولما ورد كتاب المأمون بغداد وقرئ على الناس وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم اليه منهم يحيى بن معين ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، فبعثوا اليه الى الرقة فامتحنهم المأمون بخلق القرآن فأجابوه الى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون فردهم الى بغداد وآمر باشهار آمرهم بين الفقهاء ففعل اسحاق نائبه في بغداد ذلك (٤) .

وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم فدعاهم الى ذلك بأمر المأمون وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك ، فاجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم و وقعت بين الناس فتنة عظيمة فانا لله وانا اليه راجعون (٥) .

ثم احضر اسحاق جماعة من الأئمة بأمر المأمون منهم الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وبشر بن الوليد الكندي فقالا : القرآن كلام الله ولم يجيبا الى القول بخلق القرآن (٦) واستمرت هذه الفتنة من ذلك التاريخ المذكورة وهي

---

(١) الخسيس هو الدنيء ، قال ابن السكيت : يقال أخسست خساسا اذا فعلت فعلا خسيسا خس نصيبه .

(٢) انظر تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦٣١ - ٦٤٥ ، الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢٣ مجموع فتاوى ١٣/ ١٨٣ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ - ٢٧٤

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ بتصرف قليل وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٤ والكامل ٦/ ٤٢٣ ومجموع فتاوى ١٣/ ١٨٣

(٥) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، الكامل ٦/ ٤٢٤ ، ٤٢٥ - ٤٢٦ البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٣

في سنة ٢١٢ هـ اعلانا وفي سنة ٢١٨ امتحانا وفتنة من أيام المأمون ثم أيام أخيه المعتصم ثم أيام الواثق بن المعتصم ، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله عز وجل وذلك بسبب مستشاريهم المعتزلة (١).

وقد أصاب الناس في ذلك من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل وأليم العقاب ما الله به عليم (٢).

وقد كفروا من خالفهم في القول بخلق القرآن (٣)، وكانوا اذا افتكوا الأسرى يمتحنون الأسير فان أجابهم افتدوه والا لم يفتدوه ، وهؤلاء النفاة الجهمية الذين ظهر مذهبهم امتحنوا الناس فمن أجابهم أعطوه العطاء والا منعوه وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وان كان له رزق على بيت المال قطعوه وان كان مفتيا منعوه من الافتاء وان كان شيخ حديث ردع عن الاسماع والأداء و وقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء ودا هية دهياء فلا حول ولا قوة الا بالله (٤).

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستار الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) ولم يكتب (وهو السميع البصير) (٥) فلم تعلم منهم حروف القرآن فضلا عن معانيه اذ بلغت بهم الجرأة الى هذا الحد الذى صنعه ابن ابي داود

وثبت الله عز وجل الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى حتى أظهر الله به باطلهم ونصر أهل الايمان والسنة عليهم وأذلهم بعد العزة وأخملهم بعد الشهرة حتى اشتهر عند خواص الأمة وعوامها أن القرآن كلام الله غير مخلوق (٦).

ولما فشلوا في التأثير على الامام أحمد رحمه الله تعالى في مجال الحجة والبرهان وأصر امام احمد ورفيقه في المحنة محمد بن نوح رحمه الله تعالى قيدوهما بالأغلال وحملوهما الى المأمون وتوفي الآخير في الطريق ، وبقي الامام احمد

---

(١) انظر منهاج السنة ٢٥٦/١ مجموع فتاوى ١٦٤/١٢ ، البداية والنهاية ٢٣٠/٨
(٢) انظر كتاب دول الاسلام للذهبي ١/ ١٠٠ - ١٠١ وانظر مجموعة الرسائل ١٣٥/٣ ومنهاج السنة ٢٥٦/١
(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ١٣٥/٣
(٤) انظر المصدر السابق نفسه ، مجموع فتاوى ١٨٤/١٣ والحيدة ص ٤ - ٥ والبداية والنهاية ٢٧٣/١٠
(٥) مجموع فتاوى ١٨٤/١٣
(٦) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ١٣٥/٣

والمأمون يتوعده بالتعذيب والقتل ان لم يجب الى القول بخلق القرآن بل ويقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنه بسيفه ان لم يجب الى ما يريد ، فتوجه الامام احمد الى الله عزوجل بالدعاء وما قال : (اللهم فان يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته) وذلك لما سمع تهديده فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل .

فلما ولي الخلافة المعتصم وقد أوصاه أخوه المأمون أن يستمر في سيرته على القول بخلق القرآن ورجعوا الامام الى بغداد وأودعوه في السجن لمدة ثمانية وعشرين شهرا وقيل نيفا وثلاثين شهرا اى ما يقارب ثلاث سنوات (١) .

وبعد أن مكث في السجن لهذه المدة المذكورة أخرجوه الى الضرب بين يدى المعتصم وزادوا من قيوده فيقول هو عن نفسه : " فلم استطع أن أمشي بها اى من ثقل القيود قال : فكدت أن أسقط على وجهي وليس معي أحد يمسكني فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم ...) ، وحصلت المناظرة بين يدى المعتصم فانقطعوا معه في المناظرة ولما لم يأتوا بما يوجب موافقتهم وبيّن خطأهم فيما ذكروا من الأدلة الداحضة ، وكانوا قد جمعوا أئمة الكلام من أهل البصرة وغيرهم مثل محمد بن عيسى برغوث صاحب حسين النجار وأمثاله ، ولم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط بل شملت جنس الجهمية من المعتزلة وغيرهم كأنواع المرجئة .

وقد ظهر للخليفة المعتصم أمرهم وعزم على رفع المحنة لولا الحاح ابن أبى دؤاد عليه واشارته عليه انك ان لم تضربه والا انكسر ناموس الخلافة فضربه فعظمت الشناعه من العامة والخاصة فأطلقوه (٢) .

ومن هنا نعرف اهتمام الاسلام بالبطانة وأهميتها وتأثيرها العظيم على الناس وانظر كيف حول ابن أبي دؤاد تجاه الخليفة ثم ولى الخلافة الواثق بن المعتصم

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠/٣٣٢ وذكر محنة الامام احمد ص ٩ - ١٠ ومنهاج السنة ١/٢٥٦ و مجموع فتاوى ١٣/١٨٣ وشذرات الذهب ٢/٣٩ .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٠/٣٣٢ ، ومنهاج السنة ١/٢٥٦ - ٢٥٧ ومجموع فتاوى ١٣/١٨٣ - ١٨٤

وما أحدثه المأمون في خلافته تأييده لمذهب التشيع قال الامام الذهبي رحمه الله : (فلما قتل الامين واستخلف المأمون على راس المائتين نجم التشيع وابدى صفحته) (١) وقال : (وقويت شوكة الرافضة) (٢) وقال : (كان شيعيا) (٣) وكان يفضل عليا رضي الله عنه على سائر الخلفاء الراشدين وفي سنة ٢١١ هـ . اظهر المأمون التشيع وأمر ان يقال خير الخلق بعد النبي عليه الصلاة والسلام علي رضي الله عنه (٤) وبالنداء ان برئت الذمة عن ذكر معاوية (٥) بخير،(٦) وانشد المأمون ابياتا قال :

اصبح ديني الذى ادين به * ولست منه الغداة معتذرا
حب علي بعد النبي ولا * اشتم صديقا ولا عمرا
ثم ابن عفان في الجنان ال * ابرار ذاك القتيل مصطبرا
الا ولا اشتم الزبير ولا * طلحة ان قال قائل غدرا
وعائش الأم لست اشتمها * من يفتريها فنحن منه برا

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٨

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٢٩

(٣) العبر في خبر من غبر ١/ ٣٧٥

(٤) وانظر تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦١٩ والكامل ٦/ ٤٠٨، وكتاب دول الاسلام ١/ ١٠٠،١٠١

(٥) معاوية بن ابى سفيان الصحابي رضي الله عنه مذكور بالخير فهو صحابي وفضائل الصحابة رضي الله عنهم كثيرة قال الامام البخارى رحمه الله تعالى : باب فضائل اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وروى بسنده عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : (قال رسول الله عليه الصلاة والسلام يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقولون نعم فيفتح لهم ،ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقولون نعم، فيفتح لهم) صحيح البخارى ٥/ ٢ فذكر ثلاث مرات هل فيكم . . .) وفتح البارى ٧/ ٣ وهذا من فضائل الصحابة عامة قال ابن حجر رحمه الله باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بطريق الاجمال . . . اما الاجمال فيشمل جميعهم) فتح البارى ٣/٧ فكيف بمعاوية رضي الله عنه الذى كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ونقل ابن حجر عن المدائني قوله : كان زيد بن ثابت رضي الله عنه يكتب الوحى وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين العرب وقال ابن حجر ايضا : (وفي مسند احمد واصله في مسلم أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ادع لي معاوية وكان كاتبه) الاصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٣٤

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦١٨ وانظر كتاب دول الاسلام ١/ ١٠٠/ ١٠١

وقد قال غير واحد من ائمة السلف رضوان الله تعالى عليهم كايوب السختياني واحمد بن حنبل والدارقطني وغيرهم: من قدم عليا على عثمان فقد ازرى بالمهاجرين والأنصار وذلك اجتهادهم في ثلاثة أيام بالمشاورة فيما بينهم تم اتفاقهم على عثمان وتقديمه على علي رضي الله عنهما جميعا (١).

اما أفضلية الشيخين ابى بكر وعمر رضي الله عنهما وتقديمهما على علي رضي الله عنه فهذا أمر معروف وقد تقدم أنه قد تواتر عنه خير الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام ابوبكر وعمر وحكمه على من قدمه على الشيخين بالجلد المفترى (٢).

فقد خالف المأمون في تقديم علي رضي الله عنه على الشيخين الصحابة كلهم حتى عليا رضي الله عنهم جميعا (٣).

وقد حدث في خلافة المأمون غير ما سبق من خلق القرآن وحمله على الناس عامة والعلماء خاصة والتشيع المذكور، أمره بتعريب حكمة الأوائل ومنطق اليونان ورصد الكواكب، وليس هذا حكمة وانما آراء الوثنيين الباطلة فنعوذ بالله من الأهواء (٤).

و ورد في كتاب عصر المأمون قصة مفادها أن المأمون بعث الى حاكم صقلية النصراني أن يبادر بارسال الكتب الفلسفية في مكتبتهم الشهيرة الغنية بهذه الكتب ثم تردد هذا الحاكم في ارسالها وكان بين الحرص عليها والخوف من القوة المأمونية وهيبته، فجمع كبار رجال الدولة يستشيرهم في هذا الطلب فاشار عليه المطران الاكبر بقوله: ارسلها اليه، فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة الا أفسدتها فأذعن الحاكم لمشورته وعمل بها (٥).

و مما ذكر عن المأمون أنه كان يتحف ملوك الروم بالهدايا ويسألهم أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا اليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاختار لها مهرة التراجمة فترجمت. وكان يحض الناس على قراءتها ومما يحكى أن المأمون كان يعطي من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل (٦).

وقد جلبت ترجمة كتب الفلاسفة والمنطق انحرافا خطيرا وأدخلت في الاسلام أفكارا غريبة فأثرت

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٣٧٠ تحقيق د. محمد رشاد سالم وانظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٧

(٢) التمهيد ص

(٣) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٧

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٨ وانظر المصدر السابق نفسه ٢/ ٥٣٠

(٥) انظر الكتاب عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦

(٦) الأعلام للزركلي ٤/ ١٤٢ وعصر المأمون ١/ ٣٧٧.

في الدين وفي أصول الدين تأثيرا بالغا . وانتشرت بقوة السلطان ، وقد صور الامام الذهبي آثار البدع والأفكار الغريبة التي ظهرت في الدولة المأمونية فقال : (لا حول ولا قوة الا بالله ان البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار ، وتقع في الحيرة فالفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الأهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . (١)

هذا ما وصل اليه حال الأمة في الدولة المأمونية .

ثم من عهد الخليفة المتوكل على الله الى عهد الخليفة المعتمد على الله كانت السيادة لمذهب أهل السنة وقد أزيل الاعتزال ، وان ضعفت السلطة في مركز الخلافة وسيطر الجند عليها .

وكما أشرنا الى أن الحالة العلمية في عصر بنى العباس كانت على درجة عالية من الازدهار والتوسع كما كثر العلماء المشهورون الكبار وقد برز في هذا العصر وهو الذى عاش فيه ابن كرام أعنى القرن الثاني والثالث أئمة العلم في مختلف العلوم .

ففي الفقه كان الأئمة أبى حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ والأوزاعى المتوفى سنة ١٥٧ هـ . وسفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١ ومالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ وأبى يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ . ومحمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ صاحبى أبى حنيفة والشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ . وأحمد المتوفى سنة ٢٤١ هـ والمزني ، اسماعيل بن يحيى المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، والربيع ابن سليمان المرادى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ صاحبى الشافعى ، وداود الظاهرى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ .

وفي الحديث كان الأئمة المذكورون الفقهاء من المحدثين بل كان بعضهم من أئمة الحديث كسفيان الثورى والأوزاعي ومالك وأحمد ، ومن أئمة الحديث أيضا أمثال معمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ هـ ، ومسعر بن كدام المتوفى سنة ١٥٥ هـ . وابن أبي ذئب المتوفى سنة ١٥٩ هـ وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ وحماد بن سلمة المتوفى سنة ١٦٧ هـ . وحماد بن زيد المتوفى ٧ أو ١٦٨ هـ والفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩ وانظر المصدر السابق نفسه ٢/٥٣٠

وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ و وكيع ابن الجراح المتوفى سنة ١٩٧ هـ وعلي بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ ويحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وابى بكر ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٥٣ هـ واسحاق بن راهوية المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، والبخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ. وأبى داود المتوفى سنة ٢٧٥ هـ والترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وأبى سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وهو الذى طرد ابن كرام من هراة كما تقدم (١) والنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ وابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد أخرج ابن كرام من نيسابور كما سبق (٢) وفي التفسير امام المفسرين أبو جعفر الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وهو امام المؤرخين أيضا .

وفي اللغة برز الأئمة في ذلك أمثال يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ. أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ. وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ. وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٣ هـ وأبو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ وأبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وغيرهم .

وفي القرن الثالث الهجرى لما بلغ ابن كرام مبلغ الرجال فطلب العلم ودرس و وعظ و وصل الى أن كان شيخا له تلاميذ بل شيخا لفرقه الكرامية ، ففي هذا العصر كان أسعد وأزهر عصور السنة وأعظمها وأحفلها بعظماء المحدثين وجهابذة العلماء وحذاق الناقدين الحفاظ ، المؤلفين فكان خلاصة ثمرة عصور السابقة في جمع هذا العلم وتصنيفه .

ولم يجمع الحديث من صدور الحفاظ في أول الأمر كما جمع القرآن الكريم في عهدى أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما (٣) الا لما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الامام ابن شهاب الزهرى رضي الله عنه بجمع الحديث (٤) كما كتب في ذلك الى والي المدينة والى الآفاق بجمع الحديث (٥) ثم تتابع التأليف وقد كان تدوين الحديث على طرق مختلفة :

---

(١) رحلات ابن كرام ص ٨ من الرسالة .
(٢) رحلات ابن كرام ص ٩ من الرسالة .
(٣) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن .
(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله ٧٦/١ وانظر السنة قبل التدوين ص ٣٣٠
(٥) أنظر السنة قبل التدوين ص ٣٢٩ ، ٣٣٠

الطريقة الأولى : هي جمع الأحاديث على المسانيد فجعلوا حديث كل صحابي على حدة سواء كانت هذه الأحاديث صحيحة أو غير صحيحة ، وممن كتب على هذه الطريقة الامام أبو داود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٤ هـ) وتبعه في ذلك العلماء ثم اقتفى الأئمة آثارهم كالامام احمد واسحاق بن راهويه وغيرهما (١) .

الا أن درجة الحديث من الصحة والضعف في هذه المسانيد لا يتوصل اليها الا أهل هذا الشأن وكذا معرفة الأحكام الشرعية فيها .

الطريقة الثانية : هي التصنيف على الأبواب أي تخريج الأحاديث على أبواب الفقه ، وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع من الأحاديث في باب مستقل لكي يتميز كل باب عن الآخر .

- وقد فرقوا بين حديث الصحيح وغير الصحيح فاجتهدوا في تقريب الحديث الصحيح (٢) كما اقتصر بعض أصحاب هذه الطريقة على ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل الامام البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأصحاب السنن الأربعة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

وهذه خدمة جليلة في تيسير وتقريب سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وهناك بعض علماء الحديث صنفوا فيما طعن أهل الكلام ووجهوها الى أهل الحديث وسواء هذه الطعون موجهة الى اشخاصهم من العدالة والضبط أو كانت موجهة الى ما حملوه من الحديث ثم يردون على هؤلاء المتكلمين بابطال آرائهم وتنزيه ساحة الأئمة المحدثين فممن صنف في ذلك من العلماء الامام الحافظ المتقن على بن المديني في كتابه "اختلاف أهل الحديث" شيخ البخاري ، والامام ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في كتابه تأويل مختلف الحديث وقد صنف علماء السلف في مجال العقيدة الاسلامية كتبا كثيرة ورسائل عديدة وشهد ذلك ابن كرام كما صنف الحافظ ابوبكر بن أبي شيبة العبسي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ

---

(١) انظر السنة قبل التدوين ص ٣٣٩

(٢) انظر مقدمة صحيح مسلم ٦/١ .

ألف "كتاب السنة"، وكذلك يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي الحافظ المتوفى سنة ٢٢٦ هـ، وأبو عبد الله نعيم بن حماد المروزى المتوفى سنة ٢٢٨ هـ. وعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخارى المتوفى سنة ٢٢٩ هـ الذى ألف "كتاب الرد على الجهمية" وألف الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ "كتاب الرد على الجهمية والزنادقة"، وصنف الامام البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ "كتاب خلق أفعال العباد" "والرد على الجهمية"، كما ألف ابو بكر احمد بن محمد بن هانىء الأثرم البغدادى تلميذ الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ "كتاب السنة" وصنف أبو علي حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل أيضا المتوفى سنة ٢٧٣ هـ "كتاب السنة".

ومن صنف في السنة في هذا المجال من علماء السلف غير من تقدم الامام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، وأبو بكر احمد بن عمرو ابن النبل الشيباني البصرى المتوفى سنة ٢٧٧ هـ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠ هـ، وأبو بكر احمد بن علي بن سعيد المروزى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ. وغيرهم، كما صنف الامام ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى المتوفى سنة ٢٨٠ هـ "كتاب الرد على الجهمية" "وكتاب الرد على بشر المريسي".

وصنف أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن مندة العبدى المتوفى سنة ٣٠١ هـ "كتاب التوحيد"، وكذا فعل الحافظ أبو بكر محمد بن اسحاق ابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ. وغير هؤلاء من علماء السلف الذين ألفوا في مجال عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على أهل الأهواء والبدع، فصنفوا في الايمان كما فعل الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم ابن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وكذا فعل الامام الحافظ أبو بكر ابن أبى شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وقد صنفوا في جميع مجالات عقيدة أهل السنة والجماعة ويضيق المجال عن بيان ذلك.

كما صنف في التفسير تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)، وفي التاريخ تاريخ الرسل والملوك لنفس المؤلف على سبيل المثال.

الباب الثاني

موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من الكرامية في الالهيـــــات

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الذات الالهية .

الفصل الثاني : صفات الذات العقلية والخبرية.

الفصل الثالث : الصفات الفعلية .

الفصل الرابع : موقف الكرامية من رؤية الله عزوجل .

الفصل الخامس : موقف الكرامية من التحسين والتقبيح العقليين.

الفصل السادس : فرق الكراميـــة .

الفصل الأول

الـــذات الالهيـــــة

١ - تمهيد لافتراق الأئمة.

٢ - موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجسم على الله عزوجل.

٣ - موقف الكرامية من اطلاق لفظ التحيز على الله عز وجل.

٤ - موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجوهر على الله عزوجل.

٥ - موقف الكرامية من الاستواء على العرش .

٦ - موقف الكرامية من علو الله عز وجل .

الفصل الأول

الذات الإلهية

تمهيد :

سنحاول في هذا التمهيد أن نتناول الأمور الآتية :

أولا : ظهور الفرق .

ثانيا : أسباب ظهور هذه الفرق .

ثالثا : موقف الأمة من هذه الفرق .

رابعا : منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد .

ويعتبر هذا التمهيد مهما جدا في نظري اذ نتعرض لفرقة من فرق الكلام تلك هي الكرامية .

وسأشير في مستهل التمهيد أن الصحابة رضوان الله عليهم وسلف الأمة قد حفظوا لنا الكتاب والسنة وفهموهما فهما جيدا ووعوهما وذلك رد على من قال إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعلم الحق كما علمه الفلاسفة والجهمية ، وبعضهم قالوا علم الحق لكنه أظهر خلافه وكذب وقال : باطلا من أجل مصلحة الجمهور الذين لا يفهمون الا ظواهر الشرع التي هي باطل وكذب ومخالف للحق ، وادعوا أن الحق هو آراؤهم .

وقد تأثر بهؤلاء قوم ممن قدم العقل وما سموه ببراهين ودلائل عقلية وحجج قاطعة على ما سموه ظواهر الشرع الظنية .

كما أذكر الفرق الأخرى كذلك من الخوارج والقدرية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم .

الا أنني أود أن أبدأ بادئ ذي بدء أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن الكتاب ووضحه خير بيان وأن الصحابة تعلموا منه الكتاب كله والسنة وفهموهما فهما صحيحا وحملوهما لفظا ومعنا . وكذا التابعون تعلموا من الصحابة القرآن كله . وبلغوهما لمن بعدهم .

وكان جيل الصحابة رضوان الله عليهم يتربون بأدب القرآن الكريم ويستمعون اليه ويتلونه ويتدبرونه وقد بين لهم النبي عليه الصلاة والسلام معاني القرآن الكريم كما بين لهم ألفاظه قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) (١)، يتناول ألفاظه ومعانيه ، قال أبو عبد الرحمن (٢) السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي عليه الصلاة والسلام عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا) (٣) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (والذى لا اله غيره ، ما نزلت آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت ؟ وأين نزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم مني بكتاب الله تناله المطايا (٤) لأتيته) (٥) .

وفي موطأ للامام مالك رحمه الله تعالى : (أنه بلغه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها) (٦) .

قال الإمام أبو جعفر الطبرى رحمه الله تعالى : (وفي حث الله عزوجل عباده على الاعتبار بما في آى القرآن من المواعظ والبينات بقوله جل ذكره لنبيه عليه الصلاة والسلام (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الألباب (٧) . وقوله تعالى : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون) (٨) قال : وما أشبه ذلك من آى القرآن ... وقال : (لأنه محال أن يقال

---

(١) سورة النحل آية : ٤٤

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي المقرى ثقة ثبت من كبار التابعين توفي سنة ٧٣ انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٥٨ - ٥٩ وتقريب التهذيب لابن حجر ٤٠٨/١

(٣) أنظر تفسير الطبرى ٨٠/١ ، والقرطبي ٣٩/١ ، مجموع فتاوى ١٥٦/٥ ، مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥ - ٣٦ القاعدة المراكشية لابن تيمية ص ٢٨ .

(٤) المطى والمطايا جمع مطية وهي الناقة التي يركب مطاها أى ظهرها انظر النهاية لابن الأثير ٣٤٠/٤ ، قاموس المحيط مادة مطا .

(٥) تفسير الطبرى ٨٠/١ قال شيخ احمد شاكر الحديث أخرجه البخارى ، فتح البارى ٤٥/٩ - ٤٦ ، ولفظه : " تبلغه الابل لركبت اليه " ، مجموع فتاوى ١٥٦/٥ ، مقدمة فى أصول التفسير ص ٣٦ ، القاعدة المراكشية ص ٣٨

(٦) الموطأ للامام مالك ص ١٣٧-١٣٨ كتاب الصلاة باب ما جاء في القرآن رقم ٤٩٧ رواية يحيى بن يحيى الليثي شرح وتعليق أحمد راتب عرموش دار النفائس ، بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م . القرطبي ٣٩/١ - ٤٠ ، مجموع فتاوى ١٥٦/٥ .

(٧) ص : ٢٩ .

(٨) الزمر : ٢٧ - ٢٨ .

لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : (اعتبر مالا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام الا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبره) (١) .

وبين تعالى أن القرآن أنزل باللغة العربية لأن يعقلوه قال تعالى :(انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (٢) ،والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه (٣)

ومن التابعين من يتلقى جميع التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم ،كما قال الإمام مجاهد : "عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات ،من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها (٤) .

وكل واحد من أصحاب عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قد نقلوا عنه من التفسير مالا يحصيه الا الله (٥) .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ،فالقرآن أولى بذلك) .وقال أيضا (وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم ،كالطب والحساب ،ولا يستشرحوه ،فكيف بكلام الله تعالى الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم ،وقيام دينهم ودنياهم) (٦) .

فالصحابة رضي الله عنهم في عصر النبى عليه الصلاة والسلام شاهدوا التنزيل وسمعوه وأتلوه وتدبروا ،وما أشكل عليهم سألوا النبى عليه الصلاة والسلام ،وكان ذلك في الأمور الشرعية العملية غير الاعتقادية ،كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ما رأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض النبى عليه الصلاة والسلام كلهن في القرآن ... يسألونك عن المحيض، ويسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن اليتامى ... ما كانوا يسألونه الا عما ينفعهم) (٧) .

---

(١) أنظر تفسير الطبرى ١ / ٨٢ ،انظر مجموع فتاوى ٥ / ١٥٧ - ١٥٨ ،

(٢) يوسف : ٢

(٣) جامع البيان ١ / ٨٢ القاعدة المراكشية ص ٣٠ مجموع فتاوى ٥ / ١٥٨

(٤) جامع البيان ١ / ٩٠ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٧ ، تفسير ابن كثير ١ / ١٠

(٥) القاعدة المراكشية ص ٣٢ مجموع فتاوى ٥ / ١٥٩

(٦) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٧ ، القاعدة المراكشية ص ٢٩ مجموع فتاوى ٥ / ١٥٧

(٧) أعلام الموقعين لابن القيم ١ / ٧١

ويقول الامام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة ايمانا ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ...) (١) .

ويقول المقريزى (٢) في الخطط: (اعلم أن الله تعالى لما بعث الى العرب نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام رسولا الى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الأمين ... فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام ... اذ لو سأله انسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام ... ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم ولا فرق أحد منهم من كونها صفة ذات أو صفة فعل) (٣) ، وذكر البغدادى أن الصحابة رضي الله عنهم على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي سائر أصول الدين وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه . (٤) .

وقال : وكانوا على هذه الجملة في أيام أبى بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنهم . (٥) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٤٩ .

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدى البعلي الأصل القاهرى تقي الدين المقريزى ، مؤرخ الديار المصرية ونسبته الى حارة المقارزة من حارات بعلبك في أيامه ولد سنة ٧٦٦ - ٨٤٥ في القاهرة ونشأ ومات بها قال السخاوى : قرأت بخطه أن تصانيفه زادت عن مئتى مجلد كبار انظر شذرات الذهب ٧/ ٢٥٤ - ٢٥٥ ، البدر الطالع للشوكاني ١/ ٧٩ - ٨٠ ، الاعلام ١/ ١٧٢ - ١٧٤

(٣) الخطط للمقريزى ٤/ ١٨٠ - ١٨١ ، العقائد السلفية لاحمد بن حجر آل بوطامي ص ٥ مفتاح السعادة ٢/ ٣٢

(٤) الفرق بين الفرق في المقدمة ، الفصل الثاني في أصول الدين الاسلامي ص ٣ أنظر

(٥) الفرق بين الفرق في المقدمة الفصل الثاني .

وقال الشهرستاني : (أما الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه الصلاة والسلام) وبعد وفاته بين الصحابة رضي الله عنهم فهي اختلافات اجتهادية كان غرضهم فيها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين (١) .

وهكذا كان الواقع الذى عاش فيه الصحابة رضوان الله عليهم في اتفاق في أمور الدين ، وقد اهتموا بما أمر الله تعالى به وترك ما نهى عنه ، وصاروا على الأمور الاعتقادية على المنهج الذى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ، ولم يخوضوا في التأويل ولم يكن بينهم اختلاف ولا نزاع كما كان الحال في الفروع (٢) ، بل كانوا مجمعين على اثبات ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام من صفات الله تعالى اقتفى آثارهم التابعون ، وكما ذكر سيد قطب رحمه الله تعالى فان الصحابة كانوا جيلا قرآنيا فريدا لم يكن في التاريخ جيل مثلهم قبلهم، نعم وجد أفراد مثل هذا الطراز لكن لم يحدث أن تجمع مثل هذا العدد الضخم (٣) .

وقد ظهرت بعض أحداث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها زالت بعد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنها روى اللالكائي باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فكأنما فقئ (٤) في وجهه حب الرمان فقال : (أبهذا أمرتم ، أو بهذا وكلتم ... أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، أنظروا الى ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه) (٥) .

وهذا النزاع بين الصحابة رضي الله عنهم في القدر في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لم يتكرر بعد أن أنكر عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بل المعروف فيما بعد من الصحابة رضي الله عنهم الانكار الشديد على القائلين بالقدر كما سنرى ان شاء الله تعالى .

---

(١) الملل والنحل ٢٢/١

(٢) تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام لعلي مصطفى الغرابي ص ١٤ .

(٣) معالم في الطريق ص

(٤) الفقء الشق والبخص وهو لحم ناتيء فوق العينين أوتحتها كهيئة النفخة . النهاية (*)

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة ٦٢٧/٤ برقم ١١١٩ ، والحديث رواه الامام احمد في مسنده برقم ٦٨٤٥ - ٦٨٤٦ وغيره . وقال الشيخ احمد شاكر صحيح ، ورواه ابن ماجه برقم ٨٥ قال محمد فؤاد عبد الباقي : في الزوائد : هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص ٢١٨ ، وانظر شرح السنة للبغوى برقم ١٢١ .

(*) لابن الأثير ٢٠٨/٣ وقاموس المحيط مادة البخص .

ومثل هذا وقع في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك قصة صبيغ الذي كان يسأل عن متشابه القرآن فضربه عمر حتى تاب كما رواه اللالكائي بسنده عن سليمان بن يسار: أن رجلا من بني غنيم يقال له صبيغ بن عسل (١) قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث اليه وقد أعد له عراجين النخيل، فلما دخل عليه جلس قال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر وأومأ عليه فجعل يضربه بتلك العراجين فمازال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل عن وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب الذي أجده في رأسي (٢). وقد نهى عمر رضي الله عنه عن التعمق والتكلف (٣) وذلك تحقيق مافي الحديث (هلك المتنطعون) (٤)، وهذه الحادثة أيضا لم تتكرر فيما بعد.

وقد سار الخلفاء الراشدون على ما سار عليه النبي عليه الصلاة والسلام من الاهتمام بالعقيدة واعتنوا بأوامر الله ولم يحدث في التاريخ شيء من خلاف في ذلك. (٥)

١ - بدعة الخوارج :

وهكذا انقضى عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين في صفاء العقيدة التي لا يشوبها شيء من الإنحرافات والخلافات غير أنه ظهرت بعض رؤوس الفرق المبتدعة من الخوارج والشيعة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين (٦) في خلافة الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عقب الخلافات التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم باجتهاد منهم تلك هي الفتنة التي راح ضحيتها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي تولى كبرها اليهودي اليمني عبد الله بن سبأ بن السوداء الذي أظهر الاسلام وأبطن الكفر وكاد للمسلمين كيدا لا يزالون يعانون آثاره، لأنه هو الذي ألب الثوار على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قتلوه، وهو الذي أحدث القول بوصية الرسول عليه الصلاة والسلام لعليّ بالإمامة من بعده بالنص، وأحدث القول بالرجعة. أي أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه سيرجع من بعد موته الى الدنيا، وزعم أن عليا

---

(١) عسل بكسر أوله وسكون الثاني.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٦٣٥ - ٦٣٦ برقم ١١٣٨، أنظر سنن الدارمي بالباب الثاني من المقدمة باب كراهة الفتيا، تفسير القاسمي وهامشه لمحمد فؤاد عبد الباقي ١/ ٩٩ - ١٠٠

(٣) تفسير ابن كثير الآية (وفاكهة وأبا)، وتفسير القاسمي ١/ ٩٩

(٤) صحيح مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون، انظر شرح النووى ١٦/ ٢٢٠ وانظر شرح السنة للبغوى ١٢/ ٣٦٧

(٥) اصول الدين الاسلامي ص٣٣، العقائد السلفية لأحمد بن حجر.

(٦) أنظر منهاج السنة ١/ ٢٢٠ تحقيق محمد رشاد. مطبعة المدني.

رضي الله عنه لم يقتل ، وأنه حي وأن فيه جزءاً الهيا ، وأنه هو الذى يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه لا بد أن ينزل الى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ، ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وغيرهم (١) ، وقد أحرق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعض الغلاة بالنار وهم الفرقة السبئية (٢) ، وفي عصر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه خرجت الخوارج في سنة ٣٧هـ (٣) وأنكروا على علي رضي الله عنه قبوله أمر التحكيم وقالوا حكم علي رضي الله عنه الرجال في دين الله تعالى ولا حكم الا لله مع أنهم هم الذين أكرهوه على ذلك لما رفع أصحاب معاوية رضي الله عنه المصاحف (٤) ، فأخبرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنهم أكرهوه على ذلك لكنهم قالوا : ذلك كان منا كفرا وتبنا الى الله تعالى منه فتب كما تبنا والا فنحن مخالفون (٥) .

وقد حاول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يجيب على أوهامهم وتأويلاتهم الباطلة واستدلالتهم كقوله تعالى (لا حكم الا لله) ، وبين لهم أنه لم يحكم الرجال وانما حكم القرآن ، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال ، وأنه قد اشترط على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، وان أبيا فنحن عن حكمهما براء (٦) .

وقال علي رضي الله عنه لما قالوا : (لا حكم الا لله) : الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل ، أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدأونا وانما فيكم أمر الله (٧) .

غير أن الخوارج لم يرجعوا الى صوابهم وإنما تمادوا في الباطل ، بل أفسدوا الأرض حتى قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أضجعوه تحت شجرة فذبحوه ، وبقروا بطن زوجه وهي حامل ، وقتلوا غيرهما في حين يرضون أهل الذمة في خنزيرهم (٨) فطلب علي رضي الله عنه منهم القتلة ليقتلهم بهم ويتركهم ،

---

(١) انظر كتاب الخطط للمقريزى ٤/ ١٨٢ مقالات الاسلاميين ١/ ٨٥ ، تاريخ المذاهب الاسلامية لأبي زهرة ١/ ٤١ ، تاريخ الفرق الاسلامية لعلي مصطفى الغرابي ص ١٠ هم الذين رفضوا امامة ابي بكر وعمر أو رفضوا الدين . المقالات ١/ ٨٧ .

(٢) انظر كتاب الخطط للمقريزى ٤/ ٨٢ ومنهاج السنة ١/ ٩١ تحقيق د . محمد رشاد سالم .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٦٤ الكامل ٣/ ٣٢٦ ، العبر ١/ ٤٢ ، البداية والنهاية ٨/ ٢٧٧

(٤) الفصل لابن حزم ٢/ ٢٣٦ ، العبر ١/ ٤٢ ، الملل والنحل ١/ ١٢٢

(٥) الكامل ٣/ ٣٢٨

(٦) الكامل ٣/ ٣٢٨

(٧) " ٣/ ٣٣٥

(٨) انظر الكامل ٣/ ٣٤١ - ٣٤٢

قالوا كلنا قتلناهم ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ، ووعظهم علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة فلم تنفعهم الموعظة فقال علي رضي الله عنه لأصحابه "لا تبدأوا بالحرب حتى يبدأوا، فبدأت الخوارج فقاتلهم فأمر من استأمن منهم أن يؤمن (١).

ويجمعهم من الآراء تكفير عثمان وعلي واصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم و وجوب الخروج على السلطان الجائر وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر الا النجدات منهم (٢). / ويلقبون بالخوارج (٣) والحرورية (٤)، والنواصب (٥) والمارقة (٦) والشراه (٧) والبغاة والمحكمة لأنهم قالوا لا حكم إلا لله.

٢- بدعة التشيع :

وقد كان التشيع في البداية معتدلا إذ أن بعض الصحابة يحبون عليّا أكثر وبعض الآخر يحبون عثمان أكثر رضي الله عنهم جميعا ولم يشمل ذلك الشيخين أبوبكر وعمر بل كانوا متفقين على إمامتهما. قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وتواتر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : (خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر) قال : وهذا متفق بين قدماء الشيعة وكلهم كانوا يفضلون أبابكر ثم عمر رضي الله عنهما، وإنما كان النزاع في عليّ وعثمان حين صار لهذا شيعة ولهذا شيعة، وأما أبوبكر وعمر لم يكن أحد يتشيع لهما بل جميع الأمة كانت متفقة عليهما حتى الخوارج فانهم يتولونهما وانما يتبرأون من علي وعثمان (٨).

---

(١) أنظر الكامل ٣ / ٣٤٣ - ٣٤٦، أنظر منهاج السنة ١ / ٢١٩ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٢) مقالات الاسلاميين ١ / ١٥٦ - ١٥٧، الفرق بين الفرق ص ٧٣ الملل والنحل ١ / ١١٥

(٣) الخوارج : جمع خارج وهو الذى خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألب عليه وعلماء الفقه يسمونهم البغاة وفرقة الخوارج معروفة وهي التي تقول بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار.

(٤) الحرورية : نسبة الى حروراء قرية بظاهر الكوفة (معجم البلدان) وقيل موضع على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا الامام علي رضي الله عنه فنسبوا اليها.

(٥) النواصب : جمع ناصبي وهو الغالى في بغض علي رضي الله عنه.

(٦) المارقة بمعنى أنهم ، مارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

(٧) الشراة : اسم الفاعل من شرى الشر من باب رضي ، اذا استطار وزاد وتفاقم.

(٨) النبوات لابن تيمية ص ١٣٢ - الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ بمصر وانظر منهاج السنة ١ / ٧ و ٢٢٠.

وقد روى عن أمير المؤمنين علي رضي اللهعنه أنه قال : (لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا جلدته حد المفترى) (١) .

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يبالغ في عقوبة من يسب أبابكر وعمر رضوان الله عليهم جميعا (٢) .

وقد سبق أن فرق الشيعة/الغلاة تفرعت من السبئة أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى (٣) ثم تعددت هذه الفرق وكثرت ، منها الغالية (٤) والروافض (٥) والزيدية (٦) كما ذكر ذلك الأشعرى وغيره .

٣- بدعة القدرية :

ان الحديث عن القدر بمعنى أن أفعال العباد بمشيئة الله تبارك وتعالى وأن العبد ليس له قدرة ولا ارادة وانما هو كالريشة المعلقة في الهواء يعيدنا الى قول المشركين الذى حكى اللهعنهم بقوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) (٧) .

فمشركوا العرب بمكة ذكروا أن كفرهم وشركهم من مشيئة الله تبارك وتعالى فبين الله عزوجل أن طوائف الكفر الذين سبقوهم أشركوا بالله تعالى وحرموا مالم يحرمه وجادلوا رسلهم عليهم الصلاة والسلام بالباطل واستهزأوا بهم فهم فعلوا مثل فعل هؤلاء (٨) . وهذا إبطال لأمر الله تعالى ونهيه بقضائه وقدره (٩) .

المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٦هـ

(١) النبوات ص ١٤٢ / انظر منهاج السنة ١ / ٧ ، ٢٢٠ وقد ثبت في صحيح البخارى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي أيّ الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبوبكر قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر) البخارى ٥ / ٧

(٢) انظر النبوات ص ١٤٢ ، انظر منهاج السنة ١ / ٧ ، ٢٢٠

(٣) ص ٧٣ من هذه الرسالة .

(٤) هم الذين غلو في علي رضي الله عنه وقالوا فيه قولا عظيما كتأليه ، كالبيانية والمغيرية والمنصورية وغيرهم المقالات ١ / ٦٦

(٥) تقدم في هامش (١) ص ٧٣ .

(٦) الزيدية : اتباع زيد بن علي بن الحسين ، ساقوا الامامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت امامة في غيرهم الا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد ، أن اماما بالملل والنحل / ١٥٤ .

(٧) النحل : ٣٥ .

(٨) المحقق المفسر صديق بن حسن ص ١٣ فتح البيان ٥ / ٢٢٩٥

(٩) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٨ .

فقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله عليه الصلاة والسلام في القدر، فنزلت: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ،انا كل شيء خلقناه بقدر) (١)

وقد تقدم أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم حصل منهم كلام في القدر في حياة النبي عليه الصلاة والسلام فنهاهم ،عن ذلك فانتهوا ولم يثيروا بعدها .

ثم ظهر الكلام في القدر في عصر بني أمية في أواخر زمن الصحابة رضوان الله عليهم (٢) أظهره معبد الجهني (٣) ويتضمن قوله انكار قضاء الله وقدره السابق (٤) فأنكر عليه الصحابة رضوان الله عليهم ،روى الامام مسلم رحمه الله تعالى ورضي عنه في صحيحه عن يحيى بن يعمر (٥) قال : (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني قال فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري (٦) حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي ... فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون (٧) العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر والأمر أنف) (٨)

---

(١) القمر : ٤٨ ، ٤٩ ،صحيح مسلم كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ح : (٢٦٥٦) و رواه الامام أحمد ٢/ ٤٤٢، ٤٧٦ الترمذي ح : ٢١٥٧ وقال صحيح وابن ماجه ح : ٨٣ وأحد الرواة زياد بن اسماعيل المخزومي مختلف فيه والحديث في صحيح مسلم تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٤ ، تحفة الأحوذي ٦/ ٣٧١

(٢) ابن حجر فتح الباري ١/ ١١٩ ،البداية والنهاية ٩/ ٣٤ ،الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٨ در٥/ ٢٤٤ ،النبوات ص ١٣٣ طبعة المنيرية سنة ١٣٤٠هـ. بمصر، أنظر منهاج السنة ١/ ٢٢٠ د . محمد رشاد سالم .

(٣) معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري أول من قال بالقدر في البصرة وعنه أخذ غيلان ، خرج مع ابن الأشعث علي الحجاج الثقفي فقتله سنة ٨٠ ،انظر ترجمته في التهذيب ١٠/ ٢٢٥ - ٢٢٦ ،البداية والنهاية ٩/ ٣٤ ،شذرات الذهب ١/ ٨٨ ،الاعلام ٧/ ١٧٧ .

(٤) شفاء العليل ص ٢٨ .

(٥) بفتح التحتانية والميم بينهما مهملة ساكنة ،البصري ثقة مات قبل المائة وقيل بعدها تقريب التهذيب ٢/ ٣٦١ .

(٦) هو بصري ثقة من الثالثة . تقريب التهذيب ١/ ٢٠٣ .

(٧) (يتقفرون العلم) بتقديم القاف على الفاء ومعناه يطلبونه ، ويتتبعونه هذا هو المشهور ، وقيل معناه يجمعونه رواه بعض شيوخ مغاربة عن طريق ابن ماهان ، يتفقرون بتقديم الفاء وهو صحيح أيضا معناه يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٥٥

(٨) صحيح مسلم في الايمان - باب الايمان والاسلام والاحسان ح : ٨ وشرح النووي ١/ ١٥٥ - ١٥٦ ،مجموع فتاوى ٨/ ٤٣٠ ، فتح الباري ١/ ١١٩ .

فأنكر عليهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وتبرأ منهم وحلف بالله تعالى أن الله عزوجل لا يقبل منهم شيئا، حتى يؤمنوا بالقدر ولو أنفقوا مثل أحد ذهبا (١). وهكذا رأينا أن أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني غير أنه أخذ هذه الفكرة عن النصراني الذى أسلم ثم تنصر ويقال له سوسن (٢)، روى اللالكائي بإسناده إلى الأوزعي يقول: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد (٣) وروى اللالكائي باسناده عن حماد بن زيد عن ابن عون قال: (أدركت الناس وما يتكلمون الا في علي وعثمان حتى نشأ ها هنا حقير يقال له: (سنسويه البقال) قال: فكان أول من تكلم بالقدر، قال حماد بن زيد: (ما ظنكم برجل يقول ابن عون هو حقير) (٤).

وقد رد على هؤلاء القدرية الصحابة والتابعون وتقدم قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما رد عليهم عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعا و واثلة بن الأسقع وغيرهم (٥)، وروى الآجرى باسناده في الشريعة الى أن ابن عباس رضي الله عنهما قيل له (ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو يومئذ أعمى فقالوا: وما تصنع به؟ قال: والذى نفسي بيده لئن استمسكت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدى لأدقنها، والذى نفسي بيده لا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله عزوجل من أن يكون قدر الخير كما أخرجوه من أن يقدر الشر) (٦).

وقال طاووس هذا معبد فأهينوه (٧).

---

(١) هذا معنى كلام عبد الله بن عمر رضي الله عنه. صحيح مسلم في الايمان باب الايمان والاسلام والاحسان ح: ٨.

(٢) أختلف في اسمه فمنهم من قال سوسن كما هنا، ومنهم من قال سنسويه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومنهم من قال سنهويه وقيل غير ذلك ابن سعد الطبقات ٧/ ٢٦٤ البداية والنهاية ٩/ ٣٨

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٧٥٠ - الشريعة ص ٢٤٢،

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٧٤٩ برقم ١٣٩٦، الابانة ٢/ ٤١٤

(٥) النبوات لابن تيمية ص ١٣٩، منهاج السنة ١/ ٢٢٠ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٦) ص ٢٣٨، وانظر ص ٢٤١

(٧) شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٦٣٧ الشريعة ص ٢٤١.

ونهى الحسن عن مجالسة معبد الجهني (١) وقال : (انه ضال مضل) ويعني قول القدرية هذا (لا قدر والأمر أنف) نفي علم الله تبارك وتعالى بالكائنات وقدره (٢) فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بخسها حظها وأهملها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود الى مشيئة العبد ومنقطع من مشيئة العزيز الحميد (٣) . وقد ذكر بعض العلماء أن فرقة القدرية الأولى قد انقرضت قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم رحمه الله تعالى:(قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه(٤) .

فهؤلاء هم القدرية الغلاة كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد أنكروا علم الله سبحانه وتعالى السابق لما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه وأن أعمالهم تجرى على ما سبق في علمه وكتابه . كما أنكروا القسم الثاني من القدر وهو أن الله تبارك وتعالى خلق أفعال العباد كلها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم (٥) .

ونقل الحافظ بن حجر عن القرطبي قوله : (والقدرية اليوم مطبقون على أن الله تبارك وتعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول (٦) . وقد قال كثير من السلف رحمهم الله تعالى : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقروا به خصموا وان جحدوا فقد كفروا كما نص على ذلك الامام مالك والشافعي والامام أحمد وكذلك غيرهم من أئمة الاسلام (٧) .

وقد تبنت المعتزلة القول بالقدر فيما بعد وتعددت الفرق القائلة به وتفرقت مذاهبها حوله ، وقالوا : (ان الله تعالى لا يخلق الشر) (٨) .

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٦٣٧ برقم ١١٤١ ، السنة لعبد الله بن أحمد ص ١٠٨ والابانة لابن بطه العبكرى ٤١٩ ، والشريعة للآجرى ص ٢٤١ .

(٢) اللالكائي ٤/ ٧٣٧ ، السنة لعبد الله بن احمد ص ١٠٩ ، الشريعة للآجرى ص ٢٤١ ، الابانة لابن بطة ٢/ ٤٤٤ البداية والنهاية ٩/ ٣٤ ، شرح صحيح مسلم للنووى ١/ ١٥٤ - ١٥٦

(٣) شفاء العليل ص ٣ ، فتح البارى ١/ ١١٩

(٤) ١/ ١٥٤ ، فتح البارى ١/ ١١٩ نقلا عن القرطبي ولم أجد في تفسيره ، جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٦١ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ٨/ ٤٣٠ ، درء ١/ ٦٥ ، ٢٥٤ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٦٠ - ٦١

(٦) فتح البارى ١/ ١١٩ ، شرح صحيح مسلم للنووى ١/ ١٥٤ ، جامع العلوم والحكم ٦١/١ أنظر مجموع فتاوى ٨/ ٤٢٩

(٧) أنظر مجموع فتاوى ٨/ ٤٣٠ ، وانظر جامع العلوم والحكم ١/ ٦١ وانظر فتح البارى ١١٩/١

(٨) الخطط للمقريزى ٤/ ٢١٣ .

٤- بدعة الإرجاء :

الارجاء في اللغة معروف وهو التأخير (١) ، أما في اصطلاح مؤرخي العرق و/المقالات فهو تأخير العمل عن الايمان (٢) وقد قسم بعضهم الى قسمين : أولهما جعل الأعمال غير داخلة في حقيقة الايمان مع أنها فرائض و واجبات تركها يجعل الانسان تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (٣)

ثانيهما : هو تأخير العمل عن حقيقة الايمان وأن الأعمال ليست ضرورية ولا مفروضة ولا يتعلق بتركها العقاب هو قولهم : (لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة) ، وهذا هو الارجاء الحقيقي (٤) .

وثالثهم : قيل الإرجاء تأخير صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار (٥) ، وقيل غير ذلك والحقيقة أن هذا ليس من الارجاء الاصطلاحي ، وأول من أظهر الارجاء هو الحسن بن محمد الحنفية المتوفى سنة ٩٩ هـ . ولم يكن ذلك ارجاء يتعلق بالايمان وانما كان مقابلا وردًا لفعل الخوارج لتكفيرهم الحكمين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن سعد في ترجمته : وهو أول من تكلم في الارجاء (٦) .

وقد صنف كتابا (٧) في هذا يقول بارجاء المشتركين في الفتنة التي حدثت بعد خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما الى الله تبارك وتعالى وقد أكد ذلك الحافظ ابن حجر وقد رأى هذا الكتاب وقرأه قال : (المراد بالارجاء الذى تكلم الحسن بن محمد فيه غير الارجاء الذى يعيبه أهل السنة المتعلق بالايمان ، وذلك اني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور أخرجه ابن أبي عمر في كتاب الايمان له في آخره قال : (حدثنا ابراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن : كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس ، أما بعد : فانا نوصيكم بتقوى الله - فذكر كلاما كثيرا في الموعظة والوصية بكتاب الله واتباع ما فيه وذكر اعتقاده ، ثم قال

---

(١) مختار الصحاح ص ٢٣٣ مادة رج ا .
(٢) الفرق بين الفرق ص ١٩٠ ، الملل والنحل ١/ ٢٢٢ ، وانظر المقالات ١/ ١٩٨ ، مجموع الرسائل الكبرى ١/ ٢٩
(٣) النساء : ١١٦
(٤) راجع تاريخ الفرق .
(٥) الملل والنحل ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ . تاريخ المذاهب الاسلامية .
(٦) الطبقات ٥/ ٣٢٨
(٧) المصدر السابق نفسه .

في آخره : ونوالي أبابكر وعمر رضي الله عنهما ونجاهد فيهما لأنهما لم تختلف عليهما الأمة ولم تشك في أمرهما ونرجىء من بعدهما ممن دخل في الفتنة فنكل أمرهم الى الله تعالى ... الى آخر الكلام (١).

فذلك ما ذكره الحسن بن محمد من الارجاء وهكذا أوضح الحافظ ابن حجر وهو قد اطلع على هذا الكتاب كما ذكره آنفا أن الحسن المذكور لم يكن ارجاؤه الذى يعيبه أهل السنة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل خلف من بعد هؤلاء خلف فتكلموا في مرتكب الكبيرة فقرروا أنه لا يضر مع الايمان ذنب وأن الايمان اقرار وتصديق واعتقاد ومعرفة ولا يضر مع هذه الحقائق معصية وان الايمان ينفصل عن العمل ، والكرامية التي هي موضوع هذه الرسالة تقول : الايمان قول وليس اعتقادا في القلب وعملا بالجوارح ، بل منهم من غالى وأفرط وتطرف فزعم أن الايمان اعتقاد بالقلب وان أعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك ، فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عزوجل ومن أهل الجنة (٢).

فهذه هي المرجئة الحقيقية ومعلوم أنها حدثت في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم (٣) وذلك في عصر بني أمية (٤) ، وذكر أهل المقالات أن غيلان الدمشقي الذى تقدم ذكره آنفا (٥) كان مرجئا (٦) بل حدد بعضهم أن غيلان هو أول من قال بالارجاء كما قال الشهرستاني (٧) وقالوا : انه قال الايمان هو الاقرار باللسان وهو التصديق وأن المعرفة بالله فعل الله تبارك وتعالى وليست من الايمان (٨) ، وهو كان في أواخر القرن الأول اذ قتل بعد سنة ١٠٥ هـ

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٠ ، ٣٢١ ، وانظر تاريخ المذاهب الاسلامية ١/ ١٣٣ - ١٣٤

(٢) الفصل ٥/ ٧٣ وتاريخ المذاهب الاسلامية ١/ ١٣٥ - ١٣٧.

(٣) درء ٥/ ٢٤٤ ، النبوات ص ١٣٣ ، منهاج السنة ٢٠٨/١ تحقيق د . محمد رشاد ، تاريخ الفرق الاسلامية ص ١٩

(٤) تاريخ الفرق الاسلامية .

(٥) تقدم في ص ٧٧.

(٦) المقالات ١/ ٢١٧ ، الفرق بين الفرق ص ٢٠٦ ، الملل والنحل ١/ ١٤٦

(٧) الملل والنحل ١/ ١٣٩

(٨) مقالات الاسلاميين ١/ ٢١٧ ، الفرق بين الفرق ص ٢٠٦

ومما يدل أيضا على أن المرجئة كانوا في أواخر القرن الأول ما أخرجه الامام البخاري في صحيحه بسنده الى زبيد بن الحارث اليامي أبو عبد الرحمن قال : سألت أبا وائل عن المرجئة (١)، ورواية أبي داود الطيالسي في ذلك بينت أكثر فقد جاء فيها : (لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له ...) (٢).

ويقول الحافظ بن حجر رحمه الله معلقا على ذلك : (فظهر من هذا أن سؤاله عن معتقدهم وان ذلك كان حين ظهورهم وكانت وفاة أبي وائل سنة ٩٩ هـ وقيل سنة ٨٢ هـ.)، قال : (وفي ذلك دليل على أن بدعة الارجاء قديمة (٣).

وفي نصف الأول من القرن الثاني في عصر بني أمية ظهر بعض رؤوس البدع كجعد بن درهم المتوفى سنة ١٢٤ هـ (٤) والجهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨ هـ (٥)، واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ، ومقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ.

---

(١) صحيح البخاري، في الايمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/١٠٩-١١٠ مع الفتح. فتح الباري ١/١١٠.

(٢) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/٧٥. فتح الباري ١/١١٢.

(٣) فتح الباري ١/١١٢ وقيل : هو مولى سويد بن غفلة.

(٤) الجعد بن درهم مولى لبني الحكم، وكان يسكن دمشق، مبتدع ضال، عداده من التابعين، له أخبار كثيرة في الزندقة أخذ برأيه جماعة وكان مؤدبا لمروان بن محمد الحمار ويعلمه واليه ينسب مروان الجعدي، ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها، زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا، ولم يكلم موسى عليه السلام وكان اول من تكلم بخلق القرآن بدمشق من أمة محمد عليه السلام وأمر هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري بقتل الجعد فقتله ضحى به يوم الأضحى بواسط، وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا فنزل فذبحه - ميزان الاعتزال ١/٣٣٩ لسان ٢/١٠٥، ابن نباتة شرح العيون ص ٢٩٣ - ٢٩٤، منهاج السنة ١/٢٢١ تحقيق د. محمد رشاد اللباب ١/٢٣٠ النجوم الزاهرة ١/٣٢٢، دث ٥/٢٤٤، الاعلام ٢/١١٤

(٥) الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية مولى بني راسب وهو من أهل خراسان وقد تلمذ على الجعد بن درهم، وكان الجهم كاتبا للحارث بن سريج من زعماء خراسان، وخرج معه على الأمويين فقتلا بمرو سنة ١٢٨ هـ. قال الذهبي وكان في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا وزرع شرا عظيما أمر نصر بن سيار بقتله فقتله سلم بن احوز، نفي أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا قبيحا، وهو من الجبرية ظهرت بدعته بترمذ قال : لا يقدر الانسان على شيء ولا يوصف بالاستطاعة انما هو مجبور في افعاله، ويطلق الجهم أحيانا بمعنى خاص الميزان ١/٤٢٦، لسان الميزان ٢/١٤٢، الخطط للمقريزي ٤/١٨٢ - ١٨٣، البدء والتاريخ ٥/١٤٦

بدع واصل بن عطاء * :

فقد ابتدع بدع منها : ١- بدعة المنزلة بين المنزلتين في حكمه على مرتكب الكبيرة بمعنى أنه ليس مؤمنا ولا كافرا ، وذلك لما دخل رجل على الحسن البصري فسأله عن حكم مرتكب الكبيرة وذكر أنه ظهرت فرقتان فرقة تكفر الإنسان وتخرجه عن الملة وهم الخوارج ، وفرقة أخرى يرجئون حكم مرتكب الكبيرة وأنها لا تضر الايمان والعمل ليس من الايمان ، فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب أجابه واصل بهذه الاجابة (١) فطرده الحسن البصري من مجلسه فأعتزله جانبا مع أتباعه فسموا معتزلة (٢) .

٢- ما زعمه في حكمه على الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أحدهما مخطئ لا بعينه وكذلك على عثمان وقاتليه أن أحد الفريقين فاسق لا محالة (٣) .

---

(١) أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، التبصير في الدين ص ٦٧ ، الملل والنحل ١/ ٤٧ - ٤٨

(٢) التبصير في الدين ص ٦٨

* هو واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال (ابو حذيفة) من موالى بني ضبة أو بني مخزوم ، رأس المعتزلة ، كان يلثغ بالراء فيبلاغته هجر الراء ويتجنبها في خطابه ، سمع الحسن البصري وغيره وقال أبو الفتح الأزدي : ((رجل سوء كافر)) ولد سنة ثمانين بالمدينة ، أول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وله من الكتب كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة وكتاب معاني القرآن ، وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول : احدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم ، مات سنة احدى وثلاثين ومائة (١٣١) - الميزان ٤/ ٣٢٩ ، لسان الميزان ٦/ ٢١٤- ٢١٥ ، شذرات الذهب ١/ ١٨٢-١٨٣ ، الأعلام ٩/ ١٢١- ١٢٢ ، معجم المؤلفين ١٣/ ١٥٩ .

(٣) أنظر الفرق بين الفرق ص ١٢٠ والتبصير في الدين ص ٦٨ - ٦٩

وهكذا أحدث هذه البدع الشنيعة المخالفة للكتاب والسنة وما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

٣- القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والارادة والحياة وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة /وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة إلهين قديمين أزليين قال ومن أثبت معنى وصفه قديمة فقد أثبت إلهين (١).

الرابعة من بدعه: القول بالقدر وسلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي (٢).

وأصحابه فيما بعد شرعت بمطالعة كتب الفلاسفة (٣).

- بدع الجعد بن درهم -

قد ابتدع الجعد بدع خبيثة منها:

١- بدعه انكار الصفات لله عز وجل هو أول من أنكرها كصفة العلو والاستواء والكلام بمعنى هو أول من ظهر عنه قول نفاة صفات الله تعالى وأفعاله (٤).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (أول من حفظ عنه أنه قال: هذه المقالة في الاسلام أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهر فنسبت مقالة الجهمية اليه) (٥).

وقال الامام أحمد: كان يقال انه من أهل حران وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات (٦)

---

(١) الشهرستاني الملل والنحل ٤٦/١

(٢) التبصير في الدين ص ٦٧، الملل والنحل ٤٧/١

(٣) الملل والنحل ٤٦/١.

(٤) انظر منهاج السنة ٢٢١/١ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٥) مجموع فتاوى ٢٠/٥، وبيان تلبيس الجهمية ١٢٧/١

(٦) درء تعارض ٣١٣/١.

وقال الحافظ بن كثير : (وقد لاحظ شيخه وهو ابن منبه منه بداية انحراف لكثرة أسئلته عن صفات الله عزوجل فقال له : ويلك يا جعد أقصر المسألة عن ذلك إني لا ظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله تعالى في كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك وأن له عينا ما قلنا ذلك . . . وذلك الصفات من العلم والكلام وغير ذلك) (١) .

٢- وكان يقول القرآن مخلوق وهو أول من عرف عنه باظهار ذلك كما تقدم (٢) .

٣- وكان يقول بالقدر أخذ عنه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية والقول بخلق القرآن (٣) والقدر يقصد منه الجبر، ولم ينقل عن أحد لا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب ولا من سائر الكافرين ظهر عنه يقول بأن العقول تنافي ما في القرآن الكريم من اثبات العلو والصفات أو بعض الصفات . (٤) .

ولكن من أين أخذ الجعد هذه الآراء :

ذكر بعض المؤرخين أن الجعد أخذ القول بخلق القرآن من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سحر النبي عليه الصلاة والسلام ،وكان يقول بخلق القرآن ،وكان طالوت زنديقا ،وهو أول من صنف في ذلك واخذها طالوت من لبيد بن الأعصم ، ثم أظهره الجعد بن درهم (٥) ،وكان الجعد من حران وكان بها أئمة الصابئة الفلاسفة أهل الشرك وهم قوم ابراهيم عليه السلام الذين كانوا يتخذون الشمس والقمر والكواكب أربابا يدعونها ويتقربون اليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود لها والقرابين وغير ذلك وهو دين المشركين الذي صنف الرازى كتابة عن طريقتهم وسماه (السر المكتوم في دعوة الكواكب والنجوم والسحر والطلاسم والعزائم وهذا دين المشركين من الصابئين كالكلدانيين والكنعانيين واليونانيين وأرسطو وأمثاله من أهل هذا الدين وكلامه معروف في السحر الطبيعي والسحر الروحاني (٦) .وكان اليونانيون مشركين يعبدون الأوثان كما كان قوم ابراهيم مشركين يعبدون الأوثان ولهذا قال الخليل (انني براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين) . (٧)

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٠

(٢) هامش ص ٨١ من الرسالة .

(٣) تاريخ الجهمية ص ٢٧ ،تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٩ .

(٤) انظر تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٩ .

(٥) شرح العيون لابن نباتة ص ١٥٩ وتاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ٢٧ ومجموع فتاوى ٥/ ٢٠-٢١ .

(٦) انظر درء تعارض ١/ ٣١١-٣١٢ وانظر مجموع فتاوى ٥/ ٢١ .

(٧) الزخرف : ٢٦، ٢٧ .

" وهؤلاء القوم عامتهم من نفاة صفات الله تعالى وأفعاله القائمة به كما هو مذهب الفلاسفة المشائين ... والقرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس والقمر والسجود لها ،كما كان على ذلك من كان عليه من بني عبيد ملوك القاهرة وأمثالها ... وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام هو الجعد" (١) .

- بدع جهم بن صفوان -

أخذ جهم آراء الجعد بن درهم فقد تتلمذ عليه .

وزاد على ذلك آراء أخرى هي :

الأول : القول بأن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ،والاقرار باللسان والاعتقاد في القلب ليس داخلا فيه ،وأن الكفر هو الجهل به ،وعلى هذا فان فرعون واليهود والنصارى والمشركين عنده مسلمون اذ هؤلاء يعرفون الله تعالى(٢).

الثاني : القول بفناء الجنة والنار اذ لا يتصور حركات لا تتناهي (٣) .

الثالث : القول بأن علم الله تعالى حادث وزعم أنه لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه (٤) .

وذكر ابن أبي داود أن جهما رجع عن آرائه وتاب ،وروى ذلك بسنده عن ابراهيم بن طهمان قال : حدثنا من لا أتهم غير واحد أن جهما رجع عن قوله ونزع وتاب الى الله ،والله أعلم بصحة هذه الرواية . (٥) .

- بدع مقاتل بن سليمان - (٦)

وقد بالغ في اثبات صفات الله حتى جسم (٧) ،وقد ذكر الامام الذهبي رحمه الله تعالى أن مقاتل ابن سليمان كان في مقابلة الجهم بن صفوان لما دعا بتعطيل الرب عزوجل فبالغ مقاتل في اثبات الصفات حتى جسم (٨)وذكر الخطيب عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال : أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل ومقاتل مشبه (٩) .

---

(١) درء تعارض ٣١٢/١ .

(٢) الايمان لأبي عبيد ضمن رسائل الأربع تحقيق الألباني ص ٧٩ ، الفصل لابن حزم ٢٢٧/٣ ، الفرق بين الفرق ص ٢١١ الملل والنحل ٨٧/١ ،مجموع فتاوى ١٥٤/٧ . الايمان لابن مندة ٣٣١/١ تحقيق د / علي الفقي .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢١١ والملل والنحل ٨٧/١ .

(٤) مقالات الاسلاميين ٣١٢/١ تحقيق محمد محي الدين ، الفرق بين الفرق ص ٢١١ تحقيق محمد محي الدين والتبصير في الدين ص ١٠٨ والملل والنحل ٨٧/١ .

(٥) مسائل الامام احمد ص ١١٠ . وابراهيم بن طهمان وثقه بعض العلماء كالامام احمد والدارقطني وغيرهما وكان شديدا على الجهمية . ميزان الاعتدال ٣٨/١ .

===

وذكر ابن حبان أن مقاتلا كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذى يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث (١) .

ثم كانت بدعة الكرامية بيد مؤسسها محمد بن كرام الذى ولد سنة ١٩٠هـ. تقريبا وتوفي سنة ٢٥٥هـ . تقريبا ، والتي هي موضوع هذه الرسالة .

ثم في أواخر القرن الثاني قويت شوكة المعتزلة و وسعت حركتهم وحشهم ومطالعاتهم في كتب الفلاسفة التي عربت في عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) قال الشهرستاني : (ثم طلع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام) (٢) .

=== (٦) مقاتل بن سليمان البلخي المفسر أبو الحسن (ص ٢٧) ، روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعنجرمي بن عمارة وعلي بن الجعد و خلق ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، وعن مقاتل بن حيان- وهو صدوق - قال : ما وجدت علم مقاتل ابن سليمان الا كالبحر . وقال الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل . وقال ابو حنيفة : أفرط جهم في نفي التشبيه حين قال انه تعالى ليس بشيء ، وأفرط مقاتل يعني في الاثبات حتى جعله مثل خلقه وقال وكيع : كان كذابا ، وقال البخارى : قال سفيان بن عيينة سمعت مقاتلا يقول : إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فأعلموا أني كذاب ، وقال العباس بن مصعب في تاريخ مرو كان مقاتل لا يضبط الاسناد ... فقدم جهم فجلس الى مقاتل ، وقال النسائي : كان مقاتل يكذب ، وقال الجوزجاني كان دجالا جسورا ، سمعت أبا اليمان يقول ، قدم ههنا فأسند ظهره الى القبلة سلوني عما دون العرش ، وحدث أنه قال مثلها بمكة ، فقام اليه رجل فقال : أخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت وقال ابن عدى : ولمقاتل غير ما ذكرت حديث صالح ، وعامة حديثه لا يتابع عليه على أن كثيرا من الناس الثقات المعروفين حدث عنه . قال وكيع : مات سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ) وقيل بعد ذلك .
ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٣-١٧٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١-٢٠٢ .

(٧) مقالات الاسلاميين ١/ ٢٨٣ .
(٨) تذكرة الحفاظ ص ١٥٩، ١٦٠ .
(٩) تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٤ .

(١) ميزان الاعتدال ٤/ ١٢٥ .
(٢) انظر الملل والنحل ١/ ٤٦ .

قد تقدم (١) أن عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين قد انقضى وانتهى في صفاء العقيدة ولم يكن هناك بدعة ولا تأويل(٢) الا ما جاء عرضا في مناقشة القدر من بعض

---

(١) في التمهيد ص ٦٨- ٧٢ من الرسالة.
(٢) معنى التأويل وأقسامه :

المعنى الأول: التأويل بمعنى رجع أى الى الحقيقة التى يؤول اليها الكلام وان وافقت ظاهرة بمعنى آل الشئ يؤول أولا ، وهذا تأويل ما أخبر الله تعالى به فى الجنة من الأكل والشرب والنكاح ، وقيام الساعة وغير ذلك ، قال تعالى: ((ولما يأتهم تأويله)) أى علم تأويله، ولايعلم هذا المعنى الا الله تبارك وتعالى .

المعنى الثانى : هو بمعنى التفسير والبيان أول الكلام وتأوله دبره وقدره وأوله وتأوله :فسره.ذلك في/ لسان العرب مادة أول انظر درء (٢٣٤/٥- ٢٣٥،٢٨٢) انظر مجموع فتاوى (٣٥/٥- ٣٦) انظر مختصر الصواعق (١/١٠-١٢٩) انظر العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة للدكتور خفاجى ص(٦٠- ٨١) الامام ابن تيمية فى قضية التأويل ص(٢٩- ١٠٤)، وقد كان السلف رحمهم الله يستعمل هذا المعنى كابن جرير وغيره .

المعنى الثالث صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوع لدليل يقترن بذلك ، فلايكون معنى اللفظ موافقا لدلالة ظاهرة وهذا المعنى استعمله المتأخرون الأصوليون ولهم فى ذلك ثلاث حالات وهى :

١- اما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أوسنة وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لانزاع فيه ومثالهذا النوع ما ثبت عن النبيصلى الله عليه وسلم أنه قال" الجار أحق بصقبه " فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار وحمل على خصوص الشريك المقاسم بدليل حديث جابر الصحيح " فاذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ." .

٢ - واما أن يصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشئ يعتقده المجتهد دليلا وهو نفس الأمر ليس بدليل كمن أول الحديث " أيما أمرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل " على خصوص المكاتبة وهذا تأويل بعيد لأن أى امرأة صيغة عموم وأكدت صيغة العموم بما المزيدة للتوكيد فحمل هذا على صورة نادرة هى المكاتبة لغير دليل جازم يجب الرجوع اليه، غير صحيح .

٣ - واما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل ، فهذا لايسمى تأويلا فى الاصطلاح بل يسمى لعبا لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قالوا عائشة رضى الله عنها سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها الى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان كقولهم استوى بمعنى استولى وكل هذا باطل وابطال لشرع الله تعالى انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ العلامة الشنقيطى ص(١٨- ١٩) ، ط ١٤٠١ هـ .

الصحابة رضي الله عنهم فانتهو بنهى النبى صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما أثار صبيغ من أسئلة في متشابه القرآن فأدبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضربه بالعراجين فتاب عن ذلك وانتهت .

وهكذا عاش عصر النبوة وعصر خلفاء الراشدين على اسس من العقيدة الصحيحة السليمة المستمدة من كتاب الله العزيز ومن السنة المشرفة، فمن أين لهذه الفرق المبتدعة بهذه البدع التي خالفت منهج الكتاب والسنة وما عليه سلف الصالح .

وفيما يلي نذكر أهم أسباب ظهور هذه الفرق .

أولا : الغلو:

فقد غالى بعض الفرق فيما ذهبوا اليه كالخوارج والشيعة .

فان الخوارج قد غلوا في فهم آيات الوعيد فأخطؤوا في ذلك وأولوا الآيات وكفروا من خالفهم (١) ولذلك يسمون الوعيدية اذ يرون بأن أصحاب الكبائر في النار ولم ينظروا نصوص الرجاء والمغفرة كقوله تعالى : "ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (٢) وغيرها من آى القرآن في هذا المعنى، وكما ورد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ... وفي قلبه وزن برة من خير ... وفي قلبه وزن ذرة من خير" (٣) .

والحق أنه اذا جمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين فساد القولين . (٤) .

---

(١) انظر درء ١/ ٢٤٣ - ٢٧٦، مجموع فتاوى ١٣/ ١

(٢) النساء : ٤٨، ١١٦

(٣) متفق عليه .

(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٢٥٢ وشرح اعتقاد أهل السنة المدخل ١/ ٣٨ .

وأما الشيعة ، فمعلوم أن من أسباب ظهورها الغلو ، فقد كان ابن سبأ اليهودى الذى كان أول من أظهر الغلو في علي رضي الله عنه وزعم أنه وصي ، حتى جعله إلهـــا ، وكذلك الغالية من الشيعة كالبنانية والمغيرية وغيرهم ، وقد تقدم ذلك كله (١) .

وغالوا في الائمة من أهل البيت حتى رفعهم بعضهم الى درجة النبوة ومنهم مـــن ألههم .

ثانيا : المؤثرات الأجنبية كالأديان والمذاهب المنحرفة الضالة وممن تأثر بهذه الأديــان والمذاهب الغريبة على الاســلام : الشيعة والقدرية والجهمية .

فأما الشيعة فقد سبق (٢) أن عبد الله بن سبأ اليهودى مصدر وأصل للتشــيع والغلو في علي رضي الله عنه .

ونقل البغدادى عن المحققين من أهل السنة أن ابن السوداء عبد الله بن سبــأ هذا كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده رضي الله عنهم جميعا ليعتقدوا فيه ما اعتقد النصارى في عيسى عليه الصـــلاة والسلام (٣) وقد تقدم (٤) أن الشيعة ورثوا آراء ابن السبأ فيما بعد وجعلوها أصــلا واساسا لمذهبهم فمنهم من أخذ عنهم القول بامامة علي وأبنائه وخلافتهم نصا و وصيـــة ، ومنهم من أخذ القول بالرجعة والغيبة بل منهم من الهالأئمة كما فعل ابن سبأ اليهـــودى واقتدى بعض في ذلك كثير من الشيعة فابن سبأ لم يدخل الاسلام حبا وايمانا وانما دخلـــه ليفسده ويغيره بآرائه الخبيثة بهذا الدين كما فعل بولس " شاول " اليهودى بديـــن المسيح الذى تمكن من تحريفها وتغييرها وتدخيلها من الأفكار والفلسفة ما جعلهـــا دينا وضعيا بولسيا من أفكار الناس وفلسفاتهم وليس دين عيسى عليه الصلاة والسلام الذى أنزله الله تعالى .

غير أن الله عز وجل تفضل وتكرم بحفظ هذا الدين قال تعالى : (انا نحن نزلنـــا الذكر وانا له لحافظون) وذلك هو القرآن وكذا السنة المدونة والمعروفة صحيحها وضعيفها فقد قيض الله تعالى لها العلماء الجهابذة المتقنين وكذلك اللغة العربية مدونة ، وكـــل ذلك من مستلزمات القرآن .

---

(١) التمهيد ص ٧٣ ، ٧٥ من الرسالة .
(٢) في هذه الصفحة نفسها .
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٥
(٤) انظر ص ٧٢ - ٧٤ من الرسالة .

لذلك كله لم يتمكن عبد الله بن سبأ وغيره من تحريف وتغيير هذا الدين كما تمكن المحرفون في التوراة والانجيل .

وكثير من المفسدين من أعداء الاسلام جعلوا التشيع وادعاء حب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا لافساد هذا الدين كاليهود والفرس والباطنية وغيرهم فكان منهم من اتخذ التشيع وسيلة الى أغراضهم الفاسدة من أجل أن يكيدوا للاسلام ويتظاهروا بالاسلام بعد أن أيئسوا في حرب الاسلام بالسيف وبالقلم جهرا قال الامام ابن حزم رحمه الله : (فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشناع ظلم أبناء علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام ". (١)

وأما/القدرية فقد تقدم أن أول من قال بها رجل نصراني يقال له (منسويه) ثم أخذ عنه معبد الجهني (٢) .

مقالة

وأما الجهمية اتباع جهم بن صفوان الذى أخذ عن الجعد وقد سبق (٣) أن الجعد أخذ عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم وأخذها لبيد بن أعصم الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم عن يهودى باليمن (٤) .

والجعد كما ترجع آراؤه الى اليهود كذلك " تؤول الى الصابئة والفلاسفة قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (وكان الجعد بن درهم ... من اهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين ... فكانت الصابئة - الا قليلا منهم - اذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة " وقال أيضا رحمه الله تعالى : (ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب : أنه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما ... فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة (٥) .

وكانت بين الجهم وبين السمنية مخالطة ومناظرات، فقد روى الامام أحمد رحمه الله تعالى مناظرة دارت بين الجهم والسمنية في اثبات الله عزوجل انتهى فيها الجهم الى أن شبه الله تعالى بالروح التي لا ترى ولا تحس ولا تسمع (٦) .

---

(١) الفصل ٢/ ١١٥ دار المعرفة ببيروت.
(٢) التمهيد ص ٧٧ من الرسالة .
(٣) التمهيد ص ٨٤ من الرسالة .
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٠
(٥) مجموع فتاوى ٥/ ٢١، ٢٢
(٦) الرد على الجهمية والزنادقة ص

وهكذا لايخفى على أحد له بصيرة ونظر في تاريخ البدع والفرق أن كثيرا من الفرق الضالة التي خالفت سلف الصالح وما ثبت فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قد تأثرت بافكار اجنبية على الاسلام وأهله .

ثالثا : الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشد منها :

وممن فعل ذلك المرجئة والمعتزلة والمشبهة والجهمية .

أما المرجئة فقد ردت على الخوارج وكان ذلك سبب ظهورها كما تقدم(١) . ففى امر الحكمين قالوا : نرجئهم الى الله تعالى ثم انتهى امر الارجاء الى القول لاتضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة .

وأما المعتزلة فانهم ارادوا ان يردوا على الخوارج والمرجئة فاتوا ببدعة جديدة هي المنزلة بين المنزلتين .

وأما المشبهة فانها قد ردت على المعطلة الجهمية التى كانت تنفي صفات الله تعالى على لسان الجهم بن صفوان فقام مقاتل بن سليمان فى الرد عليه وبالغ فى اثبات الصفات حتى شبه الله تعالى بخلقه ،فهذا رد بدعة ببدعة اخرى .

وأما الجهمية فانها قامت بالرد على القدرية الذين يزعمون ان العبد هو الخالق لفعل نفسه وليس الله عز وجل فقال الجهم بل الله تعالى هو الخالق والعبد مجبور على فعله ولا قدرة له عليه ولا ارادة بل هو ريشة معلقة فى الهواء فزادوا على بدعة القدرية ببدعة اخرى مثلها أو أشد منها اذ انها تبطل التكليف والثواب والعقاب كما تقتضي بدعتهم هذه بعدم تفريق بين الخير والشر وبين العمل الصالح والعمل السيء .(٢)

---

(١) تقدمت المرجئة في ص ٧٩ من الرسالة.

(٢) انظر شفاء العليل للعلامة ابن القيم ص ١٣٩ .

رابعا : تحكيم العقل في القضايا الشرعية

فقد حكم هؤلاء المبتدعة عقولهم فى امور العقيدة وردوا النصوص التى تخالف ماقررت عقولهم . امانصوص القران الكريم والاحاديث المتواترة فيؤولونها بحجة ان ظاهرها يقتضى التشبيه (١) . وأما الاحاديث الصحيحة غير المتواترة فقالوا انها لا تقبل في أمور الاعتقادية .

ان الجهمية والفلاسفة يزعمون ان نصوص الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير مطابقة للحقيقة وان ظواهر النصوص كذب فى نفس الامر وباطلة ومخالفة للحق وقالوا : ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذبوا على العوام . لان مصلحة العوام ان يخاطبوا بما يوافق عقولهم (٢) وقد وضع الفلاسفة قانونهم على هذا الاصل ، كالقانون الذى ذكره ابن سينا في رسالته الاضحوية فلنذكر شيئا عن هذه الرسالة لتتضح الصورة ، قال ابن سينا فيها: " اما امر الشرع فينبغى ان يعلم فيه قانون واحد وهو ان الشرع والملل الاتية على لسان نبى من الانبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة ، ثم من المعلوم الواضح ان التحقيق الذى ينبغى ان يرجع اليه فى صحة التوحيد من الاقرار بالصانع موحدا مقدسا عن : الكم والكيف والاين والمتي... ولايمكن ان تكون خارجة عن العالم ولا داخلة ولابحيث تصح الاشارة اليه انها هناك ممتنع القاؤه الى الجمهور . قال :" ولو القى هذا على هذه الصورة - الى العرب العاربة او العبرانيين والاجلاف لتسارعوا الى العناد واتفقوا على ان الايمان المدعو اليه ايمان معدوم أصلا " .

---

(١) انظر شرح اصول الخمسة ص ٧٦٨ ، ٧٦٩ .

(٢) انظر درء تعارض ٩/١ وانظر مقدمة تعارض العقل والنقل ١١/١ ، د. محمد رشاد سالم .

وقال : " ولهذا ورد التوحيد تشبيها كله ، ثم لم يرد في القران من الاشارة الى هذا الامر الاهم شيء " قال " وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب "(١)

ويوضح موقف الفلاسفة ابن رشد في كتابه " مناهج الادلة في عقائد الملة " فقال : " ان الشريعة قسمان : ظاهر ومؤول وان الظاهر منها هو فرض الجمهور وان المؤول هو فرض العلماء . واما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تاويله وانه لايحل للعلماء ان يفصحوا بتأويله للجمهور "(٢) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا القانون الكلي الذى عند من يقدم العقل على الشريعة فقال: " قول القائل : اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية او السمع والعقل او النقل والعقل او الظواهر النقلية والقواطع العقلية او نحو ذلك من العبارات فاما ان يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لان العقل اصل النقل .. فكان تقديم النقل قدحا فى العقل والنقل جميعا ،فوجب تقديم العقل ثم النقل اما ان يؤول واما ان يفوض ".(٣)

ومعلوم ان هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين يفضلون قانونهم هذا علي ماجاءت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام كمامر قول الفلاسفة قريبا ويجعلون الاصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه عليه هو ماظنوا ان عقولهم عرفته ويجعلون ماجاءت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام تبعا له ،فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفوه لم يتبعوه "(٣) .

---

(١) انظر رسالة الاضحوية في أمر المعاد ص ٤٤-٥١ تحقيق د. سليمان دنيا ط ،دار الفكر العربي ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م راجع مقدمة درء تعارض العقل والنقل ١/١٦-١٨.

(٢) نقل د. محمد رشاد سالم عن مناهج الادلة ص ١٣٢-١٣٣ ،د. محمود قاسم ، ط. الانجلو ١٩٦٤م راجع مقدمة درء تعارض العقل والنقل ١/١٨.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٤/١ وهذا نص موجود فى كتب الرازى المختلفة كما قال د. محمد رشاد سالم ، مقدمة درء التعارض ١/١١ومابعدها.

درء تعارض العقل والنقل ٦/١.

ومن هؤلاء من يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم ماكان يعلم الحق كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم ، ففضلوا الفيلسوف على النبى صلى الله عليه وسلم ، كالفارابى(١) ومبشر بن فاتك (٢) وبعضهم يدعى تفضيل الولي على النبى صلى الله عليه وسلم كابن عربى الطائى .

أما الذين يقولون أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم الحق ولكن أظهر خلافه للمصلحة يقرون أن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الفيلسوف كابن سينا وامثاله من هؤلاء وهذه في الجملة قول المتفلسفة والباطنية (٣)

---

(١) أبونصر محمد بن محمد بن طرخان من اوزلغ الفارابى ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٣٩ ويعرف بالمعلم الثانى تركي الاصل ولد فى فاراب (على نهر جيحون) وانتقل الى بغداد ورحل الى مصر والشام وتوفى بدمشق ومن كتبه تفقه ابن سينا وكان يرى بالمعاد الروحانى لا الجثماني وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة . من سلفه الاقدمين فعليه ان كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . انظر عن تاريخ القفطى ص ٢٧٧-٢٨٠ ، البداية والنهاية ٢٤٤/١١ ، الاعلام ٢٤٢/٧-٢٤٣.

(٢) أبوالوفاء مبشر بن فاتك المدعو بالامير ، توفى سنة ٦٠٠ هـ ، اصله من دمشق واستوطن مصر فيايام الظاهر والمستنصر ، تتلمذ على ابن الهيثم وابى الحسين المعروف بابن الامدى واشتغل بصناعة الطب . انظر ترجمته ابن القفطى ص ٢٦٩ ، الاعلام ٢٧٣/٥ ، هامش . درء تعارض ١١/١ .

(٣) الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب والسنة باطنا وظاهرا ، ولكل تنزيل تاويلا وذكر البغدادى فى الفرق بين الفرق (ص ٢٨٢-٢٨٣) أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ومحمد بن الحسين الملقب بدنداق "ثم ظهر في دعوتهم حمدان بن قرمط الذى تنسب اليه القرامطة وابو سعيد الجنابي ثم بعد ذلك ظهر في دعوتهم سعيد بن الحسين الذى قال لاتباعه : انا عبيدالله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .
وذكر الشهرستانى في الملل والنحل ١٩٢/١ ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، أما الباطنية الذين كانوا فى عصره فجعلهم وهم والاسماعيلية الغلاة فرقة واحدة وذكر انهم يسمون في العراق الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وفى خراسان: التعليمية والملحدة ، وقد كتب حجة الاسلام الغزالى كتابا فى هذا الموضوع اسمه فضائح الباطنية ذكر فيه طاماتهم .

كالملاحدة الاسماعيلية [١] واصحاب رسائل اخوان الصفا [٢] وغيرهم [٣] .

والمعتزلة ينكرون على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة رضوان الله عليهم وعلى العلماء المحدثين الحفاظ فقد روى الخطيب البغدادى باسناده عن عمرو [٤] بن عبيد وهو راس الاعتزال بعد واصل بن عطاء

---

(١) الاسماعيلية : ذكر اصحاب المقالات والفرق ان الشيعة الامامية انقسمت بعد وفاة جعفر بن محمد الصادق الى فرق مختلفة اهمها : الموسوية والاسماعيلية ،قالت الاولى منها بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وهم الموسوية وقالت الثانية منها بامامة اسماعيل بن جعفر وهم الاسماعيلية ، وانقسمت الاسماعيلية بعد ذلك الى اسماعيلية الواقفة والتى تقول ان اسماعيل لم يمت بل اظهر الموت تقية ، والى اسماعيلية الذين قالوا : مات اسماعيل والامام بعده محمد بن اسماعيل ، وهؤلاء هم المباركية ثم اختلفوا بعد ذلك الى فرقتين :
أولهما/ قالت بالوقف على محمد بن اسماعيل وقالت برجعته بعد غيبته وثانيهما تسوق الامامة فى "المستورين" منهم ثم فى الظاهرين القائمين ، وهؤلاء هم الاسماعيلية الباطنية .
انظر الملل والنحل للشهرستانى ١٦٧/١-١٦٨ ، ١٩١ ، مقالات الاسلاميين للاشعرى ٢٦/١-٢٧ ، التبصير فى الدين ص ٣٨ .

(٢) اخوان الصفا هم جماعة من الاسماعيلية الباطنية الذين صفنوا رسائل اشتهرت برسائل اخوان الصفا وعددها اكثر من خمسين مقالة انظر عن ترجمتهم فى الكتاب اخوان السفا للاستاذ عمر الدسوقى، واخوان الصفا للدكتور جبور عبد النور فى سلسلة نوابغ الفكر العربى

(٣) درء تعارض ٩/١-١١٠.

(٤) عمرو بن عبيد بن باب ، ابوعثمان البصرى ، من ائمة المعتزلة ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٤٣ وقيل ١٤٤ ، مولى بني عقيل . كان جده باب من سبي كابل من جبال السند وكان ابوه يخلف الشرط بالبصرة وكان قدريا مع زهده وتألهه ، وروى الذهبى عن هذبة بن خالد عن محمد بن المثنى بسنده عن عاصم الاحول قال: جلست الى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه فقلت: لا ارى العلماء يقع بعضهم فى بعض فقال: يا احول، أوَلا تدرى ان الرجل اذا ابتدع فينبغي (=)

وأنه حديث الصادق (١) المصدوق صلى الله عليه وسلم قال: " لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته ، ولو سمعت

(=) أن يذكر حتى يحذر ، فجئت مغتما فقمت فرأيت عمرو بن عبيد يحك آية من المصحف فقلت له : سبحان الله ، قال : اني سأعيدها ، فقلت: أعدها قال: لا استطيع ، وضعفه ابن معين والنسائي : متروك الحديث وقال أيوب ويونس : يكذب وقال حميد : كان يكذب على الحسن ، قال ابن حبان : كان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وحديث حماد بن زيد قال : كنت مع ايوب ويونس وابن عون فمر بهم عمرو بن عبيد ، فسلم عليهم ووقف فلم يردوا عليه السلام وكان وحده فسئل عن ذلك فقال : نهى الناس عني ابن عون فانتهوا • انظر ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣ ، وفيات الاعيان ٤٦٠/٣، الاعلام ٨١/٥ •

(١) وهو حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه ولفظه : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق – ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما وأربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث اليه الملك فيؤذن باربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي ام سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فان احدكم ليعمل عمل اهل الجنة حتى لايكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل الجنة فيدخلها " البخاري في بدء الخلق باب ذكر الملائكة : ح : ٣٢٠٨ ، ٦٥٩٤،٣٣٣٢ ، ٧٤٥٤ ، ومسلم في القدر باب كيفية الخلق الادمي ح : ٢٦٤٣ ، وابوداود في السنة باب القدر ح /٤٧٠٨ والترمذي في القدر باب ماجاء الاعمال بالخواتيم ح :٢١٣٧ وابن ماجه في المقدمة باب في القدر ح / ٧٦ •

عبدالله بن مسعود يقول هذا ماقبلته ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولهذا لرددته ، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له " ليس على هذا أخذت ميثاقنا "(١) .

هكذا بلغ أمر عمرو بن عبيد من محاذات الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفة امرهما ان يرد على الله عز وجل قوله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصراحة .

وقال الشاطبى وهو يبين مسلك بعض المبتدعة في الاستدلال فعد منها :
" ردهم للاحاديث التى جرت غير موافقة لاغراضهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للمعقولوغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر " (٢)

وهذا الحديث الذى كذبه عمرو بن عبيد ، كذبه ايضا النظام كماذكره ابن قتيبة قال: ان النظام كذب هذا الحديث وقد اجاب عنه ابن قتيبة رحمه الله ورد عليه .(٣)
وقال أيضا :"وله اقاويل في احاديث يدعى عليها انها مناقضة للكتاب واحاديث يستبشعها من جهة حجة العقل وذكر ان جهة حجة العقل قدتنسخ الاخبار واحاديث ينقض بعضها بعضا "(٤) .

وتقدم ان المعتزلة اطلعوا على كتب الفلاسفة التى ترجمت فى خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨) .(٥)

وهذا القانون الكلى الذىتقدم ذكره (٦) قال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وهذا الكلام قد جعلهالرازى وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام انبيائه عليهم الصلاة والسلام ومما لايستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بماجاءت به الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/١٧٢ . شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق أحمد سعد الغامدى ١/٤٢ .
(٢) الاعتصام ١/٢٣١ .
(٣) تاويل مختلف الحديث ٢٦- ٢٩ .
(٤) المصدر السابق نفسه ص ٤٢-٤٣ .
(٥) انظر الملل والنحل ١/٤٦ .
(٦) انظر ص ٨٦ من الرسالة .

فى صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التى أنبأوا بها ، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها"(١) .

وقد أضاف بعضهم الى ذلك بأن الادلة النقلية لاتفيد اليقين(٢) وماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن الرازى وأنه يتبني هذا القانون المذكور انما هو ملخصها في كتب الرازى (٣) المختلفة كأساس التقديس فى علم الكلام (٤) و " المطالب العالية "(٥) و " محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين "(٦) و " معالم اصول الدين "(٧) ، و " نهاية العقول فى دراية الاصول "(٨) وكذا فى كتب اتباعه كما في كتاب غاية المرام فى علم الكلام للآمدى (٩) وهكذا يصرح الرازى في كتبه حسب زعمه ان القانون الكلى هو المرجوع اليه فى جميع ماسماه بالمتشابهات (١٠) .

---

(١) درء تعارض ١/٤-٥

(٢) انظر المصدر السابق ص ٦ .

(٣) انظر مقدمة درء تعارض لدكتور محمد رشاد سالم ١/١١.

(٤) ص ١٧٢-١٧٣ ط. مصطفى الحلبى . القاهرة ١٩٥٤هـ/١٩٣٥م .

(٥) مخطوط رقم ٤٥ توحيد "م" بدار الكتب المصرية ص ٣١٠ .

(٦) ص ٣١ ط . الحسينية الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) ط. على هامش كتاب تحصيل افكار المتقدمين والمتاخرين السابق ص ٩ ، ٣٣ .

(٨) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٤٨ عقائد ، ط ١٣ وراجع مانقله د. محمدرشاد سالم فى مقدمة درء عن هذه الكتب ١/١١-١٤ .

(٩) ص ٢٠٠ .

(١٠) انظر اساس التقديس ص ١٧٣.

وقد أكد تقديم العقل على النقل فقال: " ولما بطلت الاقسام الاربعة لم يبق الا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقليه القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية اما ان يقال انها غير صحيحة ، او يقال انها صحيحة الا أن المراد منها غير ظاهرها ، ثم ان جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التاويلات على التفصيل وان لم يجز التأويل فوضنا العلم بها الى الله تعالى"(١) .

غير أن الرازى لم يبتدع هذا "القانون الكلى " وانما اخذه عمن سبقه وهم طائفة (٢) وبالاخص الغزالى (٣) الذى اجاب " بالقانون الكلى " هذا على أسئلة وجهت اليه فقال : " أنه لايكذب برهان العقل أصلا ، فان العقل لايكذب ، ولو كذب العقل فلعله كذب فى اثبات الشرع ، اذ به عرفنا الشرع ، فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكى الكاذب والشرع شاهد بالتفاصيل والعقل مزكي الشرع "(٤) ثم قال فى الاخير: " فلابد من التاويل اذا سمعت أن : " الموت يؤتى (٥) به فى صورة كبش أملح

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) انظر درء تعارض ١/٥٠.

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، ابوحامد ولد بالطابران سنة ٤٥٠ هـ قصبة بلاد طوس وتوفى بها سنة ٥٠٥ هـ تتلمذ على الامام الحرمين وله نحو مئتي مصنف انظر ترجمته في: تبيين كذب المفترى ص ٢٩١-٣٠٦، العبر ٣٨٧/٢ ، البداية والنهاية ١٧٣/١٢ ،شذرات الذهب ١٠/٤، الاعلام ٢٢/٧-٢٣ .

(٤) نقل د.محمد رشاد سالم : فى مقدمة درء تعارض العقل والنقل ١٤/١ عن كتاب الغزالى قانون التاويل ص ١٠-١١ ط. عزت الحسينى القاهرة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م.

(٥) الحديث متفق عليه ، صحيح البخارى فى التفسير باب قول الله تعالى " وأنذرهم يوم الحسرة " مريم :٣٩ ، (ح:٤٧٣٠) ومسلم فى الجنة صفة نعيمها واهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح:٢٨٤٩ " وكلاهما من حديث ابى سعيد الخدرى وعنه ايضا فى المسند ٩/٣ والترمذى عن ابى هريرة في صفة الجنة باب ماجاء فى خلود اهل الجنة وأهل النار ح:٢٥٥٧ ،والدارمي ٣٢٩/٢.

فيذبح ، علمت انه مؤول ، اذ الموت عرض لايوتي به .."[1] .

فهذا جواب الغزالى على سؤال السائل عن بيان معني قول[2] رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : " ان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم.."[3] وهل من سبيل الى الجمع بين هذا القول من الشرع في الجن والشياطين وبين قول الفلاسفة : انها أمثلة وعبارة عن الاخلاط الأربعة التي في داخل الاجسام لتدبيرها ... الخ " هذا هو نص السؤال فاجاب الغزالى بجواب المذكور آنفا .

وقد سأل الغزالى تلميذه القاضى[4] أبوبكر بن العربى وخالفه فى كثير من تلك الاجوبة ،وكان يقول: " شيخنا ابوحامد دخل فى بطون الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر "[5] .

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) صحيح اخرجه البخارى فى الاعتكاف باب هل يخرج المعتكف لحوائجه الى باب المسجد ح : ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ . واحمد فى المسند ١٥٦/٣ ، ٢٥٨ ، ٣٠٩ و ٣٣٧/٦ .

(٣) قانون التاويل ص ٤ ، وفى مقدمة درء تعارض ١٤/١.

(٤) هو ابوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربى المعافرى القاضي الاشبيلى المالكي ولد في اشبيلية سنة ٤٦٨ وتوفى سنة ٥٤٣ من أئمة المالكية ومن كبار حفاظهم وفقهائهم تولى قضاء اشبيلية انظر ترجمته فى : وفايت الاعيان ٢٩٦/٤ -٢٩٧ ،نفح الطيب ٢٥/٢ وما بعدها ، الاعلام ١٠٦/٧ ،وانظر ترجمته فى مقدمة العواصم من القواصم ص ١٠-٣١ .

(٥) درء ٥/١ .

غير ان أبابكر بن العربى لما خالف شيخه فيماذهب اليه من القانون الكلى لم يترك هذا الموضوع بالكلية وانما وضع ابوبكر بن العربى قانونا اخر "مبنيا على طريقة أبى المعالى (١) ومن قبله كالقاضى أبي بكر الباقلاني" (٢) .

ولو ضربنا مثلا فيما قاله ابوالمعالى فى كتابه الارشاد فانه عقد بابا سماه " باب القول في السمعيات " قال: "اعلموا وفقكم الله ان اصول العقائد تنقسم الى مايدرك عقلا ولايسوغ تقدير ادراكه سمعا ، والى مايدرك سمعا ، ولايتقدر ادراكه عقلا والى مايجوز ادراكه سمعا وعقلا(٣) ثم بعد ان ذكر الجوينى هذه الاقسام الثلاثة قال: " فاذا ثبتت هذه المقدمة فيتعين بعدها على كل معتن بالدين واثق بعقله ان ينظر فيما تعلقت به الادلة السمعية ، فان صادفه غيرمستحيل في العقل ، وكانت الادلة السمعية قاطعة فى طرقها ، لامجال للاحتمال في ثبوت اصولها ولا في تاويلها فماهذا سبيله فلا وجه الا القطع به .

وان لم تثبت الادلة السمعية بطرق قاطعة ، ولم يكن مضمونها مستحيلا في العقل ، وثبت أصولها قطعا ،ولكن طريق التاويل يجول فيها ، فلاسبيل الى القطع ... وان لم يكن قطعا ، وان كان مضمون الشرع المتصل بنا ...

---

(١) راجع كتابه الارشاد باب القول في السمعيات ص ٣٥٨ ط.الخانجي ١٣٦٩ وانظر د.محمد رشاد سالم مقدمة درء ١٥/١ هو امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ولد بنيسابور سنة ٤١٩ وتوفي بها سنة ٤٧٨ من اعظم ائمة الاشعرية انظر ترجمته فى تبيين كذب المفترى ص ٢٧٨-٢٨٥ ،وفيات الاعيان ١٦٧/٣ -١٧٠ ،شذرات الذهب ٣٥٨/٣-٣٦٢ . الاعلام ٣٠٦/٤.

(٢) درء تعارض ٦/١.

(٣) الارشاد ص ٣٥٨.

مخالفا لقضية العقل فهو مردود قطعا بان الشرع لايخالف العقل ولايتصور فى هذا القسم ثبوت سمع قاطع ولا خفاء به "[١] .

وهكذا تابع المتكلمون الفلاسفة وتأثروا بهم[٢] وقد تقدم أن المعتزلة اطلعوا على كتب الفلاسفة .

***

---

(١) المصدر السابق نفسة ص ٣٥٩-٣٦٠ . وانظر مقدمة د . ت تعارض للدكتور محمد رشاد سالم ص ١٥ - ١٦ .

(٢) مقدمة د . ت تعارض ص ١٦ للدكتور محمد رشاد سالم .

خامسا : تعريب كتب الفلسفـــة :

ولما عربت كتب الفلسفة اليونانية وغيرها من كتب الامم الوثنيـــة في خلافة المامون قرأ الناس هذه الكتب فانبهر بعض المسلمين بمافيهـا وظنوا ان فيها خيرا وحكمة ممكن ان يعتمد عليه في الحقائق الدينية وخاصـة في أمور العقيدة فجعلوا هذه الافكار الوثنية مقدمة على نصوص الكتـاب والسنة فاولوهما وجعلوهما تبعا لما في الافكار الفلسفية مما جر للامـة خطرا عظيما وانحرافا جسيما وابعدها عن المعين الصافي من الكتاب والسنـة وما أجمع عليه سلف هذه الامة . وقد بين العلماء خطورة تعريب كتب أمـم الكفر والوثنية قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ثم انه لما عربت الكتـب اليونانية في حدود المائة الثانية و قبل ذلك وبعد ذلك وأخذها أهـل الكلام وتصرفوا فيها من انواع الباطل في الامور الالهية ماضل به كثيـر منهم ... وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضموما الى ماحصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس انه حكمة هذه الامة أو نحوه من الامم كالضد وغيرهم ".(١)

وقال الامام الذهبي وهو يتحدث عن الحالة بعد استخلاف المأمون :

وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة (٢) الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصـد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لايلائم علم النبوة ولايوافق توحيـد المؤمنين وقد كانت الامة في عافية منه "(٣) .

وقال : ان من البلاء ان تعرف ماكنت تنكر وتنكر ما تأكد وتقدم عقـول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل صلى الله عليهم وسلم "(٤) وقد تقدم شيء من الكلام على تعريب هذه الكتب في عصر المأمون. (٥)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣٢٣/١.

(٢) ولفظ " الحكمة " كلمة ترجمت من كلمة اليونانية "سوفيا" اى الحكمـة ولهذا يقال "فيلسوف " اى محب الحكمة ،وبعض الناس ظنوا ان عنـد هؤلاء الفلاسفة اليونانيين او الهنود حكمة كلا انما تحقق في اكثـر اقوالهم "ان يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس " النجم :٢٣ . وانمـا الحكمة والخير والعلم فيما انزله الله عز وجل قال تعالى(كان النـاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين و انزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" . انظر:بيان تلبيس الجهمية ٣٢٢/١-٣٢٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣٢٨/١-٣٢٩.

(٤) المصدر السابق ص٣٢٩ ، وانظر المصدر السابق ص ٥٣٠.

(٥) في ص ٦١ - ٦٢ من الرسالة .

موقف الأمة الاسلامية من المبتدعة

قد تقدم عرض الخط التاريخي لظهور الفرق وأسباب نشأتها وبروزها فماذا كان موقف الامة الاسلامية من هذه الفرق وكيف واجهوها؟

هذا ما أريد بيانه باختصار شديد ان شاء الله تبارك وتعالى .

فأقول مستعينا بالله تعالي :

قد أمرنا أن نطيع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب والسنة وان فيه كل الخير والفوز والفلاح فى الدنيا والاخرة كما في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تتولوا عنه وانتم تسمعون "(١) . وقوله عز من قائل : " ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " (٢) .

وقوله تبارك وتعالى : " انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون "(٣) . والايات في هذا الباب كثيرة معلومة .

كما جاءت آيات كثيرة فى القرآن تنهي عن مخالفة الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام وعصيان الله ورسوله وان ذلك ضلال يعرض نفسه لمن ارتكب ذلك الهلاك المحقق فى الدنيا والاخرة كما فى قوله تبارك وتعالى: " ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين "(٤) ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) (٥) .

---

(١) سورة الانفال : ٢٠ .
(٢) سورة الاحزاب : ٧١ .
(٣) سورة النور : ٥١ – ٥٢ .
(٤) سورة النساء : ١٤ .
(٥) سورة النور : ٦٣ .

ان الابتداع مخالفة لله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام وعصيان الله ورسوله فان الدين قد كمل لا يحتاج الزيادة . قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم)(١) . وفي الحديث المتفق عليه : " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد "(٢) . وفي رواية " من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد "(٣) . كما حذر تعالى مخالفة الشارع واتباع غير سبيل المومنين قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)(٤) .

وقد مر بنا ذكر عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين كانت امور الدين سليمة من التحريف والتاويلات الباطلة بل كانت على صفاء ونقاء تامين ولم يكن هناك اختلاف ولاجدال الا ماكان من بعض الصحابة في التنازع في القدر فلما راوا غضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ونهيه عنها انتهوا ولم يكن الا تنازعا يسيرا ثم ذهب ولم يحدث بعد بل قد كانوا يتبرئون من القدرية الحقيقية لما ظهرت فيما بعد وتدل هذه القصة على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على امته على ان تعتصم بحبل الله جميعا ولا تختلف ولا تتفرق وعلى حرصه على ماينفع امته في الدنيا والاخرة ولا غرابة في ذلك فقد قال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم)(٥) . كما يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التزام اوامر الله عز وجل واوامر النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا سادوا العالم وفتحوا الشرق والغرب وكانت اعمالهم في الاسلام عظيمة ، فلما خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، هانوا على الناس بعد ان هانوا على الله عز وجل فاصبحوا في ذل وتفرق واختلاف وضعف وكل ذلك سببه البعد عن الله عز وجل وعن شرعه .

---

(١) المائدة : ٣

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه في الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ح:٢٩٧ ومسلم في صحيحه في الاقضية باب نقض الاحكام الباطلة ورد محدثات الامور ح : ١٧١٨ .

(٣) الحديث صحيح رواه مسلم في صحيحه في الاقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ح : ١٧١٨ .

(٤) النساء : ١١٥ .

(٥) سورة التوبة : ١٢٨ .

وقد ورد الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يبين عاقبة الابتداع الوخيمة فعن ابىهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " افترقت اليهود على احدى او اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى او اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة وفي رواية كلهم فى النار الا ملة واحدة قالوا: ماهي يارسول الله ؟ قال: ما أناعليه وأصحابى "(١) .

وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من الاختلاف والافتراق ،وهذا من اخبار الغيب مما يعتبر من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، ويدل الحديث على خطر الاختلاف والافتراض والوعيد الشديد لمن يخالف الفرقة الناجية التي تلتزم على ماكان عليه النبى صلى الله عليه واصحابه رضي الله عنهم فالامر جد خطير لابد من الحذر والحيطة من ان يكون العبد من هذه الفرق التى بيّن الحديث انها من اهل النار.

اما السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من العلماء المحدثين والفقهاء وغيرهم كانوا شديدين على المبتدعة واهل الاهواء كما هو معلوم لمن له المام بسيرهم .

ومعلوم موقف خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاول أبى بكر الصديق من المصلين المنكرين للزكاة اذ قال : " والله لاقاتلن من فرق

---

(١) رواه ابوداود فى السنة باب شرح السنة ح:(٤٥٩٦/٤٥٩٧) والترمذى فى الايمان باب ماجاء فى افتراق هذه الامة ح:(٢٦٤٠) وقال: حديث ابىهريرة حديث حسن صحيح ، تحفة الاحوذى ٣٩٨/٧ ،ونقل المنذرى تصحيح الترمذى وأقره . ورواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه : ليأتين على امتى ما اتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك وان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار الا ملة واحدة قالوا ماهي يارسول الله؟ قال: ما انا عليه واصحابى . قال الترمذي بعد روايته : هذا حديث حسن غريب مفسر ، لانعرفه مثل هذا الا من هذا (=)

بين الصلاة والزكاة " (١) فما الظن لو أنكر عنده أحد صفات الله عز وجل أوحرفها أو أنكر القدر أو غيره من أصول الدين .

وتقدم (٢) موقف امير المؤمنين عمر رضي الله عنه من صبيغ بن عسل الذى كان يسال عن متشابه القران وتأديبه له حتي انتهى عن ذلك ولم يتجرأ احد على مثل فعله بعده أبدا فيعهد عمر رضي الله عنه . وهكذا كان عهد النبوة وعهدى أبي بكر وعمر سليمة من الابتداع والاختلاف في أمور الدين كلها فكانت بحق العصور الذهبية للاسلام والمسلمين .

وبدأت بذور الابتداع في خلافة عثمان رضي الله عنه كبدعة عبدالله بن سبأ وظهرت البدع اول ماظهرت فى خلافة امير المؤمنين كما تقدم بيانه كبدعة الخوارج والشيعة فكان موقف امير المؤمنين علي رضي اللهعنه من الخوارج عظيما فحاول كسبهم للاسلام واستمالتهم فناظرهم وبين لهم الحق وناقشهم بالحسنى وارشدهم . وبعث ابن عباس رضي اللهعنهما ورجع بنصفهم (٣) ، فلم تنفعهم هذه النصيحة والوعظ والارشاد والمعاملة الطيبة فحملوا السلاح على المسلمين فأراد أمير المؤمنين الاقتصاص من القتلة منهم ولكنهم رفضوا وبدأو الحرب فلم يجد بدا من قتالهم حتي يوقف شرهم وفتنتهم عن المسلمين .

وأما موقفه من الشيعة فاما الذين ألهوه وهم الغالية فعاقبهم بالحرق ونفى بعضهم اما الذين فضلوه على الشيخين ابى بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا فجلدهم بجلد المفترى وكل ذلك تقدم تفصيله (٤) .

(=) الوجه وفيه عبدالرحمن بن زياد الافريقى وهو ضعيف فى حفظه من السابعة مات ٥٦ هـ وقيل بعدها تقريب التهذيب ٤٨٠/١ ورواه ابن ماجه فى الفتن باب افتراق الامم ح: ٣٩٩١ ، ٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣ . راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الاول ص ٦ م ٣ برقم ٢٠٣ فهو على اقل الاحوال حسن يحتج به .

(١) متفق عليه وسياتي ان شاء الله تعالى .

(٢) تقدم فى ص ٧٢ من الرسالة .

(٣) درء تعارض ١٧٣/٧ .

(٤) انظر ص ٧٢ - ٧٥ من الرسالة .

أما القدرية فقد تبرأ منهم الصحابة والتابعون رضى الله عنهم كعبد الله بن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم كما تقدم (١) .

أما المرجئة فقد رد عليهم علماء السلف رحمهم الله تعالى وبينوا بطلان مذهبهم واوردوا النصوص التى تدل على ان الايمان يشمل العمل (٢) فهو قول وعمل ، والآيات والأحاديث التي تدل على ان الايمان قول وعمل كثيرة معلومة ، وعلى ذلك اجمع سلف الامة رحمهم الله تعالى كما نقل الأئمة كالبخارى وغيره النصوص التى تبطل قولهم ، وسيأتي تفصيل ذلك في فصل الايمان .

ولما ظهر الجعد بن درهم قام عليه المسلمون فقتلوه ضحي به أمير العراق خالد بن عبد الله القسرى بواسط (٣) .

وكذلك الجهم بن صفوان راس المعطلة بعد الجعد بن درهم تصدى له المسلمون فقتلوه قتله سلم بن احوز (٤) .

وأما واصل بن عطاء الذى ابتدع اول ما ابتدع القول بالمنزلة بين المنزلتين فقد طرده الحسن من مجلسه (٥) .

كما انكر علماء السلف رحمهم الله تعالى على عمرو بن عبيد راس الاعتزال بعد واصل بن عطاء وكانوا لايردون عليه السلام اذا سلم عليهم ، ونهوا الناس عنه حتى صار يمشي وحده فسئل عن ذلك فقال : نهى الناس عني ابن عون فانتهوا (٦) .

---

(١) في ص ٧٩ من الرسالة .
(٢) شرح اعتقاد اهل السنة والجماعة تحقيق احمد سعد ١/ ٤٦ .
(٣) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٠ وانظر تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٩-١٦٠) .
(٤) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧ .
(٥) تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمى ص ٤٣ .
(٦) الميزان ٣/ ٢٧٤ .

وأما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه الامام ابوحنيفه رحمه الله

" أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل ومقاتل مشبهة "(١)

قال الامام الذهبي رحمه الله تعالى بعد أن ترجم للطبقة الرابعة من الحفاظ وفي هذا الزمان ظهر بالبصرة عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزالي ودعوا الناس الى الاعتزال والقول بالقدر وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا الى تعطيل الرب عز وجل وخلق القران وظهر بخراسان تبعا له مقاتل بن سليمان المفسر وبالغ فى اثبات الصفات حتي جسم وقام على هؤلاء علماء التابعين وائمة السلف وحذروا من بدعهم وشرع الكبار فىتدوين السنن "(٢) .

وقد كان كثير من خلفاء الامة يتصدون لهؤلاء المبتدعة ويتتبعونهم بالقتل والاهانة والتاديب وقد تقدم موقف الخليفة ابى بكر من مانعي الزكاة وموقف امير المؤمنين من صبيغ بن عسل الذى كان يسأل عن متشابه القران وكذلك موقف امير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة بقسميها كما قام بهذا الدور المهم الخلفاء من بعدهم كالخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز كما سماه بذلك الامام الشافعى رحمه الله تعالى(٣) فانه ناظر غيلان الدمشقى القدرى الارجائى وبين له الحق واستتابه فتاب ثم نكث التوبة بعد ذلك (٤) .

وناظر الامام الاوزاعى غيلان المذكور هذا وافتى بقتله فقتله هشام بن عبد الملك الخليفة وقطع يديه ورجليه (٥) .

والمهدى العباسى الخليفة تتبع الزنادقة ليستأصلهم (٦) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٦٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ (١/١٥٩-١٦٠) .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/١١٩ .

(٤) درء تعارض ٧/١٧٣ ، وانظر العيون فى رسالة ابن زيدون (ص ٢٩٠-٢٩١) لابن نباته المصرى تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم .

(٥) انظر لسان الميزان (٤/٤٢٤) وانظر العيون فى رسالة ابن زيدون ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

(٦) انظر تذكرة الحفاظ ١/٢٤٤ .

وكذلك الهادى بن المهدى قد شرع فى تطلب الزنادقة فى الآفاق فقتل منهم طائفة كبيرة واقتدى فى ذلك بأبيه (١) .

والرشيد كان قد تتبع خلقا من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة (٢) وقال: " بلغنى أن بشرا يعنى المريسى يقول القرآن مخلوق علي ان ظفرني الله به أن أقتله "(٣) .

وجعفر المتوكل الذى نصر أهل السنة وقمع أهل البدعة القائلين بالقول بخلق القرآن وغيره وتقدم تفصيل ذلك وأمر الناس الا يشتغل أحد الا بالكتاب والسنة لا غير ثم أظهر اكرام الامام إحمد رحمه الله تعالى (٤) .

والقادر بالله الذى استتاب من خرج عن السنة من المعتزلة والرافضة ونحوهم ، سنة ٤١٣ هـ ، وكان حينئذ قد تحرك ولاة الامور لاظهار السنة لما كان الحاكم المصرى وأمثاله من أئمة الملاحدة قد انتشر امرهم (٥) . وأظهر السلطان محمود بن سبكتكى لعنة أهل البدع على المنابر و أظهر السنة . (٦)

وهكذا كان الخلفاء يقمعون أهل البدع والاهواء ويتصدون لهم ويعتنون بالسنة وعلماء السنة الا من شذ منهم كالمأمون ومن اتبعه كالمعتصم والواثق الذين استولي عليهم المعتزلة . وقد تحدثنا عن الفرق واسباب ظهورها ومواجهة الامة لها قبل هذا المطلب بتفصيل أكثر من هذا .

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٥٧.
(٢) المصدر السابق ١٠/١٦١ .
(٣) لسان الميزان ٢/٣٠ .
(٤) البداية والنهاية ١٠/~~٣٥٨~~ ٣١٦
(٥) درء تعارض ٦/٢٥٢-٢٥٣.
(٦) المصدر السابق ص ٢٥٣.

- مرحلة تدوين المذهب السلفي :

لاشك أن فتنة القول بخلق القرآن وان كانت قد جرت للأمة مصائب وبلايا من قتل العلماء وتعذيبهم ورفع راية البدعة ومحاولة طمس الحق الا انها كانت لها فوائد ومواعظ "لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم " (١) اذ نبهت علماء السلف ليشعروا بالخطر المحدق بهم وبالامة من قبل الفرق المبتدعة الضالة وبالاخص المعتزلة الجهمية الذين نصرهم بعض الخلفاء كالمأمون فكان لهم من القوة والتمكن ما أفسدوا به البلاد والعباد .

فاتجه علماء السنة لنصرة الحق ورفع رايته ومحاربة الفرق الضالة وبيان باطلهم للامة وشبهاتهم وتحذير الامة من شرهم . فقام العلماء في اعلاء راية العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة ونشطوا فى ذلك واهتموا به اهتماما كبيرا حتي ساد مذهب السلف وتلاشى مذهب الاعتزال واختفى .

وقد بدأ العلماء مرحلة التصنيف والتأليف وتدوين عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على اهل الاهواء والبدع .

وصاروا فى هذا التأليف على مسلكين :

الأول : الرد على المبتدعة وأهل الأهواء .

يعرضون فيه شبه الخصوم ثم يعقبونه بيان الحق في هذه المسألة معتمدين فى ذلك على الادلة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من علماء السنة والحديث والفقه .

والثاني : عرض معتقد السلف وأهل السنة والجماعة من الكتاب

---

(١) سورة النور: ١١.

والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان ومن جاء بعدهم من أئمة السنة والحديث والفقه .

وقد ذكرنا أهم هذه المؤلفات في عصر ابن كرام الحالة العلمية (١) مما اغني عن اعادته هنا .

- منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة :

وقد اتخذ السلف منهجا معلوما في تقرير الامور الاعتقادية وذلك مدون في كتبهم ومروى عنهم وهو :

١ - تحكيم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في كل مسألة من مسائل العقيدة وعدم رد شيء منهما أو تأويله .

٢ - الاخذ بأقوال الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من الأئمة في الحديث وفي الفقه والتي بينوا فيها مسائل العقيدة .

٣ - عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لامجال للعقل فيه .

٤ - عدم مجادلة أهل البدع او مجالستهم او سماع كلامهم أو عرض شبههم .

٥ - الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم (٢) .

...

---

(١) في ص ٦٤ - ٦٥ من الرسالة .

(٢) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٣ .

موقف الكرامية من اطلاق الجسم على الله عزوجل

الجسم في اللغة :

والجسم في اللغة يعني به جماعة البدن والأشياء الضخمة وعظيمة الخلق والجسم الغلظة والكثافة من الناس والأبل والدواب وغيرهم ، والجمع أجسام وجسوم والجسمان : جماعة الجسم ، والجسمان : جسم الرجل ويقال بانه لنحيف الجسمان ، وجسمان الرجل وجثمانه واحد ، ورجل جسماني وجثماني اذا كان ضخم الجثة ، قال أبو زيد والأصمعي : الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان الشخص (١) .

" وقد ذكر الله لفظ الجسم في موضعين من القرآن : قال الله تبارك وتعالى : (وزاده بسطة في العلم والجسم) "(٢) وقال عز وجل : (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم(٣) .

وقد يفسر الجسم بالصفة القائمة بالمحل وهو القدر والغلظ كما يقال هذا الثوب له جسم وهذا ليس له جسم أى له غلظ وضخامة بخلاف هذا ، وقد يعني بالجسم نفس الغلظ الضخم (٤) " ، ولا يسمى الهواء جسما ولا النفس الخارج من فم الانسان ونحو ذلك جسما (٥) .

الجسم عند الكرامية :

تسمى الكرامية الله تبارك وتعالى جسما ولكن هل يعنون بذلك أنه مركب أو ان مرادهم أنه موجود أو قائم بالنفس لا بمعنى المركب ؟

اختلف مذاهب الكرامية في ذلك فمذهب شرذمة منهم الى أن الجسم هو الموجود وآخرون الى أن الجسم هو القائم بالنفس كما يقول أبو المعالي (٦) .

وقال أيضا " الكرامية المجسمة وان وصفوا القديم بكونه جسما تعالى الله عن قولهم لم يصفوه بكونه صورة على ما ذهب اليه الغلاة من المشبهة (٧) .

وقال الشهرستاني " وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه ، والمقاربون منهم قالوا نعني بكونه جسما أنه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم (٨) .

وذكر الرازى (٩) نفس هذا المعنى أو قريبا منه .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أن بعض الكرامية تقول : ان الله تعالى جسم ، وكل جسم مركب من الجواهر المفردة وأنهم مختلفون في اثبات جوهر الفرد فمنهم من يثبته ومنهم من ينفيه قال : وهم متفقون على أنه سبحانه وتعالى جسم لكن يحكي عنهم

---

(١) الصحاح للجوهرى ٥/ ١٨٨٧ - ١٨٨٨ مادة جسم ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ترتيب القاموس ١/ ٤٩٢ - ٤٩٣ انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة جسم ، تاج العروس ٨/ ٢٣٨ العرب ، مادة جسم .

(٢) البقرة : ٢٤٧

(٣) المنافقون : ٤ (٤) مجموع فتاوى ٥/ ٤٢٠-٤٢١ .

(٥) منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ١/ ١٩٨ شرح حديث النزول له ص ٦٩-٧١ در تعارض العقل والنقل له ١/ ١١٩ ، مجموع فتاوى له ٥/ ٤٢٠ - ٤٢٢

(٦) انظر الشامل ص ٢٨٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٩ وانظر الارشاد ص ٤٣ ، وشرح حديث النزول ص ٨٠ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٢٤ . (٨) الملل والنحل ١/ ١٠٩ .

(٩) انظر اساس التقديس ص ٧٧ - ٧٨ وانظر شرح المواقف (٨/ ٤١) .

نزاع في المراد بالجسم هل المراد به أنه موجود قائم بنفسه أو المراد به أنه مركب ؟، قال : فالمشهور عن ابن الهيصم وغيره من نظارهم أنه يفسر مراده بانه موجود قائم بنفسه
كما ذكر عن بعض الكرامية انها تقول : انه فوق العالم وليس بجسم (٢)
مشار اليه، لا بمعنى مولف مركب (١). والذين أطلقوا لفظ الجسم على الله تعالى منهم من غالي في ذلك ومنهم مقتصد فالغاليه هم الذين يحكى عنهم أنهم قالوا هو لحم وعظم (٣) ونحو ذلك، فهؤلاء وصفوا الله تبارك وتعالى بالنقائص والعيوب المتضمنة تشبيه الخالق بالمخلوق ويسمون المشبهه كاليهود الذين وصفوا الله عزوجل بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه سبحانه وتعالى عنها وهي من صفات الخلق ومثل اليهود في وصف الله تعالى بالنقائص الجهمية النفاة اذ قالوا هو في نفسه تعالى لا يتكلم ولا يحب، والحلوليه يشبهون المخلوق بالخالق فيصفونه بصفات الكمال التي لا تصلح الا لله كما فعلت النصارى في المسيح عليه السلام .

ومن جمع بين النفي والحلول كحلول الجهمية مثل صاحب الفصوص وغيره قالوا الا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم ؟ (٤) .

ومن غلا في التجسيم الهشامية فقد قال هشام ابن الحكم ان الله جسم محدود عريض عميق طويل طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة (٥) تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ومن ذهب الى ذلك بعض الشيعة فقد حكى عن داود الجواربي أنه قال : ان معبود هم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء وأنه له وفرة (٦) سوداء وله شعر قطط (٧) (٨) .

وهذا المذهب مقتبس من اليهودية فهم الذين قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وعن أصابعه حتى خرج منها الدم وغير ذلك من العيوب والنقائص تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فان هذه المقالة من أفسد المقالات وأعظمها كفرا (٩) .

---

(١) شرح حديث النزول ص ٧٥ - ٧٦ منهاج السنة ١/ ٢٤٧، مجموع الفتاوى ٥/ ٤٢٨، ٤٣٥ .
(٢) مجموع فتاوى ٥/ ٣٠٣ ودرء تعارض ٦/ ٢٨٩ .
(٣) مقالات الاسلاميين ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩، الملل والنحل ١/ ١٠٥، شرح المواقف ٨/ ٤١، بيان تلبيس الجهمية ١/ ٥١
(٤) نصوص الحكم لابن عربي ١/ ٨٠، درء تعارض ٧/ ٢٦٠ .
(٥) انظر المقالات الاسلاميين (١/ ٢٥٧) .
(٦) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس، وقيل : ما سال على الأذنين من الشعر والجمع وفار، لسان العرب مادة وفر .
(٧) شعر قطط وقط : شعر الزنجي ، جعد قصير، لسان العرب مادة قطط .
(٨) الملل والنحل ١/ ١٠٥
(٩) انظر المصدر السابق ص ١٠٦، وانظر شرح حديث النزول ص ١٨ والمنتقي مختصر منهاج السنة ص ١٠٤ انظر مجموع فتاوى ٥/ ٤٣٥ .

وان أول من تكلم بالجسم نفيا واثباتا في الاسلام طوائف من الشيعة والمعتزلة (١)، يعني الشيعة القدماء كانوا أول من قال بالتجسيم، وأول من قال ان الله تبارك وتعالى جسم هشام بن الحكم الرافضي (٢).

موقف شيخ الاسلام من اطلاق لفظ الجسم على الله عز وجل :

ان من المعلوم أن موقف شيخ الاسلام ابن تيمية يرتكز دائما على اجلاء عقيدة السلف فهو يحتكم اليها في كل تفاصيل أمور العقيدة ولذا تراه على نهج واضح لا تختلف أقواله ولا تتضارب أفكاره ومن هذا المنطلق أوضح بكل جلاء ان اطلاق لفظ الجسم على الله بدعة لم يرد في اللغة ولا في الشرع ولم يطلق به أحد من السلف على الله جل جلاله وسوف نذكر موقف السلف في الأسماء التي لم ترد في الشرع وتحتمل الحق والباطل، وقد فصله ابن تيمية في مباحث كثيرة تفصيلا شافيا في عدة من كتبه .

ويتخلص في ثلاثة أمور :

الأول : الامتناع عن التكلم بالالفاظ المبتدعة كما فعله امام أهل السنة أحمد ابن حنبل في المناظرة التي جرت بينه وبين محمد بن عيسى برغوث اذ قال الأخير للامام: انه اذا أثبت لله كلاما غير مخلوق لزم أن يكون جسما . أجابه الإمام أحمد رحمه الله بأن هذا اللفظ لا يدرى مقصود المتكلم به ، وليس له أصل في الكتاب والسنة والاجماع فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله .

فبين أنه لا يقول هو جسم ولا ليس بجسم لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الاسلام فليست من الحجج الشرعية التي يجب على الناس اجابة من دعا الى موجبها (٣).

وأيضا فان المناظرة في الألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل اذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئا ذلك أن أكثر الخلاف الحاصل بين الطوائف من جهة اشتراك الأسماء .

وأيضا لاحتجنا في أصول ديننا الى مالم يبيّنه الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام مثل تلك الألفاظ التي تطلق على الله تعالى ولم يرد بها كتاب ولا سنة ولا أثر عن سلف هذه الأمة لو احتجنا الى ذلك ولاقتضى ذلك أن الدين لم يكمل ولم يتم الله نعمته على هذه الأمة وفساد ذلك بيّن (٤).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٥٤
(٢) المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٤١٧
(٣) انظر درء التعارض (١/ ٢٣٠).
(٤) أنظر المصدر السابق ص ٢٣٣.

وبالجملة فقد كان السلف يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله من صفاته وأفعاله ولا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات، ولذا أنكر الامام أحمد علي من قال ان الله جبر العباد وقال : "يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء".

وأنكر سفيان الثوري لفظ "جبر" وقال: الله تعالى جبل العباد، قال المروزي راوي الأثر عن سفيان الثوري، أظنه أراد قول (١) النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس(٢).

وأيضا فان الألفاظ المبتدعة ليس لها ضابط، بل كل قوم يريدون بها معنى غير المعنى الذي أراده أولئك كلفظ الجسم والجهة والحيز ونحو ذلك بخلاف ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام فان مراده بها يعلم كما يعلم مراده بسائر الفاظه ولو لم يعلم الرجل مراده لوجب عليه الايمان بما قاله مجملا (٣).

ولذا أنكر الأئمة من السلف على المتكلمين بهذه الألفاظ المحدثة المبتدعة وجعلوهم من أهل الكلام الباطل المبتدع وأثر عنهم أقوال غليظة على أهل الكلام مثل قول الشافعي حكمي في أهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام (٤).

ان هذا المسلك ألا وهو التقيد بالالفاظ الشرعية في باب الأسماء والصفات والأفعال فلا يثبت له الا ما أثبته لنفسه أو اثبت له رسوله عليه الصلاة والسلام ولا ينفى عنه الا ما نفاه عن نفسه أو نفى عنه رسوله عليه الصلاة والسلام والإمساك عن الألفاظ المبتدعة وعدم مجاراتهم فيما خاضوا لهو المسلك الصحيح الذي مشى عليه سلف الأمة ومن سار على نهجهم وهو الذي قرره وأنتصر له أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى

---

(١) حديث الأشج وقوله صلى الله عليه وسلم له : "ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة" صحيح مسلم في الايمان باب الأمر بالايمان بالله تعالى ورسوله ح : ١٧، ٢٥ وما عناه المروزي من حديث الأشج هو ما سأله الأشج النبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال : الله جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقتين يحبهما الله ورسوله، سنن أبي داود في الأدب باب في قبله الرجل ح : ٥٢٢٥ "المسند للامام احمد ٤/ ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) انظر شرح حديث النزول ص ٧٧ - ٧٨ وانظر مجموع فتاوى ٥/ ٤٣١ - ٤٣٢

(٣) شرح حديث النزول ٧٩

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٩٨)، منهاج السنة ٢/ ١٠١، انظر صون المنطق ص ١٥٠ نقلا عن كتاب الانتصار لأهل الحديث لأبي المظفر ابن السمعاني .

الأمر الثاني : الاستفسار والاستفصال عن مقصود المتكلم بهذه الألفاظ فإن فسرها بالمعنى الذى يوافق الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلت وان فسرها بخلاف ذلك ردت ومع ذلك ينبغي أن يعبر عن هذا المعنى الصحيح الذى أراده بألفاظ النصوص لا يعدل عنها الى غيرها لأن إطلاق هذه الألفاظ نفيا وإثباتا بدعة وفي كل منهما تلبيس وايهام فلابد من الإستفسار والإستفصال أو الإمتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والاثبات (١).

وذلك مثل إطلاق بعضهم لفظ الجسم على الله فهنا يستفسر ماذا يريد بهذا اللفظ المجمل ؟ فإن أراد به حقا قبل وان أراد به باطلا رد الباطل مثل أن يريد من نفي الجسم نفي قيامه بنفسه وقيام الصفات به فنقول هو قائم بنفسه وله صفات قائمة به ولا يترك الحق الذى دل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول لأجل تسمية من سمى ذلك تجسيما (٢) ومثل ذلك ان نفي كونه مركبا فان أراد به أن سبحانه ركبه مركب أو كان متفرقا فتركب وانه يمكن تفرقه وانفصاله فالله تعالى منزه عن ذلك وإن أراد أنه موصوف بالصفات مباين للمخلوقات فهذا المعنى حق ولا يجوز رده لأجل تسميته له مركبا (٣) وقس على ذلك الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل فإطلاق نفيها يقتضي نفي الحق الذى تحتمله واطلاق اثباتها يقتضي اثبات الباطل الذى تحتمله ومن هنا كان لزاما علينا الإستفسار والإستفصال ليقبل الحق ويرد الباطل وقول القائل إن ثبوت الصفات ومباينة المخلوق يستحق أن يسمي في اللغة تجسيما وتركيبا ونحو ذلك وعليه يجب نفيه عن هذا الإسم فان هذا النفي ليس من الشرع ولا من العقل أيضا .

فأما الشرع فليس فيه ذكر هذه الاسماء في حق الله لا بنفي ولا بإثبات ولم يؤثر عن سلف هذه الأمة في حق الله بذلك فقول القائل إن الله جسم أو ليس بجسم وهلم جرا بدعة محدثة ليس لها أصل من الشرع البتة .

وان أراد المتكلم بأن الله ليس بجسم أن نفي ذلك معلوم بالعقل وهو الذى تدعيه النفاة ويدعون أن نفيهم المعلوم بالعقل عارض نصوص الكتاب والسنة .

قيل له فالأمور العقلية المحضة لا عبرة فيها بالألفاظ فالمعنى اذا كان معلوما اثباته بالعقل لم يجز نفيه لتعبير المعبر عنه بأى عبارة عبر بها وكذلك اذا كان معلوما انتفاؤه بالعقل لم يجز اثباته بأى عبارة عبر بها المعبر (٤).

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٣٢)
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٨).
(٣) " " (١/ ٢٣٩).
(٤) درء التعارض (١/ ٢٣٩ - ٢٤٠).

الأمر الثالث: يجيز ابن تيمية مخاطبة المعارضين للشرع بما يزعمونه من أن العقل الصريح دل على باطل مخالف للشرع أو كان المخاطب من لا يلتزم بالإسلام أو ممن عرضت له شبهة يجيز ابن تيمية مخاطبة أولئك بالفاظهم أو بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم اذ الكلام اما أن يكون في الفاظ أو في المعاني أو فيهما، فان كان في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كالذى تسلكه المتفلسفة ونحوهم الذين يسمون الله علة وعاشقا معشوقا ونحو ذلك فهولاء إن أمكن نقل معانيهم الى العبارة الشرعية كان حسنا وان لم يمكن مخاطبتهم الا بلغتهم فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ وشبه رحمه الله جهاد أولئك ورد شبههم وبيان ضلالهم بلغتهم واصطلاحاتهم إن لم نجد سبيلا غير هذا كدفع الكفار الذين لا يمكن دفعهم الا بلباس ثيابهم فدفعهم حينئذ عن ديار المسلمين خير من تركهم يستبيحون بيضة المسلمين خوفا من التشبه بهم في الثياب (١).

وهذا المسلك من شيخ الاسلام يدل على فقه صحيح للشريعة فان الضرورة تلجئ الى مثل ذلك لا أن نجاريهم في اصطلاحاتهم بغير داع يدعو الى ذلك .

وليس من الفقه في شئ ترك أولئك يضلون الناس ويضرونهم مع القدرة على رد شبههم وان استدعى الأمر مخاطبتهم بلغتهم واصطلاحاتهم .

ومع هذا فلا ينبغي أن نجعل الضرورات قاعدة لا نحيد عنها فان الضرورة تقدر بقدرها والضرورة تبيح المحظورات وعليه فان موقف شيخ ابن تيمية من اطلاق الجسم على الله يتلخص فيما يلي :-

ان كان المراد من الجسم أنه مركب من الجواهر المفردة فهذا خطأ يجب رده (٢).

وقال أيضا (٣) أن من أطلق لفظ الجسم على الله وأراد أنه مركب من الأجزاء فهذا قول باطل ، وكذلك ان أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثله شئ في شئ من أسمائه وصفاته وأفعاله (٤).

وقد ذكر الشيخ ابن تيميه ان قدماء الشيعة كهشام بن الحكم وغيره كانوا يقولون بالتجسيم اكثر من قول الكرامية .

(١) انظر درء التعارض (١ / ٢٣١).
(٢) انظر منهاج السنة ٢ / ٩٧ تحقيق د . محمد رشاد سالم .
(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٣٣١
(٤) انظر تفسير سورة الاخلاص ص. ٨ انظر منهاج السنة ٢ / ٩٧ تحقيق د . محمد رشاد .

موقف الكرامية

من اطلاق التحيز على الله تبارك وتعالى

الحيز في اللغة :

الحوز : الجمع وكل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة واحتازه أيضا (١) والحوزة : الناحية (٢) ، والحوز : موضع يحوزه الرجل يتخذ حواليه مسناة ، والجمع أحواز ، وهو يحمي حوزته أى ما يليه ويحوزه ، والمحاوزة : المخالطة (٣) .

وانحاز القوم : تركوا مركزهم الى آخر (٤) وقد جاء في القرآن في هذا المعنى قوله تعالى : (أو متحيزا الى فئة)(٥) وتحوزت الحية وتحيزت أى تلوت يقال : مالك تتحوز تحوز الحية وتتحيز تحيز الحية قال القطامي :

تحيز مني خشية أن أضيفها : كما انحازت الأفعي مخافة ضارب (٦) .

هذا هو الموجود في الكتب اللغة في معنى هذا اللفظ الحيز ، ومادته تقتضي أن التحيز والانحياز والتحوز ونحو ذلك يتضمن عدولا عن محل الى محل ، وهذا أخص من كونه يحوزه أمر موجود ، فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة الى جهة ، ولهذا يقولون : حزت المال وحزت الابل وذلك يتضمن نقله من جهة الى جهة ، فالشيء المستقر في موضعه كالجبل . . . لا يسمونه متحيزا) (٧) .

وأعم من هذا أن يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود فيسمى كل ما أحاط به غيره أنه متحيز ، وعلى هذا فما بين السماء والأرض متحيز ، بل ما في العالم متحيز الا سطح العالم الذى لا يحيط به شيء ، فان ذلك ليس بمتحيز ، وكذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار ، فانه ليس في عالم آخر أحاط به(٨) وعلى هذا يلاحظ في المتحيز معنيان :

المعنى الاول : الانتقال من حيز الى حيز آخر اى من جهة الى جهة أخرى .

المعنى الثاني : ما أحاط به غيره بالحيز الوجودى .

---

(١) الصحاح للجوهرى ٣/٨٧٥ مادة حوز ، القاموس مادة الحوز لسان العرب لابن منظور ٥/٣٤١ ، مادة حوز .

(٢) الصحاح ٣/٨٧٦ لسان العرب ٥/٣٤٢

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) الصحاح ٣/٨٧٦ لسان العرب ٥/٣٤٢

(٥) الأنفال : ١٦

(٦) الصحاح ٣/٨٧٥

(٧) تفسير سورة الاخلاص ص ٦٤ ، مجموع فتاوى ١٧/٣٤٤

(٨) تفسير سورة الاخلاص ص ٦٤ ، مجموع فتاوى ١٧/٣٤٤ وانظر درء ٥/٥٥ - ٥٦

موقفهم من اطلاق لفظ التحيز على الله تعالى : في كتب الفرق والمقالات

ويتلخص ما ذكر عن الكرامية في وصف الله تبارك وتعالى بالتحيز على قولين هما في طرفي نقيض :

أحدهما : انه تعالى متحيز .

الثاني : انه تعالى ليس بمتحيز .

أما الأول فهو ما ذكره امام الحرمين والآمدى ، قال الامام الحرمين وهو يخاطب الكرامية : (قد وصفتم الرب تعالى بكونه متحيزا ، وكل متحيز حجم وجرم (١) .

وقال الآمدى : ان من مذهبهم ان الرب متحيز) (٢) .

اما القول الثاني الذى هو نقيض للاول فهو ما ذهب اليه محمد بن الهيصم الكرامي وغيره من الكرامية أن الله تعالى ليس بمتحيز كما ذكره عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية والشهرستاني وقال الأخير : (قال محمد بن الهيصم : بأنه تعالى مباين للعالم بينونة أزلية ونفي التحيز) (٣) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قول الكرامية والكلابية والأشعرية القدماء ومن وافقهم من الفقهاء اتباع أئمة الأئمة وأهل الحديث والصوفية في علو الله تعالى وأنهم يقولون انه تعالى فوق العالم وليس . . . بمتحيز) (٤) .

وعقب شيخ الاسلام ابن تيمية على كلام الآمدى المذكور أن من مذهب الكرامية أن الرب تعالى متحيز فقال : (يقال : اذا كان من مذهبهم أن الرب متحيز كما حكاه عنهم ، مع أن ابن الهيصم وغيره منهم ينكر ان يكون متحيزا . . .) (٥) .

(فما ذكر من حجة المعتزلة عليهم غايتها الزامهم اذا قامت به الصفات والحوادث أن يكون متحيزا ، فاذا كانوا ملتزمين لذلك كان هذا طرد قولهم ، مع أنهم يمكنهم أن يلزموا المعتزلة بقيام الحوادث به تعالى وان لم يكن متحيزا (٦) .

---

(١) الارشاد ص ٤٦ ، درء تعارض ٢ / ١٩٨

(٢) درء تعارض ٤ / ١٠٤ نقلا عن أبكار الأفكار للآمدى ١ / ٤٨٧ - ٤٨٨ نسخة رقم ١٩٥٤

(٣) الملل والنحل ١ / ١٠٩

(٤) انظر مجموع فتاوى ٥ / ٣٠٣ ، درء تعارض ٦ / ٢٨٩

(٥) انظر درء تعارض ٤ / ١٠٥

(٦) انظر المصدر السابق نفسه ص ١٠٥ - ١٠٦

وهكذا اختلفت الكرامية في القول بالحيز فمنهم من أثبت و منهم من نفى وكلا المذهبين مخالف لمذهب السلف فانهم لا يثبتون الألفاظ المجملة المبتدعة ولا ينفونها.

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في اطلاقها على الله تعالى بانه متحيز أوليس بمتحيز : تقدم في موقف الكرامية من اطلاقهم الجسم على الله تعالى وسيأتي ان شاء الله موقفهم من اطلاق الجوهر على الله عزوجل، ومارد عليهم من أن الألفاظ المجملة المبتدعة لم يثبتها السلف الصالح ولم ينفها ولم ترد في الكتاب والسنة على مراد واصطلاح هؤلاء المتكلمين والفلاسفة ،

وأن اطلاق هذه الألفاظ المبتدعة كلفظ التحيز واطلاقه على الله تبارك وتعالى كقول القائل : ان الله تعالى متحيز أو ليس بمتحيز ونحو ذلك كما تقوله الكرامية وغيرها من أهل الكلام الباطل هي أقوال محدثة مبتدعة فانه لا يوجد شيء من ذلك في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا في كلام أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين رضي الله عنهم جميعا : أنه علق بمسمى لفظ التحيز ونحو ذلك شيئا من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل لا نفيا ولا اثباتا (١).

بل الأئمة الكبار أنكروا على المتكلمين وبينوا أن هذا من الكلام المبتدع الباطل وقالوا فيهم أقوالا غليظة معروفة كالامام (٢) كالشافعي رحمهم الله تعالى جميعا ،

وكان أهل الاثبات يعني الذين يثبتون صفات الله تبارك وتعالى

---

(٢) مجموع فتاوى ٣/٣٠٧ بتصرف قليل ، انظر المصدر السابق ٥/٢٩٨، ٣٠٥، ٨/٣١٣، وانظر درء تعارض ١/٢٣٩، ٥/٥٧، ٧/١٥

(٢) مجموع فتاوى ٥/٢٩٨ بتصرف قليل ، انظر تعارض ١/٢٣٩.

من أهل الحديث والسلفية من جميع الطوائف منهم من ينفي لفظ " المتحيز " وأكثرهم لا يطلقه ولا ينفيه لأن هذه الألفاظ مجملة تحتمل حقا وباطلا (١) .

ويناقش شيخ الاسلام ابن تيمية الذين يدعون أن كل موصوف متحيز وأن قيام الصفة بدون المتحيز ممتنع فقال في ذلك : " فيقال : من الناس من ينازعك في هذا ، ومنهم من يوافقك عليه ، والموافقون لك منهم من يقول : كل قائم بنفسه متحيز ، ولا أعلم قائما بنفسه الا المتحيز ومنهم من يقول : بل أعلم قائما بنفسه غير المتحيز ، فقولك لا يصح الا اذا ثبت لك أن كل موصوف متحيز وثبت لك وجود موجود ليس بمتحيز ، حتى يستلزم ثبوت موجود ليس بموصوف .

وأضاف شيخ الاسلام ابن تيمية قائلا : " وجمهور الخلق ينكرون هذه الدعوى ، بل يقولون : اثبات موجود لا يوصف بشيء من الصفات ، بل هو ذات مجردة ، كاثبات وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص وهذا كله ممتنع لمن تصوره بضرورة العقل ، ويقولون : هذا انما يعقل تصوره في الأذهان لا في الأعيان ، والذهن يقدر فيه الممتنعات ، كالجمع بين الضدين والنقيضين (٢) .

ثم يستفسر ويستفصل عن المقصود بالحيز ونحوه فـأثبتنا المعنى الذى أثبته الله ونفينا المعنى الذى نفاه الله (٣) كما قال : (والجواب المركب أن يقال : ما تعني بقولك متحيزا ؟ أتعني به ما كان له حيز موجود يحيط به ؟ أم تعني به ما يقدر المقدر له حيزا عدميا ، أو ما كان محازا عن غيره ؟ فان عنيت الأول يعني الذى هو له حيز موجود يحيط به ، كان باطلا متناقضا ، فان الأجسام ان كانت متناهية لم تكن في حيز وجودى ، فانها اذا كانت متناهية ، لو كانت في حيز وجودى ، لزم أن يكون الجسم في جسم آخر الى مالا يتناهي ولزم وجود أبعاد لا تتناهى ، وان كانت غير متناهية امتنع كون مالا يتناهي في حيز وجودى ، لأن ذلك الحيز هو أيضا داخل فيما لا يتناهى .

قال : فهذا جواب برهاني ، والجواب الالزامي أن قولك : كل موصوف يحيط به حيز وجودى يستلزم وجود أجسام لا تتناهى ، وهذا باطل عندك ، فان العالم متحيز موصوف وليس في حيز وجودى (٤) ، وان أراد شيئا موجودا غير الله تعالى فذلك من جملة مخلوقاته (٥) وان قلت : أعني به أمرا عدميا .

---

(١) درء التعارض ٧ / ١٥ بتصرف قليل .
(٢) درء التعارض ٤ / ٧٩ - ٨٠
(٣) انظر درء التعارض ١٠ / ٣٠٢
(٤) المصدر السابق نفسه ص ٨٠ - ٨١ ، ٥٦ ، انظر المصدر السابق ٦ / ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ ، ٣١٩ مجموع فتاوى ٦ / ٤٠
(٥) درء التعارض ٧ / ١٥

قيل لك : العدم لا شيء ، وما جعل في لا شيء لم يجعل في شيء فكأنك قلت : المتحيز ليس في غيره ، وحينئذ فلا نسلم لك امتناع كون الرب تعالى متحيزا بهذا الاعتبار (١) .

وكذلك ان فسرته بالمتحاز المباين لغيره ، كان نفي اللازم ممتنعا (٢) وأنه متميز عن الخلق بائن عنهم ليست ذاته مختلطة بذات المخلوق ، وبذلك دلت النصوص وأن الله تعالى عال على الخلق بائن عنهم (٣) . فان قلت قد قام الدليل على حدوث ما كان كذلك ، لان ما كان كذلك لم يخل من الحوادث والأعراض ، أو كان مختصا بقدر أو صفة أو تميز منه شيء عن شيء وهذا تركيب - عاد الكلام الى هذه الموارد الثلاثة ، وقد علم أنها مادة الكلام الباطل (٤) .

وقد ذكر انه لم ينقل عن العرب اطلاق الجوهر بازاء كل متحيز حامل للأعراض (٥) .

وناقش شيخ الاسلام ابن تيميه قول الكرامية وافقهم فيه الآمدى فقال :

" اذا كان قابلا للاشارة كان متحيزا فذكر أنه لا يسلم له ذلك وقال :

وقوله : لا معنى للمتحيز الا هذا : ان أراد به أن المفهوم من كونه مشارا اليه هو المفهوم من كونه متحيزا كان قوله فاسداً بالضرورة . وان أراد أن ما صدق عليه هذا صدق عليه هذا ، قيل له : من الناس من ينازعك في هذا ويقول : انه سبحانه وتعالى فوق العالم ويشار اليه ، وليس بمتحيز ، فان قال : هذا فساده معلوم بالضرورة .

قيل له : ليس هذا بأبعد من قولك : انه موجود قائم بنفسه ، متصف بالصفات ، مرئي بالأبصار ، ومع هذا لا يشار اليه ، وليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا مداخل (٦) .

ورد على قوله : " المتحيز اما أن يكون منتقلا عن حيزه او لا يكون منتقلا عنه والأول هو الحركة والثاني هو السكون ، والحركة والسكون حادثان على ما يأتي ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث " (٧) فقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رده " ليس كل متحيز آمرا وجوديا فان العالم متحيز وليس له حيز وجودى ومن قال : ان البارى تعالى وحده فوق العالم أو سلم لك انه متحيز لم يقل انه حيز وجودى ، وحينئذ فالحيز أمر عدمي (٨) .

---

(١) درء التعارض ٤ / ٨١ وانظر المصدر السابق ص ١٥٦ ، وانظر ٦ / ٣١٣ ، ٢ / ١٦ - ١٧

(٢) درء التعارض ٤ / ٨١ انظر المصدر السابق ٥ / ٥٦ انظر ٦ / ٣١٩ - ٣٢٠

(٣) انظر درء التعارض ٥ / ٥٦ ، ٧ / ١٥ وانظر مجموع فتاوى ٦ / ٤٠ ، ٥ / ٢٩٩ - ٣٠٠ انظر لوامع الأنوار ١ / ٢٠٧ - ٢٠٨

(٤) درء التعارض ٤ / ٨١

(٥) المصدر السابق ٤ / ١٤٠

(٦) المصدر السابق ٤ / ١٥٥

(٧) المصدر السابق نفسه ص ١٥٤ نقلا عن أبكار الأفكار ١ / ٤٦٤ - ٤٦٥ نسخة رقم ١٩٥٤ م وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢١٩ وانظر درء ٦ / ٢٥٩

(٨) درء التعارض ٤ / ١٥٦

وبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن لفظ " المتحيز " لما كان فيه اجمال وابهـــام، امتنع طوائف من أهل الاثبات عن اطلاق القول بنفيه أو اثباته ولا ريب أنه لا يوجد عـــن أحد من السلف لا اثباته ولا نفيه (١) كما اوضح أن السبب في ذلك كون المتحيز من الألفاظ المجملة التي يراد بها حق وباطل وعامة من أطلقها في النفي أو الاثبات أراد بها ما هو باطل، لا سيما النفاة، فان نفاة صفات الله تبارك وتعالى كلهم ينفون المتحيز ونحو ذلك ويدخلون في نفي ذلك نفي صفات الله وحقائق أسمائه ومباينته لمخلوقاته، بل اذا حقق الأمر عليهم، وجد نفيهم متضمنا لحقيقة نفي ذاته، اذ يعـــود الأمر الى وجود مطلق لا حقيقة له الا في الذهن والخيال، أو ذات مجردة لا توجد الا في الذهن والخيال، أو الى الجمع بين المتناقضين باثبات صفات ونفي لوازمها (٢).

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على الكرامية ومن وافقهم من المتكلمين القائلين: "كل ما كان متحيزا مماثل لكل ما هو متحيز" (٣) وذلك أنهم يثبتون الجوهر الفرد الذى لا يبنى عليه تماثل الاجسام والتحيز يطلق على الجوهر وعلى الجسم (٤).

فبين في رده على هؤلاء فـــــي قولهم هذا أنه ليس في لغة العرب أن المتحيزات متماثلات وان ادعى بعض المتكلمين ذلك عقلا.

كما أوضح بأن القرآن قد نفى ذلك قال تعالى: "وان تتولوا يستبدل قوما غيركـــم ثم لا يكونوا أمثالكم (٥) قال: "فقد نفى التماثل عن صنفين من بني آدم، فنفي التماثل عن الحيوان، والانسان، والفلك، والتراب أولى" (٦).

واستشهد على ذلك الآيات الكثيرات منها قوله تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير) (٧) وقوله عز من قائل: (وما يستوى الأحياء ولا الاموات) (٨) وقوله تبارك وتعالى: (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) (٩).

---

(١) درء التعارض ٥٧/٥.

(٢) درء التعارض ٥٧/٥

(٣) درء التعارض ٧/٦

(٤) انظر درء تعارض ١٥١/٤.

(٥) محمد: ٣٨

(٦) درء التعارض ٧/٦

(٧) فاطر: ١٩

(٨) فاطر: ٢٢

(٩) الحشر: ٢٠

يقول نفاة التحيز والجهة من/ الكرامية ومن وافقهم : (اذا وجب تنزيه الرب عن الحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه له تنزيه الرب عن الجهة ، فليس بجهة فوق عند هم ، لأنه يلزم من ذلك عند هم متى اختص بجهة أن يكون في مكان وحيز) (١) .

وعقب على هذا القول الامام القرطبي وبين أن السلف رحمهم الله تعالى لم ينكر أحد منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة (٢) وبهذا يتضح أن السلف الصالح رحمهم الله تعالى لم ينفوا العلو والفوقية والاستواء من أجل أنه يستلزم الحيز والمكان من الألفاظ المجملة التي تحتاج الى استفسار واستفصال لمعرفة المقصود منها فان قصد بها حقا قبل ذلك الحق ، وان قصد بها باطلا رد ذلك الباطل .

ورد شيخ الاسلام ابن تيمية على الكرامية ومن وافقهم من/ المتكلمين الذين ينفون التحيز عن الله تعالى قالوا : " انه تعالى ليس بمتحيز لأن كل متحيز منقسم لذاته ، بناء على نفي الجزء وكل منقسم لذاته ممكن لافتقاره الى جزئه الذى هو غيره " قال : (ومعلوم أن هذه الحجة قد تبين فسادها . . . وبين أن مبناها على الألفاظ المجملة المشتبهة وهي أصل توحيد الفلاسفة وقد بين نظار المسلمين فسادها كما بين ذلك الغزالي وغيره) (٣) ، ومعلوم أن الفلاسفة ينكرون صفات الله تبارك وتعالى بحجة انها تركيب وهذا معلوم البطلان شرعا وعقلا .

وهكذا بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن اثبات التحيز ونفيه بدعة لم يرد في كتاب الله الكريم وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا جاء على لسان أحد من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من السلف الصالح وعلماء أهل السنة المعتبرين .

فالكرامية كما تقدم تقول بعضهم ان الله تعالى متحيز كما يقول بعضهم ان الله تعالى ليس بمتحيز وكل هذا باطل مخالف للكتاب والسنة والسلف الصالح كما تقدم .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧ / ٢١٩ ، ونقل عنه في د رء التعارض ٦ / ٢٥٩

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) د رء التعارض ٦ / ٢٩٤ - ٢٩٥ ، انظر تهافت الفلاسفة للغزالي الذى رد فيه على الفلاسفة وأبطل فيه قولهم .

موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجوهر على الله تبارك وتعالـــى

الجوهر في اللغة :

الجوهر كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ، ومن الشيء ماوضعت عليه جبلته (١)

وقيل : الجوهر فارسي معرب (٢) .

واما معنى الجوهر الاصطلاحي فقد اختلف الناس فيه . (٣)

قول الكرامية فيه :

ان لفظ " الجوهر " من الألفاظ التي تنازع أهل الكلام المحدث فيها نفيا واثباتا(٣) .

اختلفت الكرامية في اطلاق لفظ الجوهر على الله تبارك وتعالى على مذهبيـــن متناقضين :-

المذهب الأول : اطلاقهم على الله عزوجل بأنه جوهر كما حكى عنهم البغـــدادى والاسفراييني والشهرستاني أن ابن كرام وصف الله تبارك وتعالى بأنه جوهر وذكر ذلك في خطبة كتابه المعروف " بعذاب القبر " قال : " ان الله احدى الذات أحدى الجوهــر"(٤) غير أن أتباع ابن كرام لا يطلقون لفظ الجوهر على الله تعالى عند العامة خوفا من الشناعـة لكنهم يقولون : " ان الله تعالى جسم " (٥) .

المذهب الثاني : نفيهم عن الله عزوجل بأن يكون جوهرا ، كما ذكر عنهم شـــيخ الاسلام ابن تيمية وهو يحكي بعض مذهبهم في الغلو قال : " قول من يقول : انه (أى سبحانه وتعالى) فوق العالم وليس . . . بجوهر " (٦) .

ويبدوا أن القائلين بأن الله تعالى ليس بجوهر من الكرامية هم اتباع ابن كرام الذين استشنعوا القول على الله تعالى بأنه جوهر (٧) .

وفسر بعضهم أن تسمية الكرامية الله جل وعلا جوهرا إنما يعنون به الموجود القائـم بنفسه وبمعنى الذات ، وذكروا أن هذا كان اصطلاحا شائعا بين الحكماء وعلـــى ذلك سار محمد بن كرام (٨) .

---

(١) قاموس المحيط مادة جوهر ، لسان العرب مادة جهر .
(٢) لسان العرب مادة جهر .
(٣) منهاج السنة ٢/ ٩٨ تحقيق د . محمد رشاد سالم .
(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١٦ التبصير في الدين ص ١١٢ ، الملل والنحل ١/ ١٠٨ - ١٠٩
(٥) انظر الفرق بين الفرق ص ٢١٦
(٦) مجموع فتاوى ٥/ ٣٠٣ بتصرف قليل .
(٧) انظر الفرق بين الفرق ص ٢١٦
(٨) انظر هامش شرح المواقف ٨/ ٤٤

وشنع المتكلمون على الكرامية في قولهم ان الله تعالى جوهر ،كأبي المعالي والبغدادي والاسفراييني والرازي وغيرهم ويقولون : انه تعالى ليس بجوهر .

والحق أن هذا اللفظ " الجوهر " من الألفاظ المجملة المبتدعة التي لم يرد عن السلف اثباتها ولا نفيها وليس من الألفاظ الشرعية التي جاءت في كتاب الله الكريم ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،فيستفسر ويستفصل عن المقصود بها ،فان كان معنى صحيحا موافقا للكتاب والسنة قبل والا رد على صاحبه ،وقد تقدم تفصيل هذه الألفاظ وموقف علماء السلف منها ،وما كشفه هناك شيخ الاسلام ابن تيمية من حقيقة هذه الألفاظ وبين خطورتها وكيفية مواجهته أصحابها بالتفصيل مما اغنى عن اعادتها (١)

وقد اختلفت الكرامية في الجوهر الفرد (٢) على قولين في طرفي نقيض :

القول الأول : اثباته قالوا : ان الله تعالى جسم وكل جسم مركب من الجواهر المنفردة (٣) .

القول الثاني : نفي الجواهر الفردة (٤) وقال بذلك كثير من الكرامية (٥) .

وقالت الكرامية أيضا : لا يزال الجسم قابلا للانقسام الى أن يصغر فيستحيل معه تمييز بعضه عن بعض، وكذا قال بعض نظار المسلمين وهو قول بعض أساطين الفلاسفة (٦) .

---

(١) في موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجسم على الله تعالى .

(٢) انظر درء التعارض ٤/ ١٠٦ وانظر شرح حديث النزول ص ٧٥

(٣) انظر شرح حديث النزول ص ٧٥

(٤) انظر درء التعارض ٤/ ١٠٦ وانظر شرح حديث النزول ص ٧٥

(٥) درء التعارض ١/ ٣٠٣ وانظر المصدر السابق ٧/ ٢٢١

(٦) انظر منهاج السنة ٢/ ١٠١ تحقيق د . محمد رشاد سالم .

والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى انه لا يتميز يمينه عن يساره ومعلوم أن اكثر العقلاء من بني آدم لا يتصور الجوهر الفرد ، والذين يتصورونه أكثر هم لا يثبتونه ، والذين أثبتوه انما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة وقد علم بالاضطرار أن أحدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ولا بما يدل على ثبوته عنده بل ولا العرب قبلهم ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة ، ولا اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام ولو قيل لأحد من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزى ، أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد كلفة ، ثم تصوره قد يكذبه بفطرته ويقول : كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب؟ وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، فالفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث والتصوف ، ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الأجسام الى بعض ، كاستحالة العذرة رمادا والجنزير ملحا ، ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تطهر أم لا تطهر؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم ، بل تلك الجواهر التي كانت في الأول هي بعينها في الثاني ، وانما اختلفت التراكيب ولهذا يتكلم بلفظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد أخذ هذا التركيب عن المتكلمين ويقول : ان الماء يفارق غيره في التركيب فقط ، وكذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم (١) .

ويدعون أنه لم يشاهد قط ما أحدثه الله تبارك وتعالى من الجواهر والأعيان القائمة بنفسها ، وما خلقه عزوجل من المخلوقات كلها من الحيوان والنبات والمعدن والثمار والمطر والسحاب وغير ذلك انما هو جمع الجواهر وتفريقها وتغيير صفاتها من حال الى حال ، لا أنه يبدع شيئا من الجواهر والأجسام القائمة بأنفسها .

---

(١) مجموع فتاوى ١٧ / ٣٢١ - ٣٢٢

وهذا القول ينكره أكثر العقلاء ويقولون : هو مخالف للحس والعقل والشرع، فضلا أن يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى (١) .

وسيأتي تفصيل رد شيخ الاسلام ابن تيمية على القائلين بأن الله تعالى جوهر أو ليس بجوهر سواء من أخطأ منهم في اللفظ أو في المعنى ان شاء الله تعالى .

والكرامية تقول بكلا القولين كما سبقت الاشارة الى ذلك يعنى منهم من يقول بهذا القول ومنهم من يقول نقيض ذلك القول (٢) .

واذا يتناول الرد الموجه لكل من الفريقين على الكرامية .

---

(١) مجموع فتاوى ١٧/ ٣٢٢-٣٢٣ بتصرف قليل .

(٢) تقدم في ص ١٣٢ من الرسالة .

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في الجوهر :

معلوم أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قد أبطل أقوال أهل البدع من المتكلمين والفلاسفة وبين فساد أقوالهم ومخالفتهم للشرع والعقل والسلف، وأوضح أن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل التي يعتمدون عليها كالجوهر ونحوه مخالفة لكتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الشريفة وما كان عليه الصحابة والتابعون وعلماء السلف الصالح رحمهم الله تعالى وبين ذلك في كتبه ورسائله وفتاويه (١).

وقد تقدم (*) قول الامام احمد رحمه الله تعالى لابن برغوث كما قال. اذا اثبت لله تعالى كلاما غير مخلوق لزم ان يكون جسما قال له الامام احمد : ان هذا اللفظ لا يدرى مقصود المتكلم به وليس له أصل في الكتاب والسنة والاجماع وليس لاحد ان يلزم الناس ان ينطقوا به.

والكرامية من هولاء المبتدعة أهل الكلام المذموم وكما تقدم قول بعضهم ان الله تعالى جوهر وممن قال ذلك شيخهم وامامهم محمد بن كرام، كما ينفي بعضهم أن يكون الله تعالى جوهرا .

فكل الردود على **الكرامية** الذين يثبتون الألفاظ المبتدعة والذين ينفونها، وهذه الردود من علماء أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا انما هي رد على **المتكلمين وابطال لمذهبهم** اذ كلهم من أهل الكلام المذموم . **الكرامية**

ويناقش شيخ الاسلام ابن تيمية هولاء القائلين ان الله تبارك وتعالى جوهر أو ليس بجوهر، **والكرامية / توافق الذين ذكروا** في ابطال كونه تعالى جوهرا بأنه "لو كان البارى جوهرا لم يخل : اما أن يكون جوهرا كالجواهر أولا كالجواهر، والأول باطل لخمسة أوجه وان قيل : إنه جوهر لا كالجواهر، فهو تسليم للمطلوب فانا انما ننكر كونه جوهرا كالجواهر، واذا عاد الأمر الى الاطلاق اللفظي فالنزاع لفظي، ولا مشاحة فيه الا من جهة ورود التعبد من الشارع به" (٢) .

قال : وعلى هذا فمن قال : انه جوهر، بمعنى أنه موجود لا في موضوع (٣) والموضوع هو المحل المقوم ذاته المقوم لما يحل فيه، كما قاله الفلاسفة، أو أنه جوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره، كما قاله أبو الحسين البصرى، مع اعترافه أنه لا يثبت له أحكام الجواهر، فقد وافق في المعنى وأخطأ في الاطلاق من حيث

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٣/ ٣٠٧، ١٧/ ٣٠٤، ٣٠٦، وانظر درء التعارض ٤/ ٤٦ ، ٨/ ١٣١/١ **انظر بيان تلبيس الجهمية**
(٢) درء التعارض ٤/ ١٣٨ نقلا عن أبكار الأفكار ١/ ٤٦٩ - ٤٧٠ نسخة رقم ١٩٥٤
(٣) هذا قول ابن سينا ومن تبعه بخلاف أرسطو تقدم في ص ١٣٥ من الرسالة.

(*) تقدم في موقف الكرامية من اطلاق الجسم على الله تبارك وتعالى ص ١١٧ من الرسالة .

أنه لم ينقل عن العرب اطلاق الجوهر بإزاء القائم بنفسه، ولا ورد فيه اذن من الشرع(١)
هذا الكلام للآمدي يبدو أنه يريد أن يرد به على بعض الكرامية في قولهم ان الله تعالى جوهر، وان كان يوافق قول بعض الكرامية الآخرين المناقض لهذا وهو أنه تعالى ليس بجوهر.

فرد شيخ الاسلام ابن تيمية على الفريقين النافين للجوهر والمثبتين له وهو يعقب على كلام الآمدي الموافق لبعض قول الكرامية فقال: "اذا كان قول القائل: انه جوهر لا كالجواهر... موافقا لقولك في المعنى، وانما النزاع بينك وبينهم في اللفظ قامت حجته عليك لفظا ومعنى، أما اللفظ فمن وجهين:

أحدهما: أنه كما أن الشارع لم يأذن في اثبات هذه الألفاظ ولم يأذن في نفيها عنه، وأنت اذا لم تسمه سخيا لعدم اذن الشرع، فليس لك أن تقول ليس بسخي لعدم اذن الشرع في هذا النفي، بل اذا لم يطلق الا ما اذن فيه الشرع لا يطلق لا هذا ولا هذا (٢). قال: "ثم أنت تسميه قديما (٣)، وواجب الوجود، وذاتا (٤) ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع، والشارع يفرق بين ما يدعى به من الأسماء، فلا يدعى الا بالأسماء الحسنى، وبين أن ما يخبر بمضمونه عنه من الأسماء لاثبات معنى يستحقه، نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات، كما أنه من نازعك في قدمه أو وجوب وجوده قلت مخبرا عنه بما يستحقه انه قديم و واجب الوجود، فان كان النزاع مع من يقول هو "جوهر" في اللفظ فعذرهم في الاطلاق أن النافي نفي ما يستحقه الرب من الصفات في ضمن نفي هذا الاسم، فأثبتنا له ما يستحقه من الصفات باثبات مسمى هذا الاسم، كما فعلت أنت وغيرك في اسم "قديم" و "ذات" "واجب الوجود" ونحو ذلك (٥).

---

(١) درء تعارض ٤/١٣٩

(٢) درء تعارض ٤/١٣٩

(٣) لم يرد في أسماء الله الحسنى وانما ورد اللفظ "الأول" في اسمائه تعالى الحسنى.

(٤) هذا اللفظ عند العرب تأنيث "ذو" فلا يستعمل الا مضافة كقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) (الأنفال ١) وقوله تبارك وتعالى (انه عليم بذات الصدور) (الانفال: ٤٣) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله) متفق عليه البخاري كتاب الانبياء باب قول الله واتخذ الله ابراهيم خليلا) و مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل ابراهيم الخليل وغيرهما.

(٥) درء التعارض ٤/١٣٩-١٤٠.

الثاني : إنك احتججت على نفي ذاك بأن العرب لم ينقل عنها اطلاق الجوهر بازاء القائم بنفسه ، فيقال لك : ولم ينقل عنها اطلاق لفظ " ذات " بازاء نفسه تعالى وانما لفظ " الذات " عند هم تأنيث " ذو " فلا يستعمل الا مضافة ، كقوله تعالى : "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" ... (١) واذا كان كذلك فأنت أطلقت لفظ " الذات " على ما لم تطلقه العرب بغير اذن من الشرع ، ولو قال لك قائل : ان الله ليس بذات ، نازعته ، فهكذا يقول منازعك في اسم " الجوهر " اذا كان موافقا لك على معناه" (٢) . وبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن لفظ " الجوهر " قد صار في اصطلاحهم جميعا أعم مما استعملت فيه العرب فان العرب لا تسمى كل متحيز جوهرا . . . فلستم متوقفين في الاستعمال لا على حد اللغة العربية ولا على اذن الشارع لا في النفي ولا في الاثبات (٣) ، فان لم يكن لك حجة على منازعك الا هذا ، كان خاصما لك ، وكان حكمه فيما تنازعتما فيه ، كحكمكما فيما اتفقتما عليه ، أو فيما انفردت به دونه من هذا الباب (٤) .

ثم جعل يبين النزاع المعنوى في لفظ الجوهر " بقوله ": فيقال : قول القائل : " انه جوهر كالجواهر " لفظ مجمل ، فانه قد يراد به أنه مماثل لكل جوهر فيما يجب ويجوز ويمتنع عليه ، وقد يريد به أنه مماثل لها في القدر المشترك بينها كلها ، بحيث يجب ويجوز ويمتنع عليه ، ما يجب ويجوز ويمتنع على ما حصل فيه القدر المشترك منها ، ولو أنه واحد .

فأما الأول فانه اما أن يقول مع ذلك بتماثل الجواهر واما أن يقول باختلافها ، فان قال بتماثلها كان قوله هو القول الثاني ، اذ كان يجوز على كل منها ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، باعتبار ذاته (٥) .

وان قال باختلافها امتنع مع ذلك أن يقول انه كالأجسام ، فانه من المعلوم على هذا التقدير أن كل جسم ليس هو مثل الآخر ، ولا يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، فكيف يقال في الخالق سبحانه : انه يجوز عليه ما يجوز على كل مخلوق قائم بنفسه ، حتى في الجماد والنبات والحيوان ، هذا لا يقوله عاقل ، حتى القائلون بوحدة الوجود (٦) .

---

(١) الانفال : ١
(٢) د رء التعارض ٤ / ١٤٠ ، ١٤١
(٣) د رء التعارض ٤ / ١٤٢
(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٤٣ (١٤٢) ، ١٤٧
(٥) المصدر السابق نفسه ص ١٤٣
(٦) المصدر السابق نفسه بتصرف قليل .

وذكر قول القائل انه تعالى كالجواهر أوكالأجسام المخلوقة في القدر المشترك بينهما بحيث يجوزعليه ما يجوزعلى المجموع ،لاعلى كل واحد واحد - فهذا أيضا قول معلوم الفساد ،ولا نعرف قائلا معروفا يقول به ،فان هذا هو التشبيه والتمثيل، الذى يعلم تنزه الله تعالى عنه ،اذ كان كل ما سواه مخلوقا .

والمخلوقات تشترك في هذا المسمى فيجوزعلى المجموع من العدم والحدوث والافتقار ما يجب تنزيه الله تعالى عنه (١) .

وأوضح أن تنزيه الله عما يستحق التنزيه عنه من مماثلة المخلوقين يمنع أن يشاركها في شيء من خصائصها ،سواء كانت تلك الخاصة شاملة لجميع المخلوقات ،أو مختصة ببعضها ،فعلم أن القول بأنه جوهر كالجواهر،سواء التشبيه لكل منها ،أو القدر المشترك بينها ،لم تقل به طائفة معروفة أصلا (٢) .

و هكذا يبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن النزاع في الجوهر بعضه لفظي وبعضه معنوى أخطأ هؤلاء من وجه وأولئك من وجه،فان كان النزاع مع من يقول : هو تعالى جوهر اذا قال : "لا كالجواهر انما هو في اللفظ ،ومن قال : كالجواهر يكون الكلام معه بحسب مايفسره من المعنى فان فسر ذلك بالتشبيه الممتنع على الله تبارك وتعالى كان قوله مردودا ،وذلك بأن يتضمن قوله اثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى فكل قول تضمن هذا فهو باطل .

وان فسر قوله باثبات معنى آخر،مع تنزيه الرب تعالى عن خصائص المخلوقين ،كان الكلام معه في ثبوت ذلك المعنى وانتفائه .

فلابد أن يلحظ في هذا المقام اثبات شيء من خصائص المخلوقين للرب أولا وذلك مثل أن يقول : أصفه بالقدر المشترك بين سائر . . . الجواهر كما أصفه بالقدر المشترك بينه وبين سائر الموجودات وبين كل حي عليم سميع بصير وان كنت لا أصفه بما تختص به المخلوقات والا فلو قال الرجل : هو حي لا كالأحياء وقادر لا كالقادرين ،وعليم لا كالعلماء وسميع لا كالسمعاء وبصير لا كالبصراء ،ونحو ذلك - وأراد بذلك نفي خصائص المخلوقين فقد أصاب (٣) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٤٣ - ١٤٤

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٤٤

(٣) درء التعارض ٤/ ١٤٦ - ١٤٧ بتصرف قليل .

وان أراد بذلك نفي الحقيقة التي للحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك مثل أن يثبت الألفاظ وينفي المعنى الذى أثبته الله تعالى لنفسه ، وهو من صفات كماله ، فقد أخطأ (١) .

أما المسألة بأن الأجسام متماثلة وأن المتكلمين القائلين بها بنوا ذلك على أنها مركبة من الجواهر المنفردة ، وأن الجواهر متماثلة ، قد تقدمت الاشارة اليهما ، قال سيف الدين الآمدى في كتابه الكبير أبكار الأفكار : الفصل الرابع في أن الجواهر متجانسة غير متحدة : اتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة ، وذهب النظام والنجار من المعتزلة بناء على قولهما بتركب الجواهر من الأعراض الى أن الجواهر ان تركبت من الأعراض المختلفة فهي مختلفة (٢) غير أن الآمدى اعترض على قول هؤلاء في مسألة تماثل الجواهر، وذكر أنه لا دليل على تماثلها اعترافا منه (٣) وتماثل الأجسام والجواهر وتجانسهما ينبني على الجواهر الفردة التي تثبته بعض الكرامية كما تقدم (٤) قال : " فان قيل ما ذكرتموه ، وان دل على ابطال مأخذ القائلين بالاختلاف ، فما دليلكم في التماثل والتجانس ؟ فلئن قلتم : دليل التماثل اشتراك جميع الجواهر في صفات نفس الجوهر وهي التحيز وقبول الأعراض والقيام بنفسه فنقول : وما المانع من كون الجواهر مختلفة بذواتها ، وان اشتركت فيما ذكرتموه من الصفات ؟ فانه لا مانع من اشتراك المختلفات في عوارض عامة لها (٥) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وجمهور الناس على أن الأجسام مختلفة من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم ، وقد ذكر الأشعرى رحمه الله تعالى في مقالاته النزاع في ذلك (٦) ، وقد تقدم ذلك (٧) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٤٧

(٢) درء التعارض ٤/١٧٦ نقلا عن ابكار الافكار ١/ ٢٨ - ٢٩

(٣) انظر درء التعارض ٤/ ١٧٦ ، ١٧٧

(٤) ص ١٣٣ من الرسالة .

(٥) المصدر السابق نفسه ص ١٧٨ نقلا عن أبكار الأفكار ٢/ ٢٩

(٦) المصدر السابق نفسه ص ١٧٨

(٧) ص ١٣٦ من الرسالة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن بيّن أنهم على باطل فيما ذهبوا اليه من ان الجواهر متجانسة متماثلة قال : " والمقصود هنا بيان اعتراف هؤلاء بفساد الأصول التي بنوا عليها ما خالفوه من النصوص" (١) قال : " والمقصود هنا نوع تنبيه على ما يدعونه من العقليات المخالفة للنصوص لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح وانما هي من باب القعقعة بالشنان لمن يفزعه ذلك من الصبيان ، ومن هو شبيه بالصبيان ، واذا أعطى النظر في المعقولات حقه من التمام وجدها براهين ناطقة بصدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن لوازم ما أخبر به لازم صحيح ... " (٢) .

ان قول هؤلاء من أن الجسم هو الجوهر المؤلف أو الجواهر المؤتلفة، وأن الجواهر متجانسة ، وأن التأليف من حيث هو تأليف غير مختلف ، فالأجسام الحاصلة منها غير مختلفة[٣] ، كما تقدم (٤) ، خالفهم جمهور العقلاء من المسلمين وغير المسلمين كما تقدمت الاشارة اليه (٥) .

ومعلوم أن هذا باطل في العقل والقرآن واللغة ، أما في العقل فإن حد المثلين أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، وكذلك الأجسام المؤلفة من الجواهر (٦) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " واكثر العقلاء ينكرون هذا وحذاقهم قد ابطلوا الحجج التي احتجوا بها على التماثل كما ذكر ذلك الرازى والآمدى وغيرهما وقد بسط الكلام على هذا في مواضع " (٧) .

وأما في القرآن الكريم فقد قال تبارك وتعالى : (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (٨) فأخبر تعالى أنه يستبدل قوما لا يكونون مثل المخاطبين فقد نفي عنهم المماثلة (٩) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٨٠.
(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٨١
(٣) انظر درء تعارض ٤ / ٢٠١
(٤) تقدم في ص ١٤٢ من الرسالة .
(٥) ص ١٣٦ من الرسالة .
(٦) تفسير سورة الاخلاص ص ١٦
(٧) المصدر السابق نفسه .
(٨) محمد : ٣٨
(٩) انظر درء تعارض ١ / ١١٦

وذكر الآمدى رحمه الله أن طرق الذين أثبتوا المجانسه يعني مجانسة الجواهر وتماثلها وان اختلفت عباراتها ، فكلها آئلة الى ما ذكر ، وما قيل عليه من الاشكال فلازم لا مخلص منه ، الا بأن يقال : نحن لا نعني بتجانس الجواهر غير كونها مشتركة فيما ذكرناه من الصفات وعند ذلك فحاصل النزاع يرجع الى التسمية ، لا الى نفس المعنى (١) .

وعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على كلام الآمدى المذكور بقوله : " فهذا قوله مع اطلاعه على طرق القائلين بالتجانس ورغبته في نصرهم لو أمكنه ، فذكر أن جميع ما ذكروه من الطرق يرجع الى ما ذكره ، وهو مما يعلم بالاضطرار أنه لا يدل على تماثلها بل يدل على اشتراكها في معنى من المعاني ، وليس جعل ما به الاشتراك هو الذات وما به الاختلاف من الصفات بأولى من العكس ، وهذا على سبيل التنزل ، والا فنحن نعلم بالضرورة والحس اختلاف الأجسام المختلفة ، كما نعلم اختلاف الأعراض المختلفة " (٢)

وبيّن شيخ الاسلام ابن تيمية أن نفس النار مخالفة للماء ، ليس مجرد حرارة النار هي المخالفة برودة الماء ، بل نحن نعلم أن النار تخالف الماء أعظم مما نعلم أن الحرارة تخالف البرودة ، وذلك أن الحرارة والبرودة بينهما من الاشتراك في الكيفيات مثل كون كل منهما عرضا قائما بغيره ، وهو صفة محسوسة باللمس ، وكذلك من السواد والبياض من الاشتراك في العرضية واللونية والقيام بالغير ، والرؤية بالبصر وغير ذلك من الصفات ، أعظم من الاشتراك بين الماء ، والنار فان الاشتراك بينهما هو في القدر ونحو ذلك من الكميات والاشتراك في الكيفية أعظم من الاشتراك في الكمية ، فان كان ذلك لا يوجب التماثل ، فذاك بطريق الأولى . (٣) .

وأيضا فالحرارة قد تنكسر بالبرودة في مثل الفاتر ، فانه لا يبقى حارا كحرارة النار ، ولا باردا برودة الماء المحض ، أما نفس الماء والنار فلا يجتمعان .

وأيضا فالاعراض المختلفة تشترك في محل واحد ، وأما نفس الأقسام فلا تشترك في محل واحد .

---

(١) درء التعارض ٤/ ١٧٩ نقلا عن أبكار الأفكار ٢/ ٢٩ - ٣٠
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٠

فليس في اللغة التي نزل بها كتاب الله الكريم وتكلم بها نبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم لفظ (المثل) على كل جسم، أو على كل جوهر، وليس فيها: ان السماء مثل الأرض، والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال، والجبال مثل البحار والبحار مثل التراب، والتراب مثل الهواء، والهواء مثل الماء، والماء مثل النار، والنار مثل الشمس، والشمس مثل الانسان، والانسان مثل الفرس والحمار، والذهب مثل الفضة، والفضة مثل الخبز واللحم.

ولا في اللغة التي نزل بها القرآن أن كل شيئين اشتركا في المقدار به بحيث يكون كل منهما له قدر من الأقدار كالطول والعرض والعمق أنه مثل الآخر (١).

وكذلك الكفء، فان الناس ليسوا متكافئين قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:
أتهجوه، ولست له بكفء؟ فشركما لخيركما الفداء (٢).

وقد حار كثير من حذاق النظار في هذه المسائل، حتى أذكياء الطوائف كأبي الحسين البصرى، وأبي المعالي الجويني، وأبي عبد الله بن الخطيب وكذلك ابن عقيل والغزالي وأمثالهما من النظار الذين تبين لهم فساد أقوال هؤلاء، حاروا في مسألة الجوهر الفرد فتوقفوا فيها تارة، وان كانوا قد يجزمون بها أخرى، فان الواحد من هؤلاء تارة يجزم بالقولين المتناقضين في كتابين أو كتاب واحد، وتارة يحار فيها، مع دعواهم أن القول الذى يقولونه قطعي، برهاني عقلي لا يحتمل النقيض (٣).

وقد نفى هؤلاء الجوهر الفرد في آخر عمرهم (٤) وصاروا يذمون أقوال هؤلاء ويقولون: ان أحسن أمرهم الشك وان كانوا قد وافقوا في كثير من مصنفاتهم على كثير مما قالوا من الباطل (٥).

---

(١) د ء التعارض ١/ ١١٥ - ١١٧ بتصرف قليل.

(٢) في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ص ٨ (ط - التجارية ١٣٤٧/ ١٩٢٩) وهو من بحر الوافر من قصيدة يرد فيها على أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وكان قد هجا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه، وانظر تفسير جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام الطبرى ١/ ٣٦٨

(٣) د ء التعارض ١/ ١٥٨ - ١٥٩، انظر تفسير سورة الاخلاص ص ٥٠ وانظر بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٨٤

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٨٣

(٥) انظر منهاج السنة ٢/ ١٠٣، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم. وانظر تفسير سورة الاخلاص ص ٥٠.

موقف الكرامية من استواء الله عز وجل على العرش :

الاستواء في اللغة

==================

قال الجوهري : (استوى الشيء : اعتدل والاسم السواء ، يقال : سواء علىّ أقمت أو قعدت[1] ، واستوى على ظهر دابته أى علا واستقر [2] .. واستوى أى استولى وظهر[3] وقال : (قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق)

وقال فيروز آبادى : (استوى الى السماء) : (صعد أو عمد أو قصد أو أقبل عليها واستولى . (٤)

وقال داود[5] بن على الأصفهانى : كنت عند ابن الأعرابى[6] فأتاه رجل فقال :

---

(١) الصحاح (٢٣٨٦/٦) ترتيب قاموس المحيط مادة (٦٥٣/٣) ،لسان العرب (١٤ / ٤١٤) مادة سواء .

(٢) أنكر بعض العلماء اطلاق لفظ (استقر) على الله تبارك وتعالي وسيأتى انشاء الله تعالى الكلام عليه فى هامش ص (١٧٥) من الرسالة

(٣) الصحاح مادة سوا (٢٣٨٥/٦) .

(٤) ترتيب القاموس (٦٥٣/٢) وتفسير استواء الله تبارك وتعالى على العرش بمعنى استولى لا يوصف بالخالق ان الخالق سبحانه مستوى على كل شيء وأن البيت (قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق) لم يصح أنه شعر عربى وسيأتى انشاء الله تعالي الكلام على هذه المسألة فى ص(١٦٧ـ ١٦٨) من الرسالة .وقد ورد في بعض المعاجم استوى بمعنى استولى وهذا خطأ كما سيأتي بيانه في ص ١٦٠ من الرسالة .

(٥) هو داود بن على بن خلف الأصفهانى الملقب بالظاهري أحد الأئمة المجتهدين فى الاسلام ، أصبهانى الأصل من أهل (قاشان) ولد بالكوفة سنة (٢٠١هـ) وتوفى سنة ببغداد سنة (٢٧٠هـ) ،صنف الكتب كان زاهدا واماما ورعا ناسكا وهو امام الظاهرية انظر ترجمته : المنتظم (٧٥/٥ ـ ٧٧) ، وفيات الأعيان (٢٥٥/٢ ـ ٢٥٧) سير اعلام النبلاء (١٣ / ٩٧ ـ ١٠٩) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٤ ـ ١٦) ، العبر فى خبر من غبر (٤٥/٢) ، طبقات السبكى (٢٨٤/٢ ـ ٢٩٣) ، البداية والنهاية (١١ / ٤٧ ـ ٤٨) لسان الميزان (٢ / ٤٢٢ ـ ٤٢٤) ، النجوم الزاهرة (٣ / ٤٧ ـ ٤٨) ، طبقات الحفاظ ص (٢٥٣ ـ ٢٥٤) شذرات الذهب (٢ / ١٥٨ ـ ١٥٩) الأعلام (٣ / ٨ ـ ٩) .

(٦) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى أبو عبد الله الكوفى كان أحد الأعلام باللغة المشهورين بمعرفتها وكان له مجلس يحضره خلق كثير من المستفيدين ويملى عليهم .====

مامعنى قول الله عز وجل : (الرحمن على العرش استوى) فقال ابن الأعرابي : ((هو على عرشه كما أخبر عز وجل فقال : يا أبا عبد الله ليس هذا معناه انما معناه استولى قال : ما يدريك؟ العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد فأيهما غلب فقد استولى عليه ، أما سمعت قول النابغة(١) .

ألا لمثلك أو من أنت سابقه .·. سبق الجواد اذا استولى على الأمد(٢) . وقد أورد هذه القصة الامام اللالكائي(٣) باسناده عن ابن الأعرابي وكما أورد الامام الخطيب البغدادي(٤) بطريقتين .

=== ومن تصانيفه (النوادر) (والأنواء) ، و(معاني الشعر) ولد بالكوفة سنة(١٥٠)هـ وتوفي بسامرا سنة (٢٣١)هـ ، قال الذهبي ،كان صاحب سنة واتباع ،صحب الكسائي في النحو،أنظر ترجمته في تاريخ بغداد (٥/٢٨٢- ٢٨٥) الأنساب (١/ ٣١٠) ،تاريخ ابن الأثير (٧/ ٢٥) ،تهذيب الأسماء واللغات(٢/ ٢٩٥) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٦- ٣٠٩) ،سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧- ٦٨٩) ،الوافي بالوفيات (٣/ ٧٩- ٨٠) ،البداية والنهاية (١٠/ ٣٠٧) ، شذرات الذهب (٢/ ٧٠- ٧١) .

(١) هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة ويقال أبا ثمامة وأهل الحجاز يفضلونه وزهيرا ويقال كان النابغة احسن الناس ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كأن شعره كلاما ليس فيه تكلف قد فضله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشعراء غير مرة .
(وكان نصرانيا ، توفي بعد سنة (٦٠٢)م ولم يشهد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم)الشعر والشعراء لابن قتيبة ص(٢٠- ٢٣) الطبعة الأولى الحلوجي بمصر سنة (١٣٣٢)هـ .
النابغة الذبياني ص(١٥٧) تأليف عمر الدسوقي استاذ بكلية دار العلوم الطبعة الثانية - ١٩٥١م -دار الفكر العربي .

(٢) لسان العرب (٤/ ٤١٤) مادة سوا ،مختصر العلو ص(١٩٥) والبيت في ديوان النابغة ص(٢١) وشرحه للبطليوسي ضمن خمسة دواوين العرب - المكتبة الأهلية بيروت .

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٩) .

(٤) تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٤) .

كما أوردها الامام الذهبى[١] ، والعلامة ابن القيم[٢] وأورد الحافظ ابن حجر[٣] عن ابن الأعرابى قوله ((أرادنى أحمد ابن أبى دؤاد[٤] أن أجد له فى لغة العرب "الرحمن على العرش استوى"[٥] بمعنى استولى فقلت : (والله ماأصبت هذا) . قال ابن حجر : ((وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات))[٦] .

وقال الفراء[٧] : (الاستواء فى كلام العرب على وجهين :

---

(١) مختصر العلو ص (١٩٥) ، اجتماع الجيوش الاسلامية ص (١٠٤) .

(٢) مختصر أبى داود (١٠٢/٧) .

(٣) فتح البارى (٤٠٦/١٣) .

(٤) هو أحمد بن أبى دؤاد الأيادى القاضى الجهمى المشهور ، وهو الذى امتحن الامام أحمد وأهل السنة بالضرب والهوان على القول بخلق القرآن ، ثم ابتلاه الله عز وجل فى نفسه وماله ومات وهو مصاب بمرض الفالج (*) عامله الله بما يستحق توفى سنة (٢٤٠) ، انظر في الميزان ٩٧/١ ، ولسان الميزان (١٧١/١) ، شذرات الذهب (٩٣/٢) .

(٥) (طه : ٥) .

(٦) فتح البارى (٤٠٦/١٣) ، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ومختصر العلو ص (١٩٤) ، واجتماع جيوش المسلمين ص (١٠٤) والأسماء والصفات ص ٤١٥ .

(٧) هو يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمى ، أبو زكريا (٣٣٩/٣) ، مولى بنى أسد المعروف بالفراء واحد من أئمة اللغة فى النحو ، ولد سنة (١٤٤) هـ وتوفى سنة (٢٠٧) هـ ، الكوفى النحوى صاحب الكسائى صنف كتبا منها معانى القرآن ، قال الذهبى : (وكان ثقة) ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد (١٤٩/١٤) ، الأنساب (١٠/١٥٥-١٥٦) ، وفيات الأعيان (١٧٦/٦-١٨٢) ، المختصر فى أخبار البشر (٣٠/٢) ، سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠-١٢١) ، تذكرة الحفاظ (٣٧٢/١) ، العبر (٣٥٤/١) ، البداية والنهاية (٢٦١/١٠) ، تهذيب التهذيب (٢١٢/١١-٢١٣) .

(*) الفالج مرض يحدث في احد شقي البدن طولا فيبطل احاسيسه وحركته وربما كان في الشقين ويحدث بغتة . المصباح المنير ٦٥٨/٢ .

أحدهما : ان يستوى الرجل وينتهى شبابه وقوته ، أو يستوى عن اعوجاج فهذان وجهان ، ووجه ثالث أن تقول كان فلان مقبلا على فلانة ثم استوى عليّ وإليّ يشاتمني على معنى أقبل إليّ وعليّ فهذا قوله عز وجل : (ثم استوى الى السماء) [1] .

وذكر الفراء أن ابن عباس رضى الله عنهما فسر الآية (ثم استوى الى السماء) بمعنى صعد ، وهذا كقولك للرجل كان قائما ، فاستوى قاعدا ، وكان قاعدا فاستوى قائما ، قال : " وكل فى كلام العرب جائز [2] ، وقال [3] الأخفش : استوى : أى علا تقول : استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أى علوته ، واستوى على ظهر دابته أى استقر [4] . وفسر الزجاج [5] قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء) بمعنى عمد وقصد الى السماء كما تقول فرغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى الى بلد كذا وكذا ، معناه قصد بالاستواء اليه) [6] .

---

(١) (البقرة : ٢٩) .

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤١٤) ، مادة سوا ، وانظر تفسير الطبرى (١/ ٤٢٦) ، تحقيق محمود شاكر ، وانظر الاسماء والصفات للبيهقى ص (٦٦٧) ، وانظر مختصر العلوى ص (١٧١) . درء تعارض ٢ / ٢١ .

(٣) هو عبد الحميد بن عبد المجيد ، الأخفش الكبير ، شيخ العربية أبو الخطاب البصرى تخرج به سيبويه ، وحمل عنه النحو ، لولا سيبويه لما اشتهر توفى سنة (١٧٧) هـ ، انظر ترجمته فى : سير اعلام النبلاء (٧/ ٣٢٣) ، الاعلام (٣/ ٢٨٨) .

(٤) لسان العرب (١٤/ ٤١٤) .

(٥) هو ابراهيم بن السرى بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج : عالم بالنحو واللغة من كتبه (معانى القرآن) ولد سنة ٢٤١ فى بغداد وتوفى فيها سنة (٣١١ هـ) . انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان (١/ ٤٩ - ٥٠) ، الأعلام (١/ ٣٣) .

(٦) لسان العرب (١٤ / ٤١٤) .

وقال العلامة حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : (والاستواء في اللغة معلوم مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه) .

قال : (قال أبو عبيدة[١] : في قوله تعالى : (استوى) قال : علا ، وتقول العرب : استويت فوق الدابة ، واستويت فوق البيت[٢] .

وذهب ابن عبد البر الى أن الاستواء هو الاستقرار في العلو وقال : (وبهذا خاطبنا الله عز وجل في كتابه فقال : (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه)[٣] ، (واستوت على الجودي)[٤] .

وقال الشاعر[٥] :

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد أن معناه استولى لأن النجم لا يستوى[٦] .

---

(١) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، البصري ، أبو عبيدة النحوي ، من أئمة العلم بالأدب واللغه ، ولد على الأقرب سنة (١١٠) هـ ، وتوفي سنة (٢٠٩) هـ ، قيل : انه كان اباضياً ، شعوبيا ، انظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٥/ ٢٣٥-٢٤٣) ، الأعلام (٨/ ١٩١-٢٧٣) .

(٢) التمهيد (٧/ ١٣١) ، تهذيب مختصر أبي داود (٧/ ١٠٤) .

(٣) (الزخرف : ١٣) .

(٤) (هود : ٤٤) .

(٥)

(٦) انظر / التمهيد (٧/ ١٣١) ، تهذيب مختصر أبي داود (٧/ ١٠٤) واللفظ له .

وقد ذكر النضر بن شميل[1] ، وكان ثقة مأمونا جليلا فى علم الديانة واللغة قال : حدثنى الخليل[2] وحسبك بالخليل - قال : أتيت أباربيعة[3] الأعرابى وكان من أعلم من رأيت - فاذا هو على سطح فسلمنا ، فرد علينا السلام ، وقال لنا : استووا ، فبقينا متحيرين ولم ندر ماقال ، فقال لنا أعرابى الى جنبه أمركم أن ترفعوا ، قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : (ثم استوى الى السماء وهى دخان)[4] . فصعدنا اليه[5] .

---

(١) هو نضر بن شمويل بن خرشة بن زيد ، الامام العلامة الحافظ أبو الحسن المازنى البصرى النحوى ، نزيل مرو وعالمها ، ولد فى حدود سنة (١٢٢)هـ ، وتوفى سنة (٢٠٤)هـ ، وثقه يحي بن معين وابن المدينى والنسائى ، أنظر مصادر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٣٧٣/٧) ، التاريخ الكبير (٩٠/٨) ، التاريخ الصغير (٣٠٢/٢) ، الجرح والتعديل (٤٧٧/٨-٤٧٨) ، وفيات الأعيان (٣٩٧/٥- ٤٠٥) ، سير أعلام النبلاء (٣٢٨/٩- ٣٣٢) ، العبر (٣٤٢/١) ، ميزان الاعتدال (٢٥٨/٤) ، تذكرة الحفاظ (٣١٤/١) ، تهذيب التهذيب (٤٣٧/١٠-٤٣٨) ، طبقات الحفاظ ص (١٣١) ، شذرات الذهب (٧/٢ - ٨) .

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى ، أبو عبد الرحمن البصرى ، الامام ، صاحب العربية ، ومنشىء علم العروض ، أخذ عنه سيبويه ، كان دينا ورعا قانعا متواضعا كبير الشأن ، ولد سنة (١٠٠)هـ ، وتوفى سنة بضع و ١٦٠ ، وقيل بقى الى سنة (١٧٠)هـ ، انظر ترجمته فى : تاريخ الكبير : (١٩٩/٣- ٢٠٠) ، الجرح والتعديل (٣٨٠/٣) ، تهذيب الأسماء واللغات (١٧٧/١-١٧٨) ، وفيات الأعيان (٢٤٤/٢- ٢٤٨) ، تهذيب الكمال (٣٢٦/٨) ، سير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧) ، تهذيب التهذيب (١٦٣/٣-١٦٤) شذرات الذهب (٢٧٥/١- ٢٧٧) .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) (فصلت : ١١) .

(٥) التمهيد (١٣٢/٧) ، تهذيب ابن القيم ، على مختصر أبى داود (١٠٤/٧) ، مختصر العلو ص (١٧١) .

وذكر الحافظ ابن عبد البر فى التمهيد عن الامام الخليل قوله : (استوى الى السماء) ارتفع الى السماء(١) .

ان لفظ الاستواء فى كلام العرب الذى خاطبنا الله تبارك وتعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه يأتى على وجهين :

الوجه الأول :
اذا كان لفظ الاستواء فيه مطلقا وهو الذى لم يعد بحرف مثل قوله تعالى : ((ولما بلغ أشده واستوى))(٢) .

فهذا معناه كمل وتم ، يقال استوى النبات واستوى الطعام(٣) .

الوجه الثانى :
اذا كان لفظ الاستواء فيه مقيدا بحرف وهو ثلاثة أنواع :

(أ) النوع الأول : مقيد بحرف (الى) .

كقوله تعالى (ثم استوى الى السماء) واستوى فلان الى السطح ، والى الغرفة ، وقد جاء هذا فى كتاب الله بموضعين هما :

فى البقرة: فى قوله جل ثناؤه : (هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء)(٤) ، وفى سورة فصلت فى قوله تبارك وتعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان)(٥) فهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف .

(ب) النوع الثانى : مقيد بحرف (على) .

كقوله تعالى (لتستووا على ظهوره)(٦) .

---

(١) اجتماع الجيوش الأسلامية ص(١٠٤) .

(٢) (القصص : ١٤) .

(٣) انظر درء تعارض (١/ ٢٧٩) ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦) ، واللفظ له .

(٤) (البقرة : ٢٩) .

(٥) (السجدة : ١١) ، وفصلت .

(٦) (الزخرف : ١٣) .

وقوله عز وجل (واستوت على الجودى)[١] ، وقوله تبارك وتعالى (فاستوى على سوقه)[٢] ، فهذا معناه أيضا العلو والارتفاع والاعتدال باجماع أهل اللغة[٣] ولا يحتمل غيره فى اللغة العربية المعروفة[٤] .

(جـ) النوع الثالث : مقيد بحرف (واو) .

مع التى تعدى الفعل الى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها[٥] . .

وهذه المعانى للاستواء المعقولة فى كلام العرب ليس فيها معنى استولى ألبتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وانما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية[٦] .

ويبدو أن هؤلاء النحاة المتأخرين أدخلوا هذا اللفظ (استولى) فى بعض معاجم اللغة كما مر بنا[٧]، والا كيف أورد هذه المعاجم ولم يقل به أئمة اللغة كما تقدم[٨] قول الخليل شيخ سيبويه فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) قال : أرتفع الى السماء ، وكذا ذكره عن أبى ربيعة الأعرابى الذى وصفه بأنه أعظم من رآه ، كما فسر أبو عبيدة[٩] (استوى) بمعنى علا ، وكذا فسره الامام الأخفش[١٠] واستقر .

---

(١) (هود : ٤٤) .

(٢) (الفتح : ٢٩) .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٩) ، وشرح العقيدة الواسطية د . هراس ص (٨٠) ، ط : الرابعة ومجموع الفتاوى : (١٦/ ٣٥٩) ، (١٧/ ٣٧٤ ، ٣٧٩) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦ ، ١٢٧) .

(٤) مجموع فتاوى (١٧/ ٣٧٤) ، والعقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية وشرحها د . هراس ، ص (٨٠) .

(٥) انظر درء التعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٩) ، ومجموع فتاوى (١٧/ ٣٧٤) ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٧) ، واللفظ له .

(٦) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦ - ١٢٧) .

(٧) ص ١٥٣ من الرسالة ، هامش (٤) (٨) ص ١٥٨ من الرسالة .

(٩) تقدم في ص ١٥٧ من الرسالة . (١٠) تقدم ص ١٥٦ من الرسالة .

أما الامام الفراء[١] فانه فسر (ثم استوى الى السماء) بمعنى صعد ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكر الفراء وجوها ثلاثة فى معنى استوى ولم يذكر من بينها استولى .

وفسر الامام الزجاج قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) بمعنى عمد وقصد وكل ذلك سبق ذكره[٢] .

وروى الدارقطني عن اسحاق الكلابى قال سمعت أبا العباس[٣] ثعلبا وهو من أئمة اللغة يقول : ((استوى على العرش)) : علا ، واستوى الوجه اتصل واستوى القمر امتلأ واستوى زيد وعمرو تشابها ، واستوى الى السماء) أقبل ، هذا الذى نعرف من كلام العرب)[٤] ولم يذكر فيه استولى .

بل أنكر تفسير الاستواء بالاستيلاء بعض أئمة اللغة كما تقدم[٥] قول الامام أبو عبد الله محمد بن الأعرابى كما رواه عنه الامام داود الظاهرى لما سأله الرجل عن معنى قوله تعالى : ((الرحمن على عرشه استوى)) قال هو على عرشه كما أخبر فقال ياأبا عبد الله انما معناه استولى .

---

(١) تقدم فى ص (١٥٥) من الرسالة . (٢) تقدم فى ص (١٥٦) من الرسالة .

(٣) هو أحمد بن يحي بن زيد سيار الشيبانى بالولاء ، أبو العباس المعروف بثعلب امام الكوفيين فى النحو واللغة العلامة المحدث ، ولد ومات فى بغداد ولد سنة (٢٠٠)هـ ، وتوفى سنة (٢٩١)هـ قال الخطيب : ثقة حجة ، دين صالح ، مشهور بالحفظ ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد (٥/٢٠٤-٢١٢) ، المنتظم (٦/٤٤-٤٥) ، وفيات الأعيان (١/٨٤-٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٤/٥-٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/٦٦٦-٦٦٧) ، العبر (٢/٨٨) ، طبقات الحفاظ (ص ٢٩٠) شذرات الذهب (٢/٢٠٧-٢٠٨) ، الاعلام (١/٢٦٧) .

(٤) اجتماع الجيوش الأسلامية ص (١٠٤) .

(٥) تقدم فى ص (١٥٤) من الرساله .

فقال : أسكت ، العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد فأيهما غلب ، قيل : (استولى) الى آخر القصة ،.

كما سئل الامام الخليل بن أحمد ، هل وجدت في اللغة (استوى) بمعنى (استولى) ؟ فقال : (هذا مما لاتعرفه العرب ، ولاهو جار في لغتها ، سأله عن ذلك بشر المريسي)[1] .

وأرى من المناسب الاشارة الى شيء من أقوال الأئمة غير ماسبق في الرد على تفسير الاستواء بالاستيلاء لعلاقتها بمانحن بصدد الحديث عنه ولأهمية بيان هذه المسألة.

وقد تقدم[2] أن معنى الاستواء المقيد بحرف (على) معناه العلو والارتفاع والاعتدال وهو اجماع أهل اللغة كما حكاه الامام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وحكى أيضا أجماع السلف على أن معنى الاستواء المقيد بحرف (الى) : العلو والارتفاع .

وأما الاستواء بمعنى الاستيلاء ، فهو قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، وأول من قالها الجعد[3] بن درهم وقد أنكر عليهم علماء السلف ومن تبعهم من أهل السنة والحديث ومن رد على من ذهب الى هذا التفسير الامام أبو سعيد الدارمي رحمه الله ، فقال : بعد أن ذكر الآيات الدالة على استواء الله عز وجل على العرش : (أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها وادعوا الايمان بها ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها فقالوا : الله في كل مكان لا يخلو منه مكان ، قلنا : قد نقضتم دعواكم بالايمان باستواء الرب على عرشه اذا دعيتم أنه في كل مكان ،

---

(١) أقاويل الثقات للامام مرعي المقدسي ص (١٢٤) .

(٢) تقدم في ص ١٥٩ - ١٦٠ من الرسالة .

(٣) انظر درء تعارض (٧ / ٧٧ ، ١٠٩ - ١١٠) .

فقالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه ،قلنا : فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله ، حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه ، فأي معنى اذا لخصوص العرش اذ كان عندكم مستويا على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى ؟

قال : ((هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم ان شاء الله تعالى بطلانه واستحالته غير أنكم تغالطون به الناس))[1] .

ورد على الجهمية ومن وافقهم الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء امام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى بقوله : ((فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا - : أن خالقنا مستو على عرشه ، لا نبدل كلام الله ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا ، كما قالت المعطلة الجهمية : انه استولى على عرشه ، لا استوى ، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم ، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا : حطة فقالوا : حنطة ، مخالفين لأمر الله - جل وعلا - كذلك الجهمية))[2] .

كما رد الامام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى على القائلين بأن الاستواء معناه استولى وملك وقهر بقوله : ((وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية - ان قول الله عز وجل (الرحمن على العرش استوى)[3] انه استولى وملك وقهر ، وأن الله عز وجل في كل مكان . وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى (القدرة)[4] قال : (ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، .

---

(١) الرد على الجهمية ص (٢٦٧-٢٦٨) ضمن مجموعة عقائد السلف .

(٢) التوحيد ص (٦٨) .

(٣) طه : ٥ .

(٤) الابانة عن أصول الديانة ص (١٢٠) ، تحقيق فضيلة الشيخ : حماد الأنصاري - مطابع الجامعة الاسلامية (١٤٠٥هـ) .

فالله سبحانه وتعالى قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستو على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، واذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها(١)

وهكذا بين الامام أبو الحسن الأشعرى أن تفسير الاستواء بالاستيلاء مخالف لقول أهل الحق وهم السلف ومن اتبعهم وكما رد الامام أبو محمد الجوينى الشافعى والد امام الحرمين المتوفى سنة (٤٣٨هـ) على الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء من المتكلمين المتأخرين فى زمانه وذكر أن هؤلاء أو بعضهم لهم فى صدره منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين وهو شافعى وأنه درس على أيديهم فرائض الدين وأحكامه قال : فأجد مثل هؤلاء الأجلة يذهبون الى مثل هذه الأقوال وهم شيوخى ولى فيهم الاعتقاد التام ، لفضلهم وعلمهم ، ثم أنى مع ذلك أجد فى قلبى من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبى اليها ، وأجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها ، فكنت كالمتحير المضطرب فى تحيره ، المتململ من قلبه فى تقلبه وتغيره ، وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء .. مخافة الحصر والتشبيه ، ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصا تشير الى حقائق هذه المعانى ، وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه تعالى .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص (١٢٠ - ١٢١) .

واصفاله بها ، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر مجلسه الشريف العالم والجاهل ، والذكي والبليد ، والأعرابي والجافي ، ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها ، لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها ، كما تأولها هؤلاء مشائخي الفقهاء المتكلمين ، مثل تأويلهم الاستيلاء للاستواء[1]

ثم أورد بعض الآيات في الاستواء والأحاديث ثم قال : ((اذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل ، وعماوة التعطيل ، وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق ، بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له ، فان التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي ، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها ، فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ، ولا نقف في ذلك[2] .

كما رد على القائلين أن استواء الله تعالى على العرش بمعنى استولى الامام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد أن ذكر آيات العلو كقوله تعالى ((تعرج الملائكة والروح اليه))[3] قال : هذه الآيات كلها واضحات في ابطال قول المعتزلة وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى : استولى ، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة : المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا الا على ذلك . وانما يوجه كلام الله عز وجل الى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات .

---

(١) رسالة النصيحة في صفات الرب عز وجل ص ( ) ، وضمن مجموعة الرسائل المنبرية ١/ ١٧٦-١٧٧
وفي مقدمة مختصر العلو ص (٢٨) .

(٢) رسالة النصيحة المذكورة ص ١٨١ .

(٣) المعارج : ٤ .

وجل الله عز وجل أن يخاطب الا بما تفهمه العرب فى معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم فى اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشىء والاستقرار والتمكن فيه (١) .

وقد أبطل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى تأويل من أول استوى بمعنى استولى من عدة وجوه ذكر مرة اثنتى عشر وجها ، نذكر منها شيئا مع الأختصار :

أحدها : أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين ،فانه لم يفسره أحد فى الكتب الصحيحة عنهم ، بل أول من قال ذلك : بعض الجهمية والمعتزلة ، كما ذكره أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى فى كتاب (المقالات(٢)) وكتاب (الابانة) (٣) .

الثانى : ان معنى هذه الكلمة مشهور ، ولهذا لما سئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالا : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ولا يريدان الاستواء معلوم فى اللغة دون الآية - لأن السؤال عن الاستواء فى الآية) .

الثالث : انه اذا كان معلوما فى اللغة التى نزل بها القرآن كان معلوما فى القرآن .

الرابع : انه لو لم يكن معنى الاستواء فى الآية معلوما لم يحتج أن يقول : الكيف مجهول ،لأن نفى العلم بالكيف لا ينفى الا ماقد علم أصله ، كما نقر بالله ونؤمن به ، ولا نعلم كيف هو .

---

(١) التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد (١٣١/٧) وتقدم بعض هذا فى ص (١٥٧) من الرسالة .

(٢) (٢١٨/١) تحقيق د . محمد محي الدين .

(٣) ص (١٢٠) تحقيق فضيلة الشيخ / حماد الأنصارى .

الخامس : الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك ، هو عام في المخلوقات كالربوبية ، والعرش وان كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية اليه لا تنفي نسبها الى غيره كما في قوله تعالى :

((قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم))[1] ، وكما في دعاء الكرب[2]

فلو كان استوى بمعنى استولى ، كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع اضافته الى العرش أن يقال : استوى على السماء ، وعلى الهواء والبحار والأرض ، وعليها ودونها ونحوها ، اذ هو مستو على العرش فلما اتفق المسلمون على أنه يقال : استوى على العرش ولا يقال : استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء ، علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاما كعموم الأشياء .

السادس : انه تعالى أخبر بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلقها ، وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض))[3] مع أن العرش كان مخلوقا قبل ذلك ، فمعلوم أنه ما زال مستوليا عليه قبل وبعد ، فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصا بالعرش .

السابع : انه لم يثبت ان لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى ، اذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

---

(١) المؤمنون : ٨٦ .

(٢) يشير شيخ الاسلام الى الحديث ((لا اله الا الله العليم الحليم)) الحديث وهو متفق على صحته ، البخاري في الدعوات باب الدعاء عند الكرب ح : ٦٣٤٥ ومسلم في الذكر والدعاء باب دعاء الكرب ح : ٢٧٣٠ .

(٣) تقدم الحديث والكلام عليه في ص (١٤٧) من الرسالة .

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربى وقد كان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : انه بيت مصنوع لا يعرف فى اللغة ، قد علم أنه لو احتج بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لاحتاج الى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف اسناده ؟!

وقد طعن فيه أئمة اللغة ، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر[1] فى كتابه "الافصاح" قال : سئل الخليل هل وجدت فى اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : "هذا مالا تعرفه العرب : ولا هو جائز فى لغتها ، وهو امام فى اللغة على ما عرف حاله ، فحينئذ حمله على مالا يعرف حمل باطل[2].

الثامن : أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا لا يجوز استوى بمعنى استولى الا فى حق من كان عاجزا ثم ظهر ، والله سبحانه لا يعجزه شئ والعرش لا يغالبه فى حال ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى ، فاذا تبين هذا فقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق ، لفظ مجازى لا يجوز حمل الكلام عليه الا مع قرينة تدل على ارادته ، واللفظ المشترك بطريق الأولى ، ومعلوم أنه ليس فى الخطاب قرينة أنه أراد بالآية الاستيلاء .

وأيضا فأهل اللغة قالوا : لا يكون استوى بمعنى استولى الا فيما كان منازعا مغالبا فاذا غلب أحدهما صاحبه قيل : استولى ، والله لم ينازعه أحد فى العرش ، فلو ثبت استعماله فى هذا المعنى الأخص مع النزاع فى ارادة المعنى الأعم لم يجب حمله عليه بمجرد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم فيه ، وهؤلاء ادعوا أنه بمعنى استولى فى اللغة مطلقا .

التاسع : انه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العرباء ولو كان من لغة بعض العرب العرباء لم يجب أن يكون من لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله ، ولو كان من لغته لكان بمعنى المعروف فى الكتاب والسنة وهو الذى يراد به ولا يجوز أن يراد معنى آخر[3] .

---

(١) أبو المظفر هو يحيى بن محمد بن هبيرة عون الدين أبو المظفر الوزير صاحب الافصاح عن شرح معاني الصحاح شرح فيه الصحيحين ولخصه أبو علي الحسين بن الحظير النعمان الفارسي المتوفي سنة ٥٩٨هـ وتوفي ابو المظفر سنة ٥٦٠هـ . انظر ترجمته في : الكامل في التاريخ ١١/ ٣٢١، دول الاسلام ٢/ ٥٣ البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٠-٢٥١ شذرات الذهب ٤/ ١٩١ .

(٢) مجموع فتاوى ٥/ ١٤٦ .

(٣) مجموع فتاوى ٥/ ١٤٧ .

العاشر : ان هذا اللفظ الذى تكرر فى الكتاب والسنة والدواعى متوفرة على فهم معناه من الخاصة والعامة عادة ودينا - ان جعل الطريق الى فهمه ببيت شعر أحدث فيؤدى الى محذور، فلو حمل على معنى هذا البيت للزم تخطئة الأئمة الذين لهم مصنفات فى الرد على من تأول ذلك ، ولكان يؤدى الى الكذب على الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة ، وللزم أن الله أمتحن عباده بفهم هذا دون هذا ، مع ماتقرر فى نفوسهم وماورد به نص الكتاب والسنه والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ، وهذا مستحيل على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة .

الحادى عشر : ان معنى الاستواء معلوم علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا (١) .

وقد رد الامام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى على القائلين بالاستيلاء وأبطل قولهم من أثنين وأربعين وجها(٢) .

كما رد عليهم المشائخ العلماء المعاصرون كالشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز والعلامة الشنقيطي (٣) والعلامة محمد خليل هراس والعلامة الشيخ الألباني (٤) والعلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم.

---

(١) مجموع فتاوى (١٤٧/٥ - ١٤٨) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطله (٢ / ١٢٦) تصحيح زكريا على يوسف .

(٣) منهج دراسات الآيات ، الأسماء والصفات ص (٢٠) .

(٤) مختصر العلو ص (٢٦) .

(مذهب الكرامية في استواء الله على عرشه) (١)

---

(١) العرش لغة : سرير الملك[١] ، يدل على ذلك سرير ملكة سبأ ، سماه الله عز وجل عرشا ،(ولها عرش عظيم)[٢] .

والعريش شبه الهودج وليس به ، يتخذ ذلك للمرأة تقعد فيه على بعيرها .

والعريش أيضا : خيمة من خشب وثمام ، والجمع عرش مثل قليب وقلب[٣] وقيل غير ذلك .

أما عرش الرحمن تبارك وتعالى فقد وصفه الله عز وجل بصفات عظيمة ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم بنعوت كريمة ، فقال عز من قائل : (ذو العرش المجيد)[٤] .

وقال جل ثناؤه (وهو رب العرش العظيم)[٥] ، وقال عز وجل : (وهو رب العرش الكريم)[٦] ، وقال تبارك وتعالى : (الرحمن على العرش استوى)[٧] .

وللعرش خصائص عظيمة وأوصاف كريمة نذكر منها :

أولا : العرش أعظم مخلوقات الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى : (وهو رب العرش العظيم) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره الا الله[٨]) .

===

---

(١) الصحاح مادة عرش (٣/١٠٠٩) ، ولسان العرب مادة عرش .

(٢) (النمل : ٢٣) . (٣) الصحاح مادة عرش (٣/١٠١٠) .

(٤) (البروج : ١٥) . (٥) (التوبة : ١٢٩) .

(٦) (المؤمنون : ١١٦) . (٧) (طه : ٥) .

(٨) السنة لعبد الله بن أحمد (١/٣٠١) تحقيق د . محمد بن سعيد القحطاني ، ورد الامام الدارمي على بشر المريسي ص (٧١ ، ٧٣ ، ٧٤) ، والتوحيد لابن خزيمة ص (٧١-٧٢) والمستدرك للحاكم (٢/٢٨٢) ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

=== قال الامام القرطبي في تفسيره للآية (وهو رب العرش العظيم) : (خص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه اذا ذكره) (١) .

ثانيا : وقد خلق الله العرش قبل خلق السموات والأرض قال تعالى : (وهو الـــذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء(٢) .

وفى الصحيح من حديث عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كان الله قبل كل شىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح ذكر كل شىء)(٣).

===

(١) (٨/٣٠٢-٣٠٣) .

(٢) هـــــود : (٧) .

(٣) والحديث مع اختلاف فى الألفاظ فى صحيح البخارى: فى بدء الخلق باب ماجاء فى قوله تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) ح : ٣١٩١ ،وفى التوحيد وكان عرشه على الماء وهو (رب العرش العظيم) ح : ٧٤١٨ ،وسنن الترمذى فـى المناقب باب مناقب فى ثقيف بنى حنيفة ح : والمسند (طالحلبى) ٤/ ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦ ،وقد ألف شيخ الاسلام ابن تيمية رسالة على هذا الحديث .

....

ثالثـا : أخبر الله تبارك وتعالى أنه استوى عليه بعد خلق السموات والأرض : (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش)(١) .

رابعـا : سمى العرش عرشا لارتفاعه قال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش)(٢) الآية وفى تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ ابن كثير لقوله تعالى : (وهو رب العرش العظيم)(٣) (أى مالك كل شىء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذى هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرض وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى)(٤) .

وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم برواية أبى هريرة رضى الله عنه : (ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)(٥) .

خامسا : ان للعرش حملة من الملائكة قال تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)(٦) ، وقال تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم)(٧) الآية ، وقال تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش)(٨) .

---

(١) (الأعراف : ٥٤) .

(٢) (غافر : ١٥) .

(٣) (التوبة : ١٢٩) .

(٤) (٢ / ٤٠٤) .

(٥) صحيح البخارى فى الجهاد باب درجات المجاهد فى سبيل الله ح : ٢٧٩٠ وفى التوحيد باب وكان عرشه على الماء ح : ٧٤٢٣ ، وسنن الترمذى فى صفة الجنة باب ماجاء فى صفة درجات الجنة ح : ٢٥٣٢ ، والمسند (ط الحلبى) ٢ / ٣٣٥ ، ٣٣٩ .

(٦) (الحاقة : ١٧) .

(٧) (غافر : ٧) .

(٨) (الزمر : ٧٦) .

وفى الحديث (أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن مابين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[1] .

وقد حرف معنى العرش نفاة صفات الله عز وجل كالمعتزلة ومن وافقهم وزعموا أن معناه الملك مدعين أن ذلك يوافق ظاهر اللغة[2] .

وهذا تأويل باطل غير صحيح يراد به ابطال استواء الله تبارك وتعالى على العرش وتصحيح تأويلهم الذى يخالف الكتاب والسنة واجماع أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا الا من تأثر واتبع هؤلاء النفاة ، كما ادعى طائفة من المتأخرين الفلاسفة الذين (نظروا علم الهيئة) أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكرية الشكل ، وأنه هو الفلك التاسع - وهو الأطلس - ومحيط بها ، وذلك لما سمعوا أخبار الأنبياء عليهم الصلاة وسلام ذكر (عرش الله) فقالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع ، غير أن هذا لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن هذا هو العرش لا بدليل شرعى ولا عقلى[3] .

الاسماء والصفات ص ٣٩٨ .

(١) رواه فى سنن أبى داود ، فى السنة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ٤٧٢٧/وصحح اسناده الألبانى . مختصر الفكر ص ١١٤ .

(٢) شرح أصول الخمسة ص(٢٢٧) ، تفسير الكشاف للزمخشرى (٣/ ٥) .

(٣) كتاب عرش الرحمن لشيخ الاسلام ابن تيمية ص(٢) ، وطبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ١٠٤) ومجموع فتاوى (٦/ ٤٦ ٥) شرح الطحاويه (٣١٠-٣١١) تحقيق الألبانى .

....

==بل الأخبار الصحيحة تدل على ما ينته لغيره من المخلوقات كقوله تعالى (الذين يحملون العرش) الآية ، وقد جاءت بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العرش له قوائم)(١) .

وقد صنف كتب عن العرش منها فضائل العرش لأبي عبيد(٢) معمر بن المثني المتوفى سنة (٢١٠هـ) ، وكتاب العرش لأبي عبيد(٣) أحمد بن محمد الهروى ، وكتاب العرش وماروى فيه للحافظ(٤) محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي المتوفى في سنة (٢٩٧) .

---

(١) مجموع فتاوى (٦/٥٥٣) ، يشير بذلك الحديث ، المتفق عليه - من حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه وفيه (لا تخيروا بين الأنبياء ، فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى آخذا بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزى بصعقته) رواه البخاري في الخصومات باب ما يذكر في الاشخاص والخصومة بين المسلم واليهود ح : ٢٤١٢ ، وح : ٣٣٨٩، ٦٩١٦ ، ٧٤٢٧ ، ومسلم في صحيحه : ٢٣٧٤ وجاء ذكر القائمة بلفظ السابق مجموع فتاوى ٦/٥٥٣ ، وانظر مختصر تفسير ابن كثير (عمدة التفاسير) تحقيق احمد شاكر (٢/١٥٦) .

(٢) انظر كشف الظنون ٢/١٢٧٦ عن هذا الكتاب .

(٣) مطبوع ضمن مجلة معهد المخطوطات ٢٩/١ ص ٢٠ .

(٤) مطبوع بتحقيق وتخريج وتعليق محمد بن حمد الحمود الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م مكتبة المعلا - الكويت .

. . . .

= = = والرسالة العرشية[1] لأبى العباس شيخ الاسلام ابن تيمية .

وأما الكرسى فقد ورد فى القرآن وفى السنة أما فى القرآن فقال تبارك وتعالى : (وسع كرسيه السموات والأرض)[2] ، وأما فى السنة ، فقد ورد أن أبا ذر رضى الله عنه سمع عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((وما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض)) [3] .

وان للناس فى معنى الكرسى أقوالا نذكر منها الآتى :

أحدها : أن الكرسى موضع القدمين ، وهو المأثور عن السلف كأبى موسى الأشعرى وابن عباس والسدى والضحاك وغيرهم[4] .

ثانيها : أن الكرسى يعنى به علم الله تبارك وتعالى[5] روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ولكن هذا يخالف الثابت عن ابن عباس[6] رضى الله عنهما كما تقدم[7] .

الثالث : أن المراد به هو العرش نفسه روى ذلك عن الحسن[8] ، والصحيح أن الكرسى غير العرش والعرش أكبر منه ، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار[9] .

= = =

---

(١) تقدم ذكره فى هامش ص (١٤٧) من الرساله .

(٢) (البقرة : ٢٥٥) .

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره (٥/ ٣٩٩) تحقيق محمود شاكر والسيوطى فى الدر المنثور (١/ ٣٢٨) وعزاه الى أبى الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقي في الاسماء والصفات /ص ٤٠٤- ٤٠٥ قال : (تفرد به يحى بن سعيد السعدى وله شاهد باسناد اصح ثم ذكر روايتين اخريين قال الالباني بعد ان اورد طرق الحديث الكثيرة (وجملة القول : ان هذا الحديث بهذا الطريق صحيح . سلسلة الاحاديث الصحيح المجلد الاول ص ١٦ برقم ١٠٩ (وانظر مختصر العلوص ١٠٠ .

(٤) جامع البيان عن تاويل آى القران ٥/ ٣٩٨ وقال المحقق محمود شاكر (وهذه رواية اتفق اهل العلم على صحتها ، يعني عن ابن عباس ، اخرها هامش رقم (١) من تفسير الطبرى ٥/ ٤٠١ وانظر تفسير القاسمي ٣/ ٦٦١ هـ ٢

العلم على صحتها ، يعنى عن ابن عباس ، آخر هامش رقم (١) من تفسير الطبرى (٥/ ٤٠١) وانظر تفسير القاسمى (٣/ ٦٦١هـ ٢) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آى القرآن (٥/ ٣٩٧) .

(٦) قال محمود شاكر فى تحقيق المصدر السابق (ومن روى عنه (أى ابن عباس رضى الله عنهما) فى الكرسى أنه العلم ، فقد أبطل) (٥/ ٤٠١) .

(٧) فى ص (١٤٦) من الرسالة .

(٨) هذه الأقوال الثلاثة التى تقدمت أوردها الامام أبو جعفر الطبرى فى تفسيره (٥/ ٣٩٧)-(٤٠٣) ورجح القول الأول كما استحسن القول الثانى .

(٩) عمدة التفسير للحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق أحمد شاكر (٣/ ١٦٣) وانظر مجموع فتاوى (٥/ ٥٥) .

وهناك أقوال أخرى لا طائل تحتها كقول بعض المتكلمين على علم الهيئة من الاسلاميين الذين قالوا : الكرسى هو الفلك الثامن[١] وغيرها[٢] .

والصحيح هو القول الأول الذى قال به السلف رحمهم الله تعالى والذى يدل عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما تقدمت الاشارة الى ذلك .

---

(١) انظر المصدر السابق نفسه .

(٢) انظر بعض هذه الأقوال فى فتح البيان فى مقاصد القرآن للامام العلامه صديق حسن خان (٤٢٣/١ - ٤٢٤) .

((الاستواء على العرش))

تثبت الكرامية صفة الاستواء لله تبارك وتعالى ، وعلوه على عرشه لكنهم خاضوا في تفاصيل كيفية استواء الله على عرشه ، كما ذكر عنهم البغدادي والاسفراييني والشهرستاني والرازي وغيرهم، قال البغدادي : ((وقد ذكر ابن كرام في كتابه (١) أن الله تعالى مماس(٢) لعرشه وأن العرش مكان له (٣))) (٤) .

وذكر الشهرستاني أن ابن كرام نص على أن معبوده على العرش استقرارا ، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا (٥) .

وقال : ((قال في كتابه عذاب القبر : وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا)) (٦) .

---

(١) لعله عذاب القبر .

(٢) وسيأتي قول السلف رحمهم الله تعالى بأن الله تبارك وتعالى بائن عن خلقه وفوق خلقه واجماعهم على ذلك وأنه ليس فيه تبارك وتعالى شيء من المخلوق ولا هو في المخلوق كما دل على ذلك الكتاب والسنه واجماع سلف الأمة والعقل الصريح وكما فطر الله تعالى ذلك على خلقه ، وبينوا ذلك لما ظهرت الجهمية واتباعهم القول بأن الله في كل مكان انظر مجموع فتاوى (٢/٢٩٧) وانظر مختصر العلو ص (١٨) .

(٣) لفظ (المكان) من الألفاظ المجملة فالأحسن أن يستفسر عن المقصود به ، فمن اعتقد أن المكان لا يكون الا مايفتقر اليه المتمكن ، سواء كان محيطا به أو كان تحته فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى ليس في مكان بهذا الاعتبار ، ومن اعتقد ان العرش هو المكان ، وأن الله تعالى فوقه ، مع غناه عنه ، فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار فمما يجب نفيه بلا ريب افتقار الله تعالى الى ماسواه فانه سبحانه غني عن ماسواه وكل شيء فقير اليه ، فلا يجوز أن يوصف بصفة تتضمن افتقاره الى سواه ، وأما اثبات النسب والاضافات بينه وبين خلقه فهذا متفق عليه بين أهل الأرض درء تعارض (٦/٢٤٩) .

(٤) الفرق بين الفرق ص (٢١٦) .

(٥) الملل والنحل (١/١٠٨) وانظر الأربعين للرازي (ص : ١٠٩) .

(٦) الملل والنحل (١/١٠٨ - ١٠٩) .

كما ذكر البغدادى أن أتباع ابن كرام بدلوا لفظ المماسة[١] التى قالها ابن كرام بلفظ الملاقات للعرش ، وذكر أنهم قالوا : لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش الا بأن يحيط العرش الى أسفل [٢] وذكروا ضمهم اختلافهم فى كيفية الاستواء .

فقال البغدادى : ((وقد اختلف أصحابه فى معنى الاستواء المذكور فى قوله عز وجل ((الرحمن على العرش استوى)) [٣] .

فمنهم من زعم أن كل العرش مكان له وأنه لو خلق بازاء العرش عروشا موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له لانه أكبر منها كلها [٤] .

قال : ومنهم من قال : انه لايزيد على عرشه فى جهة المماسه ولا يفضل منه شىء على العرش ، وممن قال القول المذكور ابراهيم بن مهاجر النيسابورى الكرامى[٥] .

وذكر الشهرستانى عن الكرامية اختلافهم فى كيفية الاستواء اذ قال : (ومنهم من قال : انه تعالى على بعض أجزاء العرش وقال : وقال بعضهم : (امتلأ العرش به) .

وقال أيضا : ((وصار المتأخرون منهم الى أنه تعالى بجهة فوق ،وأنه محاذ للعرش))[٦]
قال : وقال العابدية : ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة مالوقدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به تعالى [٧] .

---

(١) انظر التبصير فى الدين ص(١١٢) ،وقال البغدادى فى موضع آخر: ابن كرام دعا اتباعه الى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حدود ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى عرشه ، الفرق بين الفرق ص (٢١٦) .

(٢) الفرق بين الفرق ص (٢١٦) .

(٣) (طه : ٥) .

(٤) الفرق بين الفرق ص (٢١٧) .

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) الملل والنحل (١٠٩/١) وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد (٢٢٩/٣) .

(٧) الملل والنحل (١٠٩/١) .

قال : وقال محمد بن هيصم : ((ان بينه وبين العرش بعد لا يناهى وأنه مباين للعالم بينونة أزلية ونفى التحيز والمحاذاة وأثبت الفوقية والمباينة[1] .

وذكر الرازى أن الكرامية تقول : انه تعالى مختص بجهة فوق مماسا للعرش أو مباينا عنه ببعد متناه ، وهو قول أكثر طوائفهم ، وإما مباينا عنه ببعد غير متناه ، وهو قول الهيصمية)) [2].

وماذكره هؤلاء عنهم وهم خصومهم من الأشعرية كالبغدادى والشهرستانى والرازى وغيرهم ، فانه خوض فى كيفية استوائه عز وجل والكيف مجهول كما قال السلف وأصل هذه المسائل التى أثبتوها صحيح وموافق للكتاب والسنة ، وماذهب اليه سلف هذه الأمة ، وذلك كاثباتهم الاستواء على العرش لله عز وجل ، والفوقية والعلو وبعضهم أثبتوا المباينة ، ولو وقفوا عند هذا الحد ولم يخوضوا فى الكيفية لوافق قولهم قول السلف الذين أثبتوا العلو والفوقية والاستواء لله جل وعلا ومباينته للمخلوقات . ولكن الكرامية دخلوا عما منع سلف الأمة / الدخول فيه وهو كيفية استواء لله تعالى على عرشه وان كانوا أحسن حالا ممن نفى هذه الصفات .

وهؤلاء الأشاعرة الذين يهاجمون الكرامية أكثر خطأ منهم لأنهم ينفون بعض صفات الله عز وجل كالاستواء على العرش والفوقية والعلو .

وسيتضح للقارئ في " موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من الكرامية في الاستواء مدى مخالفة الكرامية أو موافقتهم للسلف .

ومن الكرامية من يقول : ((هو تعالى فوق العرش وليس بمنقسم ولا متحيز ولا له يمين ولا يسار يتميز منه بعضه عن بعض ، ويقولون : هو فوق العرش وليس بجسم[3] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ، وانظر الأربعين للرازى ص (١٠٩) ، وانظر شرح نهج البلاغة (٣/ ٢٣٠) .

(٢) الأربعين للرازى ص (١٠٩) وانظر درء تعارض (٦/ ١٠) ، ونقل عن لباب الأربعين ص (٣٤ - ٣٥) .

(٣) درء تعارض (٦/ ٢٨٩ - ٢٩٠) .

ويتبين مما سبق(١) أن الكرامية تثبت لله تعالى الاستواء على العرش ولكن دخلوا فى تفاصيل كيفية الاستواء ان صح ما قال عنهم خصومهم من الأشعرية فمما ذكروا عنهم أنه تبارك وتعالى مماس لعرشه من الصفحة العليا . وذكروا عن بعضهم أنه تعالى ملاق للعرش وأنه لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش الا أن يحيط العرش الى أسفل .

وبالجملة فان مذهب الكرامية فى استواء الله تبارك وتعالى على العرش يتلخص من خلال البحث على قولين :

القول الأول :
========= هو : انه تعالى استوى على العرش ثم خاضوا فى تفاصيل ما أنزل الله بها من سلطان حسب ما ذكر عنهم خصومهم كالبغدادى والاسفرايينى والشهرستانى والرازى وغيرهم .

قد يقول القائل : لماذا تشك فى نقل هؤلاء الأشعرية عن الكرامية .

أقول : معلوم أن نفاة الصفات أو بعضها يتهمون المثبتين لها بالتجسيم والتشبيه فيما ينفون من تلك الصفات وقد كان بين الكرامية وبين الأشعرية مناظرات كما تقدمت الاشارة اليها فى أكثر من موضع وقد استحكمت العداوة بينهم ، بما يستدعى التأكد والتثبت حتى لا نتقول على القوم مالم يقولوا أعنى الكرامية .

القول الثانى :
========= هو : انه تعالى فوق العرش وليس بمنقسم ولا متحيز ولا له يمين ولا يسار يتميز منه بعضه عن بعض ، وأنه ليس بجسم ، وهذا مذهب الكلابية ومن وافقهم كالأشعرية القدامى . كما وافقهم عليه بعض أهل الحديث والصوفية القدامى وغيرهم(٢) . وهذا القول خطأ أيضا مخالف للكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف فان القول الصحيح الذى عليه سلف الأمة هو اثبات الصفة كالاستواء والفوقية والمباينة لله تعالى عن المخلوقين والعلو من غير تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف .

---

(١) ص (١٧٠) وما بعدها من الرساله .

(٢) انظر درء التعارض (٦/٢٨٩ - ٢٩٠) .

وأما هذه الألفاظ المجملة المبتدعة كمنقسم ومتحيز وجسم ونحوها فانها لم ترد في كتاب الله تبارك وتعالى ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا نفيا ولا اثباتا ولا يوجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من الائمة المتبوعين أنه علق بمسمى هذه الالفاظ ونحو ذلك شيئا من أصول الدين . ولذلك كان الامام أحمد رحمه الله تعالى يقول : يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون الناس بما يشبهون عليهم[1] .

وقد تقدم[2] الكلام عن هذه الألفاظ المبتدعة وماقال عنها العلماء ، واذاً فالكرامية من أهل الكلام المذموم الذين يقولون بهذه الالفاظ المبتدعة تارة بالنفي وتارة أخرى بالاثبات وكل ذلك تقدم ذكره هناك .[3]

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية في المقدمة ص(٥٢) ضمن عقائد السلف .

(٢) تقدم في مباحث اطلاق الكرامية على الله تبارك وتعالى لفظ الجسم، ولفظ الجوهر والتحيز.

(٣) يعني في المباحث المشارة آنفا في هامش رقم (٢) من هذه الصفحة .

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في الاستواء

و قبل أن اشرح موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية تذكر موقفه من الاستواء عامة مؤيدا به بعض أقوال السلف .

بعد أن عرفنا معنى الاستواء فى اللغة وماقاله أئمة هذا الشأن كالخليل والفراء، وابن الاعرابى وغيرهم وأنهم يذهبون فى تفسيرهم للاستواء مذهب السلف ، ومر بنا مذهب الكرامية فى استواء الله على العرش ومانقل عنهم فى اثباتهم الاستواء على العرش لله عز وجل والعلو والفوقية الا أن اكثرهم يدخلون فى تفاصيل محرمة مجهولة ويخوضون فى كيفية الاستواء على العرش ، وذلك مانقل عنهم خصومهم مما لوصح به النقل لكانوا مخالفين لشيخ الاسلام ابن تيمية الذى مذهبه مذهب السلف ، وأقربهم الى الصواب ماذهب اليه محمد بن الهيصم من أنه تعالى مباين للعالم وأنه فوق العالم ، ومانقل عنه من أنه تعالى بينه وبين العرش بعد لا يتناهى ونفى التحيز والمحاذاة مخالف لما عليه شيخ الاسلام ابن تيميه والسلف الصالح من عدم الدخول فى الكيفية والالتزام بما ورد فى الشرع نفيا واثباتا .

وسيتضح للقارئ مدى مخالفة شيخ الاسلام ابن تيمية للكرامية .

فأقول مستعينا بالله تبارك وتعالى :-

عبارات السلف فى استواء الله عز وجل على العرش .

"استوى" بمعنى ارتفع وعلا وصعد واستقر(١) .

---

(١) وقد اعترض بعض علماء أهل السنة تفسير استوى باستقر مع العلم أنه من العبارات الأربعة التى ذكرها السلف كما مر بنا آنفا وسيأتى قريبا ان شاء الله ، أما الذى لا يرى هذا التفسير المذكور فهو الامام الذهبى لما ذكر قول الامام البغوى فى تفسير الآية (ثم استوى على العرش) قال : قال الكلبى ومقاتل : "استقر" قال الامام الزهبى : لا يعجبنى قوله : استقر ، بل أقول كما قال مالك الامام : الاستواء معلوم. مختصر العلوم. ٢٨٠ ، ورد الألباني على أبي زهرة قوله : أن ابن تيمية يثبت الاستقرار على العرش فقال فى رده : ذلك خطأ عليه (يعنى ابن تيمية) كما يعلم ذلك من درس كتبه دراسة تفهم ووعى لا دراسة سريعة من أجل النقل عنه فى ترجمته ، وتسويد صفحاتها ، مختصر العلوص (٤١) .

قال الامام البخاري رحمه الله تعالى ورضى عنه فى صحيحه : " قال أبو العالية: ((استوى الى السماء : ارتفع)) قال : وقال مجاهد : استوى : علا على العرش)) [١].

وقال الامام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى فى تفسير الآية المذكورة آنفا قال ابن عباس رضى الله عنهما : وأكثر مفسرى السلف : (استوى الى السماء) : ارتفع الى السماء [٢].

وروى اللالكائى باسناده عن بشر[٣] بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين يقولون : ((الرحمن على العرش استوى)) قال : على العرش استوى : ارتفع)[٤] ، ورجح الامام الطبرى فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) القول بتفسيرها بالعلو والارتفاع[٥] وقد تقدم تفسير ابن عباس للآية المذكورة بمعنى صعد كما ذكره الفراء [٦] قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : ثم استوى الى السماء صعد[٧].

وقال الامام البغوى فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) : قال الكلبى ومقاتل (استقر)[٨].

---

(١) صحيح البخارى فى التوحيد باب وكان عرشه على الماء علقه /، تهذيب مختصر السنن (٧/١٠٢) ، فتح البارى (١٣/٤٠٩) . درء تعارض ٢ /٢٠

(٢) تفسيره المسمى بمعالم التنزيل على هامش تفسير ابن كثير (١٢٢/١) /، مختصر العلو ص (٢٨٠) . درء تعارض ٢ /٢١

(٣) بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهرانى الأزدى أبو محمد البصرى ثقة من التاسعة مات سنة ٢٠٧ وقيل ٢٠٩ هـ ، تقريب التهذيب (١/ ١٠٠) .

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٧) .

(٥) تفسير الطبرى (٤٣٠/١) تحقيق محمود شاكر .

(٦) ص ١٥٦ من الرسالة .

(٧) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (١٢٧) وقد تقدم فى ص ٥٧ من الرسالة ، أنه فسر استوى بمعنى علا ، فلا تناقض ان فسر هذا تارة وهذا تارة أخرى لأن كلا المعنيين صحيحين ، وتفسيره للآية بمعنى صعد نقل القيم عن معالم التنزيل وكذا الذهبى فى العلو ، مختصر العلو ص (٢٨٠) .

(٨) معالم التنزيل مع تفسير ابن كثير ٣ /٤٨٨ .

وقال أبو الحسن علي بن محمد الطبري من كبار أصحاب ابي الحسن الاشعري ((والله في السماء فوق كل شيء ، مستو على عرشه ، بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء الاعتلاء ، كما تقول استويت على ظهر الدابة واستويت على السطح . بمعنى علوته ، واستوى الشمس على رأسي واستوى الطير قمة رأسي بمعنى علا [1].

لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ذكرها العلامة ابن القيم في النونية حيث[2] قال :

فلهم عبارات عليها أربع ∴ قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك أرت ∴ فع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ∴ وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ∴ أدرى من الجهمي بالقرآن [3]

---

(١) تهذيب مختصر سنن أبي داود (٧/١٠٢) .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ، الدكتور محمد خليل هراس ص (٨٠) .

(٣) نونية ابن القيم وشرحها للعلامة د . محمد خليل هراس (١/٢٣٣) .

وقد بين السلف أن الاستواء معلوم والكيف مجهول .

روى هذا التفسير عن أم[1] سلمة رضى الله عنها ، فقد روى اللالكائى رحمه الله بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها فى قوله عز وجل :

((الرحمن على العرش استوى))[2] قالت : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والاقرار به ايمان ، والجحود به كفر[3] .

---

(١) هي أم المؤمنين هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله القرشية المخزومية وكانت موصوفة بالعقل البالغ والرأى الصائب واشارتها على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تدل على وفور عقل وصواب رأيها رضى الله عنها وعن أمهات المؤمنين وعن الصحابة جميعا ، توفيت سنة (٦١ أو ٦٢ هـ) .

انظر ترجمتها رضى الله عنها فى ، مسند الامام أحمد (٢٨٨/٦) طبقات ابن سعد (٨٦/٨ - ٩٦) الجرح والتعديل (٤٦٤/٩) ، أسد الغابة (٣٤٠/٧) ، سير اعلام النبلاء (٢٠١/٢) ، العبر (٦٥/١) ، تهذيب التهذيب (٤٥٥/١٢) ، الاصابة (٤٥٨/٤ - ٤٥٩) ، شذرات الذهب (٦٩/١) .

وليست أم سلمة ، أسماء بنت يزيد الأنصارية كما اعتقد ذلك بعض الناشرين كما فى هامش ص (٣٢) ، شرح حديث النزول وذلك أن أم الحسن البصرى التى روت الأثر كانت جارية لأم المؤمنين وكانت آخر أمهات المؤمنين موتا .

(٢) (طه : ٥) .

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٧/٣) .

كما أورد ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : بعد أن ذكر قول ربيعة ومالك قال :

((وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضى الله عنها موقوفا ومرفوعا ولكن ليس اسناده مما يعتمد عليه))[1] .

كما روى ذلك شيخ الأسلام أبو اسماعيل الصابونى فى كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث[2] ، وقد نقل الحافظ بن حجر ذلك عن اللالكائى فى الفتح[3] والامام زين الدين المرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى فى أقاويل الثقات [4] . قولها رضى الله عنها .

وقد روى الخلال باسناد كلهم ثقات عن سفيان بن عيينه رحمه الله ، قال :

((سئل ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن قوله عز وجل "الرحمن على العرش استوى" قال : ((الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق))[5] .

وهذا ثابت عن ربيعة شيخ مالك[6] .

---

(١) مجموع فتاوى (٥/٣٦٥) ، شرح حديث النزول ص (٣٢) .

(٢) ص (١٦) بتحقيق بدر البدر ، وهذا الكتاب مطبوع مع مجموعة الرسائل المنبرية (١/١١٠) .

(٣) فتح البارى (١٣/٤٠٦) .

(٤) ص (١٢٠) ، تحقيق شعيب أرنؤوط .

(٥) درء التعارض (٦/٢٦٤) ، أنظر المصدر السابق (١/٢٠٧ ؛ ٢٧٨) ، و(٢/٣٥) ومجموع فتاوى (٥/٤٠ ، ٣٦٥) و (١٧/٣٧٣) ، وشرح حديث النزول ص (٣٢) ، أقاويل الثقات ص (١٢١) ، وشرح اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨) ، الأسماء والصفات للبيهقى ص (٤٠٨ - ٤٠٩) والتمهيد (٧/١٣٨) .

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٩ مع اختلاف يسير في اللفظ، وشرح حديث النزول ص ٣٢ ، مجموع فتاوى (٥/٣٦٥) ، العلو الذهبى ص (٩٨) ، اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٧٥) .

وقد روى هذا الجواب عن الامام مالك رحمه الله تعالى من غير وجه روى الامام أبو سعيد الدارمي رحمه الله تعالى باسناده قال : قال جاء رجل الى مالك بن أنس فقال : "يا أبا عبد الله ((الرحمن على العرش استوى)) كيف استوى ؟ قال راوى القصة : فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده في مقالته وعلاه الرحضاء [1] ، وأطرق فجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه ثم سرى [2] عن مالك فقال : ((الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وانى لأخاف أن تكون ضالا ، ثم أمر به فأخرج)) [3] .

وقد روى هذا عن الامام مالك من غير وجه [4] .

---

(١) الرحضاء عرق يغسل الجلد لكثرته ، وكثيرا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض ، النهاية لابن الأثير (٢٠٨/٢) .

(٢) وانسرى عنّي الهم : انكشف ، وسُرِي عنّي الهم مثله الصحاح للجوهري مادة سرا (٢٣٧٥/٦) .

(٣) الأثر مع بعض الاختلاف في الألفاظ في الرد على الجهمية ص ٣٣ بتحقيق الألباني وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ الاسلام أبو اسماعيل الصابوني ص (١٧ - ١٩) بتحقيق بدر البدر ، وذكر أكثر من رواية لأبي عمرو ، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٩٨/٣) ، والأسماء والصفات للبيهقي ص (٤٠٨) ، والتمهيد لابن عبد البر (١٣٨/٧) ، شرح حديث النزول ص (٣٢) ، مجموع فتاوى (٥/٤-٤١ ، ١٤٩ ، ٣٦٥ و ٣٠٨/١٣ و ٢٧٣/١٧) ، وانظر درء تعارض (٢٠٧/١ ، ٢٧٨ و ٣٥/٢ و ٢٦٥/٦ .

(٤) شرح حديث النزول ص (٣٢) ، مجموع فتاوى (٣٦٥/٥) ، وانظر درء تعارض (٢٦٥/٦) .

وقد وافق هذا القول سائر الأئمة فى أنه لا يعلم كيفية استوائه كما لا يعلم كيفية ذاته ولكن يعلم المعنى الذى دل عليه الخطاب ، فيعلم معنى الاستواء ولا يعلم كيفيته [١] .

قال عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون وأحمد بن حنبل رحمهما الله وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله تعالى به عن نفسه ، وان علمنا تفسيره ومعناه)) [٢] ، فنفس المعنى الذى بينه الله يعلمه الناس كل على قدر فهمه [٣] .

وقال معمر [٤] بن احمد الأصبهاني : ((ان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ، وأنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه)) [٥] .

---

(١) مجموع فتاوى (٥/ ٣٦٥ وانظر المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢) درء تعارض (١/ ٢٠٧ ، ٢/ ٣٥-٣٦) ، مجموع فتاوى (١٧/ ٣٧٤) .

(٣) مجموع فتاوى (١٧/ ٣٧٤) .

(٤) هو معمر بن احمد بن محمد بن زياد الاصبهاني أبومنصور شيخ الصوفية في زمانه باصبهان روى عن الطبراني وأبي الشيخ توفي سنة ٤١٨ ، شذرات الذهب ٣/ ٢١١ .

(٥) درء تعارض (٦/ ٢٥٦ - ٢٥٧) .

العلم بالاستواء هو التأويل الذى بمعنى التفسير وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه ، وأما قولهم : الكيف مجهول فهو الذى أنفرد الله تعالى بعلمه وهو الحقيقة التى لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى[١].

---

(١) درء تعارض (٣٨٢/٥، ٢٣٤، ٢٣٥) .

انظر معاني التأويل في ص ٩٣ من هذا البحث .

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية اجماع السلف على أن استواء الله على العرش على الحقيقة .

قال الامام أبو سعيد الدارمي : (وأما الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم فى هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ... وأن الأمة كلها والأمم السالفة (١) لم يكونوا يشكون في معرفة الله سبحانه وتعالى / أنه فوق السماء بائن من خلق ".

فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله فوق سماواته مستو على عرشه ، وكلامهم مشهور فى ذلك نصا وظاهرا(٢) .

قال العلامة ابن القيم : (ان الاجماع منعقد على أن الله سبحانه وتعالى : استوى على عرشه حقيقة لا مجازاً)(٣) .

وأما كلام من نقل مذهب السلف رحمهم الله ، فأكثر من أن يمكن سطره (٤) نورد بعض أقوالهم لنثبت صحة ماذكرنا .

فقد ذكر الامام أبو عمر (٥) الطلمنكى أحد الأئمة المالكية وهو شيخ أبى عمر بن عبد البر فى كتابه الكبير العظيم النفع " الوصول الى معرفة الأصول " .

---

(١) الرد على الجهمية للدارمى بتحقيق الألبانى ص (٣١) .

(٢) القواعد المثلى فى صفات الله واسمائه الحسنى لشيخ محمد صالح العثمين ص (٦٢) .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/١٣٢-١٣٣) .

(٤) درء التعارض (٦/٢٥٠) .

(٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر الطلمنكى المعافرى الاندلسى ، الامام المحقق المقرئ المحدث الحافظ الاثرى ، كان من بحور العلم ، كان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع قامعا لهم غيورا على الشريعة شديدا على ذات الله تعالى ولد سنة (٣٤٠) ، وتوفى سنة (٤٢٩) ، انظر ترجمته فى : جدوة المقتبس ص (١١٤) بغية الملتمس ص (١٦٢) ، معجم البلدان (٤/٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦ - ٥٦٩) ، العبر فى خبر من غبر (٣/١٦٨) ، تذكرة الحفاظ (٣/١٠٩٨- ١١٠٠) ، الوافى بالوفيات (٨/٣٢- ٣٣) ، غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (١/١٢٠) ، طبقات الحفاظ ص (٤٢٣ ، ٤٢٤) ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥ طبقات المفسرين للداودى (١/٧٧- ٧٩) ، شذرات الذهب (٣/٢٤٣ ، ٢٤٤) ، والطلمنكى نسبة الى طلمنكه بفتح أوله وثانيه وبعد الميم نون ساكنه ، وكاف : مدينة بالأندلس ، معجم البلدان (٣/٣٩) .

الذى جمع فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمة أصحابه الذى اذا اطلع عليه المطلع علم حقيقة مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى [١] .

١ - قال أبو عمر الطلمنكي "اجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز" [٢] .

٢ - وقال الشيخ أبو نصر [٣] السجزى فى كتابه "الابانة" :-

"فأئمتنا كسفيان الثورى ومالك وسفيان بن عيينه وحماد بن سلمة " وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الحنظلى ، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش [٤] .

وأن علمه بكل مكان.

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٣٣) .

(٢) انظر المصدر السابق نفسه ، وانظر درء تعارض (٦/ ٢٥١) .

(٣) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى البكرى السجزى ، الامام العالم الحافظ المجود شيخ السنة ،شيخ الحرم ومصنف (الابانة الكبرى) فى أن القرآن غير مخلوق ،وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الاثر ،نزيل الحرم ومصر توفى سنة (٤٤٤هـ) ،انظر ترجمته : معجم البلدان (٥/ ٣٥٦) ،اللباب (٣/ ٣٥٢) ، سير اعلام النبلاء (١٧-٦٥٤-٦٥٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨ ١١١-١١٢٠) ، العبر فى خبر من غبر (٣/ ٢٠٦-٢٠٧) العقد الثمين (٥/ ٣٠٧-٣٠٨) ،طبقات الحفاظ (٤٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٢٧١- ٢٧٢) ،والسجزى نسبة الى سجستان معجم البلدان (٣/ ١٨٩) والوائلى نسبة الى قرية على ثلاثة فراسخ من سجستان ، معجم البلدان (٥/ ٣٥٦) .

(٤) درء تعارض (٦/ ٢٥٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٦) .

٣ - وقال الشيخ نصر[١] المقدسي شيخ الشافعية في عصره بالشام في كتابه "الحجة على تارك المحجة" : ((ان الذي أدركت عليه أهل العلم ومن لقيتهم وأخذت عنهم ومن بلغني قوله من غيرهم ...)) وبعد أن ذكر جمل اعتقاد أهل السنة قال فيه :

((ان الله مستو على عرشه بائن من خلقه))[٢] .

٤- وقال أبو نعيم الأصبهاني :

((طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة ، فما اعتقدوه اعتقدناه ،فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم : في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ، لا يحل فيهم ولايمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه[٣] .

---

(١) هو الشيخ الامام العلامة القدوة المحدث ، مفيد الشام ،شيخ الاسلام أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود النابلسي المقدسي الفقيه الشافعي صاحب التصانيف والأمالي ، ولد سنة قبل (٤١٠هـ) ، وتوفي سنة (٤٩٠هـ) انظر ترجمته في : تبيين كذب المفترى ص (٢٨٦-٢٨٧) ، تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/٢/١٢٥-١٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦-١٤٣) ، العبر (٣/٣٢٩) طبقات الشافعية للسبكي (٥/٣٥١-٣٥٣) ، شذرات الذهب (٣/٣٩٥-٣٩٦) ، المقدسي نسبة الى بيت المقدس ، معجم البلدان مادة مقدس (٥/١٧١) ، والنابلسي نسبة الى نابلس بضم الباء الموحدة واللام ، والسين مهملة ، مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين وبينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ معجم البلدان (٥/٢٤٨) .

(٢) درء تعارض (٦/٢٥١) .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٢٥٢ .

٥ - وقال الشيخ أبو أحمد[1] الكرخى الامام المشهور فى أثناء المائة الرابعة فى العقيدة التى ذكرنا أنها اعتقاد أهل السنة والجماعة وهى التى كتبها للخليفة القادر بالله وقرأها على الناس وجمع الناس عليها وأقرتها طوائف أهل السنة ، وكان قد استتاب من خرج عن السنة من المعتزلة والروافض ونحوهم سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وكان حينئذ قد تحرك ولاة الأمور لاظهار السنة لما كان الحاكم المصرى وأمثاله من أئمة الملاحده قد أنتشر أمرهم ، وكان أهل ابن سينا وأمثالهم من أهل دعوتهم ، وأظهر السلطان محمود بن سبكتكين لعنة أهل البدع على المنابر وأظهر السنة)) .

((وهذه العقيدة مشهورة فيها ، : "كان ربنا وحده ولا شيء معه ،ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته ، وخلق العرش لا لحاجته اليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد ، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق[2]

٦ - كما نقل أبو عمر بن عبد البر : اجماع أهل السنة على أن الله عز وجل على العرش فوق سبع سموات ، قال فى شرح حديث النزول :

(وفيه دليل على أن الله تعالى عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية فى قولهم : ان الله تعالى فى كل مكان وليس على العرش ،والدليل على صحة ماقال أهل الحق فى ذلك قول الله عز وجل : (الرحمن على العرش استوى)[3] ، وذكر آيات أخرى كثيرة للدلالة على علو الله تبارك وتعالى .

---

(١) لعله محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الكرجي ،بالجيم ابو الحسن بن أبي طالب الشافعي وليس بالخاء كما تقدم فيكون تصحيفا . ترجمته في : المنتظم ١٠/٧٥، ٧٦ الكامل لابن الاثير ١١/٢٦. العبر في خبر من غبر ٤/٨٩ العلو لعلي الغفار مختصره ص ٢٨١ ،مرآة الزمان ٨/١٦٧، البداية والنهاية ١٢/٢١٣. شذرات الذهب ٤/١٠٠.

(٢) درء تعارض (٦/٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(٣) (طه : ٥)

التمهيد لابن عبد البر (٧/١٢٩) .

وذكر فى موضع آخر أن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل فى القرآن الكريم قالوا فى تأويل قوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أيما كانوا)[١] هو على العرش ، وعلمه فى كل مكان)[٢] .

وما خالفهم أحد يحتج بقوله ونقل نحو هذا التفسير للآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعن الضحاك بن مزاحم وسفيان الثورى[٣] .

٧ - وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم : سألت أبى وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة يعنى فى أصول الدين وماأدركا عليه العلماء فى جميع الأمصار فقالوا : أدركنا العلماء فى جميع الأمصار : حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا ، فكان من مذاهبهم .... أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بلا كيف أحاط بكل شىء علما)[٤] .

٨ - وقال الامام أبو عبد الله القرطبى المالكى فى كتابه (شرح أسماء الله تعالى الحسنى) بعد أن ذكر اختلاف الناس فى تفسير الاستواء قال :
(وأظهر الأقوال ماتظاهرت عليه الآى والأخبار ، والفضلاء الأخيار : أن الله تبارك وتعالى على عرشه كما أخبر فى كتابه وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام بلا كيف ، بائن من جميع خلقه ، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات)[٥] .

---

(١) (المجادلة : ٧) .

(٢) التمهيد (٧/١٣٨-١٣٩) وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل باسناده عن الامام مالك بن أنس نحوه (١/١٠٦-١٠٧) - تحقيق د . محمد القحطانى واللالكائى باسناده عن مقاتل بن حيان كذلك (٣/٤٠٠) .

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٧/١٣٩) بتصرف قليل .

(٤) درء تعارض (٦/٢٥٧) .

(٥) المصدر السابق ص (٢٥٦) ، أقاويل الثقات ص (١٣٠٢) .

وقال في تفسيره الكبير في معنى الاستواء : ((هذه مسألة الاستواء))

قال : " وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه واخبرته رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة . وانما جهلوا كيفية الاستواء "(١)

وقد نقل غير واحد اجماع السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف على هذا ، فقد روى البيهقي باسناده عن الامام الأوزاعي أنه قال : ((كنا نحن والتابعون متوافرون نقول : " ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا "(٢) .

وروى أبو بكر الخلال في كتابه السنة باسناده عن اسحاق بن راهويه قال : في تفسير قوله تعالى : ((الرحمن على العرش استوى)) ، قال اجماع أهل العلم أنه فوق العرش ، ويعلم كل شيء في أسفل الأرضين السابعة وفي قعور البحار(٣) .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن (٧/٢١٩) ، تفسير سورة الأعراف (٥٤) ، درء (٦/٢٥٨ - ٢٦٠) .

(٢) الأسماء والصفات ص (٤٠٧-٤٠٨) وصحح اسناد البيهقي هذا الامام شيخ ابن تيمية ، الفتوى الحموية الكبرى ضمن نفائس ص (١١٠- ١١١) تحقيق الشيخ حامد الفقي ، وفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الرسائل الكبرى (١/٤٤١) ودرء التعارض (٦/٢٦٢) ، ومجموع فتاوى (٥/١٨٣) .

(٣) درء التعارض (٦/٢٦٠) .

سئل الامام أبو حنيفة رحمه الله تعالى عمن لا يعرف ربه في السماء أم في الأرض فقال : قد كفر لأن الله تعالى يقول : ((الرحمن على العرش استوى ، وعرشه فوق سبع سموات)) قيل فان قال : انه على العرش ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر لأنه أنكر ان يكون في السماء لانه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل(1) .

وقال الامام الشافعي في كتابه الذي صنفه في أصول السنة باب الايمان بالعرش : ومن قول أهل السنة ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء ، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) ، وفي قوله تعالى : ((ثم استوى على العرش)) ((يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها)) الآية(2) .

وقد ذكرنا (3) تفسير الامام مالك لقوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) وروى الخلال باسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :

" قيل لأبي ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ، قال : نعم لا يخلو شيء من علمه (4) فهؤلاء هم الأئمة الأربعة الذين يقتدي بهم اكثر المسلمين علماؤهم وعامتهم الذين جاءوا بعدهم في المذاهب الفقهية وانتشرت مذاهبهم اكثر من غيرهم ، وقد رأينا أقوالهم التي أثبتت صفة الاستواء لله عز وجل .

---

(١) شرح الفقه الاكبر لملا على القاري ص (١٠٣ ، ١٠٤) درء تعارض (٦/٢٦٣) .

(٢) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٥٨) (موالآية في الحديد : ٤)

(٣) ص (١٨٠) من الرسالة .

(٤) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٧٧) .

وقد ذكرنا سابقا أقوال ائمة اللغة فى اثباتهم صفة الاستواء لله تبارك وتعالى وتفسيرهم له بمثل مافسر به السلف كابو عبيدة[1] معمر بن المثنى وامام أهل الكوفة يحيى بن زياد[2] الفراء ، والامام أبى عبد الله محمد[3] بن الأعرابى والامام الخليل[4] ابن أحمد شيخ سيبويه والأخفش[5] والزجاج[6] واستعمال لفظ الاستواء[7] فى كلام العرب اذا عدى بحرف واذا لم يعد بحرف كما تقدم تفسير علماء السلف فى معنى استواء الله على العرش ، واستواءه تعالى على عرشه أمر قد أجمع عليه الصحابة[8] والتابعون ومن بعدهم من علماء السلف بل الأمة الاسلامية ، الا من فسدت فطرته وتأثر بأفكار دخيلة كالفلسفة والمنطق لما عربت كتبهم فى أيام المأمون وأيد أهل البدع .

قد يقول قائل قد أطلت فى نقل مذهب السلف وأقوالهم فى هذه المسألة
أقول نعم قد يحصل شىء من هذا الا / وكما أسلفت أرى أن بيان مذهب السلف أن هذا فعله شيخ الاسلام ابن تيميه الذى مذهبه مذهب السلف فى هذا الموضوع فى غاية الأهمية لنعرف مذهبهم أولا ، ولنعرف مدى مخالفة الكرامية لهم أو موافقتهم ثانية ، وأن موقف السلف ضرورى لمن يتصدى لمثل هذه المسائل اذ ماذهبوا اليه أو أجمعوا عليه هو الميزان والمعيار الذى يجب التحاكم اليه فهم صفوة الأمة وخيارها وأفضلها علما وعملا .

---

(١) تقدم فى ص (١٥٧) من الرسالة .

(٢) تقدم فى ص (١٥٥ ـ ١٥٦) من الرسالة .

(٣) تقدم ص (١٥٣ ـ ١٥٥) .

(٤) تقدم ص (١٥٨ ـ ١٦٨) من الرسالة .

(٥) تقدم ص (١٥٦) من الرسالة .

(٦) تقدم فى ص (١٥٦) من الرسالة .

(٧) تقدم من ص (١٥٩ ـ ١٦٠) من الرسالة .

(٨) تقدم فى ص (١٨٣) من الرسالة .

(٩) التمهيد ص (٧/ ١٢٨- ١٢٩) .

وخاصة مثل هذه المسألة التي هي من أعظم المسائل في العقيدة المتعلقة بالله تبارك وتعالى والتي من انحرف عنها وخالف هذه الأدلة المستفيضة المتواترة القاطعة النقلية منها من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة وصريح العقل والفطرة السليمة واجماع السلف فأمره في خطر عظيم .

ومعلوم أن شيخ الاسلام ابن تيمية يؤمن ويعتقد أن مذهب السلف هو الحق ، ويؤيد هذا المذهب وينصره وينشره ويحييه فى وقت قد اعتبر من يدعوا اليه أنه هو المبطل المبتدع ، وقد أوذى فى ذلك ايذاء كثيرا .

وفيما يتعلق بالقول الذى نسب الى الكرامية الذى هو : ان الله تعالى استوى على العرش مماس له ، ذكر شيخ الاسلام أقوال الناس فى ذلك فقال : ((الناس لهم فى هذا المقام أقوال) :

١ - منهم من يقول : هو نفسه تعالى فوق العرش غير مماس ، ولا بينه وبين العرش فرجة ، وهذا قول بن كلاب ، والحارث المحاسبي وأبو العباس القلانسي والأشعرى ، وابن الباقلانى ، وغير واحد من هؤلاء ، وقد وافقهم على ذلك طوائف كثيرون من أصناف العلماء من أتباع الأئمة الاربعة ، وأهل الحديث ، والصوفية وغيرهم .

وهؤلاء يقولون : انه تعالى بذاته فوق العرش ، وليس بجسم ولا هو محدود ولا متناه .

٢ - ومنهم من يقول : هو نفسه فوق العرش ، وان كان موصوفا بقدر[١] له لا يعلمه غيره ، ثم من هؤلاء من لا يجوز عليه مماسة العرش ، ومنهم من يجوز ذلك ، وهذا قول أئمة أهل الحديث والسنة ، وكثير من أهل الفقه والصوفية والكلام غير الكرامية[٢] .

---

(١) وقد كان بعض علماء السلف كالامام أحمد رحمه الله تعالى وغيره يصفونه تعالى بأنه على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ، كما نص هو وغيره من الأئمة بأنه تعالى على العرش بحد ، ولا منافاة بين القولين لأن المقصود انه تعالى له حد لكن لا يحيط به علم الخلق ، أنظر درء تعارض ٢ / ٣٠ ـ ٣٤ .

(٢) درء التعارض (٦ / ٢٨٨) .

وإذاً هناك من يذهب مثل ماذهبت اليه الكرامية من أن الله تعالى مماس لعرشه

وقد رد شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى على الكرامية وعلى خصومهم متأخرى الأشعرية وغيرهم في هذه المسألة اذ قال : ((وانما يتمكن من ابطال قول هؤلاء كلهم أهل السنة المثبتة الذين يقولون : انه تعالى مباين للعالم ، فأما بعض هذه الطوائف مع بعضهم فانهم متناقضون) (١) قال الرازي (واعلم أن اصحابنا عبروا عن هذه الدلالة بأن قالوا لو كان في جهة فوق لكان اما ان يكون اكبر من العرش أومساويا له واصغر منه ،فان كان أكبر من العرش كان القدر المساوى منه للعرش مغايرا للقدر الفاضل منه من العرش فيكون مركبا من الأجزاء والأبعاض ، وان كان مساويا للعرش وثبت ان العرش منقسم من الأجزاء والأبعاض كان المساوى له في المقدار منقسما مركبا من الاجزاء والابعاض وان كان أصغر من العرش فاما أن يكون قد بلغ في الصغر الى أن كان مساويا للجوهر الفرد ... فيكون في غاية الصغر والحقارة وجل عن ذلك .. واما أن يكون أكبر من الجوهر الفرد فيعود القول بالتركيب والقسمة))(٢) .

بين الرازي أنه ينكر وأصحابه ان الله تعالى في جهة فوق وليس هذا رد على الكرامية فحسب وانما هو رد على كل من يثبت العلو والاستواء والفوقية لله عز وجل ومن ضمنهم ابن كلاب وأصحابه والأشعري واصحابه القدامى الذين ينتسب اليهم الرازي وغيره من الأشعرية المتأخرين .

وقد رد شيخ الاسلام قوله هذا فقال : ((قول من يقول هو فوق العرش وليس بمنقسم ولا متحيز ، ولا له يمين ولا يسار يتميز منه بعضه عن بعض ، كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية والكرامية والأشعرية ومن وافقهم من أهل الحديث والصوفية الذين يقولون : هو فوق العرش وليس بجسم ، كالتميميين ، والقاضي أبي يعلى وأتباعه كابن الزاغوني وغير ذلك وكما يقول ذلك من يقول من الفلاسفة كما حكاه ابن رشد عن الحكماء))(٣) .

---

(١) درء تعارض ٦/ ٣٠٥ .

(٢) الأربعين في أصول الدين ص(١٠٩ ، ١١٠) ،انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص(١١٣) وانظر الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ص(٤٣٩) .

(٣) درء ٦/ ٢٨٩-٢٩٠ ، انظر درء ٦/ ٣٠٠ .

قال : وهؤلاء خلق كثيرون ، فان هؤلاء يقولون ، لا نسلم أن يلزم أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا فان هذه الأقسام الثلاثة انما تلزم اذا كان جسما متحيزا محدودا ، فاذا كان فوق العرش وليس بجسم محدود ، لم يلزم لا هذا ولا هذا مع أنه مشار اليه (١) .

غير أن هذا رد على الكرامية القائلين بأنه تعالى استوى على العرش وأنه جسم متحيز وان كانوا يقصدون بهذا معنى صحيحا اذ يقصدون بلفظ الجسم بالموجود أو القائم بنفسه .

والزام الرازى وأصحابه لو كان الله عز وجل فى جهة الفوق للزم ، إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا لا لزوم لها وكل ذلك باطل وهؤلاء لم يفهموا من استوائه تبارك وتعالى على عرشه الا ما ثبت للمخلوقين من الأجسام على أجسام مثلها فلازمهم تابع لمفهومهم وأما العلو والاستواء والفوقية التابعة لله تعالى فهى تليق بجلال الله سبحانه وكمال عظمته فلا يلزم شىء من هذه اللوازم الباطلة ونحوها التى يجب نفيها والتى تناسب المخلوقات لا الخالق ، وقولهم هذا مثل القول القائلين اذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرضا وكلاهما محال اذ لا يعقل موجود الا كذلك (٢) .

ولا شك أن أقوال هؤلاء (٣) الأشعرية المتأخرين والالزامات المبتدعة والدخيلة على الاسلام التي يلتزمونها مخالفة للشرع ، والحق ماذهب اليه سلف هذه الأمة اذ قالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول ، ليتبين الحق لمن يريد اتباعه ويضيق المجال عن تفصيل ذلك لكثرتها .

وقول الكرامية فى دخولهم كيفية الاستواء باطل ولكن نفاة الاستواء كالرازى وغيره أبطل مذهبا من هؤلاء ويحاولون ابطال مذهب الكرامية فى الاستواء ولكن وقعوا فى سبيل ذلك بأخطاء أشنع من أخطاء هؤلاء .

---

(١) المصدر السابق ، ص (٢٩٠) بتصرف قليل .

(٢) أنظر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ص (٤٣٩) .

قال الرازى : فان اثبات الجهة لله تعالى لم يقل به الا الحنابلة والكرامية وأما كل من سواهم فهم متفقون على أن ذاته سبحانه وتعالى منزه عن الاختصاص بالحيز والجهة فظهر أن هذه المقدمه ليست بديهية (١) .

ويقصد الرازى من ذلك نفى العلو والاستواء والفوقية لله عز وجل وليس هذا مذهب الرازى وحده بل مذهب الأشعرية كأبى المعالى وأتباعه الذين ينفون صفات الله تعالى الخبرية ، ومنها هذه ، وهذا تأثير تأثروا به بالجهمية والمعتزلة وأتباعهم والفلاسفة الذين ينفون صفات الله تعالى كلها . اثبات الجهة ويقصد بذلك

الذى وصف فيه الكرامية والحنابلة بأنهما وحيدان من بين المسلمين في / العلو

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على الرازى قوله هذا / فى كلام طويل نقتبس منه شيئا يسيرا . قال " من المعلوم أن هذا لا ينكره الا من يقول بأن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه وينكر أن يكون الله نفسه فوق العالم ، وقال : ((وطائفة من الفلاسفة تقول مثل ذلك فيما تثبته من العقول والنفس الناطقة))(٢) .

وقال : ((واذا كان كذلك فجماهير الخلائق يخالفون هؤلاء ، ويقولون بأن الله نفسه فوق العالم ، واذا كان الله نفسه فوق العالم ، فان كان ذلك مستلزما لجواز الاشارة اليه ، وأن يكون مباينا للعالم بالجهة ، فلازم الحق حق وامتنع حينئذ وجود موجود لا مباين للعالم ولا محايث له ولا يشار اليه))(٣) .

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على هؤلاء بكلام جيد مفيد طويل تركناه وأشرنا من كلامه مايخص الكرامية باختصار شديد .

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ، ص (١٠٦ - ١٠٧) .

(٢) در (٦/١١٣) .

(٣) در (٦/ ١١٤) .

وأما مادعى الرازى فى قوله[١]: ((ولم يقل به الا الحنابلة والكرامية))
أى اثبات الجهة لله تعالى ويقصد بذلك نفى العلو وهذا القول غير صحيح ، فان أكثر الناس متفقون على اثبات العلو لله تعالى ، والسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة مجمعون على اثبات ذلك كما سيأتى فى مبحث العلو وكما سبق[٢] وقد تقدم قول شيخ الاسلام ابن تيمية ((فجماهير الخلائق يخالفون هؤلاء ويقولون بأن الله تعالى نفسه فوق العالم))[٣] وقال : ((فالمقصود أنه لايوافقهم على أنه ليس فوق العالم الا أقل الناس ، ومن لم يوافقهم على ذلك ، فاما أن ينكر وجود موجودين : ليس أحدهما مباينا للآخر ولا محايثا له ، واما ألا ينكر ذلك فان لم ينكر ذلك ، مع انكار قولهم بأنه ليس فوق العالم ، كان انكاره لقولهم أعظم من ترك انكاره لما يبطل قولهم فان المقصود مايبطل قولهم ، فاذا كان الناس اما منكر له ، واما منكر لما يستلزم ابطاله ، ثبت اتفاق جمهور الناس على انكاره ، وهو المطلوب))[٤] قال : ((هذه القضية قد صرح أئمة الطوائف الذين كانوا قبل أن يخلق الله الكرامية والحنابلة بأنها قضية بديهية ضرورية))[٥] ثم ذكر أقوال أئمة الطوائف السابقين فذكر قول عبد العزيز الكنانى المكى وابن كلاب أبو محمد عبد الله بن سعيد وهو امام الحارث المحاسبى ، وأبو العباس القلانسى والأشعرى وأمثالهم كما نقل قول أبى الحسن الأشعرى فى الابانة وقول الباقلاني فى التمهيد ، وذلك يدل على أن قول هؤلاء لم يقل به الا الكرامية والحنابلة باطل مخالف لجماهير الأمة من السلف والخلف ، كما خالفوا أئمتهم أيضا .

---

(١) تقدم فى ص (١٩٥) من الرسالة .

(٢) تقدم فى ص (١٨٣) من الرسالة .

(٣) تقدم فى ص (١٩٥) من الرسالة .

(٤) درء (٦ / ١١٤) .

(٥) درء تعارض (١١٤/٦) .

وفيما يلي أورد بعض أقوال العلماء الذين ردوا على هؤلاء في قولهم :

((اثبات الجهة لم يقل به الا الحنابلة والكرامية)) [١] كما ان ذلك رد على الكرامية الذين خاضوا في كيفية الاستواء ان صح ما ذكر عنهم هؤلاء ، فأقول : قال الامام عبد العزيز [٢] المكي .

: ((فقال الجهمي : أخبرني كيف استوى على العرش ؟ أهو كما يقال استوى فلان على السرير فيكون السرير قد حوى فلانا وحده اذا كان عليه ، فيلزمك أن تقول : ان العرش قد حوى الله وحده اذا كان عليه ، لأنا لا نعقل الشيء الا هكذا " أجاب الامام عبد العزيز على هذا السؤال بقوله : ((أما قولك كيف استوى فان الله تبارك وتعالى لا يجرى عليه كيف ، وقد أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يخبرنا كيف استوى فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش ، وحرم عليهم أن يصفوا كيف استوى ، لأنه لم يخبرهم كيف ذلك ..)) (٣) وهو كما قال في كلام طويل علق عليه شيخ الاسلام ابن تيميه كلام الامام عبد العزيز المقتبس منه شيئا آنفا فقال : فهذا الكلام عبد العزيز يبين أن القياس المعقول يوجب أن ما لا يكون في الشيء ولا خارجا منه لا يكون شيئا وان ذلك صفة توجب أن ما لا يكون في الشيء ولا خارجا منه فانه لا يكون شيئا وأن ذلك صفة المعدوم الذي لا وجود له ، قال : وعبد العزيز هذا قبل وجود الحنبلية والكرامية [٤] . وقال أبو محمد بن كلاب : وأخرج من النظر والخبر قول من قال : لا في العالم ولا خارج منه ، فنفاه نفيا مستويا لأنه لو قيل له : صفه بالعدم ، ما قدر أن يقول فيه أكثر منه ، ورد أخبار الله نصا ، وقال في ذلك ما لا يجوز في خبر ولا معقول ، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص ، والنفي الخالص عندهم هو الاثبات الخالص ...) وقال : (فنحن لا نحتشم أن نقول : استوى الله على العرش ونحتشم أن نقول : استوى على الأرض واستوى على الجدار ، وفي صدر البيت) [٥] ، وقد أفاض ابن كلاب في مناقشة نفاة العلو والاستواء والرد عليهم ، وكلامه صريح في الرد على من قال : ان الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه كالرازي وغيره . ولهذا قال : " اذا قالوا : ليس هو فوق وليس هو تحت ، قد أعدموه ، لأن ما كان لا تحت ولا فوق فعدم ". (٦)

---

(١) درء التعارض (٦/١١٧ - ١١٨) .

(٢) درء التعارض (٦/١١٥ ، ١١٧) ، نقل عنه هذا الكلام في كتاب عبد العزيز (الرد على الزنادقة والجهمية) .

(٣) درء التعارض ٦/١١٧ - ١١٨ .

(٤) المصدر السابق ٦/١١٩ .

(٥) درء (٦/١١٩ - ١٢٠) .

(٦) درء التعارض ٦/١٢٢ .

وذكر الأشعرى نحو هذا الكلام وكذا الباقلانى . قال شيخ الاسلام: ((وهذا الذى قاله (يعنى ابن كلاب) هو الذى يقوله جميع العقلاء الذين يتكلمون بصريح العقل بخلاف من تكلم فى المعقول بما هو وهم وخيال فاسد)) .

وقال أيضا : ((وهذا كله يناقض قول هؤلاء الموافقين للمعتزلة والفلاسفة من متأخرى الأشعرية ، ومن وافقهم من الحنبلية والمالكية والحنفية والشافعية وغيرهم من طوائف الفقهاء الذين يقولون : ليس هو تعالى تحت وليس هو فوق)) (١) .

والحق ماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ولا مزيد على ذلك واذا كان بين المخلوق والمخلوق الآخر اختلاف مع نوع من اثبات القدر المشترك الذى يقتضى التناسب والتشابه من بعض الوجوه ، فمعلوم أن مابين الخالق والمخلوق من المفارقة والمباينة أعظم مابين المخلوق والمخلوق ، وهذا مما يوجب نفى مماثلة صفاته لصفات خلقه (٢) .

وقرر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الكلابية والكرامية والأشعرية أقرب الى السنة والحق من جهمية الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم باتفاق جماهير المسلمين وعوامهم (٣) .

والمقصود أن هؤلاء النفاة الذين يقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه لا يمكنهم ابطال قول هؤلاء الكرامية وغيرهم من المثبتين وان كان فى قولهم خطأ وفساد ، فان فساد قول النفاة أعظم وأخطر لأن قولهم يؤدى الى أن الله عز وجل عدم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، بل يقول القائل ان قول هؤلاء الحلولية خير من أولئك المعطلة الذين يقولون ((لا داخل العالم ولا خارجه ، ولهذا قال من قال :

---

(١) در ء (١٢٢/٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه ص (١٢٤) .

(٣) المصدر السابق ص (٢٩٢) .

: ((متكلمة الجهمية لا يعبدون شيأ ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء))

ومنهم من يقول هذا تارة وهذا تارة ومنهم من يقول : هذا اعتقادى ،وهذا

ذوقى (*) ووجدى))[1] . وأوضح شيخ الاسلام ابن تيمية ان الذى يتمكن من

ابطال قول هؤلاء كلهم أهل السنة المثبتة الذين يقولون انه مباين للعالم

فأما بعض هذه الطوائف مع بعضهم فانهم متناقضون[2] ، ويبدو من قول شيخ الاسلام

ابن تيمية ((أما بعض هذه الطوائف مع بعضهم فانهم متناقضون اشارة الى الكرامية

ومن يخاصمهم من الأشعرية وغيرهم .

---

(١) درء (٦/٣٠٥) .

(٢) المصدر السابق ص (٣٠٥) .

(*) الذوق في اصطلاح الصوفية كما ذكره عبد الكريم القشيرى هو : عمايجدونه

===

....

=== في ثمرات التجلي و نتائج الكشوفات ...

ثم ذكر هنا درجات أعلى من الذوق و هي الشرب والرى وقال في ذلك :
" وأول ذلك : الذوق ثم الشرب ثم الرى ، فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني ، ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الرى ، فصاحب الذوق متساكر (قال المحقق وهو من بقي فيه بقية شعور بماله من الأحوال) ،وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح ، ومن قوى حبه تسرمد شربه ، فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرا ، فكان صاحيا بالحق ، فانيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ،ولا يتغير بما هو به "(الرسالة القشيرية ١/ ٢٧١ تحقيق د/ عبد الحليم محمود ،ود/ محمود بن الشريف ط / دار الكتب الحديثة ، ١٤ شارع الجمهورية/ عابدين القاهرة).

وأنشدوا : " و انما الكأس رضاع بيننا * فاذا لم نذقها لم نعش "
(الرسالة القشيرية ١/٢٧٢) .

أما الوجد في اصطلاحهم فانهم جعلوا الوجد درجة فوق التواجد وتحت الوجود ،قال عبد الكريم القشيرى : (قال جنيد : الوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف " وأضاف القشيرى بقوله : ولهذا قال المشائخ :" الوجد : المصادفة (قال المحقق : يشير بذلك الى انه غير مكتسب بل هو من تفضلات الحق تعالى على العبد) ، والمواجيد (قال المحقق : جمع وجد) ، ثمرات الأوراد (قال المحقق : المراد بالاوراد : وظائف الأعمال الموافقة للعلوم الشرعية) ، فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه ... ، وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات فما ينازله العبد من أحكام باطنه يوجب المواجيد فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد : نتائج المنازلات (الرسالة القشيرية ١/ ٢١٧) .

قال " فالتواجد : استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد اذ لو كان لكان واجدا "(الرسالة القشيرية ١/ ٢١٥).

قال :" فالتواجد : ابتداء الوجد على الوصف الذى جرى ذكره ،وبعد هذا الوجد "(المصدر السابق ص ٢١٦) . ===

....

=== وقال :" أما الوجود فهو بعد الارتقاء عن الوجد ، ولا يكون وجود حق الا بعد خمود البشرية (قال المحقق : أى غيبة العبد عن احساسه بها) لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور السلطان الحقيقة وهذا معنى قول أبي الحسين النورى :" أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد أى اذا وجدت ربي فقد قلبي ،واذا وجدت قلبي فقد قلبي " ان مثل هذا الكلام كفر وضلال وانحراف خطير يؤدى بصاحبه الى الهلاك ويضيف القشيرى بقوله : " وفي هذا المعنى أنشدوا :

وجودى أن أغيب عن الوجود * بما يبدو علي من الشهود " .

قال : " فالتواجد : بداية والوجود : نهاية ،والوجود واسطة بين البداية والنهاية ".

قال : " سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : التواجد يوجب استيعاب العبد ، والوجد استغراق العبد ، والوجود يوجب استهلاك العبد ، فمن شهد البحر ثم ركب البحر ثم غرق في البحر" (الرسالة القشيرية ٢٥٠/١) .

وقد استدلوا على الاعتقاد المذكور آنفا الباطل بالحديث المكذوب وهو : " ان النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه " قال شيخ الاسلام ابن تيميه معقبا على هذا الحديث مبينا حكمه (فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث) (مجموع فتاوى ١١/٦٨١)

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على هؤلاء المتصوفة بكلام طيب مفيد بين فيه أباطيلهم وكشف للناس خرافاتهم وفرق بين قدماء مشائخ الصوفية الذين كانوا على منهج الكتاب والسنة و ان كانوا أحيانا يخرجون عن هذا المنهج باتباع ما يجدون في نفوسهم وان خالف النص ، غير أنهم كانوا بعيدين عن اعتقاد الصوفية امثال ابن عربي وابن السبعين وغيرهما اهل وحدة الوجود والالحاد الذين كانوا ينطقون الكفر البواح .

فأنقل كلامه في هذا المجال ،فقد ذكر رحمه الله تعالى أن مسائخ الصوفية الصوفية القدماء كأبي سليمان الداراني كانوا يؤمنون بالتزام الكتاب والسنة والتحاكم اليهما كما قال أبو سليمان الداراني :

" ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة " يقصد نكت الصوفية ، وقال صاحبه أحمد بن أبي الحوارى : " من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله " وقال أبو حفص النيسابورى : ===

....

=== " من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة ،ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال) الاستقامة ١/٩٩.

وبعد أن ذكر هذه الأقوال وأمثالهم من مشائخ الصوفية القدماء الذين كانوا على خلاف تام مع متأخرى الصوفية كاصحاب وحدة الوجود وكابن عربي وابن سبعين وغيرهما من الملاحدة قال شيخ الاسلام ابن تيمية " :لكن قد يعمل أحدهم تارة بغير العلم الشرعي ، بل بما يدركه ويجد ارادته في قلبه وان لم يكن ذلك مشروعا مأمورا به ،وهذا كثيرا ما يبتلى بـه كثيرا منهم من تقديم علمهم بالذوق والوجد على موجب العلم المشروع ... ولا ريب ان هذا من اتباع الهوى بغير هدى من الله وهو مما ذم الله به النصارى الذين يضارعون في كثير من امورهم المنحرفون من الصوفيةوالعباد " الاستقامة ١/٩٩-١٠٠.

كما تبين أن السكر أنواع والسكر عند الصوفية قال :

" وأما الوصف الاخر وهو عدم العقل والتمييز فهذا لا يحمد بحال من جهة نفسه فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مدح وحمد لعدم العقل والتمييز والعلم ".

بل قد مدح الله العلم والعقل والفقه ونحو ذلك في غير موضع ، وذم عدم ذلك في مواضع ". الاستقامة ٢/ ١٥٧ ثم أورد آيات كثيرة . وبعد أن ذكر ان زوال العقل بالسكر لا يؤمر به المؤمنون بحال قال : وان جعل لهم مع ذلك ذوق ايماني ووجد عرفاني مما هو محمود ومأمور به فذاك هو المحمود ، لا عدم العقل والتمييز ولهذا لم يكن في الصحابة من حالة السكر لا عند سماع القرآن ولا عند غيره ، ولا تكلم الأولون بالسكر وانما تكلم به طائفة من متأخرى الصوفية ،صار يحصل لهم نوع سكر بما في قلوبهم من الذوق والوجد مع سقوط التمييز والعقل ويفرقون بيـــن الصحو والسكر .

والسكر لهؤلاء الجنس الاغماء والغشي الحاصل عند السماع .. فان السكر والاغماء والغشي كلها زوال العقل والتمييز لكن تفترق أسبابها وأذواقها ، فقد يكون أحد الذوقيين والوجديـن عن محبة ولذة وقد يكون عن خشية وألم ،وقد يكون عن عجز عن الادراك لفرط العظمة التي تجلـــب

===

....

=== للانسان وقد وقع لموسى عليه السلام " الاستقامة ٢/١٦٣.
ثم فرق بين الأمور المحمودة الايمانية لذوق أو وجد ايماني مشروع أو محبه ايمانية أوخشية ايمانية وبين الأمور الغير محمودة منها ما زاد على المستحب ومن شغل عن ما هو أحب منه ، قال : " ويذم منها ما تضمن ترك واجب من علم أوعمل أوفعل محرم لكن اذا كان المذموم بغير تفريط من العبد ولا عدوان منه لم يذم منه " (الاستقامة ٢/ ١٦٤).
و كما بين شيخ الاسلام ابن تيميه ان المجنون الذى رفع عنه القلم لا يصلح لشيء من عباداته باتفاق العلماء ولا يصح منه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة ولا تصح عقوده باتفاق العلماء فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا قراره ولا شهادته ولا غير ذلك من أقواله بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ولا ثواب ولا عقاب بخلاف الصبي المميز فان له أقوالا معتبرة في مواضع بالنص والاجماع و في مواضع فيها نزاع .
و اذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون وليا لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن يكون وليا لله حجته على ذلك اما مكاشفة سمعها منهم أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه وقد أشار الى واحد فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة ، وعباد المشركين وأهل الكتاب فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله ، وان لم يعلم منه ما يناقض ولايته ولاية الله فكيف اذا علم منه ما يناقض ولاية الله ؟ مثل أن يعلم انه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقية الباطنية أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام أو يقول ان الأنبياء ضيقوا الطريق أوهم على قدوة العامة دون الخاصة و نحو ذلك مما يقوله بعض من يدع الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان فضلا عن ولاية الله عزوجل فمن أصبح بما يصدر عن أحدهم

===

....

=== من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى وكذلك المجنون فان كونه مجنونا يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ومن كان يجن أحيانا ويفيق أحيانا اذا كان في حال افاقتـه مؤمنا بالله ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم ،فهذا اذا جن لم يكن جنونه مانعا من الذوق والوجد أو يثبته الله على ايمانه وتقواه الذى أتى به في حال افاقته ويكون من ولاية الله حسب ذلك وفعل هذا من أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي لله ،فان هذا ان لم يكن مجنونا بل متولها من غير جنون أو يغيب عقله بالجنون وتارة يفيق أخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنونا باطنا وظاهـرا قد ارتفع عنه القلم ،فهذا ان لم يكن معاقبا عقوبة الكافرين فليس هو مستحقا لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل فـلا يجوز على التقديرين ان يعتقد به أحد انه ولي الله) مجموع فتاوى ١١/ ١٩١-١٩٣) .

وهكذا تبين الحق والصواب في المسألة وهو ما أرى واعتقده فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

موقف الكرامية من صفة العلو لله عز وجل

العلو في اللغة

العلو بالعين واللام والواو أو الياء أو الألف بمعنى بالسمو والارتفاع[1] والعلو يشمل على معان :

منها : علو المكان ، علا يعلو علوا كما يقال : علا فلان الجبل اذا رقيه يعلوه علوا [2] .

وعلو الدار وعلوها : نقيض سفلها ويقال أتيته من عل الدار بكسر اللام أى من عال [3] .

قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله عليه الصلاة والسلام :-

شهدت باذن الله أن محمدا رسول الذى فوق السموات من عل [4] والعلياء : السماء وهو اسم لها لا صفة وأيضا رأس الجبل وقيل رأس كل جبل مشرف وأيضا اسم المكان العالى[5] .

والله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى بمعنى العالى وهو الذى ليس فوقه شئ .

ومنها : العلو بمعنى الشرف والقدر .

علي في الشرف بالكسر يعلى علاء ، ويقال أيضا : علا بالفتح يعلى .. وفلان من عليه الناس . . . أى شريف رفيع[6] .

وعلا به وأعلاه وعلاه بالتشديد أى جعله عاليا ، ومنه أعلى الله كعبه [7] .

ومنها : العلو بمعنى القهر .

يقال : علا فلان فلانا اذا قهره .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١١٢/١٤ .

(٢) الصحاح ٢٤٣٤/٦ ، لسان العرب ٨٣/١٥ .

(٣) المصدران السابقان وتاج العروس (٢٥٠/١٠) .

(٤) شرح ديوان حسان ص (٣١٩) .

(٥) تاج العروس (١٠/آخر ص ٣٥٠) ، وانظر الصحاح مادة علا ٢٤٣٦/٦ ، وانظر لسان العرب مادة علا و-ى ص (٩٠) .

(٦) الصحاح (٢٤٣٥/٦) .

(٧) المصدر السابق نفسه ، لسان العرب تاج العروح .

ويعنى بالتكبر والتجبر ومنه قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للـــذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا)[١] أى تكبرا فى الأرض .

وقوله تعالى (ان فرعون علا فى الأرض)[٢] أى تكبر وتجبر وطغى[٣] ، وكذلك قـــوله تعالى : (ولتعلن علوا كبيرا)[٤] .

فالله سبحانه وتعالى هو العلى وهو الذى علا الخلق فقهرهم بقدرته[٥] وهذه المعانى لا تجتمع الا فى حق الله تبارك وتعالى من جميع الوجوه فله العلو المطلق فى ذاته واسمائه وصفاته وأفعاله .

موقف الكراميـــة من صفـــة العلـــو

تثبت الكراميـة صفة العلو لله عز وجل وكذا الفوقية ومباينته سبحانه وتعالى عن الخلق كما ذكره الشهرستانى عن ابن الهيصم قال[٦] : وقال محمد بن الهيصم : ... انـــه مباين للعالم بينونة أزليـة ... وأثبت الفوقية والمباينة) .

واثبات الكرامية أن الله تبارك وتعالى بائن من خلقه وأنه تعالى فوق العالم اثبات لعلـــو الله تبارك وتعالى .

وعند الكرامية أن العلو لله عز وجل من الصفات المعلومة بالعقل ، كما أن ذلك مذهـــب أئمة الصفاتية كابن كلاب وسائر العلماء وهو قول الجمهور من أصحاب أحمد وغيرهـــم وهو قول جمهور أهل الحديث والفقه والتصوف[٧] .

---

(١) (القصص : ٨٣) .

(٢) (القصص : ٤) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٧٩ .

(٤) (الاسراء : ٤) .

(٥) مقاييس اللغة (٤/١١٣ - ١١٤) تاج العروس - لسان العرب .

(٦) الملل والنحل (١/١٠٩) .

(٧) درء تعـــارض (٦/٢٠٩) . بتصرف .

وقد تناظر عند سلطان محمود بن سبكتكين محمد بن الهيصم الكرامي وابن فورك في مسألة العلو ، فرأى قوة كلام ابن الهيصم ، فرجح ذلك ، ويقال انه قال لابن فورك : (فلو أردت تصف المعدوم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا ؟ أو قال : (فرق لي بين هذا الرب الذي تصفه وبين المعدوم ؟ وابن فورك كتب الى أبي اسحاق الاسفراييني يطلب الجواب عن ذلك فلم يكن الجواب الا أنه لو كان فوق العرش للزم أن يكون جسما [1])) .
ومن الناس من يقول : (ان السلطان لما ظهر له فساد قول ابن فورك سقاه السم حتى قتله) [2] .

وتبين أن هذا القول من ابن الهيصم صحيح وموافق لما ذهب اليه علماء السلف رحمهم الله تعالى كما سنرى ان شاء الله تعالى .
وما تقدم [3] من قول ابن الهيصم من أنهم يطلقون ما أطلقه القرآن الكريم فقط من غير تكييف ولا تشبيه وأنهم يلتزمون ما ورد في الخبر نفيا واثباتا أمر موافق لقول العلماء السلف الذين حققوا ما ورد في كتاب الله تبارك وتعالى وما ورد في السنة كذلك نفيا واثباتا .
غير أن ما أطلقه ابن الهيصم من أن بين الله تعالى وبين العرش بعد لا يتناهي وأنه ينفي التحيز والمحاذاة [4] أمر يخالف ما قرره هو من أنه يلتزم ما ورد في الخبر نفيا واثباتا فأين هذا من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأين هذا لما ذهب اليه علماء السلف أعلم هذه الأمة وأفضلها الذين لا يخوضون في اطلاق الألفاظ المبتدعة على الله عز وجل لا نفيا ولا إثباتا مع العلم أن ابن الهيصم هو أحسن الكرامية مذهبا .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) في استواء الله تعالى على عرشه .

(٤) الملل والنحل ١/١٠٩

وكما تقدم قوله في أكثر من موضع وسنراها كذلك ان شاء الله تعالى .

والصحيح الذى دل عليه كتاب الله الحكيم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه السلف هو اثبات العلو والفوقية لله عز وجل على وجه يليق بجلاله وكماله ومباينته عن الخلق من غير أن يوصف الله تعالى بالألفاظ المبتدعة كالتحيز ونحوه لا نفيا و اثباتا والاقتصار على الألفاظ الشرعية .

فنذكر نبذة من أقوالهم كما أسلفت :

١- قول الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه روى الامام الدارمي باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر رضي الله عنه : (أيها الناس ان كان محمد الهكم الذى تعبدونه فان الهكم قد مات ، وان كان الهكم الله الذى في السماء فان الهكم لم يمت ثم تلا قوله تعالى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)[1] الآية ، وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل أبو بكر عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا[2] وميتا) الخ .

٢- وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى الامام الدارمي باسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقيته امرأة يقال لها خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها رأسه حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين أحبست رجالا من قريش على هذه العجوز ؟ .

قال ويلك وهل تدرى من هذه ؟ قال - لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات)[3] الأثر .

---

(١) (آل عمران : ١٤٤) .
الرد على الجهمية ص (٢٦) تحقيق الألباني ، والعلو للعلي الغفار ص (٦٢) ، وحكم على رواية الأولى بالصحة قال : هذا حديث صحيح قد أخرجه البخاري في تاريخه تعليقا لفضيل بن عزوان ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٣٩) ، وأنظر علو الله على خلقه "موسى بن سليمان الدويش" ص (١٤١ - ١٤٢) .

(٢) العلو للعلي الغفار ص (٦٢) ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٣٩) .

(٣) الرد على الجهمية ص (٢٦) ، والعلو للعلي الغفار ، ص (٦٣) واجتماع جيوش الاسلامية ص (٣٩ - ٤٠) .

٣ - وقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد روى الامام الدارمي باسناده بأن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب على الناس الخطبة التي لم يخطب بعدها فقال : (الحمد لله الذي دنا في علوه ونأى في دنوه ، لا يبلغ شيء مكانه ولا يمتنع عليه شيء أراده)(١) .

٤ - وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كما روى الامام عثمان الدارمي باسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (ان العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة ، حتى اذا تيسر له ، نظر الله اليه من فوق سبع سموات فيقول للملك أصرفه عنه - قال - فيصرفه(٢) .

كما روى الامام عثمان الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (العرش فوق الماء والله تبارك وتعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)(٣) .

٥ - وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، روى الدارمي بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي تموت فقال لها : كنت أحب نساء رسول الله عليه الصلاة والسلام الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام يحب الا طيبا ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى التي يذكر فيه الله تعالى الا وهي تتلى عليه أناء الليل والنهار)(٤) .

---

(١) الرد على الجهمية ص (٢٨) .

(٢) الرد على الجهمية ص (٢٦) واجتماع جيوش الاسلامية ص (٤٠) .

(٣) الرد على الجهمية ص (٢٧) وقال الألباني اسناده حسن ولكنه موقوف ، والتوحيد لابن خزيمة ص (٧٠) وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/٣٩٥ - ٣٩٦) ، والأسماء والصفات ص (٤٠١) مختصر العلو ص (١٠٣) قال الذهبي : اسناده صحيح واجتماع جيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص (٤٠) ، وقال الالباني ، سندهم جيد .

(٤) الرد على الجهمية ص (٢٧ - ٢٨) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٤٨) .

وقول عبد الله بن رواحة بأن الله تعالى فوق العرش[١]، وكذا قول حسان بن ثابت[٢]، وقول أم المؤمنين زينب رضى الله عنها : (زوجنى الله تبارك وتعالى من فوق سبع سموات)[٣]، وغير ذلك من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم فى اثبات علو الله عز وجل الكثيرة .

ونذكر شيئا من أقوال التابعين فى مسألة علو الله تعالى ، فمن :

١ - كعب[٤] الأحبار قال : قال الله عز وجل فى التوراة : (أنا الله فوق عبادى وعرشى فوق جميع خلقى وأنا على عرشى ، أدبر أمور عبادى ، لا يخفى على شىء فى السماء ولا فى الأرض)[٥] .

---

(١) الرد على الجهمية ص (٢٧) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٤٠) .

(٢) شرح ديوان حسان ص (٣١٩) .

(٣) اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٤١) .

(٤) هو كعب بن مانع الحميرى من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم فى زمن أبى بكر رضى الله عنه وقدم من اليمن فى دولة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فأخذ عنه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا وله شىء فى صحيح البخارى وغيره .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٥-٤٤٦) ، التاريخ الكبير (٧/ ٢٢٣-٢٢٤) التاريخ الصغير (١/ ٦٢) ، الجرح والتعديل (٧/ ١٦١) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٨-٦٩) تهذيب الكمال ص (١١٤٧) ، سير اعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩-٤٩٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٢) العبر (١/ ٣٥) تذهيب التهذيب (٣/ ١٧٠) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٨) ، خلاصة تذهيب الكمال ص (٣٢١) .

(٥) مختصر العلو للعلى الغفار ص (١٢٨) وقال الألباني رواته ثقات رجال الشيخين ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٤٢) .

٢ - وقول الامام مسروق[1] ، وعنه أنه كان اذا حدث عن عائشة رضى الله عنها قال : (حدثتنى الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما ، حبيبة حبيب الله تعالى عليه الصلاة والسلام ، المبرأة من فوق سبع سموات)[2] .

٣ - وقول الامام قتادة رحمه الله تعالى قال : (قالت بنو اسرائيل : يارب أنت فى السماء ونحن فى الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك ؟ قال : اذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم واذا غضبت استعملت عليكم شراركم)[3] .

٤ - وعن الضحاك رحمه الله فى قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ماكانوا)[4] الآية قال: " هو فوق العرش وعلمه معهم أين ما كانوا "[5] .

---

(١) هو أبو عائشة الهمدانى الكوفى الفقيه أحد الأعلام وكان أبوه فارس أهل اليمن فى زمانه أخذ عن عمر وعلى ومعاذ وابن مسعود وأبيّ وعنه ابراهيم والشعبى وعن الشعبى أن عائشة رضى الله عنها قد تبنت مسروقا ، وقال ابن المدينى ماأقدم على مسروق أحدا من أصحاب عبد الله توفى سنة (٦٣)هـ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٦/ ٧٦- ٨٤)
تاريخ البخارى (٨/ ٣٥- ٣٦) ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٩٦- ٣٩٧) الحلية (٢/ ١٩٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢) ، أسد الغابة (٤/ ٣٥٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٨) ، تهذيب الكمال ص (١٣٢١) ومابعدها ، تاريخ الاسلام ٣/ ٧٥-٧٨) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣- ٦٩) ، العبر (١/ ٦٨) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩- ٥٠) طبقات القراء / ت (٣٥٩١) (٢/ ٢٩٤) ، الاصابة ح : ٢ ٨٤١ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٩- ١١١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص (١٤) ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣/ ٢١) شذرات الذهب (١/ ٧١) .

(٢) مختصر العلو ص (١٢٨) ، قال الألبانى اسناده صحيح ، اجتماع جيوش اسلامية ص (٤٢) .

(٣) الرد على الجهمية ص (٢٨) ، الرد على بشر المريس ص (١٠٦) ، مختصر العلو ص (١٣٠) قال الألبانى (هذا ثابت عن قتادة) ، واجتماع جيوش الاسلامية ص ٠ (٤) المجادلة : ٠٧

(٥) والأثر مع اختلاف يسير فى اللفظ فى السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٤) ، جامع البيان عن تأويل اى القران للطبرى (٢٨/ ١٢) وتفسير معالم التنزيل للبغوى مع تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٨) ، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٠٠) ، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨- ١٣٩ ، ١٤٢) ومختصر العلو ص (١٣٣) وقال الذهبى : أخرجه أبو أحمد العسال وأبو عبد الله بن بطة ، وأبو عمر بن عبد البر بأسانيد جيدة ومقاتل ثقة امام ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٤٣) ، وتفسير ابن كثير مع البغوى ٨ / ٢٥٩ .

ان أقوال التابعين في اثبات علو الله عز وجل كثيرة جدا ولم يختلفوا في ذلك وقد ذكرنا قول الامام الأوزاعي عن التابعين أنهم كانوا متفقين على ذلك :

(كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله تعالى فوق عرشه)(١) الحديث .

وقول الامام أبي حنيفة رحمه الله قال : (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر ، قال الله تعالى : ((الرحمن على العرش استوى)))(٢) وزاد بعضهم عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال بعد الكلام السابق مباشرة (وعرشه فوق سمواته)(٣) .

ونقل الامام الذهبي عن الامام عبد الله ابن أحمد المقدسي مؤلف المقنع رحمه الله تعالى قال : (بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله قال : (من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر)(٤) .

وقول الامام مالك رحمه الله تعالى قال : (الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء(٥) وتلا قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم)(٦) الآية .

---

(١) تقدم في ص (١٨٨) من الرسالة .

(٢) (طه : ٥)

(٣) شرح الفقه الأكبر ص (٢٥) ، مجموع فتاوى (٥/١٤٠)، مختصر العلو ص(١٣٦) اجتماع الجيوش الاسلاميه ص (٤٥ ـ ٤٧) .

(٤) مختصر العلو ص ١٣٧ .

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٠٧ ، الشريعة للآجرى ص ٢٨٩ ، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/٤٠١ ، مختصر العلو وزاد الألباني نسبته الى أبي داود في المسائل ص٢٦٣ ، وقال سند اللالكائي صحيح ، ورد على الكوثري بقوله :
(وقول الكوثري في مقدمته على الاسماء) (ص ط) : (فيه عبد الله بن الأصم صاحب المناكير عن مالك) ، فهو من تزويره أو تدليسه ، فان أحدا من أئمة الجرح لم يخرجه بهذا القول ، بل قالوا في روايته عن مالك خاصة : أعلم الناس برأي مالك وحديثه فراجع له التهذيب) ان شئت ، وأما وصفه اياه بـ (الأصم) فهو من الوهم ، وانما هو الصانع ! واجتماع الجيوش الاسلامية ص ٤٧ .

(٦) (المجادلة : ٧) .

وقول الامام الشافعي رحمه الله تعالى قال : (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما ، وأخذت عنهم ، الاقرار بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء) [1] .

وقال : خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى في سمائه وجمع عليه قلوب عباده ولو يجمع ماقاله الامام الشافعي في هذا الباب لكان فيه كفاية[2] .

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل " الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟

قال : نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه) [3] .

وسئل الامام أحمد رحمه الله تعالى عن رجل قال : " الله معنا ، وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فقال : قد تجهم هذا يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، قرأت عليه (الم تر أن الله يعلم) ؟

فعلمه معهم ، وقال في سورة (ق) : (ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) [4] فعلمه معهم[5] ، قال الامام الذهبي رحمه الله تعالى : (المنقول عن الامام أحمد رحمه الله وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، في هذا الباب طيب كثير مبارك فهو حامل لواء السنة والصابر في المحنة ...) [6] .

---

(١) مختصر العلوص (١٧٦) ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٥٩) .

(٢) مجموع فتاوى (٥/١٣٩) ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٥٩) .

(٣) مختصر العلوص (١٨٩) ، وعزاه الى السنة للخلال ، اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٧٧) .

(٤) (ق : ١٦) .

(٥) مختصر العلو ص (١٩٠) ، واجتماع الجيوش الاسلامية ص (٧٧) .

(٦) مختصر العلو ص (١٨٩) .

وقال الامام أبو زرعة وأبو حاتم : (ان الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه تبارك وتعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بلا كيف أحاط بكل شئ علما ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)[١] .

فقد ساقه المصنف باسانيد ثلاثة وذكرها ، قال الامام عثمان الدارمى : (قد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله تعالى فى السماء[٢] فوق عرشه ، فوق سمواته[٣]) وقال أيضا : (ان الله تعالى فوق عرشه يعلم وينظر ويسمع من فوق العرش[٤] لا يخفى عليه خافية من خلقه[٥] ولا يحجبهم عنه شئ ، علمه بالخلق من فوق عرشه محيط وبصره فيهم نافذ)[٦] وقال أيضا : (بل هو على عرشه ، فوق جميع الخلائق فى أعلى مكان وأطهر مكان .

---

(١) مختصر العلو ص(٢٠٣ - ٢٠٥) ،قال الألباني هذا صحيح ثابت عن أبى زرعة وأبى حاتم ، اجتماع الجيوش الاسلامية ص(٩١) ،علو الله على خلقه ص(١٥٢) .

(٢) الرد على بشر المريسى ص (٢٥ ، ٨١)

(٣) المصدر السابق نفسه ص (٢٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨١) .

(٤) المصدر السابق نفسه ص (٨٠) .

(٥) المصدر السابق نفسه ص (٧٩) .

(٦) المصدر السابق نفسه ص (٨٠) ، مختصر العلو ص (٢١٣) .

كما قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده)[١] يعلم من فوق عرشه مافى السموات وما فى الأرض ، وماتحت الثرى ، ويدبر منه الأمر ، ويعرج اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما قال ولا يحيط به شئ ، ولا يشمل عليه حائط ولا سقف بيت ، ولا تقلّه أرض ولا تظله سماء)[٢] .

وقول امام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى قال : (باب استواء خالقنا العلى الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه فكان فوقه وفوق كل شئ عاليا كما أخبرنا الله جل وعلا فى قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)[٣] ، وذكر بعض آيات الله تعالى الدالة على العلو ثم قال : (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا ان خالقنا مستو على عرشه لانبدل لكلام الله ولا نقول قولا غير الذى قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية انه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولا غير الذى قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية .

وقال أيضا (ألم تسمعوا قول خالقنا جل وعلا يصف نفسه تعالى : (وهو القاهر فوق عباده)[٤] ، أو ليس العلم يحيط أن الله تعالى فوق جميع عباده من الجن والانس والملائكة الذين هم سكان السموات جميعا أو لم تسمعوا قول الخالق البارئ (ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون)[٥] . فأعلمنا الجليل جل وعلا فى هذه الآية أيضا أن ربنا فوق ملائكته وفوق مافى السموات ومافى الأرض من دابة وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم ، والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة[٦] .

---

(١) الانعام ١٨ ، ٦١ .

(٢) كتاب التوحيد ص (٦٨) .

(٣) (طه : ٥) .

(٤) كتاب التوحيد ص (٦٨) .

(٥) النحل ٤٩ - ٥٠ .

(٦) كتاب التوحيد ص ٧٤ .

وقال الأجرى : (والذى يذهب اليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شئ قد أحاط علمه فى جميع ماخلق فى السموات العلا ، وبجميع مافى سبع أرضين ومابينهما وماتحت الثرى (يعلم السر وأخفى)[1] الى أن قال : فهو على عرشه سبحانه العلى الأعلى يرفع اليه أعمال العباد وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار)[2] .

وقول أبو عمر الطلمنكى قال : (وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : (... هو معكم أين ماكنتم ..) الآية ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء)[3] .

وقول ابن قدامة رحمه الله تعالى قال : (الحمد لله الذى علا فى سمائه الى أن قال أما بعد : فان الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالعلو فى السماء ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين ، وجمع الله عليه قلوب المسلمين وجعله مغروزا فى طباع الخلق أجمعين فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم[4] . الى أن قال : (لا ينكر ذلك الا مبتدع غال فى بدعته أو مفتون بتقليد وأتباعه على ضلالته .)

قال : (وأنا ذاكر فى هذا الجزء بعض مابلغنى من الأخبار فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والأئمة المقتدين بسنته على وجه يحصل به القطع واليقين بصحة ذلك عنهم ويعلم تواتر الرواية بوجوه منهم ».

---

(١) (الأنعام ١٨ ، ٦١) .

(٢) الشريعة ص (٢٨٨) ، مختصر العلو ص (٢٤٦ ، ٢٤٧) ، علو الله على خلقه ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) مختصر العلو ص (٢٦٤) ، اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٨٢) ، علو الله على خلقه ص (١٤٨ ، ١٤٩) .

(٤) فى كتابه اثبات العلو ص (٤١) تحقيق بدر بن عبد الله البدر .

ليزداد من وقف عليه من المؤمنين ايمانا ويتنبه من خفى عليه ذلك حتى كالشاهد له عيانا ويصير للتمسك بالسنة حجة وبرهانا) [(١)] .

وقد أورد الآيات والأحاديث في ذلك .

---

(١) المصدر السابق ص (٤١ - ٤٢) .

موقف شيخ الاسلام ابن تيميـــة
من الكرامية من صفة العلو لله عزوجل

ويذهب شيخ الاسلام ابن تيمية فى اثبات علو الله تعالى ، مثل ماذهب اليـــه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

قال : (فهذا كتاب الله من أوله الى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مـــن أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة رضوان اللـــه تعالى عليهم جميعا مملوء بما هو اما نص أوظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى هـــو العلى الأعلى وهو فوق كل شئ، وهو عال على كل شئ وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء)(١) فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : (ءأمنتم من فى السماء) لأنه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات(٢) ثم جعل يذكر الآيات والأحاديث ، أشير بعضا منها :

فمما ذكر من الآيات قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)(٣) وقوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الى)(٤)، وقوله سبحانه وتعالى (ءأمنتم مـــن فى السماء أن يخسف بكم الأرض)(٥)، وقوله جل ثناؤه (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا)(٦) وقوله جلت قدرته :(بل رفعه الله اليه)(٧) وقوله سبحانه وتعالى (تعرج الملائكة والروح اليه)(٨) وقوله عز وجل (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه)(٩) وقوله عز وجل من قائل(يخافون ربهم من فوقهم)(١٠) الى غير ذلك من آيات الله المبينات التى تدل على علو الله تبارك وتعالى وفوقيته على خلقـــه .

وبعد أن أورد هذه الآيات قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (الى أمثال ذلك مما لايكاد يحصى الا بكلفـــة)(١١).

---

(١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص(٧)،مجموعة الرسائل الكبرى ١/ مجموع فتاوى (١٢/٥) انظر المصدر السابق ص(١٦٤،٢٢٦).

(٢) مجموع فتاوى (٩٦/٥)،وانظرمجموعة تفسيرلابن تيمية ص(١٨) . (٣) فاطـــر : ١٠

(٤) آل عمران : ٥٥ (٥) الملك : ١٦ (٦) الملك : ١٧ (٧) النساء : ١٥٨

(٨) المعارج : ٤ (٩) السجدة : ٥ (١٠) النحل : ٥٠

(١١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص (٨) مجموع فتاوى (١٣/٥) مجموعة الرسائل الكبرى (٤٣٠/١) وانظر اجتماع الجيوش الاسلامية ص(٢٨- ٢٩) وانظر العلو للعلى الغفار ص (١٥، ١٦) .

وقال شيخ الاسلام : (وقد وصف الله تعالى نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بالعلو والاستواء على العرش والفوقيه فى كتابه آيات كثيره حتى قال بعض كبار أصحاب الشافعى : فى القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده وقال غيره : فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك مثل قوله تعالى : (ان الذين عند ربك) وقوله تبارك وتعالى (وله من فى السموات والأرض ومن عنده) فلو كان المراد بأن معنى (عنده) فى قدرته كما تقول الجهمية لكان الخلق كلهم فى قدرته ومشيئته ، لم يكن فرق بين من فى السموات ومن فى الأرض ومن عنده ، كما أن الاستواء لو كان المراد به الأستيلاء لكان مستويا على جميع المخلوقات[1] .

قال الامام الذهبى بعد أن سرد هذه الآيات : (فان أحببت ياعبد الله الانصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة)[2] .

وقد أشار بكثرة الأحاديث الواردة فى اثبات العلو لله سبحانه وتعالى فقال : (وفى الأحاديث الصحاح والحسان مالاتحصى الا بالكلفة ، مثل قصة معراج[3] الرسول عليه الصلاة والسلام الى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله عز وجل وصعودها اليه .

---

(١) مجموع فتاوى (٥/٢٢٦) .

(٢) العلو للعلى الغفار ص (١٦) .

(٣) وقصة المعراج فى الصحيحين وقال ابن القيم فى اجتماع الجيوش الاسلامية ص (٢٩) أحاديث قصة المعراج متوافرة ، وقال ألبانى فى مختصر العلو ص (٩٥) ولاشك فى تواتر أصل القصة وأما تفاصيلها ففيها الصحيح الكثير الطيب ، وفيها مادون ذلك وقد أطنب الامام ابن كثير فى نقل روايات قصة المعراج وقصة معراج الرسول صلى الله متواترة كما تقدم والحديث متفق على صحته عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعه رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى فى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : باب المعراج ح : ٣٨٨٧ ، وفى بدء الخلق باب ذكر الملائكة (ح : ٣٢٠٧) وفى الأنبياء باب قول الله تعالى (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا) ح : ٣٣٩٣ وباب قول الله تعالى اذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه خفيا) ح : ٣٤٣٠ ، وفى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب المعراج : ٣٨٨٧ ، وفى صحيح مسلم فى الايمان باب الاسراء : ١٦٤ ، وقد روى قصة المعراج عدد من الصحابة رضوان الله عليهم غير من تقدم ، كابن عباس وابن مسعود وأبى هريرة وغيرهم .

وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار : فيعرج الذين باتـــوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم (١) .

وفى الصحيح حديث الخوارج : (الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء) (٢) الى غير ذلك من الأحـاديث .

ويثبت شيخ الاسلام ابن تيمية المباينة والعلو والفوقية لله عز وجل وأنه تعالى مباين عن الخلق ، واستدل على ذلك بأدلة خمســة ،

الأول : الآيات الواردة فى القرآن الكريم التى لاتحصـــى ونكرنا أمثلة لهـــا .

ثانيا : الأحـاديث المتواترة وضربنا بعض الأمثلة لذلك .

الثالث : اجماع الأمم ، قال : (وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن عامر الضبعى (٣) .

---

(١) الرساله الفتوى الحموية الكبرى ومجموع فتاوى ١٣/٥ ، مجموعة الرسائل والمسائل ١/٤٣٠ الحديث سيأتى فى المبحث .

(٢) الحديث متفق على صحته من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى صحيح البخارى فى المغازى باب بعث على بن أبى طالب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع : ٤٣٥١ ، وفى صحيح مسلم فى الزكاة باب ذكـــر الخوارج وصفاتهم : ١٠٦٤ ، والمسند ٤/٣ مختصر العلو ص(٨٣) ، مجموع فتاوى (١٣/٥) ، تفسير ابن كثير مع تفسير البغوى (١٠٧/٥) .

(٣) هو سعيد بن عامر الضبعى البصرى الزاهد الحافظ أبو محمد مولى بن عجيف وأخواله من بنى ضبيعة ولد بعد سنة (١٢٠ هـ) وثقة يحى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما توفى سنة (٢٠٨ هـ) ، مصادر ترجمته فى : طبقات ابن سعد (٢٩٦/٧) ، التاريخ الكبير (٥٠٢/٣) ، التاريخ الصغير (٣١٣/٢) ، تهذيب الكمال ص سير أعلام النبلاء (٣٨٥/٩) ، تذكرة الحفاظ (٣٥١/١) الكاشف (٣٦٤/١) ، تهذيب التهذيب (٥٠/٤) ، طبقات الحفاظ ص(١٤٩) ، خلاصة تذهيب الكمال ص(١٣٩) شـــذرات الذهـــب (٢٠/٢) .

بل أثبت الصحابة والتابعون لهم باحسان رضوان الله تعالى عليهم ، ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا علوا كله تعالى وكلام السلف فى ذلك كثير جدا وقد أجمعوا على ذلك ،

===

....

=== مثل أبي بكر و عمر وعثمان و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وأم المؤمنين زينب وغيرهم وكذلك التابعون ككعب الاحبار ، و مسروق ، وقتادة والضحاك والائمة الاربعة وغيرهم وأبي زرعة والدارمي وابن خزيمة وغيرهم كثير.

و يعرف صحة العقائد من بطلانها وتنظر الفرق وأرائهم بمذهب السلف فان وافقوا السلف فتعتبر أراؤها صحيحة والا فلا .

لأنهم هم الذين قال الله فيهم : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضواعنه وأعد لهم جنات) (١) الآية ، كما بين فضلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)(٢) .

---

(١) (التوبة : ١٠٠ .

(٢) الحديث متفق على صحته من حديث عمران بن حصين في صحيح البخاري في الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور اذا أشهد ح :٢٦٥١، وفي الفضائل باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ح : ٣٦٥٠ وفي الرقاق باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ح : ٦٤٢٨ ، وفي الأيمان والنذور باب اثم من لا يفي بالنذر ح : ٦٦٩٥ ، وفي صحيح مسلم في الفضائل باب فضائل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ح : ٢٥٣٥ .

امام أهل البصرة علما ودينا ـ أنه ذكر عنده الجهمية فقال : (هم شر قولا من اليهود والنصارى ،وقد أجتمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله تعالى على العرش وقالوا هم : ليس على العرش شيء)(١).

كما أورد كلام الامام أحمد رحمه الله تعالى فى رده على الجهمية بالعقل وبيان خطأ الجهمى فى فهم النص فى القرآن : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) الآية(٢) قال الامام أحمد رحمه الله تعالى ، قالوا يعنى الجهمية : (ان الله معنا وفينا فقلنا : الله جل ثناؤه يقول : ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض)(٣) ، ثم قال : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) يعنى الله بعلمه (ولا خمسة الا هو سادسهم) يعنى الله بعلمه ، (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعنى بعلمه فيهم (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)(٤).
ويمضى الامام أحمد فى تفسير الآية بقوله : (يفتح الخبر بعلمه ، ويختتم الخبر بعلمه)(٥) والحق أن كثيرا من علماء السلف فسروا الآية بهذا التفسير كما تقدم فى أكثر من موضع.

---

(١) مجموع فتاوى ١٣٨/٥ مختصر العلو ص ١٦٨ اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٤٧ - ١٤٨ وعلو الله على خلقه ص ١٥٠.
(٢) (المجادلة : ٧).
(٣) (المجادلة : ٧).
(٤) (المجادلة : ٧).
(٥) الرد على الزنادقة والجهمية ص (٣٩) ، مجموع فتاوى ٥/ ٣١٢ .

وقال الشيخ عبد القادر[1] الجيلاني في (الغنية) أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار - فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد صمد الى أن قال : وهو بجهة العلو ، مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء قال : ولا تجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال : انه في السماء على العرش الى أن قال : (وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، قال وكونه على العرش في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف[2] وذكر نحو هذا في سائر الصفات[3] .

---

(١) الشيخ الامام العالم الزاهد العارف ، محي الدين أبو محمد ، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي ، شيخ بغداد ، مولده بجيلان في سنة احدى وسبعين وأربع مئة (٤٦١ هـ) وقيل جنكي دوست اى عظيم القدر وكان متمسكا في مسائل الصفات والقدر ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٦) شذرات الذهب ٤/ ٢٠١ قال الذهبي : (وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه والله الموعد وبعض ذلك مكذوب عليه ، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٥١) وجيلان بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها : كيل وكيلان والنسبة اليها جيلي وجيلاني وكيلاني ، معجم البلدان (٢/ ٢٠١ ، ٢٠١ ، ٤/ ١٣) ، الأنساب (٣/ ٤١٤) أنظر ترجمته في الانساب (٣/ ٤١٥) المنتظم (١٠/ ٢١٩) الكامل (١١/ ٣٢٣) ، المختصر (٣/ ٤٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩ - ٤٥١) العبر (٤/ ١٧٥ - ١٧٦) دول الاسلام (٢/ ٧٥) تتمة المختصر (٢/ ١٠٧ - ١١١) فوات الوفيات (٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤) ، البداية والنهاية (١٢/ ٢٥٢) ، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٠ - ٣١٠) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٧١) طبقات الشعراني (١/ ١٠٨) ، شذرات الذهب (٤/ ١٩٨ - ٢٠٢) أعلام الزركلي (٤/ ٤٧) .

(٢) الغنية لطالب طريق الحق (١/ ٥٤) مجموع فتاوى ٣/ ٢٢٢ مختصر العلو ص ٢٨٤ ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٦ ، وشذرات الذهب ٤/ ٢٠١ .

ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٦) ، شذرات الذهب ٤/ ٢٠١ .

كما استدل على علو الله عز وجل على خلقه وفوقيته ومباينته عن الخلق بالعقل وهو الدليل الرابع ، وبين أن سلف الأمة كانوا يستدلون بالعقل على علوه عز وجل ، قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فالله له المثل الأعلى ،قد أحاط بجميع خلقه ، من غير أن يكون في شيء من خلقه) [1]

وقال : (وخصلة أخرى ، لو أن رجلا بني دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره ، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار ، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه ، وعلم كيف هو وما هو ، من غير أن يكون في شيء مما خلق) [2] .

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص (٣٩) ، مجموع فتاوى (٥/٣١١ ، ٣١٢) .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص (٣٩) .

وأشار شيخ[1] الاسلام ابن تيمية أن مباينة الله تبارك وتعالى عن خلقه معلومة بالعقل الصريح والفطرة الصحيحة[1]، وقد أورد كلام الامام أحمد وعبد العزيز الكنانى وابن كلاب فى اثبات مباينة الله تعالى عن خلقه وأنه فوق خلقه فلنضرب من كلامهم أمثلة لنرى صحة القول أن السلف يثبتون مباينة الله تبارك وتعالى عن الخلق بالعقل وأنه فوق الخلق .

قال الامام أحمد رحمه الله تعالى فى رده على الجهمية :

(ان أردت ان تعلم أن الجهمى كاذب على الله تعالى حين زعم أن الله فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان فقل : أليس الله كان ولا شىء ، فيقول نعم فقل له : حين خلق الشىء خلقه فى نفسه أو خارجا من نفسه فانه يصير الى ثلاثة أقوال لابد له من واحد منها ، ان زعم أن الله خلق الخلق فى نفسه كفر ، حين زعم أن الجن والانس والشياطين فى نفسه .

وان قال خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم ، كان هذا كفر أيضا حين زعم أنه دخل فى مكان وحش قذر ردىء ، وان قال خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع من قوله أجمع وهو قول أهل السنة) [2] .

وقال أيضا (فلما ظهرت الحجة على الجهمى مما ادعى على الله تعالى أنه مع خلقه قال هو فى كل شىء ، غير مماس لشىء ، ولا مباين منه .

فقلنا : اذا كان غير مباين أليس هو مماس قال : لا ، قلنا فكيف يكون فى كل شىء ، غير مماس لشىء ولا مباين ؟ فلم يحسن الجواب ، فقال : فلا كيف فخدع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم) [3] .

---

(١) انظر مجموع فتاوى (٥/ ١٥٢) .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص(٤٠)، مجموع فتاوى (٥/ ٣١٣، ٣١٤) .

(٣) المصدران السابقان .

وقال الامام عبد العزيز الكناني المكي صاحب الحيدة في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية حكاية عن الجهمي : (اخبرني كيف استوى على العرش ؟ أهو كما يقول : استوى فلان على السرير ، فيكون السرير قد حوى فلانا وحده اذا كان عليه ؟ فيلزمك أن تقول : ان العرش قد حوى الله تعالى وحده اذا كان عليه ،لأنا لانعقل الشيء على الشيء الا هكذا ،فأجاب الامام عبد العزيز عن هذه الشبهة للجهمي بقوله : فيقال أما قولك كيف استوى ؟ فان الله تعالى لا يجرى عليه كيف ، وقد أخبرنا أنه (استوى على العرش) ولم يخبرنا كيف استوى ، فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش وحرم عليهم أن يصفوا كيف استوى . . ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت ، وحرم عليهم أن يقولوا عليه مالم يعلموا فآمنوا بخبره عن الاستواء ثم ردوا علم كيف استوى الى الله تعالى)[1] .

وقال أيضا الامام عبد العزيز المكي في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية : (ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول ان الله تعالى محدود وقد حوته الأماكن اذا زعمت في دعواك أنه في الأماكن ، لأنه لا يعقل شيء في مكان والا والمكان قد حواه ، كما تقول العرب ،فلان في البيت والماء في الجب فالبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء .

قال : (ويلزمك اشنع من ذلك ، لأنك قلت أفظع مما قالت النصارى وذلك لأنهم قالوا : ان الله تعالى عز وجل في عيسى عليه السلام وعيسى بدن انسان واحد فكفروا بذلك وقيل لهم ماعظمتم الله تبارك وتعالى اذ جعلتموه في بطن مريم ، وأنتم تقولون : انه في كل مكان وفي بطون النساء كلهن وبدن عيسى عليه السلام وأبدان الناس كلهم قال : (ويلزمك أيضا أن تقول : انه في أجواف الكلاب والخنازير لأنها أماكن وعندك أنه كان في كل مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) .

الى أن قال للجهمي : (اصل قولك القياس والمعقول ، فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لاتعبد شيئا)[2] .

---

(١) مجموع فتاوى (٥/ ٣١٥ ، ٣١٦) ،درء تعارض (٦/ ١١٧ ، ١١٨) .

(٢) مجموع فتاوى (٥/ ٣١٦، ٣١٧) ، درء (٦/ ١١٨) .

وعلق شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (فهذا عبد العزيز المكي) قد بين أن القياس والمعقول يوجب أن مالا يكون داخلا في الشيء ولا خارجا منه فانه لا يكون شيئا ، وان ذلك صفة المعدوم الذى لا وجود له)[1] .

كما أورد كلام ابن كلاب امام المتكلمة الصفاتية كالقلانسي والأشعرى وأتباعه فيما جمعه أبو بكر[2] ابن فورك من كلام الأشعرى أيضا وتبين اتفاقهما في عامة أصولها .

قال ابن كلاب : (وأخرج من النظر والخبر قول من قال : لاهو في العالم ولا خارج منه) فنفاه نفيا مستويا ، لأنه لو قيل له : صفه بالعدم ، ماقدر أن يقول فيه أكثر من هذا ورد أخبار الله تعالى نصا ، وقال في ذلك مالا يجوز في خبر ولا معقول ، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص والنفي الخالص عندهم هو الاثبات الخالص)(*) .

قال : (فان قالوا هذا افصاح منكم بخلو الأماكن منه ، وانفراد العرش ، قيل ان كنتم تعنون بخلو الأماكن من تدبيره ، وأنه عالم بها فلا ، وان كنتم تذهبون الى خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش فنحن لا نحتشم أن نقول : استوى الله على العرش ونحتشم أن نقول : استوى على الأرض واستوى على الجدار وفي صدر البيت) ، قال : (يقال لهم : أهو فوق ماخلق ؟ فان قالوا نعم ، قيل : ماتعنون بقولكم : انه فوق ماخلق ، فان قالوا : بالقدرة والعزة قيل لهم : ليس هو فوق فان قالوا : نعم ليس هو فوق ، قيل لهم : وليس هو تحت فان قالوا ولا تحت ، أعدموه لأن ماكان لا تحت ولا فوق فعدم وان قالوا : هو فوق وتحت قيل لهم فوق تحت ، وتحت فوق)[3].

ورد قول الجهمية : انه تعالى لا يوصف بأنه مماس ولا مباين للمخلوقات وتبين أن هذا لا يوصف به الا بعدم[4] .

---

(١) مجموع فتاوى (٣١٧/٥) ، درء تعارض (١١٩/٦) .

(٢) انظر عن كتبه هامش درء تعارض (١٩٣/٦) وعن ترجمته في درء تعارض (٣٤/٧) .

(٣) مجموع فتاوى (٣١٧/٥ ، ٣١٨) ، درء (١١٩/٦ ، ١٢٠) .

(٤) انظر مجموع فتاوى (٣١٨/٥) ، ولنظر درء (١٢٠/٦) .

(*) النص الصحيح الواضح هو : " وانهم قالوا : هذا هو التوحيد الخالص " ، وهو النفي الخالص فجعلوا النفي الخالص هو التوحيد الخالص) درء تعارض ٦/ ١٢٢ .

وعلق شيخ الاسلام ابن تيمية الكلام السابق لابن كلاب بقوله : (والمقصود ان ابن كلاب امام الأشعرى وأصحابه ، ومن قبلهم كالحارث المحاسبى وأمثاله يبين أن من قال : لا هو فى العالم ولا خارج منه ، فقوله فاسد خارج عن طريق النظر والخبر وأنه قد رد خبر الله نصا)[١] .

وينقل ابن تيمية عن ابن كلاب قوله : (ورسول الله عليه الصلاة والسلام وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته وأعلمهم جميعا يجيز (الاين) ويقوله ، ويستصوب قول القائل : (انه فى السماء وشهد له بالايمان عند ذلك ، وجهم ابن صفوان وأصحابه لا يجيزون (الأين) ويحرمون القول به ، قال (ولو كان خطأ لكان رسول الله عليه الصلاة والسلام أحق بالانكار له ، وكان ينبغى أن يقول لها : لا تقولى ذلك فتوهمى أنه عز وجل محدود ، وأنه فى مكان دون مكان ولكن قولى انه فى كل مكان لأنه هو الصواب دون ماقلت ، كلا ! فلقد أجازه رسول الله عليه الصلاة والسلام مع علمه بما فيه ، وأنه أصوب الايمان ، بل الأمر الذى يجب به الايمان لقائله ومن أجله شهد لها الايمان حين قالته ، وكيف يكون الحق فى خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد[٢] له ؟ وقال : (ولو لم يشهد بصحة مذهب الجماعة فى هذا الفن خاصة الا ماذكرنا من هذه الأمور لكان فيه مايكفى وقد غرس فى تبيينه فى الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك مالا شىء أبين منه ولا أوكد ، لأنك لاتسأل أحدا من الناس عنه عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا فتقول أين ربك ؟ الا قال فى السماء ، ان أفصح أو أومأ بيده ، أو أشار بطرفه - ان كان لا يفصح ، ولا يشير الى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ، قال : (ولا رأينا أحدا اذا دعاه الا رافعا( ) يده الى السماء ، ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول فى كل مكان كما يقولون)[٣] .

---

(١) درء (١٢٢/٦)

(٢) مجموع فتاوى (٣١٩/٥) ، ودرء تعارض (١٩٣/٦ - ١٩٤) .

(٣) مجموع فتاوى (٣٢٠/٥) .

ثم علق شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا بقوله :(فهذا وأمثاله كلام ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأتباعه ، وعنه أخذ الحارث المحاسبي هذا وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتابه (فهم القرآن) هو وغيره من ذلك ما هو مذكور في غير هذا الموضع ، فان كلام السلف والأئمة في ذلك كثير والله أعلم)[١]

وهؤلاء هم أئمة مذهب الأشعرية يثبتون صفة العلو لله والاستواء والفوقية والمباينة بالمعقول والمنقول في حين ينفي هذه الصفات متأخروا الأشعرية كأبي المعالي والبغدادي وأبي المظفر الاسفراييني والرازي وغيرهم ويناقشون الكرامية في اثبات تلك الصفات ويشنعون عليهم بذلك ويذكرون عنهم أنهم يخوضون في كيفية الاستواء وقد سبقت الاشارة الى أن الكرامية يثبتون صفة العلو والفوقية والاستواء على العرش لله عز وجل/ كما ويصف بعضهم بالله تعالى أنه مباين من خلقه ، وان صح ما ذكر عنهم خصومهم متأخروا[٢] الأشعرية من الخوض في الكيفية وذكر المسافة بين الله تبارك وتعالى وبين العرش ، وأنه تعالى مماس للعرش وغير ذلك مما رموا فان هذا مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف هذه الأمة وقد تقدم في اكثر من/ موضع أن الكيف في صفات الله عز وجل مجهول وغير معقول ومرفوع عن الله تعالى فعلو الرب عز وجل وانه نفسه/ فوق العالم معلوم[٣] بالعقل، كما تقدم آنفا عن الامام[٤] أحمد والامام[٥] عبد العزيز المكي والامام أبي حنيفة[٦] والامام ابن كلاب[٧]

وقد بينا أن الله تعالى بائن من خلقه وما رد على نفاة العلو وأن العلو ثابت بالعقل .

وقول الكرامية ان الله تعالى مماس لعرشه مردود بما ذكرناه عن علماء السلف ومن وافقهم وما بين شيخ الاسلام ابن تيمية من أن الله تعالى بائن عن خلقه وان كان ابن الهيصم الكرامي ومن وافقه يقولون أن الله تعالى بائن عن خلقه .

---

(١) مجموع فتاوى (٥/٣٢٠) .
(٢) تقدم في ... مذهب الكرامية في استواء الله على العرش وفي ... العلو .
(٣) انظر مجموع فتاوى (٤٠٧/١٦) .
(٤) ص ٢١٨-٢١٩ من الرسالة .
(٥) ص ٢٢٠ من الرسالة .
(٦) تقدم ص ٢٠٨ من الرسالة .
(٧) تقدم ص ٢٢١ من الرسالة .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (النفاة للعلو ونحوه من الصفات معترفون بأنه ليس مستندهم خبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا الكتاب ولا السنة ولا أقوال السلف ولا مستندهم فطرة العقل وضرورته ولكن يقولون : معنا النظر العقلي ، قال : وأما أهل السنة المثبتون للعلو فيقولون ان ذلك ثابت بالكتاب والسنة والاجماع مع فطرة الله التى فطر العباد عليها وضرورة العقل ومع نظر العقل واستدلاله)[١].

والحق ان العقل الصريح يدل على وجوب علو الله تبارك وتعالى بذاته فوق خلقه من وجهين :

الوجه الأول : ان العلو صفة كمال والله تعالى قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه فكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه)[٢].

الوجه الثاني : (ان العلو ضد السفل والسفل صفة النقص والله تبارك منزه عن جميع صفات النقص فلزم تنزيهه عن السفل وثبوت ضده له وهو العلو الذى هو صفة المدح اللازمة[٣].

---

(١) مجموع فتاوى (١١٠/١٦) ، وانظر مجموع فتاوى (٢٧٥/٥) .

(٢) انظر الرسالة فى صفات الكمال لله تعالى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل/وانظر رسالة الارادة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المجلد الثاني ٤٤-٤٥ (٣٨٢/١ ، ٤٣٨)/ وانظر مختصر الصواعق المرسلة (١٧٦/١) ، وانظر رسائل فى العقيدة للشيخ محمد بن عثمين ص (٦٦) .

(٣) انظر مجموع فتاوى (١٠٠/١٦) ، وانظر تلخيص الحموية ، وانظر مختصر الصواعق (١/ ص (١٧٦) ، رسائل فى العقيدة (٦٦) .

الدليل الخامس : هو الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها كلهم من العرب والعجم على أن الله عز وجل متصف بصفة العلو على خلقه من غير تعيين عرش والاستواء فان استواء الله تعالى على عرشه جاء فى الشرع ، أما علوه جل ثناؤه فانه أمر فطرى ضرورى يوجد فى قلوب بنى آدم ، وجميع من يدعو الله تعالى يجد فى قلبه هذه الضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة عن مقتضى هذه الفطرة الا من اجتالته الشياطين والأهواء (١) وحديث الجارية لما قال لها النبى عليه الصلاة والسلام : أين الله ، قالت فى السماء ، قال : اعتقها فانها مؤمنة)(٢) .

قال : فهذه جارية أعجمية ، أرأيت من فقهها ... وانما أخبرت عن الفطرة التى فطر الله تعالى عليها وأقرها النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وشهد لها بالايمان (٣) .

ومن هذا الباب القصة التى حصلت لشيخ العارف أبى جعفر الهمدانى (٤) لما حضر حضرة والاستاذ أبو المعالى يخطب وهو على المنبر فيقول : (كان الله ولا عرش) يعرض بانكار استواء الله على العرش ونفى الاستواء على ماعرف من قوله وان كان فى آخر عمره رجع عن هذه العقيدة ، فقال الشيخ أبو جعفر : (يا أستاذ : دعنا من ذكر العرش - يعنى لأن ذلك انما جاء فى السمع - أخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا : ماقال عارف قط (يا الله الا وجد من قلبه معنى يطلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ فصرخ أبو المعالى ولطم رأسه وقال حيرني الهمدانى

---

(١) أنظر مجموع فتاوى (٤ / ٤٥ ، ٦١) (٥ / ٢٥٩ ، ٢٦٠) ، تلخيص الحموية ضمن رسائل فى العقيدة ص (٦٦) ، أنظر أقاويل الثقات ص (٨٦) ، وأنظر علو الله على خلقه ص (١٦٠) .

(٢) الحديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه فى المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام فى الصلاة ح: ٥٣٧ ، وأبوداود ح: ٩٣٠ ، ٣٢٨٢ والنسائى ٣/١٤-١٨ وغيرهم .

(٣) مجموع فتاوى (٤ / ٦٢)

(٤) هو الحافظ المحدث محمد بن أبي علي بن محمد السهمداني أبو جعفر توفي سنة ٥٣١ . ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٠١ العبر في خبر من غبر ٤ / ٨٥ العلو لعلي الغفار (مختصره ص ٢٧٧) طبقات السبكي ٥ / ١٩٠-١٩٢ ، ٣٢٨ النجوم الزاهرة ٥ / ٢٦٠ ، كشف الظنون ص ٢٢٨ ، شذرات الذهب ٤ / ٩٧ طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٤٩ ، معجم المؤلفين ١١ / ٦٩ .

حيرني الهمداني ونزل) .[(١)]

قال شيخ الاسلام فى تعليق هذه الحكاية (فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم ، فأخبر أن ... الاقرار بعلو الله على الخلق .. أمر فطرى ضرورى ...)[(٢)]

وذكر مثل هذا الامام أبو الحسن[(٣)] الأشعرى والحافظ[(٤)] ابن عبد البر والعلامة ، ابن القيم[(٥)] والعلامة مرعى[(٦)] الكرمي .

والحق أن اثبات علو الله عز وجل على خلقه لا يحتاج الى ايضاح اذا كان فطر الناس سليمة لم تتغير بالبدع والآراء المخالفة للحق وما فطر الله تبارك وتعالى على الناس من ضرورة الاعتراف فوقية الله تعالى عند الدعاء وعند العبادة وفى أى وقت بنسبة للمسلم أما للكافر فانه يلجأ الى الله عز وجل ويعترف هذه الضرورة عند الشدة خاصة اذ يعرف أن الخلاص والفرج لا يأتى الا من عند الله سبحانه وتعالى[(٧)] فى هذه الحالة قال تعالى :

(فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)[(٨)] .

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٤/ ٤٤، ٦١ الاستقامة ١/ ١٦٧ ، مختصر العلوص ٢٧٦، ٢٧٧
شرح الطحاويه ص ٣٢٥ علو الله على خلقه .

(٢) مجموع فتاوى ٤/ ٦١ .

(٣) الإبانة ١٠٧ .

(٤) التمهيد ٧/ ١٣٤ .

(٥) اجتماع الجيوش ص ٥

(٦) أقاويل الثقات ص (٧٦) ، لواسع الأنوار (١/ ١٩٦) .

(٧) أنظر علو الله على خلقه ص (١٦٢) .

(٨) العنكبوت : ٦٥ .

الفصل الثاني

الصفات الذاتية

١ - موقف الكرامية من صفة العلم لله عز وجل.

٢ - موقف الكرامية من صفة القدرة لله عزوجل.

٣ - موقف الكرامية من صفة الحياة لله عزوجل.

٤ - موقف الكرامية من صفة الارادة والمشيئة لله عز وجل.

٥ - موقف الكرامية من صفة السمع والبصر لله عزوجل.

٦ - موقف الكرامية من صفة الكلام لله عزوجل.

٧ - موقف الكرامية من صفة اليد لله عز وجل .

٨ - موقف الكرامية من صفة الوجه لله عزوجل .

الفصل الثاني

الصفات الذاتية

موقف الكرامية من صفة العلم لله عز وجل :

تثبت الكرامية لله عز وجل صفة العلم وأنه تعالى عالم بعلم قديم أزلي قائم بذاته تعالى (١).

قال محمد بن الهيصم : (الباري تعالى عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي يكون، وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته، فلا ينقلب علمه جهلا) (٢).

وقال عبد القاهر البغدادي : (والخلاف ... مع فرقة من الكرامية زعمت أن لله علمين يعلم بأحد هما معلوماته ويعلم هذا العلم بالعلم الآخر) (٣).

وقال أيضا : (ولا ينفصل هؤلاء ممن اثبت له علوما كثيرة (بعدد المعلومات)(٤).

وقال أبو المعالي للكرامية وهو يلزمهم بالقول بعلم حادث قال : (ومما يلزمهم تجويز قيام ... علم حادث بذاته على حسب أصلهم في القول والارادة الحادثتين، ولا يجدون بين ما جوزوه وما امتنعوا منه فصلا) (٥).

ورد الآمدي على الكرامية في تجويزهم اجتماع الارادة الحادثة، مع الارادة القديمة ومنعهم ذلك في العلم وذكر أنه لو طلب منهم الفرق لكان متعذرا واعتبر ذلك من تناقضهم (٦).

كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الكرامية ترى ذلك لان حدوث العلم عندهم يستلزم النقص، لعموم تعلق العلم، بخلاف الارادة والكلام فانه لا عموم لهما، فانه سبحانه وتعالى لا يتكلم الا بالصدق، لا يتكلم بكل شيء، ولا يريد الا ما يسبق علمه به، لا يريد كل شيء، بخلاف العلم، فانه بكل شيء عليم وذكر أن هذا التفريق مثل تفريق المعتزلة فهم قالوا : ان له ارادة (٧) حادثة وكلاما (٨) حادثا ولم يقولوا : له عالمية حادثة وقادرية حادثة (٩) وقال أيضا : " فهذا مما احتجوا به على حدوث كونه مريدا متكلما دون كونه عالما ... قالوا : لأن الاختصاص يتعلق بالمحدثات، بخلاف العموم، فانه يكون للقديم " (١٠).

---

(١) الملل والنحل ١١٢/١ درء تعارض العقل والنقل ١٠٥/٤ انظر المصدر السابق نفسه ٣١/٤ و ٢٠٥/٢

(٢) الملل والنحل ١/ ١١٢-١١٣.

(٣) اصول الدين ص ٩٥

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٤٦ ، درء تعارض ٢/ ١٩٨

(٦) انظر درء تعارض العقل والنقل ٢٦٦/٤ نقلا عن ابكار الافكار انظر هامش المصدر المذكور .

(٧) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص. ٤٤ مقالات الاسلاميين ٢٦٣/١ الملل والنحل ٥١/١

(٨) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨ ، الملل والنحل ٤٥/١

---

(٩) درء التعارض العقل والنقل ٢٠٣/٢ وانظر المصدر السابق

(١٠) المصدر السابق نفسه ٢٦٦/٤ - ٢٦٧ ص ٢٦٧

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في صفة العلم.

يذهب شيخ الاسلام في اثباته صفة العلم لله عزوجل مذهب سلف الأمة ، فأثبت علم الله القديم الأزلي اللازم لذاته تعالى القائم به (١) وقد بين وأطنب في تقرير صفات الله عز وجل ومنها علم الله تعالى قال : (فأما اثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها ، ففي القرآن والحديث والآثار مالا يكاد يحصر ، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه ، وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد أخبر بذلك) (٢).

فشيخ الاسلام ابن تيمية مجدد مذهب سلف الأمة في الأصول والفروع وهذا معروف ولمنا بصدد بيان ذلك وما فصل وبين باعظم الحجج واقطع البراهين صفة علم الله تبارك وتعالى حيث استدل بأدلة نقلية من الآيات والأحاديث والآثار ، وبادلة عقلية ، ونظرية ولولا مخافة التطويل لنقلت قدرا لا باس به فضلا عن التفصيل فان ذلك يصل الى مجلدات ضخمة لمن يتصدى له ، أما هنا فاننا نشير الى بعضها فاقول: الأدلة النقلية الدالة على علم الله عزوجل كثيرة جدا منها الآيات القرآنية و اذكر طرفا منها

---

(١) د رّ ١٠ / ٦٧ ، انظر المصدر السابق نفسه ص ١٣٠ وانظر المصدر السابق أيضا ٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤ انظر المصدر السابق ٣/ ٢١ وانظر المصدر السابق نفسه ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، وانظر مجموع فتاوى ٢/ ٢١١

(٢) رسالة له في تحقيق مسألة علم الله تعالى ، ضمن جامع الرسائل ، المجموعة الاولى ص ١٨٣

كقوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) (١) . وقوله تعالى (ان الله بكل شيء عليم) (٢) وقوله تعالى : (يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) (٣) وقوله سبحانه (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) (٤) وقوله تبارك وتعالى (وان الله قد احاط بكل شيء علما) (٥) وغيرها من الآيات التي تدل على وصف الله تبارك وتعالى بالعلم المحيط بجميع المعلومات الكليات والجزئيات وانه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض،(٦)

ونكتفي بها لضيق المجال ، وكذا الأحاديث الواردة في هذا المجال فقد ثبت في الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول : "اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم . . . الحديث" (٧) .

---

(١) الأنعام : ٥٩
(٢) العنكبوت : ٦٢
(٣) سبأ : ٢
(٤) فصلت : ٤٧
(٥) الطلاق : ١٢
(٦) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ١٨٦ ، انظر معارج القبول لأحمد الحكمي ١/ ١٩٨
(٧) صحيح البخارى في التهجد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ح: ١١٦٢ ، وفي الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة ح : ٦٣٨٢ ، وفي التوحيد : باب قول الله عز وجل (قل هو القادر) ح : ٧٣٩٠ سنن أبي داود في الصلاة باب في الاستخارة ح : ١٥٣٨ ، سنن الترمذى في الصلاة باب في صلاة الاستخارة ح : ٤٨٠ ، سنن ابن ماجه في اقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة ح : ١٣٨٣ ، مسند الامام أحمد ٣/ ٣٤٤

ومعلوم أن السلف الصالح يثبتون لله تبارك وتعالى صفات الكمال التي وصف بها نفسه و وصفه به رسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله وصحبه ، من هـذه الصفات صفة العلم ازلية قائمة بذاته تعالى :

وكان السلف رضوان الله عليهم يكفرون من أنكر علم الله تعالى قال الامام احمد رحمه الله تعالى " فان قال الجهمي ليس له علم كفر ، وان قال لله علم محدث كفر حين زعم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لا يعلم حتى أحدث له علما فعلم (١) .

و قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى " ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا خصموا وان أنكروا كفروا فان الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه ، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه فانما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ضمن عقائد السلف ص ٩٦ ، والامام احمد رحمه الله تعالى لما ناظر أئمة الكلام من جنس الجهمية كالمعتزلة والنجارية والضرارية وأنواع المرجئة أمام المعتصم وقالوا له ما تقول في القرآن قال لهم الامام احمد ما تقولون في علم الله ، وقال : القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٣٣٣ وتقدم تفصيل مسألة خلق القرآن في عصر ابن كرام الحالة العلمية .

وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لا يستطيعه (١)
وقال الامام عبد العزيز المكي الكناني رحمه الله تعالى في رده على بشر المريسي لما ناظره عند المأمون : (وبشر يقول لا يجهل ولا يعترف أن الله عالم بعلم ، وقال عبد العزيز أيضا : (نفي الجهل لا يكون صفة مدح فان هذه الأسطوانة لا تجهل ، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم ، لا بنفي الجهل ، فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ، ومن نفي الجهل لم يثبت العلم) (٢) وقال الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة رحمه الله تعالى : (فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون خالقنا علم مضاف اليه من صفات الذات ، تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علوا كبيرا) (٣) .

والامام أبو سعيد الدارمي قد بوب في كتابه الرد على الجهمية فقال : باب ذكر علم الله تبارك وتعالى بين فيه علم الله عزوجل الازلى ورد فيه على من أنكر علمه السابق قبل خلق الخلق وأورد الأدلة النقلية والعقلية وأسهب في ذلك رحمه الله (٤) فالكرامية وافقت سلف الأمة في اثباتها صفة العلم لله عز وجل .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٠٢
(٢) الحيدة ، ص ٣٠ - ٣١ ، ط/ الجامعة الاسلامية.
(٣) التوحيد ص ٧
(٤) كتاب الرد على الجهمية للامام أبي سعيد عثمان الدارمي ص ٦٩ - ٨٢

وقد اتفق الناس على اثبات عموم علمه سبحانه وتعالى واحاطته بكل معلوم وانه لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض بل قد احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا ، ولم يخالف في هذا الأصل الا فرقتان .

أولهما : الذين ينفون علمه بالجزئيات وحاصل قولهم أنه تعالى لا يعلم موجودا البتة فان كل موجود جزئي معين ، فاذا لم يعلم الجزئيات لم يكن عالما بشيء من العالم العلوي والسفلي (١) .

وهذا قول الفلاسفة وهم طوائف متفرقون لا يجمعهم قول ولا مذهب بل هم مختلفون أكثر من اختلاف فرق اليهود والنصارى والمجوس (٢) ، قال ارسطو: مبدأ الأول لا يعلم الا ذاته كما ذكر عنه ابو البركات في المعتبر في الحكمة ، قال ابن سينا : يعلم الأشياء كلها بنوع كلي لا يدخل تحت الزمان ولا يعلم الجزئيات التي يوجب تجدد الاحاطة بها تغيرا في ذات العالم (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : "وقد ذكر الغزالي أنهم اتفقوا على أنه لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان الى الكائن ، وما كان ، ويكون (٤) .

وقد نقل الشهرستاني اقوال الفلاسفة في علم الله تعالى وجعلها ثلاثة قال: "ذهب قدماء الفلاسفة الى انه عالم بذاته فقط ثم من ضرورة علمه بذاته يلزم منه الموجودات وهي غير معلومة عنده " .

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ١٨٦ وانظر الاشارات والتنبيهات ٣/ ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وتهافت الفلاسفة ص ٢٠٦ ، وانظر مجموع فتاوى ٩/ ٢٤٩ وشرح المواقف ص ١١٩

(٢) درء ٩/ ٣٩٩

(٣) المصدر السابق ص ٤٠١

(٤) تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٠٤ وانظر درء تعارض ٩/ ٤٠٠

(٥) درء ٩/ ٤٠٠

قال : " وذهب قوم منهم الى انه يعلم الكليات دون الجزئيات ، وذهب قوم الى أنه يعلم الكلي والجزئي جميعا على وجه لا يتطرق الى علمه تعالى نقص وقصور (١) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " فهذا القول الثالث هو شبيه بالقول الذى اختاره ابن رشد ، وأما القول الثاني والأول فهما اللذان حكاهما الغزالي عن الفلاسفة (٢) وابن رشد أقرب الى الصواب من غيره من الفلاسفة الا أبي البركات كما سأذكره ان شاء الله وابن رشد يعظم أرسطو تعظيما الى حد أنه يرى أنه من أعظم الفلاسفة عنده (٣) واختار ابو البركات القول بان الله تعالى يعلم الكليات والجزئيات ورد على أرسطو فهو احسن حالا من ابن رشد (٤) . وما اختاره ابن رشد وأبو البركات يوافق قول نظار المسلمين (٥) .

اما قول أرسطو وابن سينا في علم الله تعالى فلا يمكن أن يقولهما مسلم ، ولهذا كان مما كفرهم به الغزالي وغيره ، فضلا عن أئمة المسلمين ، كمالك والشافعي واحمد ، فانهم كفروا غلاة القدرية الذين أنكروا علمه بالافعال الجزئية قبل وجودها ، فكيف من انكر علمه بالجزئيات كلها قبل وجودها وبعد وجودها . " (٦)

الفرقة الثانية : هم غلاة القدرية الذين يقولون ان الله تعالى لا يعلم اعمال العباد حتى يعملوها ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولا قدرها فضلا أن يكون شاءها وكونها (٧) .

وهؤلاء قد ظهروا في زمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقالوا : لا قدر والأمر انف وتبرا منهم ابن عمر رضي الله عنهما وتقدم ذكر هذه المسالة في التمهيد واشرنا هناك ان الصحابة والتابعين وعلماء السلف قد أنكروا على القدرية أيضا بشده وتبرؤا منهم كابن عمر وابن عباس وجابر و واثلة بن الاسقع رضي الله عنهم جميعا وغيرهم (٨) .

---

(١) نهاية الاقدام ص ٢١٥ وانظر درء ٩ / ٣٩٩
(٢) المصدر السابق ص ٤٠٠
(٣) المصدر السابق ص ٤٠١ بتصرف قليل .
(٤) انظر المصدر السابق ص ٤٠٠
(٥) انظر درء تعارض ٩ / ٤٠٢
(٦) المصدر السابق نفسه ومسالة العلم ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٨٧ وانظر شفاء الغليل ص ١٨٧
(٧) شفاء العليل ص ١٨٦ - ١٨٧ وانظر مسالة العلم لابن تيمية ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٧٦
(٨) في ص ٧٦ من الرسالة .

كما نص الائمة كمالك والشافعي وأحمد علي تكفير قائل هذه المقالة كما سبقت الاشارة اليها (١)

فهذا القول والذى قبله معلوم البطلان بالضرورة من أديان جميع المرسلين عليهم الصلاة والسلام وكتب الله المنزلة وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام مملوء بتكذيبهم وابطال قولهم واثبات عموم علمه الذى لا يشاركه فيه خلقه ولا يحيطون بشيء منه الا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به (٢)

هذا مذهب الفلاسفة وغلاة القدرية في علم الله تعالى وانكار العلماء عليهم وتكفيرهم لهم وبيان ومخالفتهم لجميع المرسلين عليهم الصلاة والسلام والكتب المنزلة عليهم وهؤلاء خالفوا العقل السليم اذ كيف لا يعلم من خلق وهو العليم الخبير.

وقد ذكر بعض العلماء عن جهم بن صفوان أنه كان ينكر علم الله تبارك وتعالى الأزلي ويقول وأنه لا يعلم الأشياء قبل خلقها قال أبو الحسن الأشعرى في مقالاته: "وكان يقول ان علم الله سبحانه وتعالى محدث فيما يحكي عنه" (٣) وكذا ذكره البغدادى (٤) وأورد الشهرستاني انكاره علم الله تعالى قبل خلقه الأشياء فقال عنه: لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه، لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان أو لم يبق ؟ فان بقي فهو جهل، فان العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد، وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس بقديم" (٥).

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وكانت الجهمية ملاحدة وزنادقة قد كفرهم علماء السلف كعبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط قال الامام عبد الله بن المبارك: لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب اليّ من أن أحكى كلام الجهمية (٦) وقال يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك: "ليست الجهمية من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما نقل مثل ذلك عن الامام الزهرى أنه قال: "ليس الجعدى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" (٧)

---

(١) ٢٣٣ من الرسالة.
(٢) شفاء العليل ص ١٨٧
(٣) مقالات الاسلاميين ١/ ٣١٢ تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد.
(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١١
(٥) الملل والنحل ١/ ٨٧.
(٦) درء تعارض ٥/ ٣٠٢
(٧) درء تعارض ٥/ ٣٠٢

قال الامام عثمان الدارمي : " ما الجهمية عندنا من أهل القبلة بل هؤلاء الجهمية أفحش زندقة وأظهر كفرا وأقبح تأويلا لكتاب الله ورد صفاته من الزنادقة الذين قتلهم علي وحرقهم بالنار ".(١)

وأطال الامام عثمان الدارمي في بيان ضلالهم والرد عليهم وأورد كلامه شيخ الاسلام ابن تيميه في هذه المسألة وأطنب في ذلك.

أما قول الكرامية أن لله تبارك وتعالى علمان حسب ما ذكره عنهم البغدادى وشنع عليهم ، فقد بين هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بيانا شافيا كافيا وذكر المذاهب فيها أعني مسألة علم الله تبارك وتعالى باعتبار تعلقه في المستقبل والا فقد مضى علم الله الأزلي وأن المسلمين متفقون في اثباته لله عز وجل ولم يخالف في ذلك الا القدرية الغلاة والفلاسفة والجهم بن صفوان ومن وافقهم وقد تقدم بيان ذلك.

ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أقوال المنتسبين الى الاسلام في علم الله عز وجل باعتبار تعلقه بالمستقبل فهم على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

إنه تبارك وتعالى يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته ، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة ، وانما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم ، وهذا قول طائفة من الصفاتيه من الكلابية والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة رحمهم الله تعالى ، وهو قول طوائف من المعتزلة وغيرهم من نفاة

---

(١) درء تعارض ٥/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
والرد على الجهمية للامام عثمان الدارمي ص
(٢) سبق في هذا البحث .

الصفات لكن هؤلاء يقولون : يعلم المستقبلات ،ويتجدد التعلق بين العالم والمعلوم ،لا بين العلم والمعلوم .(١)

وقد تنازع الأولون : هل له تعالى علم واحد أو علوم متعددة ؟ على قولين ، والأول قول الأشعرى وأكثر أصحابه ، والقاضي أبي يعلى وأتباعه ، ونحو هؤلاء ، والثاني قول أبي سهل الصعلوكي .(٢)

القول الثاني :

أنه تعالى لا يعلم المحدثات الا بعد حدوثها ،وهذا أصل قول القدرية الذى تقدم.(٣)

القول الثالث :

انه تعالى وتقدس يعلمها قبل حدوثها ، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها (٤) ، وقد حكى المتكلمون كأبي المعالى هذا القول عن جهم ،فقالوا : انه ذهب الى اثبات علوم حادثة لله جل وعلا ،وقال : البارئ عالم لنفسه ، وقد كان في الأزل عالما بنفسه وبما سيكون ،فاذا خلق العالم ،وتجددت المعلومات -أحدث لنفسه علوما بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم

---

(١) جامع الرسائل المجموعة الأولى ص ١٧٩.

(٢) هو محمد بن سليمان الصعلوكي ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٦٩ من فقهاء الشافعية ، عالما أديبا مفسرا انظر ترجمته : تبيين كذب المفترى ص ١٨٣ - ١٨٨ ،وفيات الأعيان ٣/٣٤٢ - ٣٤٣ ، طبقات الشافعية ٢/ ١٦١-١٦٤ ، شذرات الذهب ٣/ ٦٩ الاعلام ٧/ ٢٠.

(٣) انظر ص ٢٣٣ من هذه الرسالة .

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الاولى ص ١٧٩.

تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وقوعها ، أى العلوم متقدمة على الحوادث ، وذكروا أنه قال: " انها في غير محل ، نظير ما قالت المعتزلة/ البصرية في الارادة ".(١)

بيد أن هذا القول ،وان كان قد احتج عليه بما في القرآن من قوله (ويعلم) فتلك النصوص لا تدل على هذا القول ،فان هذا القول مضمونه تجدد علم قبل الحدوث .

والذى في القرآن انما ذكروا دلالته على ما بعد الوجود ، وهذان القولان متغايران ،وانما يحتج عليه بمثل حديث أبرص وأقرع وأعمى " بدا لله أن يبتليهم ".(٢) وليس هذا بداء يخالف العلم القديم ، كما قاله بعض غلاة الرافضة .(٣)

فرد الأشعرية على الكرامية في أنها تثبت لله عز وجل علمين أو علوما متعددة كثيرة بتعدد المعلومات أوالزامهم تجويز قيام علم حادث بذاته تعالى ، كل ذلك لو ثبت للكرامية لكان صحيحا اذ لله عز وجل العلم الأزلي

---

(١) جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٧٩ ، الارشاد لأبي المعالي ص ٩٦ (ط.الخانجي ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ،وانظر نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٢١٥.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة ،البخارى في الأنبياء ،حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني اسرائيل ،ومسلم في أول كتاب الزهد والرقائق

(٣) جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٧٩-١٨٠ ،وأثبت أبو الحسين البصرى المعتزلي علوم متجددة في ذات الله عز وجل بحسب تجدد المعلومات وكذلك أبو البركات صاحب " المعتبر " من أئمة الفلاسفة أثبت تجدد علوم وارادات له تعالى ، وذكر ان الهيئه لهذا العالم لا تصح الا مع هذا القول ،وكذلك يميل الى هذا القول أبو عبد الله الرازى في " المطالب العالية " وغيرها ، جامع الرسائل ،المجموعة الاولى ص ١٨٠-١٨١.

القديم الذى علم به الأشياء كلها قبل حدوثها كما أن لله تبارك وتعالى علم آخر يعلم به حين وجود الأشياء كما تقدم بيانه آنفا.

غير أن الكرامية تناقضت في تجويزهم قيام الأقوال الحادثة والارادة الحادثة وغيرهما بذاته تبارك وتعالى ومنعهم من قيام علم حادث به تعالى،(١) كما وجه اليهم هذا التناقض أبو المعالي والآمدى.(٢)

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيميه موافقة الكرامية المعتزلة في هذه المسألة وعليه فان الكرامية على خطأ ،وخالفت أهل السنة والجماعة في ذلك، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ان كانوا هم فرقوا فغيرهم لم يفرق ، بل جوز تجدد علوم ... ، وحينئذ فهم اعتمدوا في الفرق على ما اعتمدت عليه المعتزلة في الفرق بين كونه عالما ... وبين كونه متكلما مريدا ،حيث قالوا : العلم. عام في كل معلوم فانه بكل شيء عليم ،والارادة والكلام ليسا عامين في كل مراد ومقول ، بل لا يقول الا الصدق ،ولا يأمر الا بالخير ،ولا يريد الا ما وجد ، ولا يريد ارادة محبة الا لما أمر".(٣)

---

(١) انظر درء تعارض ٢/١٩٨-١٩٩.

(٢) تقدم ذلك في بداية هذا البحث .

(٣) درء تعارض ٤/٢٦٦-٢٦٧.

((موقف الكرامية من صفة القدرة لله عز وجل))

((صفـــة القـــدرة))

ذهبت الكرامية الى أن الله تعالى يتصف بصفة القـــــــــــــدرة

وأنه تعالى لم يزل قادرا بقدرة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى (١) .

ابن تيمية الذى يمثل مذهب السلف الصالح

وهم في ذلك وافقوا شيخ الاسلام/في اثبات صفات الكمال لله عز وجل كالقدرة كما يليق

بجلاله وعلى ذلك دل كتاب الله عز وجل والسنة الشريفة .

(١) انظر درء تعارض ٢ / ٢٠٥ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢١٩ ، الملل والنحل ١/ ١١٢

وفي الصحيحين حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار فيسألهم وهو أعلم بهم (١)

وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مفاتح

الغيب خمس لا يعلمها الا الله : لا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحـــام

الا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ، ولا يعلـــم

متى تقوم الساعة الا الله " (٢) .

ولو ذهبنا نسوق الأحاديث في اثبات علم الله تبارك وتعالى لطال المقال ولضاق

المجال ، وفيما ذكرناه كفاية .

(١) متفق عليه ورواه مالك في الموطأ ج ١/ ١٧٠ في قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة والبخارى في المواقيت باب فضل صلاة العصر وفي بدء الخلق باب ذكـــر الملائكة وفي التوحيد بباب قول الله تعالى " تعرج الملائكة والروح اليه " وبـــاب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة ومسلم في المساجد : باب فضل صلاتي الصبـــح والعصر والمحافظة عليهما ح : ٦٣٢

(٢) البخارى في الاستسقاء باب " لا يدرى متى يجيء المطر الا الله وفي تفسير ســـورة الأنعام . باب " وعنده مفاتيح الغيب " وفي تفسير " سورة الرعد باب " الله يعلـــم ما تحمل كل أنثى " وفي تفسير سورة لقمان . وفي التوحيد باب قول الله " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ومسلم ح : (١٠) في أول كتاب الايمان وح " ٢٦٢٦ "(٣٦٥٩ ، واخرجه احمد في المسند " ٤٧٦٦ " و " ٥١٣٣ " و " ٥٢٢٦ " و " ٦٠٤٣ " وغيرهـــا من المواضع ٤/ ٤٢٠ - ٤٢٣

وذهبت الكرامية الى أن أفعال الله تعالى الاختيارية تقوم بذاته تعالى لمشيئته القديمة وقدرته القديمة[١] ، وهذه الأفعال القائمة بذاته ، هي التى تعنيها نفاتها بقولهم (الحوادث) . وستأتي مفصلة في موضعها ان شاء الله ، ولكن هنا نشير اليها من أجل علاقتها بالقدرة التي نحن بصددها .

ولما قالت الكرامية ان الفعل الحادث قائم بذاته تعالى بقدرته جعلت نوع ذلك حادثا بمعنى أنه تعالى يفعل بعد أن لم يكن فاعلا[٢] .

وتسند الكرامية الأفعال الحادثة بذاته تعالى الى قدرته القديمة[٣] .

كما تسند خلق المخلوقات الى القول والارادة الحادثة القائمة بذاته تعالى[٤] .

ونسب الآمدى الى الكرامية القول بخلق الارادة والقول في ذاته بقدرته لا أنه حادث باحداث ، كما نسب اليهم القول بخلق باقي المخلوقات بالارادة أو القول ، فقال في ذلك : (فخلق الارادة أو القول في ذاته يستند الى القدرة القديمة لا أنه حادث باحداث ، وأما خلق باقي المخلوقات فستند الى الارادة أو القول على اختلاف مذهبهم ، فالمخلوق القائم بذاته ، يعبرونه عنه بالحادث ، والخارج عن ذاته يعبرون عنه بالمحدث)[٥] .

والحق أنهم لا يسمون ما يقوم بذاته عز وجل من أفعاله تعالى من الارادة والقول وغيرهما لا مخلوقا ولا محدثا .

---

(١) انظر در ٢/ ١٤٧ ، ١٤٨ ، وأنظر المصدر السابق نفسه ٢٢٧ - ٢٧٦ .

(٢) انظر در ٢/ ١٤٨ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ .

(٣) أنظر در ٢/ ٢٢٧ ونقله عن أبكار الأفكار للآمدى ١/ ٤٧٦ - ٤٧٧ خ ، نسخة دار الكتب علم الكلام رقم (١٩٥٤) ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢١٩ ، وانظر الملل والنحل ١/ ١٠٩ .

(٤) أنظر المصدر السابق نفسه ٤/ ١٩ - ٢٠ ، نقلا عن أبكار الأفكار للآمدى ١/ ٤٧٧ - ٤٧٨ ، وانظر المصدر السابق نفسه ص ٢٦ - ٢٧ ، أنظر أيضا المصدر السابق نفسه ٢/ ٤٢ نقلا عن أبكار الأفكار ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢١٧ ، وانظر الملل والنحل ١/ ١٠٩ - ١١٠ .

(٥) در ٤/ ٢٠ ونقل هذا عن أبكار الأفكار ١/ ٤٧٦ (نسخة دار الكتب المصرية برقم ١٩٥٤ علم الكلام).

ورد شيخ الاسلام ابن تيمية على الآمدي في مقالته هذه عن الكرامية فقال :

(وحكايته عن الكرامية أنهم يقولون : خلق / الارادة والقول في ذاته مستند الى القدرة القديمة وخلق باقي المخلوقات يستند الى الارادة والقول ، تعبير عن مذهبهم بعبارته ، والا فهم لا يسمون شيئا مما يقوم بذات الرب لا مخلوقا ولا محدثا وانما يقولون : (حادث) .

ولا يقولون : (ان ارادته وكلامه لا مخلوق ولا محدث) (١) .

ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، أما الخلق فعندهم الأفعال القائمة بذاته (الحوادث) كالارادة والقول ، واما المخلوق فعندهم ما باين ذاته من المخلوقات ، فالخلق يكون بذاته بمشيئته وقدرته القديمة والمخلوق يكون بالخلق كالارادة الحادثة وكقوله (كن) الحادث .

قال الشهرستاني : (ومن أصلهم أن ما يحدث في ذاته فانما يحدث بقدرته وما يحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث ، ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الأقوال والارادات ، ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر والأعراض) (٢) .

وقال : ((ويفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد وكذلك بين الاعدام والمعدوم ، فالمخلوق انما يقع بالخلق ، والخلق يقع في ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته بالقدره) (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (فأما نفس خلق الرب عند من يقول الخلق غير مخلوق - وهم الأكثرون - فلا يقولون : ان الخلق مخلوق ، ومن قال بتجدد ما يقوم به من الأفعال أو الارادات أو الادراكات لم يقل : ان ذلك مخلوق ،

---

(١) در ٢٦/٤ - ٢٧ .

(٢) الملل والنحل ١٠٩/١ - ١١٠ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ١١٠ .

فانه اذا كان ثم خلق وخالق ومخلوق لم يكن الخلق داخلا في المخلوق) (١) .

وقال : (والمقصود هنا أن ماقام بذاته لا يسميه أحد منهم مخلوقا سواء كان حادثا أوقديما) (٢) .

وهكذا بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن من يقول ان صفات الله عز وجل قائمة بذاته عز وجل أزلية لم يقل إنها مخلوقة ،وكذلك الذين يثبتون الأفعال الاختيارية القائمة بذاته تعالى ومنهم الكرامية لايقولون ان هذه الأفعال مخلوقة .

وبهذا يتبين أن الكرامية لاتسمى ماقام بذاته تعالى من افعال الاختيارية مخلوقا وانما المخلوق عندهم ماانفصل عن ذاته تعالى من المخلوقات .

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في صفة القدرة

سبق (٣) أن ذكرنا أن الكرامية وافقت سلف الأمة في اثبات صفة القدرة لله عز وجل أزلية ، وشيخ الاسلام ابن تيمية الذى أحيى وأيد مذهب السلف ووضحها وبينها واستدل بالادلة النقلية والعقلية على اثبات صفة القدرة يثبت صفة القدرة ، وأذكر طرفا من الأدلة في ذلك من الكتاب :

---

(١) درء ٢/٢٥٤_ ٢٥٥)) ، أنظر قول عبد العزيز الكنانى وغيره المصدر السابق نفسه ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص (٢٥٥) .

(٣) ص(٢٥٢) من الرسالة .

قوله تعالى ((ألم تعلم

أن الله على كل شيء قدير)) (١) .

وقوله تبارك وتعالى (وكان الله على كل شيء مقتدرا)) (٢) .

وقوله عز من قائل ((ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير)) (٣) .

وقوله تبارك وتعالى ((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا)) (٤) .

وقوله عز وجل : ((ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)) (٥) .

وقوله جل ذكره : ((انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)) (٦) .

وقوله جلت قدرته : ((تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير)) (٧) .

وقوله تبارك وتعالى : ((ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا)) (٨) .

---

(١) (البقره : ١٠٦) .
(٢) (الكهف : ٤٥) .
(٣) (آل عمران : ١٨٩) .
(٤) (فاطر : ٤٤) .
(٥) (لقمان : ٢٨) .
(٦) (يس : ٨٢) .
(٧) (الملك : ١) .
(٨) (النساء : ١٣٣) .

والآيات في الباب كثيرة جدا يضيق المجال عن ذكرها .

ففي هذه الآيات اثبات صفة القدرة لله عز وجل حقيقة على ما يليق بجلاله تعالى ، والله سبحانه وتعالى قدير وله مطلق القدرة وكما لها وتمامها ، وما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء ....

وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ، ويمسك تعالى السماء أن تقع على الأرض ، الفعال لما يشاء كيف شاء في أي وقت شاء .

وكل آيات الله الظاهرة والمعنوية ، وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة ، التي لا تخرج عنها مثقال ذرة ، كما أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم(١) .

---

(١) أنظر معارج القبول شرح سلم الوصول على علم الأصول في التوحيد ١/ ٩٩ .

أما عن السنة ففي حديث الاستخارة ،روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله السلمي رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلم السورة من القرآن ... اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ...) الحديث [١] .

وفي الحديث : عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : (كنت أضرب غلاما لي فرآني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فقال : (اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك على هذا)[٢]

والله تعالى مستحق في أزله لصفات الكمال ، ولا يكون شيء من الكمال الأزلي الا وهو متصف به في أزله ، ... كالقدرة[٣] .

وأما مسألة افعال الله تعالى القائمة بذاته عز وجل ، فالكرامية تثبتها كما تقدمت الاشارة اليه[٤] .

وفي هذا وافقوا جمهور أهل الحديث وطوائف أهل الكلام ، وبين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فقال : ((وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام يقولون : بل هنا قسم ثالث قائم بذاته الله تعالى متعلق بمشيئته وقدرته كما دلت عليه النصوص الكثيرة))[٥] .

وقد أوردنا أن الكرامية ذهبت الى أن نوع أفعال الله تعالى القائمة بذاته تعالى حادث[٦] .

---

(١) تقدم هذا الحديث والكلام عليه في مبحث موقف الكرامية من صفة العلم لله تبارك وتعالى ص (٢٤١) من الرساله وهو حديث صحيح رواه البخاري وغيره .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في الايمان ، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ح : (١٦٥٩) .

(٣) أنظر درء ٢٤٣/٢ ، ٢٤٤ .

(٤) تقدم ذلك في ص (٢٥٢) وما بعدها من الرسالة .

(٥) درء تعارض (١٤٧/٢) .

(٦) في ص (٢٥٢) من الرساله .

وفى ذلك خالفوا أكثر أهل الحديث ومن وافقهم الذين لا يقولون ان نوع أفعال الله تعالى القائم بذاته حادثة بل يقولون انها قديمة أزلية[١].

يوضح شيخ الاسلام ابن تيمية هذه المسألة فيقول : ((ويفرقون - اى أهل الحديث بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده ، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه ، فان نعيم أهل الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد من الأعيان الفانية ، ومن الأعيان الحادثة مالا يفنى بعد حدوثه كأرواح الآدميين فانها مبدعة ، كانت بعد أن لم تكن ، ومع هذا فهى باقية دائمة))[٢].

وقال أيضا : ((والفلاسفة تجوز مثل ذلك فى دوام النوع دون أشخاصه لكن الدهرية منهم ظنوا أن حركات الأفلاك من هذا الباب وأنها قديمة النوع ، فاعتقدوا قدمها وليس لهم على ذلك دليل أصلا))[٣]

وبذلك يظهر خطأ قول الكرامية انه تعالى يفعل بعد أن لم يكن فاعلا ، والصواب ما ذكره شيخ الاسلام عن أهل الحديث ، قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : ((بل نقول : (ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما))[٤].

فقد بين الامام أحمد فى رده على نفاة صفات الله عز وجل ان الله عز وجل يتكلم بكلام بمشيئته ، وأنه لم يزل متكلما اذا شاء ،فرد قول من لا يجعل الكلام متعلقا بالمشيئة كقول الكلابية ومن وافقهم ومن يقول : ((كان لا يتكلم حتى حدث له الكلام كقول الكرامية ونحوهم))[٥].

---

(١) أنظر درء (١٤٨/٢) .

(٢) انظر المصدر السابق نفسه .

(٣) درء (٢/١٤٨) .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية ص (٣٦) ،درء تعارض (٢٩٧/٢) .

(٥) أنظر درء . (٢/ ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

وفي هذا دليل على ان الامام أحمد رحمه الله تعالى ذهب الى ما ذهب اليه غيره من الأئمة : أن افعاله قائمة بذاته تعالى بقدرته ومشيئته وأنه لم يزل يفعل اذا شاء والكلام من أفعال الله عز وجل .

وقول الكرامية إن أفعال الله تعالى القائمة بذاته تعالى الحادثة تستند الى قدرة الله القديمة ومشيئته ، كما يستند خلق المخلوقات بالقول والارادة) ... كلام صحيح ينبني على الأصل "الخلق غير المخلوق" .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية ذلك خير بيان أعني التفريق بين الخلق والمخلوق قال : (يبقى كلام أهل الاثبات فيما يقوم بذاته تعالى : هل يجوز أن يتعلق شيء منه بمشيئته وقدرته أم لا ؟ وهل عبد العزيز ممن يجوز أن يقوم بذاته تعالى ما يتعلق بمشيئته وقدرته أم ممن يقول : لا يكون المراد المقدور الا منفصلا عنه مخلوقا ؟ ويجعل المقدور هو المخلوق ، وهما في الاصل قولان معروفان ذكرهما الحارث[1] المحاسبي وغيره من أهل السنة حسبما تقدم ايراده))

قال : والقول الأول : (وهو قول أئمة أهل الحديث والهشامية والكرامية وطوائف من أهل الكلام من المرجئة .. وغيرهم ومن وافق هؤلاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم[2] .

وقال أيضا : ((وقد أثبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة له ليس من المخلوقات ، وأنه به خلق المخلوقات ، وهذا صريح في أنه يجعل الخلق غير المخلوق ،

---

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، من شيوخ الصوفية ، أمر الامام أحمد بهجرة لأنه تكلم في شيء من الكلام المذموم توفي سنة ٢٤٣هـ انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٨/٢١١-٢١٦) ، طبقات الصوفية ص(٥٦-٦٠) ، طبقات الكبرى للشعراني (٦٤/١) ، ميزان الاعتدال (٤٣٠/١-٤٣١) ، طبقات الشافعية (٢/٢٧٥-٢٨٤) انظر درء تعارض (٦/٢) شذرات الذهب (١٠٣/٢) ، الاعلام (١٥٣/٢-١٥٤) .

(٢) درء تعارض (٢٥٦/٢ - ٢٥٧) .

والفعل غير المفعول ، وان الفعل صفة لله ، مقدور لله ، اذا شاء ولا يمنعه منه مانع وهذا خلاف قول الأشعرى ومن وافقه))[1] .

لذلك يكون قول الكرامية ((الخلق غيرالمخلوق)) ، و الخلق بقدرته تعالى ومشيئته والمخلوق يكون بقوله تعالى وأمره القائم بذاته ، يوافق كلام الأئمة كالامام أحمد وعبدالعزيز الكنانى والبخارى والدارمى - وغيرهم .

وقد فصل ذلك وأفاض شيخ الاسلام ابن تيمية ، كما تبين لنا خطأ من نسب الى الكرامية القول بخلق الارادة ،والقول القائم بذاته تعالى كالأمدى كما سبق أن ذكرنا قوله[2] فى ذلك وتعليق شيخ الاسلام ابن تيمية على ذلك وبيانه أن الكرامية لاتقول بذلك وانما ذلك قول عليهم مالم يقولوا[3] .

وكما قلت فان مسألة أفعال الله تعالى التى يسميه المتكلمون ((الحوادث)) لها موضع آخر وانما المقصود هنا الاشارة اليها لعلاقتها بصفة القدرة لله عز وجل التى نحن بصدد الكلام عنها .

---

(١) درء (٢/٢٥٨) .

(٢) تقدم فى ص ٢٤٠ من الرسالة .

(٣) تقدم فى ص ٢٤١ من الرسالة .

موقف الكرامية من صفة الحياة لله عزوجل

ذهبت الكرامية الى اثبات صفة الحياة لله تبارك وتعالى وأنه تعالى حي بحياة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى (١) وهم بذلك وافقوا السلف الذين يثبتون صفات الكمال لله عزوجل ومنها صفة الحياة لله جل وعلا بل اتفق على اثباتها له جميع العقلاء.

غير أن البغدادى ذكر أن بعض الكرامية تزعم أن الحياة من جملة القدرة وأن القدرة اسم جامع لكل مالا يصح الفعل دونه كالحياة والعلم وصحة الجارحة (٢) وكل من زعم أن الحياة هي القدرة وأن الحي هو القادر يلزمه أن لا يكون المغشي عليه حيا لأنه في حال غشيته غير قادر على شيء (٣).

أما اثباتهم لهذه الصفة أزلية قائمة بذاته جل وعلا فأمر اتبعوا فيه السلف وعلى ذلك دل كتاب الله الكريم وسنة نبيه الشريفة صلى الله عليه وسلم.

أما الكتاب فقد قال عز من قائل: "الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ..." الآية (٤)، وقال تبارك وتعالى: "وتوكل على الحي الذى لا يموت" (٥) وقال تعالى: "الم الله لا اله الا هو الحي القيوم" (٦) وقال تعالى: "وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما" (٧) وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم.

ففي هذه الآيات اثبات صفة الحياة لله عزوجل، والحياة هي أجمع صفات الكمال وأصلها (٨) فالله سبحانه وتعالى هو الحي الذى له كمال الحياة، لأن حياته تعالى من لوازم ذاته، فهي أزلية أبدية، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له من العزة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والارادة والمشيئة وغيرها، اذ لا يتخلف شيء منها الا لنقص في الحياة، فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي" (٩).

---

(١) انظر الملل والنحل ١/١١٢ وانظر درء تعارض ٢/٢٠٥
(٢) أصول الدين ص ٤٣
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) البقرة: ٢٥٥
(٥) الفرقان: ٥٨
(٦) (آل عمران: ١ - ٢).
(٧) (طه: ١١١).
(٨) الروضة الندية ص ٧٠
(٩) شرح الواسطية د. محمد خليل هراس ص ٣٤ - ٣٥، انظر لوامع الأنوار البهية ١/١٣١-، انظر شرح الطحاوية ص ١٢٥ تخريج الألباني.

وأما السنة فعن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بخمس كلمات فقال : (ان الله عزوجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ...) (١) الحديث ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في جوابه عمن سأل عن صفة الكمال ... قال : " يعلم ان الكمال ثابت لله ، بل الثابت له أقصى ما يمكن من الأكملية ، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه الا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة ، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه ، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل ... الخ (٢) .

قال العلماء رحمهم الله تعالى : (حياة البارئ عز وجل مما اتفق عليه العقلاء، نعم الحياة في حقه تعالى لا يجوز أن تكون بمعنى الحياة في حقنا) (٣) .

وهي صفة كمال في نفسها فاتصف بها جل وعلا ، فصفة الحياة هي الجامعة لسائر الصفات متقدمة الرتبة عليها (٤) فنفي السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته (٥) .

والله سبحانه وتعالى حي لا يموت ، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه ، فانهم يموتون (٦) والحي الذى الحياة من صفات ذاته اللازمة لها ، هو الذى وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة ، فهي دائمة بادامة الله لها (٧) .

وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله تبارك وتعالى الى الخلق ومن تبعهم يصفون الله جل وعلا بأنه حي وله حياة ، وليس كمثله شيء في حياته (٨) .

وأما ما ذكر البغدادى عن بعض الكرامية بأن الحياة من جملة القدرة وأن الحياة هي القدرة ان ثبت عنهم فانه غير صحيح ، فقد يكون حيوان فيه حياة لكنه ضعيف ليس له قدرة أو مريض فليس كل حي قادر . وأن الحياة ليست قدرة انما الحياة صفة ذاتية مستقلة والقدرة أيضا صفة مستقلة قائمة بذاته تعالى الحي .

وهذا شبيه بقول بعض المعتزلة ان البارى تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته واقتبسوا هذا من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وانما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته بل هي ذاته (٩) .

---

(١) صحيح مسلم ح : ١٧٩ كتاب الايمان ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لا ينام وسنن ابن ماجة ح : ١٩٥ في المقدمة المجلد الأول ص ٧٠ ومسند الامام أحمد ٤/ ٤٠١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٧١

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح درة المضيئة في عقد الفرقة المرضية ١/ ١٣٢

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) شرح الطحاوية ص ١٢٣

(٦) شرح الطحاوية ص ١٢٤

(٧) المصدر نفسه ص ١٢٤

(٨) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٢٠٨

(٩) انظر الملل والنحل ١/ ٤٤ .

موقف الكرامية من صفة الارادة والمشيئته لله تعالى

تثبت الكرامية صفة المشيئة لله عزوجل قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى وأنه تعالى شاء بمشيئته (١).

وبذلك اتبعت الكرامية سلف الأمة في اثبات صفة المشيئة لله عز وجل أزلية قائمة بذاته تعالى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة. أما الكتاب فقال تعالى حكاية عن الرجل الصالح وهو يعظ صاحبه عما فيه من الكفر "ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله" (٢). وقال تعالى "ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد" (٣) وقال تعالى: "ان الله يحكم ما يريد" (٤) وقال تعالى: "وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما" (٥) وقال تعالى: "ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله" (٦). وقال تعالى "ولو شاء ربك ما فعلوه" (٧) وقال تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا" (٨).

ففي هذه الآيات دلالة على اثبات صفة الارادة والمشيئة لله عزوجل وهي مشيئة الله الشاملة النافذة، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، فهو سبحانه وتعالى الفعال لما يريد، ولا نفوذ لارادة أحد الا أن يريد سبحانه، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض الا بارادته ومشيئته ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، والنصوص في ذلك معلومة لا تحصى كثرتها (٩) وكيف يكون في ملكه مالا يشاء (١٠).

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٢

(٢) (الكهف: ٣٩)

(٣) البقرة: ٢٥٣).

(٤) المائدة: ١).

(٥) الانسان: ٣٠

(٦) الأنعام: ١١١

(٧) الأنعام: ١١٢

(٨) يونس: ٩٩

(٩) انظر شرح الواسطية د. محمد خليل هراس، ص ٤٥ معارج القبول ١/ ١٧٤

(١٠) شرح الطحاوية تحقيق الألباني ص ١٥٣

وأما السنة فمن ذلك الحديث " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (١) والحديث " من يرد الله به خيرا يصب منه" (٢) وغير ذلك من الأحاديث النبوية

وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بين مذهب سلف الأمة في اثبات صفات الكمال ، ومن ذلك صفة الارادة ، والمشيئة قائمة بذاته تعالى ووضحها خير توضيح ، وأسهب في ذلك وأورد من الأدلة النقلية والعقلية. ما يطول ذكرها ، وبين أن هناك ارادة كونية وشرعية ، ونذكر ذلك بعد استكمال بعض الكلام عن الكرامية .

أثبتت الكرامية مشيئة الله عزوجل الأزلية القائمة بذاته تعالى كما أثبتت ارادة حادثة بذاته تعالى التي هي من أفعاله تعالى والتي تحدث بذاته تعالى بقدرته ومشيئته القديمتين ويكون بها الحوادث المنفصلة عن ذاته تعالى ويسمونها الخلق ، وبها يكون المخلوق (٣) .

وذكر محمد بن الهيصم أن الايجاد والاعدام للمخلوقات يكون بالارادة والايثار (٤) وقال : (٥) " وذلك شروط بالقول شرعا ، اذ ورد في التنزيل : " انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون" (٦) وقوله عزوجل : " انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٧) .

نؤجل تفصيل مسألة أفعال الله القائمة (الحوادث) بغير الحوادث المنفصلة عن ذاته تعالى ونشير هنا من اجل تعلقها بالارادة قال الشهرستاني : " وقد أثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة بأصول المحدثات وبالحوادث

---

(١) متفق عليه ، البخارى في العلم باب من يرد الله به خيرا ح : ٧١ وأطرافه : ٣١١٦ وغيرها ، وفي التوحيد باب قول الله تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه) الآية ح : ٧٤٦٠ وغيرها من المواضع في صحيحه ، ومسلم في صحيحه في الزكاة باب النهي عن المسألة وفي الامارة باب قوله عليه الصلاة والسلام ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... الحديث .

(٢) صحيح أخرجه في الموطأ في العين باب ما جاء في آخر المريض والبخارى في المرضى باب ما جاء في كفارة المرضى .

(٣) انظر الملل والنحل ١/ ١٠٩ - ١١٠ وانظر درء تعارض ٤٢/٤ نقلا عن أبكار الأفكار ١/ ٤٨٠ - ٤٨١ ، ودرء تعارض ١٠٦/٤ نقلا عن ابكار الأفكار ٤٨٧/١ ، وانظر درء تعارض ٣٧٦/٢

(٤) الملل والنحل ١/ ١٠٠

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) النحل : ٤٠

(٧) (يس : ٨٢) .

التي تحدث في ذاته، واثبتوا ارادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات (١) وقال محمد بن الهيصم : الباري تعالى عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي سيكون، وشاء تنفيذ علمه في معلوماته (٢) وقال أيضا : ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بارادة حادثة، وقائل بكل مايحدث بقوله : "كن"، حتى يحدث، وهو الفرق بين الاحداث والمحدث، والخلق والمخلوق (٣). وواضح من كلام ابن الهيصم أنهم يثبتون صفة المشيئة الأزلية وأن الله تعالى شاء في الأزل أن يخلق المخلوقات في الوقت الذي يخلقه فاذا جاء وقت تنفيذ هذا الخلق أراد ارادة حادثة قائمة بذاته متعلقة بهذا المخلوق، وترى الكرامية أن نوع أفعال الله تعالى القائمة بذاته حادثة (٤) وكما أسلفت سيأتي تفصيل مسألة أفعال الله القائمة بذاته تعالى وذهبت الكرامية الى أن الارادة القديمة هي الموجب المخصص لما قام بذاته تعالى من الارادات وما خلقه من المخلوقات بلا سبب أصلا، ويقولون: من شأنها أن تخصص مثلا على مثل، ومن شأنها أن تتقدم على المراد تقدما لا أول له (٥).

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في صفة الارادة :

وشيخ الاسلام ابن تيمية يثبت ما أثبته سلف الصالح من صفات الكمال كصفة الارادة لله عز وجل كما ورد في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه المشرفة واجماع سلف الأمة وهو (انه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء الا بمشيئته، وعلى ذلك أجمع السلف (٦).

كما اتفقوا على أنه تعالى لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون مالا يرضى من القول وهي الكونية القدرية، واستدل على قوله ذلك بالآيات وقسم الارادة أو المشيئة الى ارادتين أو مشيئتين .

---

(١) الملل والنحل ١/ ١١١

(٢) الملل والنحل ١/ ١١٢، ١١٣ انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٣٣٢

(٣) الملل ١/ ١١٣ وانظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢١٧، ٢١٨ وانظر درء تعارض ٢/ ٢٦١

(٤) درء تعارض ٢/ ١٣٧ - ١٤٨ شرح النونية د. محمد خليل هراس ١/ ١٤٤

(٥) مجموع فتاوى ١٦/ ٤٥٧

(٦) مجموع فتاوى ٦/ ١١٥ - ١١٦ مراتب الارادة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٧٦ اقوم ما قيل في المشيئة والحكم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ص

الأولى : الارادة الكونية وهي التي تتعلق بالخلق فانه تعالى يريد ما يفعله وهي الكونية القدرية ، وأورد الآيات في ذلك وذكر أن من هذا النوع قول المسلمين ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن الانسان لو وافق مجرد الارادة الكونية فلا يكون بها مطيعا لأن الله بين في القرآن أنه لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان الذى يحبه الله ويرضاه .

الارادة الثانية : هي الارادة الدينية الشرعية وهي التي تتعلق بالأمر والتي يريد الله تعالى من العبد فعل ما أمره وهي متضمنة للمحبة والرضا وأورد الأيات التي تدل عليها (١) ، وذكر أن كثيرا من أهل النظر والأشعرية ومن اتبعهم من الفقهاء من أصحاب احمد والشافعي وغيرهما يجعلون الحب والرضا جنسا واحدا للارادة ، وأن القدرية يقولون هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يريده ، والمثبتة يقولون بل هو يريد ذلك ، فيكون قد أحبه ورضيه ، وأولوا الآيات المثبتة لارادة هذه الحوادث مثل قوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) (٢) ، وغيرها من الآيات وهؤلاء يؤولون الآيات النافية لمحبة الله ورضاه لها كقوله تعالى (والله لا يحب الفساد (٣) (ولا يرضى لعباده الكفر) (٤) وقوله تعالى : (اذ يبيتون مالا يرضى من القول) (٥) .

قال يعني شيخ الاسلام : وأما جماهير الناس من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف فيفرقون بين النوعين وهو قول ائمة الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وغيرهم وهو قول المثبتين للقدر مثل الأشعرى قال فالنصوص قد صرحت بأن الله لا يرضى الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب ذلك مع كون الحوادث كلها بمشيئة الله تعالى وتأويل ذلك لا يرضاها من المؤمنين أو لا يرضاها ولا يحبها دينا بمعنى لا يريدها يقتضي أن يقال : يرضى الايمان أى من الكافر ، أو لا يريده غير دين ، والله تعالى قد أخبر أنه يكره المعاصي بقوله " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها " (٦) .

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٢٩ ، مراتب الارادة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢ / ٧٧
(٢) الانعام : ١٢٥
(٣) البقرة : ٢٠٥
(٤) الزمر : ٧
(٥) النساء : ١٠٨
(٦) الاسراء : ٣٨

والأمة متفقة على أن الله تعالى يكره المنهيات دون المأمورات ويحب المأمورات دون المنهيات، ويحب المتقين والمحسنين والصابرين (١) فالطاعات يريدها من العباد الارادة المتضمنة لمحبته لها ورضاه بها اذا وقعت وان لم يفعلها والمعاصي يبغضها ويمقتها ويكره من العباد من يفعلها وان شاء أن يخلقها هو لحكمة اقتضت ذلك ولا يلزم اذا كرهها للعبد لكونها تضر العبد ويبغضها أيضا أن يكره أن يخلقها هو لماله فيه من الحكمة (٢).

ويلزم من تقسيم الارادة الى الكونية والشرعية أقسام أربعة تتعلق بها.

الأول : ما تعلقت به الارادتان الكونية والدينية، وهو كل ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فان الله تعالى أرادها ارادة دينية وشرعية فأمر به وأحبه ورضيه وأراده كونية فوقع، ولولا ذلك لما كان.

الثاني : ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما أمر الله تعالى به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الكفار والفجار فتلك ارادة دينية وهو يحبها ويرضاها وقعت أو لم تقع.

الثالث : ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره الله تعالى وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه تعالى لم يأمر بها ولم يرضها، ولم يحبها اذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته متعلقة به لما كانت ولما وجدت.

الرابع : مالم تتعلق به أي من أقسام الارادة الدينية منها ولا الكونية فهذا مالم يكن من أنواع المباحات والمعاصي (٣) اذا فالعلاقة بين الارادتين هو أنه لا تلازم بينهما، بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالارادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل ايمان الكافر وطاعة الفاسق.

والارادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع وأخص من جهة أن الواقع بالارادة الكونية قد يكون غير مأمور به (٤).

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٩

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٠

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية د. محمد خليل هراس ص ٤٦ - ٤٧

(٤) المصدر السابق نفسه.

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الذين أختلفوا في ارادة الله تعالى وأوصلها الى أربعة ، منهم الكرامية ، مبينا خطأ كل فرقة غير الرأى الذى يراه صوابا وهو قول علماء السلف رضي الله عنهم قال تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (١) وذكر آيات أخرى في هذه المسألة ثم أورد أقوال الناس فيها المثبتين لها والنافين ، فذكر قول الجهمية والمعتزلة (٢) كما ذكر قول ابن كلاب والأشعرى ومن ابتبعهما (٣) ، ثم ذكر قول الكرامية ومن وافقهم وهو الذى يهمنا قال : " يقولون بارادة واحدة قديمة أزلية مثل هؤلاء " يعني الكلابية والأشعرية ومن اتبعهم .

ويضيف شيخ الاسلام ابن تيمية مبينا قول الكرامية فقال : " ولكن يقولون : تحدث عند تجدد الأفعال ارادة في ذاته بتلك المشيئة القديمة " (٤) .

غير أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قد علق هذه الأقوال وبين فسادها وقال : " وكل هذه الأقوال قد علم ... فسادها " (٥) .

---

(١) يس : ٨٢

(٢) وهو أنهم ينفون قيام الارادة بذاته تعالى شأنهم في جميع صفات الله تعالى ، ثم اما أن يقولوا بنفي الارادة أو يفسرونها بنفس الأمر والفعل أو يقولوا بحدوث الارادة لا في محل كقول البصريين من المعتزلة ، مجموع فتاوى ١٦/ ٣٠٣ وانظر قول الجهم في الصفات الملل والنحل ١/ ١١٣ ، وقول المعتزلة في صفة الارادة شرح أصول الخمسة ص ، مقالات الاسلاميين ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥ وانظر الملل والنحل ١/ ٥٨

(٣) قالوا : بارادة قديمة ازلية واحدة وانما يتجدد تعلقها بالمراد ، ونسبتها الى الجميع واحدة ولكنها من خواص الارادة أنها تخصص بلا مخصص، مجموع فتاوى ١٦/ ٣٠٢ ، انظر الملل والنحل ١/ ١٣٠ ونهاية الاقدام ص ٢٤٩ وفي رده على قول ابن كلاب والأشعرى قال : وكثير من العقلاء يقول : ان هذا فساده معلوم بالاضطرار حتى قال أبو البركات : ليس في العقلاء من قال بهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وما علم أنه قول طائفة كبيرة من أهل النظر والكلام وأبطل هذا القول من عدة جهات بقوله " وبطلانه من جهات، من جهة جعل الارادة هذا غير ارادة ذاك ، ومن جهة أنه جعل الارادة تخصص لذاتها ومن جهة أنه لم يجعل عند وجود الحوادث شيئا حدث حتى تخصص أولا تخصص بل تجددت نسبة عدمية ليست وجوده وهذا ليس شيئا فلم يتجدد شيء " فصارت الحوادث تحدث وتخصص بلا سبب حادث ولا مخصص مجموع فتاوى ١٦/ ٣٠٢

(٤) مجموع فتاوى ١٦/ ٣٠٢

(٥) المصدر السابق نفسه ص ٣٠٣

وقد رد على قول الكرامية الذى سبقت الاشارة اليه (١) آنفا وأبطلها وان كانوا أحسن حالا من غيرهم في هذه المسألة كالجهمية والمعتزلة ومن وافقهم والكلابية والأشعرية فقال في ذلك : " وهؤلاء يعني الكرامية أقرب من حيث أثبتوا ارادات الأفعال ولكن يلزمهم ما لزم أولئك يعني الكلابية والأشعرية من حيث أثبتوا حوادث بلا سبب حادث وتخصيصات بلا مخصص ، وجعلوا تلك الارادة واحدة تتعلق بجميع الارادات الحادثة وجعلوها أيضا تخصص لذاتها ، ولم يجعلوا عند وجود الارادات الحادثة شيئا حدث حتى تخصص تلك الارادات الحدوث (٢) .

ثم ذكر القول الصحيح وهو ما ذهب اليه السلف الصالح رضوان الله عليهم وأيده وذلك قولهم : " ان الله عزوجل لم يزل مريدا بإرادات متعاقبة وأن نوع الارادة قديم ، واما اراده الشيء المعين فانما يريده في وقته .

وعلق على هذا القول بقوله : " وهو سبحانه وتعالى يقدر الأشياء ويكتبها ثم بعد ذلك يخلقها ، فهو اذا قدرها علم ما سيفعله واراد فعله في الوقت المستقبل ، لكن لم يرد فعله في تلك الحالة فاذا جاء وقته أراد فعله ، فالأول عزم والثاني قصد .

وهل يجوز وصفه تعالى بالعزم فيه قولان :

أحدهما : المنع كقول القاضي ابي بكر ، والقاضي أبي يعلى .

والثاني : الجواز ، وهو أصح فقد قرأ جماعة من السلف (فاذا عزمت فتوكل على الله) (٣) بالضم ، وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها (ثم عزم الله لي) (٤) وكذلك في خطبة مسلم " فعزم لي " (٥) ثم أضاف

---

(١) ص ٢٥٣ من الرسالة .

(٢) مجموع فتاوى ١٦ / ٣٠٢ - ٣٠٣

(٣) آل عمران : ١٥٩ ، يشير شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ما ذكره بعض المفسرين كالقرطبي وابن الجوزى عن جماعة كأبي رزين وأبي مجلز ، وأبي العالية وعكرمة ، والجحدرى وجعفر الصادق وجابر بن زيد قرأوا قوله تعالى : (فاذا عزمت) بضم التاء نسب العزم الى نفسه سبحانه وتعالى اذ هو بهدايته وتوفيقه كما قال (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومعنى الكلام عزمت لك و وفقتك وأرشدتك) راجع الجامع لاحكام القرآن ٤ / ٢٥٢ ، وزاد المسير في علم التفسير ١ / ٤٨٩

(٤) الحديث رواه الامام مسلم في صحيحه في الجنائز باب مايقال عند المصيبة .

(٥) ذكر الامام مسلم في خطبته صحيح مسلم قال : " أن لو عزم لي عليه وقضى لي تمامه ١ / ٤٦ بشرح النووى ، وذكر النووي أقوال العلماء في ذلك ومما ذكر أن بعضهم فسروا معناها الارادة .

شيخ الاسلام الى ذلك فقال : " وسواء سمي عزما أو لم يسم فهو سبحانه وتعالى اذ قدرها علم أنه سيفعلها في وقتها وأراد أن يفعلها في وقتها ، فاذا جاء الوقت فلابد من ارادة الفعل المعين ونفس الفعل ، ولابد من علمه بما يفعل " (١)

فالكرامية اذا على الحق فيما وافقت السلف رحمهم الله تعالى رحمة واسعة في هذه المسألة وذلك اثباتهم صفة المشيئة القديمة الأزلية القائمة بذاته تبارك وتعالى كما دل على ذلك الكتاب والسنة كما تقدم (٢) غير أنهم جعلوها ارادة واحدة قديمة تتعلق بجميع الارادات الحادثة وهذا خطأ والصواب ما بينه شيخ الاسلام رحمه الله تعالى من أنه لم يزل سبحانه وتعالى مريدا بارادات متعاقبة .

كما اتبعوا السلف أيضا في اثبات ارادات الأفعال بمعنى أن الله عزوجل يريد هذا الحادث المعين بارادة حادثة قائمة بذاته تعالى وليس مجرد تعلق بالمراد كما تقوله الكلابية والأشعرية وانما يحدث عند تجدد الأفعال ارادة في ذاته بتلك المشيئة القديمة ، وهذا مبني على صفات الأفعال القائمة بذاته تعالى بمشيئته وقدرته والتي يسميها أهل الكلام " الحوادث " ومعلوم أن الكرامية تثبت ذلك الا أن الكرامية أخطأت في قولها أن نوع الارادة حادث والصواب مابينه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو اثبات ارادات متعاقبة نوعها قديم ازلي وأما ارادة الشيء المعين فانما يريده في وقته (٣) ، ويشهد على ذلك الآيات والأحاديث كما تقدم (٤) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٠٣
(٢) تقدم في ص ٢٤٨ - ٢٤٩ من الرسالة .
(٣) مجموع فتاوى ١٦ / ٣٠٣
(٤) في ص ٢٤٨ من الرسالة .

موقف الكرامية من صفتي السمع والبصر لله عز وجل

ذهبت الكرامية الى اثبات صفتي السمع والبصر لله تبارك وتعالى الا أنهم مختلفون في معناهما .

فمنهم من أثبتهما صفتين أزليتين قديمتين (١) قائمتين بذاته تعالى فهم بهذا وافقوا السلف الصالح .

و منهم من يرجع هذين الصفتين الى القدرة فسمعه قدرته على السماع وبصره قدرته على الابصار قال الشهرستاني : " ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر " (٢) .

و يثبتون التسمع والتبصر اللذين يحدثان عند حدوث المسموع والمبصر قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " نظير الحادث والارادة الحادثة عندهم التسمع الحادث والتبصر الحادث فانهم يقولون : " انه عند وجود المسموعات والمرئيات تجدد له ما يسمونه التسمع والتبصر " (٣) .

و هذا الذى ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية للكرامية بأنهم يرون بتجدد التسمع والتبصر غير القول الثاني الذى ذكره الشهرستاني للكرامية فان هذا معناه ان هذين الصفتين تحدثان عند وجود المسموعات لله تعالى والمرئيات وليس معناهما قدرته على التسمع والتبصر والله اعلم .

كذلك حكى الآمدى عنهم ، وأضاف الى أنهم يوافقون على أن السمع والبصر لا يقومان الا بحي كما وافقوا على أن الحي اذا خلا عن السمع والبصر لا يخلو عن ضده (٤).

و ترى الكرامية أن التسمع والتبصر وان كانا قائمين بذاته تعالى لا يوجبان لله تعالى صفة ، اذ كانت الحوادث عندهم ليست صفات لله تعالى وانما هو سميع بسامعية وبصير بباصرية ، فالذى أوجبه وصفه بهاتين الصفتين قدرته على السمع والبصر (٥) .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١١ ، انظر درء تعارض لابن تيمية ٤/ ٩٩ - ١٠٠

(٢) الملل والنحل ١/ ١١١

(٣) درء تعارض ٤/ ٩٩ انظر الشامل لأبي المعالي ص ٥٣٠

(٤) انظر درء تعارض ٤/ ٩٨ نقلا عن الآمدى في أبكار الأفكار ١/ ٥٤٨ - ٥٤٨٦ نسخة رقم ١٩٥٤

(٥) انظر الارشاد ص ٤٤-٤٥ الشامل ص ٥٣٠ الملل والنحل ١/ ١١١ درء تعارض ٢/ ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٤/ ٢٧ ، ٩٨

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وعندهم انه يخلو من وجود مثل هذا (اى التسمع والتبصر) الحادثين وضده العام بخلاف نفس السمع والبصر، فان ذاك عندهم بمنزلة القائلية والمريدية، وعندهم لا يخلو عن القائلية والمريدية وضدها العام كما لا يخلو عن نفس السمع والبصر وضده العام) (١)

ومعنى السميع المدرك بجميع الأصوات مهما خفتت فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة له لا يماثل أسماع خلقه .

ومعنى البصير المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار وهو من فعيل بمعنى مفعل وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه وتعالى على الوجه الذى يليق به) (٢) .

---

(١) درء تعارض ٤/٩٩-١٠٠ .

(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية وشرحها الدكتور محمد خليل هراس ص ٤١ - ٤٢

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في اثبات صفتي السمع والبصر

ومعلوم أن شيخ الاسلام ابن تيمية ليس له موقف الا موقف السلف فهو يثبت ما يثبتون من صفات الكمال لله تبارك وتعالى ويستدل بالآيات والأحاديث التي استدل بها السلف على اثبات هذه الصفات لله تبارك وتعالى على الوجه الذى يليق به .

أما الآيات فقد قال تعالى : (والله سمي عليم) (١) وقول ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأبيه : (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) (٢) وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام (إنني معكما أسمع وأرى) (٣) وقال تعالى في قصة خولة بنت ثعلبة : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) (٤) وقوله تعالى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (٥) وقوله تعالى (ألم يعلم بأن الله يرى) (٦) والآيات في ذلك كثيرة ومعلومة .

أما الأحاديث فمنها حديث أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا كبرنا فقال : "أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا" زاد مسلم : ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلة أحدكم متفق عليه (٧) .

---

(١) البقرة : (٢٢٤، ٢٥٦) وآل عمران : (٣٤) والتوبة (٩٨، ١٠٣) والنور (٢١، ٦٠)

(٢) مريم : (٤٢) .

(٣) طه : (٤٦) .

(٤) المجادلة : (١)

(٥) الزخرف : (٨٠)

(٦) العلق : (١٤)

(٧) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب (وكان الله سميعا بصيرا) ح : ٧٣٨٦ وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ح : ٢٧٠٤ ومعنى أربعوا : بفتح الموحدة وقيل بكسرها أى ارفقوا فتح البارى ١٣ / ٣٧٤

ومنها حديث أنس رضي الله عنه في قصة الدجال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، انه اعور وان ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر " وفي رواية " ان الله لا يخفى عليكم ، ان الله ليس بأعور، وأشار بيده الى عينه - وان المسيح الدجال اعور عين اليمنى ، كأن عينه طافية) (١) وأورد الحافظ ابن حجر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود قال ابو هريرة : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها يعني قوله تعالى (ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها - الى قوله تعالى : ان الله كان سميعا بصيرا)(٢) ويضع اصبعيه قال ابو يونس وضع أبو هريرة ابهامه على اذنه والتي تليها على عينه قال الحافظ : سنده قوي على شرط مسلم (٣) والأحاديث في هذا كثيرة ومعروفة ففي الآيات والاحاديث دلالة على اثبات صفتي السمع والبصر لله عزوجل .

وهذه الأدلة حجة على الكرامية الذين يجعلون سمعه تعالى قدرته بالمسموعات وبصره قدرته بالمبصرات كما مضي أن ذكرناه(٤) ما يحكى من اقوال بعض الكرامية في ذلك وهذا باطل ، كما هي حجة على من يجعل سمعه تعالى علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات كالفلاسفة ومن وافقهم من الأشاعرة وهذا تفسير خاطئ فان الاعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها ، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها . (٥)

---

(١) متفق عليه البخاري : "كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ولتصنع على عيني)ح : ٧٤٠٧و ٧٤٠٨ ، ٧١٣١ ومسلم ح: ٢٩٣٣ ومعنى طافية : هي حبة التي قد خرجت عن حد نبتة أخواتها فظهرت من بينه وارتفعت . النهاية في غريب الحديث ١٣٠/٣ ، فتح الباري ٩٧/١٣ .

(٢) النساء : ٥٨ .

(٣) فتح الباري ٣٧٣/١٣ .

(٤) ص ٢٥٣ من الرسالة .

(٥) انظر لوامع الأنوار البهية ١٤٤/١ وشرح العقيدة الواسطية للدكتور محمد خليل هراس ص ٤٢ .

وقد أفاض في بيان مذهب السلف في هذه المسألة بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة والرد على المعطلة المنحرفة المحرفة والمشبهة، فقد أثبت صفتي السمع والبصر لله عزوجل فقال: "اثبات كونه سميعا بصيرا وأنه ليس مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف والمتكلمين من الصفاتية كأبي محمد بن كلاب) (١).

اما السلف فمعروف أنهم يثبتون صفتي السمع والبصر كغيرهما من صفات الكمال.

روى الامام احمد رحمه الله تعالى بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عزوجل قد سمع الله قول التي (١) تجادل في زوجها الى آخر الآية) (٢) ورواه البخاري معلقا في صحيحه (٣).

وبوب الامام الأئمة ابن خزيمة بابا سماه (باب اثبات السماع والرؤية لله جل وعلا (٤) وكذا فعل الامام اللالكائي (٥) في شرح اعتقاد أهل السنة.

قال امام الأئمة بعد أن بوب لاثبات السمع والرؤية لله جل وعلا كما هو المذكور آنفا قال: الذى هو كما وصف نفسه، سميع بصير ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق البارى، الذى هو سميع بصير) (٦) وقال أيضا: (أعلم عباده المؤمنين أنه السميع البصير) (٧). فالسمع والبصر صفتان من صفات الله عزوجل الذاتية الثبوتية اللازمة للذات أزلا وأبدا.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٣

(٢) المسند ٦/٤٦ وانظر الرد على بشر المريسي ص ٤٦ والتوحيد لابن خزيمة ص٣٢

(٣) كتاب التوحيد باب وكان الله سميعا بصيرا طرفه الأول ووصله جماعة منهم النسائي ٦/١٦٨ وابن ماجه ١/١٨٨، واحمد وتقدم غيرهم واللالكائي ٣/٤١٠ قال الحافظ في الفتح ١٣/٣٧٤ " وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة وتسميتها " وانظر تفسير محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي ١٦/٥٧٠٥

(٤) التوحيد ص ٣٢

(٥) ٣/٤٠٧

(٦) التوحيد ص ٣٢

(٧) المصدر السابق نفسه.

ومع اثبات شيخ الاسلام ابن تيمية هاتين صفتين لله عز وجل فانه يثبت تعلقهما بالمسموعات الحاصلة في الدنيا مع إختلاف السنتهم ولغاتهم وكثرة عددهم قال : "والرب سبحانه وتعالى لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل بل هو سبحانه يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم لا يشغله هذا عن هذا " (١) .

وذكر أن الواحد منا قد يكون له قوة سمع يسمع كلام عدد كثير من المتكلمين كما أن بعض المقرئين يسمع قراءة عدة ،لكن لا يكون الا عددا قليلا قريبا منه ،والواحد منا يجد في نفسه قربا ودنوا وميلا الى بعض الناس الحاضرين والغائبين ،دون بعض ويجد تفاوت ذلك الدنو والقرب والرب تعالى واسع عليم ،وسع سمعه الآصوات كلها ، وعطاؤه الحاجات كلها " (٢) .

وكما اسلفت آنفا فقد استدل بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية على اثبات صفتي السمع والبصر فمن الأدلة العقلية ما بيّن أن كلا من صفتي السمع والبصر صفة كمال لا يلزم من ثبوتها لله سبحانه وتعالى نقص، ويدل على ذلك أن الموصوف بهما أيا كان أكمل ممن لا يتصف بهما وأن القابل لهما كالحيوان أكمل ممن لا يقبل الاتصاف بهما كالجمادات واذا كانا من صفات الكمال وجب ثبوتهما لله تبارك وتعالى والا لزم اتصافه بضده وهو نقص يستحيل في حقه تعالى .

---

(١) مجموع فتاوى ٢٤٦/٥
(٢) المصدر السابق نفسه .

وبين أن الحي يقبل الاتصاف بصفات الكمال كالسمع والبصر ونحو ذلك وهو أكمل من غير الحي كالجماد الذى لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات ، وعلى ذلك فالرب ان لم يقبل الاتصاف بصفات الكمال لزم انتفاء اتصافه بها ، وأن يكون القابل لها - وهو الحيوان الأعمى الأصم الذى يقبل السمع والبصر - أكمل منه ، وكون المخلوق أكمل من الخالق معلوم بطلانه بالضرورة (١) .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع آخر أن الكمال ثابت لله عزوجل بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الاكملية بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه الا وهو ثابت للرب تبارك وتعالى يستحقه بنفسه المقدسة وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه فثبوت السمع والبصر يستلزم نفي الصمم والعمى (٢) .

أما موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن مذهب الكرامية في اثبات صفتي السمع والبصر فقد ذكرنا (٣) أن بعضهم يقولون أن السمع والبصر صفتان أزليتان لله عزوجل قديمتان قائمتان بذاته سبحانه .

فهذا موافق لمذهب السلف الصالح وهو مذهب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

أما قول من جعل منهم السمع والبصر لله تعالى قدرته على التسمع والتبصر فهذا قول باطل كما تقدم أن اشرنا (٤) الى هذا ، وذلك شبيه لمن جعل سمعه وبصره علمه بالمسموعات وعلمه بالمبصرات ، فقول هؤلاء وأولئك باطل فان القدرة صفة لله سبحانه مستقلة والسمع والبصر كذلك صفتان لله تعالى من صفات الكمال مستقلتان وكل الدلائل السمعية من الكتاب والسنة والآثار من السلف والدلائل العقلية كذلك حجة على هؤلاء فيما ذهبوا اليه في هذه المسألة .

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٦/ ٨٨ - ٨٩

(٢) انظر رسالة تفصيل الاجمال فيما يجب لله من صفات الكمال ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ٤٠

(٣) في بداية هذا المبحث .

(٤) ص ٢٧١ من الرسالة .

أما اثباتهم التسمع والتبصر اللذان يحدثان عند حدوث المسموع والمبصر يعني يتجدد التسمع والتبصر عند وجود المسموع والمبصر فقد بين هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية خير بيان وذكر الخلاف فيه وبين وجه الحق فيها مستشهداً الأدلة النقلية والعقلية فننقل بعض كلامه ليتضح الحق .

فقد ذكر بصدد بيان وجه الدلالة من قوله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : قوله : (فسيرى الله) دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة (٢) .

و قوله تعالى : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)(٣) فقال في وجه دلالة الآية الكريمة : " ولام " كي " تقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول ، فنظره تعالى كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف) (٤) .

قال : وكذلك (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما) (٥) قال : (أخبر تعالى أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي الى الله (٦) .

كما استشهد بالآيات الآتية : كحكاية الله تعالى عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قوله : (ان ربي لسميع الدعاء) (٧) وقوله تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٨) وقوله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: (انني معكما أسمع وأرى) (٩) ثم استدل من الأحاديث كحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الطويل ومنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم) (١٠) .

---

(١) التوبة : ١٠٥
(٢) جامع الرسائل ، المجموعة الثانية تحقيق د . محمد رشاد سالم ص ١٥ - ١٦
(٣) يونس : ١٤
(٤) جامع الرسائل المجموع الثانية ص ١٦
(٥) المجادلة : ١
(٦) جامع الرسائل المجموع الثانية ص ١٦
(٧) ابراهيم : ٣٩
(٨) آل عمران : ١٨١
(٩) طه : ٤٦
(١٠) مسلم كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، سنن النسائي كتاب الامامة ، باب مبادرة الامام ، باب نوع آخر من التشهد .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (فجعل النبي صلى الله عليه وسلم سمعه تعالى لنا جزاء وجوابا للحمد ،فيكون ذلك بعد الحمد ،والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله واجابته) (١) .

كما استدل شيخ الاسلام ابن تيمية بالأدلة العقلية على أن الله تبارك وتعالى يرى ويسمع الأقوال والأعمال بعد أن وجدت ،قال :" والعقل الصريح يدل على ذلك ،فان المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء .

والمنازعون في هذه المسألة بعضهم ينفون صفتي السمع والبصر من الله تبارك وتعالى سواء كانتا أزليتين أو حادثتين ،كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة ومن وافقهم وبعضهم يثبتون صفتي السمع والبصر آزليتين فقط ولا يثبتون عند وجود المرئي والمسموع بصرا او سمعا لله (٢) عز وجل كالكلابية الذين يقولون المتجدد هو تعلق ، تعلق بين الأمر والمأمور وبين الارادة والمراد وبين السمع والبصر والمسموع والمرئي (٣) وقد شنعت الأشعرية الكرامية في اثباتها التسمع والتبصر لله تبارك وتعالى الحادثتين عند وجود المسموع والمبصر قال صاحب التبصير في الدين وما ابتدعوا من الضلالات مالم يتجاسر على اطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتصاحه هو قولهم : بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته . للمسموعات والمبصرات ،وسموا ذلك سمعا وتبصرا . . . تعالى الله عن قولهم) (٤) وهذا خطأ من هؤلاء الأشعرية الذين يردون على الكرامية في هذه المسألة ،وقول الكرامية صحيح في ذلك اذ أن الله سبحانه وتعالى يسمع ويبصر الأقوال والأعمال التي تستجد وتحدث بعد وجودها (٥) .

وقالت السالمية :" انه تعالى يسمع ويرى موجودا في علمه لا موجودا بائنا عنه (٦) .

---

(١) جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ١٦
(٢) انظر جامع الرسائل ص ١٦
(٣) المصدر السابق ص ١٨
(٤) ص ١١٢ - ١١٣
(٥) انظر جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ١٧
(٦) جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ١٧

وقد ناقش شيخ الاسلام ابن تيمية كل هؤلاء النافين أن يتجدد لله سبحانه وتعالى سمع وبصر بعد وجود المسموعات والمرئيات فقال : (فاذا خلق الله تعالى العباد ، وعملوا وقالوا ، فإما أن نقول : انه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم ، واما لا يرى ولا يسمع فان نفي ذلك تعطيل لهاتين الصفتين ، وتكذيب للقرآن وهما صفتا كمال لا نقص فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر (١) .

وقال : " والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر ، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع ، ولأنه حي ، والحي اذا لم يتصف بالسمع والبصر ، اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم وذلك ممتنع " (٢) .

ومضى شيخ الاسلام ابن تيمية في مناقشته لهؤلاء وتقريره أن الله سبحانه وتعالى يسمع ويبصر أقوال وأعمال المخلوقين بعد أن وجدت فقال في مناقشتهم (فاما أن يقال : انه تجدد شيء واما أن يقال لم يتجدد شيء ، فان كان لم يتجدد ، وكان لا يسمعها ولا يبصرها فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها وان تجدد شيء فاما أن يكون وجودا أو عدما فان كان عدما فلم يتجدد شيء ، وان كان وجودا : فاما أن يكون قائما بذات الله تعالى ، أو قائما بذات غيره ، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذى يسمع ويرى فتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائمين بذات الله تعالى وهذا لا حيلة فيه) (٣) .

كما رد شيخ الاسلام ابن تيمية على القائلين بأن المتجدد هو تعلق تعلق بين الأمر والمأمور وبين الارادة والمراد وبين السمع والبصر والمسموع والمرئي كالكلابية والأشعرية فقال في ردهم : " فيقال لهم هذا تعلق اما أن يكون وجودا واما أن يكون عدما فان كان عدما فلم يتجدد شيء فان العدم لا شيء وان كان وجودا بطل قولهم " (٤) .

---

(١) جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ١٧
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق نفسه ص ١٧ - ١٨
(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٨

وقال أيضا : " وأيضا فحدوث تعلق هو نسبة واضافة ، من غير حدوث ما يوجب ذلك ممتنع ، فلاتحدث نسبة واضافة الا بحدوث أمر وجودى يقتضي ذلك " (١) .

وبهذا يتضح أن ما ذهبت اليه الكرامية من أن لله عزوجل السمع والبصرالأزليين القائمين بذاته تعالى صحيح وموافق لمذهب سلف الأمة كما دل عليه كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما مر بنا ذلك في هذا البحث .

يضاف الى ذلك ما ذهبوا اليه من اثبات سمع وبصر يتجدد لله تعالى عند وجود المسموعات والمبصرات فانه صحيح وموافق لما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وهو ما ذهب اليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى ، ويسمون ذلك المتجدد تسمعا وتبصرا ولم أر من سمى ذلك من علماء السلف واهل السنة والجماعة ، وانما تسمى صفتي السمع والبصر أزلية كانت لله تعالى أو متجددة له وما ذكرعنهم اوعن بعضهم بأنهم يقولون : سمعه قدرته على السمع وبصره قدرته على البصر كما تقدم فهذا فيه تفصيل فان قصدوا ان اللهتعالى يقدر أن يسمع ويبصر فهذا صحيح ، وان قصدوا بأن السمع والبصر المتجدد أى عند وجود المسموع والمبصر قائمة بذاته وبقدرته ومشيئته فأيضا صحيح غير أنهم ان عنوا بذلك أن السمع هو القدرة وأن البصر هو القدرة فهذا باطل وقد يوافق قول المعتزلة هوعالم بذاته (٢) قادر بذاته فالصفة هي الذات فلا فرق بين الصفات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقول الكرامية ان التسمعوالتبصر القائمان بذاته تعالى لا يوجبان لله تعالى صفة كلام باطل غير صحيح فان صفات الله تبارك وتعالى سواء ما كان منها قائمة بذاته أزليا أو ما كان قائما بذاته بقدرته ومشيئته فكلها صفات كمال لله تبارك وتعالى على وجه يليق بجلاله وكمال عظمته من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل .

---

(١) المصدر السابق ص ١٨

(٢) الملل والنحل ١/ ٤٤

((موقف الكرامية من صفة الكلام لله عز و جل))

ان الحديث عن هذه الصفة صفة كلام الله تبارك و تعالى يذكرنا بالفتنة التي اضطرب الناس فيها وهي القول بخلق القران الكريم التي امتحن من أجلها أئمة الحديث و الفقة و القضاه و علماء المسلمين وذلك لما استحوذ على الخليفة المأمون العباسي جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق الى الباطل وزينوا له القول بخلق القران و نفي صفات الله عز وجل[1] . و اتبعه فى ذلك المعتصم و الواثق حتي جاء حكم الخليفة المتوكل فنصر أهل السنة و الحديث و قمع المبتدعة المعتزله. ذهبت الكرامية فى كلام الله الى أنه يتكلم بالقران العربي و غيره بالمشيئة و القدرة القائمتان بذاته عز وجل وهو حروف و أصوات مسموعة و هو حادث بعد أن لم يكن فهو عندهم يتكلم بقدرته و مشيئته بعد أن لم يكن متكلما ...... [2]

و جعلوا لكلامه تعالى ابتداء فى ذاته تعالى بمعني أنه لم يكن متكلما ثم تكلم و الذى دعاهم الى ذلك الخوف من القول بحوادث لا أول لها و بالتسلسل فى كلامه فيلزم قدم أنواع المفعولات فيسدد عليهم في زعمهم طريق اثبات الصانع اذ كان اثباته عندهم

---

(١) البداية و النهاية لابن كثير ١٠ / ٣٣٠ ـ ٣٣١ وأنظر ذكر محنة الامام أحمد لأبي عبد الرحمن حنبل بن اسحاق

(٢) انظر كلام محمد بن الهيصم الكرامى فى كتابه جمل الكلام درء تعارض ٢ / ٤٧ ـ ٤٩ و لم أجد هذا الكتاب فى الكتب التي بين يدى أنظر في الرسالة مذهب السلف القديم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل و المسائل لابن تيمية ٣ / ٢٩ ـ ٣٠،٤٤ مجموعة فتاوى ١٢ / ٥٢ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢ / ٢٩٢ و اللفظ له و شرح نونيه بن القيم لدكتور محمد هراس ٢ / ١١٠

من طريق حدوث المخلوقات[1] و قالوا : " القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق " [2]

و جعلوا كلامه تعالى ممتنعا في الأزل و أنه تعالى غير قادر على الكلام بمشيئته (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ثم جعلوه ممكنا مقدورا من غير تجدد شيء أوجب القدرة و الامكان[3] و يرون أنه يمتنع أن يقال في حقه تعالى : ما زال متكلما .[4]

و بهذا اتضح لنا مذهب الكرامية في كلام الله تبارك و تعالى بصفة اجماليه و نحاول أن نركز على المسائل الآتية ليتضح مذهبهم أكثر : هل كلام الله تعالى أزلي عندهم أم حادث ، و هل نوعه أزلي أم حادث ، وهل هو قائم بذاته تعالى لمشيئته و قدرته أم لا و هل هو حروف و أصوات أم لا

---

(١) انظر رسالة مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل و المسائل ٣ / ٤٤ ، مجموع فتاوى ١٢ / ٤٤ ، شرح نونية ابن القيم لدكتور محمد خليل هراس ١ / ١١٠ ، ١٤٤

(٢) انظر مجموع فتاوى ٢ / ١٧٧ و درء تعارض ٢ / ٢٥٥ انظر كلام محمد بن الهيصم الكرامي قال : ((ان القران كلام الله - القرآن غير مخلوق)) و انكر على القائلين بأن القران مخلوق بقوله : ((فان الجهمية والنجارية و المعتزلة زعموا أنه مخلوق)) ثم قال : ((و قال أهل الجماعة : انه غير مخلوق)) درء تعارض ٢ / ٤٨

(٣) أنظر مجموعة الرسائل و المسائل ٣ / ٢٩ - ٣٠ ، ٤٤ ودرء تعارض ٢ / ٢٥٤ مجموع فتاوى ١٢ / ٣١٥ شرح نونية ابن القيم لدكتور هراس ١ / ١١١

(٤) أنظر درء التعارض ٢ / ٢٥٤

المسألة الأولى هل كلام الله تعالى أزلي أم حادث ؟

ذكر بعض ناقلي مذهبهم بالقول الأول كأبي المعالي و البغدادى والشهرستاني و سعد الدين التفتازاني قالوا انهم يفرقون بين كلام الله تعالى فهو قديم أزلى عندهم و القول بالقائلية و القائلية عندهم قدرته على القول وبين قوله سبحانه فقول الله تعالى حادث عندهم ، قال أبو المعالى في ذلك : " و مما اختصهوا به و تفردوا بالابتداع فيه فصلهم بين قول الله تعالى وكلامه ، فقوله حادث عندهم و كلامه قديم ثم الكلام عندهم : هو القدرة على التكلم و القرآن قول الله تعالى و ليس بكلامه عندهم " (١)

ووافق أبى المعالى فيما ذكره عن الكرامية كل من البغدادى (٢) الشهرستاني (٣) و سعد الدين التفتازاني (٤) .

الا أن هناك قولا آخر مغايرا لما ذكره هؤلاء عن الكرامية ذلك هو ما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية و العلامة ابن القيم ووافقهما شارح المواقف فقالوا : " ان كلام الله تعالى عند الكرامية حادث تكلم الله سبحانه و تعالى به بعد أن لم يكن متكلما "

و الحق أن المشهور من مذهب الكرامية في كلام الله تعالى هو القول الثاني ثم يمكن التوفيق بين القولين في الحقيقة و ذلك أن أصحاب القول الأول ذكروا عن الكرامية القول بأزلية الكلام و قدمه و أن معنى ذلك قدرته على التكلم ، و كذلك القائلية التى معناها قدرته على القول بخلاف القول فهو حادث عندهم .

و هذا القول المذكور عن الأولين لا يخالف المشهور من الكرامية في كلام

---

(١) الشامل ص ٥٣٠ و الارشاد له ص ١٠١ (٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٩

(٣) نهاية الاقدام ص ٢٨٨ (٤) شرح المقاصد ٢ / ٧٤

(٥) انظر رسالة مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢٩/٣-٣٠،٤٤ مجموع فتاوى ٥٢/١٢ مختصر الصواعق المرسله ٢٩٢/٢ شرح نونية ابن القيم لدكتور هراس ١١٠/١، ١٤٤ ،شرح المواقف ،الموقف الخامس في الالهيات ص ١٤٨ .

الله تعالى الذى هو أنه حادث و هو : ما ذكره أصحاب القول الثانى عن الكرامية اذ قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهو يقرر مذهب الكرامية في كلام الله عز وجل : ((إنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما و ان كان قادرا على الكلام كما أنه خلق السموات و الأرض بعد أن لم يكن خلقهما و ان كان قادرا على الخلق[١])) و قال أيضا : ((و قالت الكرامية ..... ان الله تعالى يتكلم بأصوات تقوم به تتعلق بمشيئته و قدرته ..... لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن ، و ان الله في الأزل لم يكن متكلما الا بمعني القدرة على الكلام))[٢] فبين أنهم يرون أن الله تعالى لم يكن متكلما في الأزل و لكن يوصف أنه كان قادرا على الكلام و لم يتكلم فعلا بل تقول الكرامية انه يمتنع أن يتكلم تعالى في الأزل و في موضع آخر قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ((بل ما زال عندهم قادرا على الكلام و هو عندهم لم يزل متكلما بمعنى أنه لم يزل قادرا على الكلام))[٣] و قد ذكر الشهرستاني من أصحاب القول الأول أن كلامه تعالى عند الكرامية حادث فقال في ذلك : ((و من قال هو : " أى الله سبحانه و تعالى " متكلم بكلام يحدثه فى ذاته كما صارت اليه الكرامية))[٤]

و بهذا يتبين أنه لا تعارض بين القولين .

و قد شنعت الاشعرية الكرامية في قولهم أن كلام الله تعالي قديم بمعني قدرته على التكلم و أن قوله تعالى حادث .

و ممن هاجمهم في ذلك و بدعهم أبو المعالى امام الحرمين كما مر كلامه آنفا ، و أبو المظفر الاسفراييني قد وصفهم بالجهل ومخالفة

---

(١) مجموع فتاوى ٦ / ١٦١

(٢) المصدر السابق نفسه ص٥٢٤ و أنظر المصدر السابق ص ٣٢٤

(٣) المصدر السابق ١٢ / ١٧٢

(٤) نهاية الاقدام ص (٢٦٩) .

ما دل عليه العقول فقال : ((واعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول و الكلام ، و قولهم ان كلام الله قديم و قوله حادث و ليس بمحدث) [1] قال : ((و أي عاقل يسوغ تفسير الكلام بالقدرة و قالوا : كلامه ليس بمسموع ، و قوله مسموع)) [2]

كما أشار البغدادي الى مناظرة جرت بينه و بين بعض الكرامية ، قال : ((فقلت له : اذا زعمت أن الكلام هو القدرة على القول والساكت عندك قادر على القول في حال سكوته ، لزمك على هذا القول أن يكون الساكت متكلما فالتزم ذلك))[3]

و قالت الكرامية : ان خصومنا من الكلابية و الأشعرية قد شنعوا علينا في قولنا بحدوث الكلام في ذاته بمشيئته و اختياره مع أنه لا حجة لهم في هذا التشنيع على أنهم قد قالوا بمثل قولنا في أفعاله تعالى فجعلوها حادثة و لزمهم في ذلك مثل ما لزمنا من أن الله كان معطلا عن الفعل في الأزل ثم صار فاعلا بلا تجدد سبب أوجد القدرة و الامكان ، بل نحن أقرب منهم الى الحق لأننا جعلنا الكلام و الفعل صفتين قائمتين بذاته ، و أما هم فعطلوه عن قوله و فعله ، فان القول المسموع عندهم مخلوق كما أن الفعل عين المفعول المخلوق ، و الحق أن مقالة ابن كرام و ان كانت منحرفة عن جادة الصواب حيث حكم بخلوه تعالى في الأزل من الكلام و الفعل و هما من صفات كماله الا أن خطأه أهون من خطأ الأشعرية ، و لهذا لم يستطيعوا أن يردوا عليه ببرهان جلي ، فان ما قاله أقرب الى العقل و النقل مما قالوه[4]

و هكذا اتضح قول الكرامية بأن كلام الله تعالى حادث وان كان يقدر

---

(١) التبصير في الدين ص ١١٤

(٢) المصدر السابق نفسه

(٣) الفرق بين الفرق ص (٢١٩) .

(٤) شرح العقيدة نونية ابن القيم للدكتور محمد خليل هراس ص (١١١) .

على الكلام في الأزل . و ذلك في المسألة الأولى .

و قال محمد بن الهيصم الكرامي : ان القرآن كلام الله غير قديم و انما تكلم بالقرآن حيث خاطب جبريل و كذلك سائر الكتب[١] و أما المسألة الثانية و هي هل نوع كلام الله تعالى حادث أم لا ؟

ذهبت الكرامية الى أن كلام الله تبارك و تعالى حادث نوع أو جنس[٢] و ان كانوا يفرقون بين الحادث و المحدث فالحادث عندهم ما يحدث في ذاته بقدرته تعالى و مشيئته و يسمونه الإحداث وهو الأقوال و الإرادات و بها يحدث الحادث المنفصل عن ذات الله تعالى الذى يسمونه المحدث .

فمما نقل عنهم أنهم يرون أنه يمتنع أن يقال في حقه : " ما زال متكلما "[٣] ، و جعلوا كلامه تعالى ممتنعا في الأزل[٤] و جعلوا الكلامه ابتداءً في ذاته تعالى بمعني أنه لم يكن متكلما ثم تكلم و الذى دعاهم الي هذا هو الخوف من الحوادث لا أول لها و بالتسلسل في كلامه فيلزم قدم أنواع المفعولات ثم يهدم ذلك أصلهم في زعمهم الطريق الذى يثبتون به الصانع و ذلك عن طريق حدوث المخلوقات[٥] .

و قد تقدم الكلام المذكور[٦] في هذه المسأله انما قصدى توضيح هذه المسألة وتفصيلها أكثر .

---

(١) درء تعارض ٢ / ٤٨ .
(٢) انظر منهاج السنة ١ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، وأنظر درء تعارض ٢ / ١٤٨ ، و أنظر مجموع فتاوى ٦ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٥٢٤ - ٥٢٥ و أنظر مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٣٣٠
(٣) أنظر درء تعارض ٢/٢٥٤ وانظر رسالة في العقل والروح ضمن مجموعة المنيرية ٢ / ٣٢
(٤) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٢٩-٣٠،٤٤ وأنظر درء تعارض ٢/٢٥٤ ومجموع فتاوى ١٢/١٧٢،٣١٥ وأنظر شرح نونية ابن القيم د.محمد هراس ١/١١٠
(٥) أنظر مجموع الرسائل والمسائل ٣/٤٤ وانظر مجموع فتاوى١٢/٤٤، وانظر شرح نونية ابن القيم د . خليل هراس ١ / ١١٠ ، ١٤٤
(٦) ص (٢٦٧ - ٢٦٨) من الرسالة .

قال ابن حامد[١] : ((ولا نقول إنه (أي سبحانه وتعالى) ساكت في حال أو متكلم في حال من حيث حدوث الكلام))[٢]

وقد عقب ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا مقصوده فقال : يريد به انا لا نقول : ان جنس كلامه حادث في ذاته كما تقوله الكرامية من أنه كان ولا يتكلم ثم صار يتكلم بعد أن لم يكن متكلما في الأزل ولا كان تكلمه ممكنا))[٣]

كما يرون أن حروف كلام الله عز وجل حادث نوع [٤] ويبدوا أن هذه المسألة ((كلام الله تعالى حادث نوع عندهم)) لا تختلف عن المسألة التي قبلها ان ((كلام الله تعالى حادث غير أن بينهما اختلافا هو أن الأول يفيد الحدوث المطلق ولم يفرق بين حادث نوع وحادث الفرد ، أما المسألة الثانية فانها بينت لنا أنهم لا يرون أن كلام الله تبارك وتعالى حادث افراده فقط وانما يرون أيضا أن كلام الله تعالى حادث نوع، وقولهم هذا الأخير باطل وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى

---

(١) هو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، امام الحنابلة في زمانه توفي سنة ٤٠٣ أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٠٣/٧، طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ، المنتظم ٧ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، سير اعلام النبلاء ١٧ / ٢٠٣ - ٢٠٤ العبر في خبر من غبر ٣ / ٨٤ ، البداية والنهاية ١١ / ٣٤٩ ، شذرات الذهب ٣ / ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) درء تعارض ٢ / ٧٦

(٣) المصدر السابق نفسه وأنظر المصدر السابق ص ٢٥٤
وانظر مجموع فتاوى ١٢ / ٣٧٢

(٤) أنظر درء تعارض ٤ / ١٢٧ - ١٢٨

المسألة الثالثة وهي هل كلام الله تعالى عندهم قائم بذاته تعالى بمشيئته و قدرته أم لا ؟

و تذهب الكراميه الى أن كلام الله عز وجل قائم بذاته تعالى متعلق بمشيئته و قدرته كما تقدم (١) أنكر محمد بن الهيصم على جهم بن صفوان و المعتزلة و من وافقهم على قولهم بأن القرآن بائن من الله تعالى و كذلك سائر كلامه " و قال زعموا أن الله تعالى خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى ، و خلق كلامه في الهواء فسمعه جبريل ولا يصح عندهم أن يوجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة " ثم يبين الصحيح الصواب عنده فقال : (و قال أهل الجماعة : ((بل القرآن غير بائن من الله و انما هو موجود منه ، قائم به)) (٢)

وتقول الكرامية ((المتكلم من تكلم بفعله و بمشيئته و قدرته فقام به الكلام (٣)))

فالكرامية اذا ممن يثبت صفة الكلام لله تبارك وتعالى وأنّه من أفعاله القائمة بذاته عز وجل وأنّه يتكلم بقدرته ومشيئته ولا يقولون انه مخلوق ، اذ المخلوق عندهم ما أنفصل عن ذاته عز وجل من الحوادث ، أما أفعاله القائمة بذاته بقدرته و مشيئته فليست من مخلوقاته عندهم .

فتقول الكرامية : (ان القرآن كلام الله غير مخلوق و هو متكلم به) (٤)

و ليس القرآن الكريم هو وحده كلام الله غير مخلوق عندهم بل كلامه تعالى كله قائم بذاته تعالى بقدرته و مشيئته و معلوم أن الذى قام بذاته تعالى من أفعاله يسمونه خلقا ولا يسمونه مخلوقا و على هذا فكلام الله تعالى عندهم صفة فعل ، و ان ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن كلام الله

---

(١) ص (٢٨٣، ٢٨٤) من الرسالة . (٢) درء تعارض ٢ / ٤٩

(٣) منهاج السنة ٢٢٣/١ بتصرف قليل أنظر مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل و المسائل ٢٩/٣ ، ١٤٤، ١١٧ و أنظر درء تعارض ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٧ وانظر مجموع فتاوى ١٢ / ١٧٧

(٤) مجموع فتاوى ١٢ /١٧٧ و أنظر درء تعارض ٢ / ٤٨ ، ٢٥٥ و أنظر منهاج السنة ١ / ٢٢١

تعالى عندهم صفة ذات وفعل[١].

ومعلوم أن صفة الذات هي ما استحقه تعالى فيما لم يزل ولا يزال بمعنى: ما يلزم الذات، والكرامية لا تقول أن كلام الله تعالى أزلي كما تقدم[٢] اذاً ما المقصود من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية من ذلك، قد يكون مقصوده ما تقدم من قولهم أن الله كان قادرا على الكلام في الأزل كما كان قادرا على خلق السموات والأرض والله أعلم [٣]

المسألة الرابعة وهي هل كلام الله تعالى حروف وأصوات أم لا ؟

وهل هي أزلية أم حادثة ؟

تقدم قولهم أن كلام الله تعالى حادث وانه حروف وأصوات وان الله تبارك وتعالى يتكلم بأصوات تقوم به تتعلق بقدرته ومشيئته وقالوا: ان ذلك حادث بعد أن لم يكن [٤]

وذكروا ما يتضمن حدوث أعيان الحوادث وأنواعها لكن امكان اجتماعها وبقائها بعد الحدوث [٥]

هذا مذهب الكرامية في صفة الكلام لله تبارك وتعالى ثم يأتي تقييم مذهبهم فنبدأ بايراد مذهب السلف ليتضح مخالفة الكرامية لهم أو موافقتهم ثم موقف شيخ الاسلام ابن تيمية منهم .

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ٦ / ٢١٩ومجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ١١٧.

(٣) تقدم ص (٢٨٥) من الرسالة .   (٢) ص ٢٦٧ ومابعدها من الرسالة.

(٤) تقدم في ص ٢٨٣ وما بعدها وأنظر درء ٢ / ٢٥٥، وأنظر مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣ / ٢٩ ، وأنظر مجموع فتاوى ١٢ / ١٧٧ وأنظر شرح المواقف الموقف الخامس في الالهيات ص ١٤٨

(٥) درء تعارض ٤ / ١٢٨

((موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من الكرامية في صفة الكلام))

و بعد أن عرفنا موقف الكرامية من صفة الكلام لله عز وجل أورد موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من هذه الصفة لله تعالى فقد أثبتها و أولاها عناية خاصة و أفاض فيها و حققها و حللها و قرر أن كلام الله تعالى صفة كمال و أن الله لم يزل متكلما اذا شاء و يتكلم بكلام قائم بذاته تعالى و يتكلم بمشيئته و قدرته[1] و الله سبحانه و تعالى قد تكلم بالقران العربي و التوراة العبرية و غيرها من الكتب المنزلة ، فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود و ان الله قد تكلم به حقيقة و ليس كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله بل اذا قرأ الناس القران أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا مؤديا))[2] و الله تكلم بصوت نفسه فاذا قرأه العباد قرأوه بصوت أنفسهم فاذا قال القارئ مثلا (الحمد لله رب العالمين) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه و ان كان قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله تبارك و تعالى و الله سبحانه و تعالى نادى موسى بصوت ، و ينادى عباده يوم القيامة بصوت و يتكلم بالوحى بصوت))

---

(١) أنظر مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموع الرسائل و المسائل ٣ / ٣٥ ـ ٣٧ ، ٤٤ ـ ٤٥ و أنظر مجموع فتاوى ١٢ / ٥٢ ـ ٥٣ و أنظر رساله فى العقل و الروح ضمن مجموعة الرسائل المنيريه ص ٣٣

(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١ /٤٠١ ـ ٤٠٢

وقد رد على المنكرين لكلام الله تعالى والمخالفين للسلف، وكان النزاع في هذه المسألة كمراء بين مذاهب الناس في هذه الصفة، وأوصل عدد الطوائف منهم الى تسعة[1] مذاهب وأبطلهم كلهم الا مذهب السلف الذي أيده بالبراهين والأدلة النقلية والعقلية

---

(١) منهم: ١ - الفلاسفة الصابئة كابن سينا وغيره قالوا: ان كلام الله انما يفيض هو ما على النفوس اما من العقل الفعال واما من غيره، وكلم الله لموسى عليه السلام من سماء عقله أي كلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى.

٢ - الجهمية والمعتزلة والرافضة المتأخرين والزيدية قالوا: ان معنى كونه تعالى متكلما انه خالق للكلام في غيره وليس الكلام صفة قائمة به، وهذا مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف وأقوال الأنبياء ونصوصهم كما بين أن هذا مخالف للعقل

٣ - الكلابية والأشعرية قالوا: انه يتكلم بغير مشيئته وقدرته كلام قائم بذاته أزلا وأبدا وأن الكلام معنى واحد في الأزل هو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل محظور والخبر عن كل مخبر عنه، ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وقالوا معنى القرآن والتوراة والانجيل واحد، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين والأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع ومن محققيهم من جعل المعنى يعود الى الخبر والخبر يعود الى العلم ورد على هذا المذهب من عدة وجوه فمما قال: كون الكلام معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر غير معقول فنحن اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن، وكذلك معنى (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين فانا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحد فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة وهذا لم يقله أحد.

ومما رد على هؤلاء قولهم: ((الكلام معنى نفسي وبغير حرف وصوت) فقوله: اما أن يكون موسى فهم ذلك المعنى كله أو بعضه، فان كان قد فهمه كله فقد علم علم الله تعالى وأحاط بجميع أخباره وأوامره وهذا معلوم الفساد ضرورة، وان كان قد سمع البعض فقد تعدد كلام الله وتبعض هو عندكم واحد لا تعدد فيه ولا تبعض.

٤ - ما ذكر عن السالمية أنهم قالوا: كلام الله حروف وأصوات أزلية لازمة لذاته أزلا وأبدا ونفي هذا المذهب عن الحنابلة كالامام أحمد وأتباعه في مناظرته في العقيدة الواسطية أنظر هذا الاتهام في شرح المواقف ٨ / ٩٢ فقال شيخ الاسلام في رده على هذا الاتهام، هذا الذي يحكي عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

٥ - الكرامية التي هي موضوع هذا البحث

٦ - مذهب السلف وقد تقدم بيانه

غير أن هذه الطوائف المذكورة هي الطوائف الكبار المشهورة

أنظر مذهب السلف الصالح القويم في تحقيق لفظ الجلالة (مسألة كلام الله الكريم) ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ مجموع فتاوى ١٢/ ٤٢-٥٣.

أما الأدلة النقلية ، فمن :

الكتاب فقد ورد فيه آيات كثيرة منها قوله جل و علا : ((ومن أصدق من الله حديثا))[1] و قوله تبارك و تعالى : ((و من أصدق من الله قيلا))[2] و قوله تعالى ((و اذ قال الله ياعيسى بن مريم))[3] و قوله تعالى : ((و تمت كلمة ربك صدقا و عدلا))[4] و قوله تعالى لموسى عليه السلام : ((انى اصطفيتك على الناس برسالتى و بكلامى))[5] و قوله تعالى : ((و ان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله))[6] و قوله جل ثناؤه ((يريدون أن يبدلوا كلام الله))[7] و قوله جلا و علا ((منهم من كلم الله))[8] و قوله تبارك و تعالى ((و لما جاء لميقاتنا و كلمه ربه))[9] و قوله عز وجل ((و كلم الله موسى تكليما))[10] و قوله عز من قائل ((و ناديناه من جانب الطور الأيمن))[11] و قوله تعالى ((و اذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين))[12] و قوله عز وجل (و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة))[13] و قوله تبارك و تعالى ((و يوم يناديهم فيقول : ماذا أجبتم المرسلين))[14]. وقوله تعالى ((و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين))[15]

---

(١) النساء : ٨٧ (٢) النساء : ١٢٢
(٣) المائدة : ١١٦ (٤) الأنعام : ١١٥ (٥) الأعراف : ١٤٤
(٦) التوبة : ٦ (٧) الفتح : ١٥ (٨) البقرة : ٢٥٣
(٩) الأعراف : ١٤٣ (١٠) النساء : ١٦٤ (١١) مريم : ٥٢
(١٢) الشعراء : ١٠ (١٣) الأعراف : ٢٢ (١٤) القصص : ٦٥
(١٥) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥

و الآيات الداله على صفة الكلام لله تبارك و تعالى و انه تكلم به و أنزله من عنده و انه لم يزل ولا يزال يتكلم اذا شاء و متى شاء كثيره جدا و معلومة .

وأما السنة النبوية التى تدل على صفة الكلام لله تعالى فهي أيضا كثيره جدا ، نذكر منها : ما أخرجه البخارى في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : ((اذا قضي الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان[1])) قال : ((فاذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير[2])).

و منها : الحديث الصحيح الذى فيه احتجاج آدم و موسى عليهما و على نبينا الصلاة و السلام و فيه : ((و قال آدم : أنت الذى اصطفاك الله برسالاته و بكلامه)) و الحديث متفق[3] على صحته و في الحديث المتفق على صحته أيضا من حديث عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) الصفوان : الحجر الأملس وجمعه صفي و قيل هو جمع وواحده صفوانة ، النهايه " في غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٤١

(٢) سبأ : ٢٣ في التفسير باب قوله تعالى (الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) (ح : ٤٧٠١) باب قوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا) الآية (ح : ٤٨٠٠) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم) الآية (ح : ٧٤٨١) و سنن الترمزى باب سورة السبأ (ح : ٣٢٢٣) ، و سنن ابن ماجه فى المقدمة (ح : ١٩٤) ، و أشار اليه في سنن أبي داود في الحروف و القراءات (ح : ٣٩٨٩) ، أفعال العباد للبخارى ضمن عقائد السلف ص ١٩٣

(٣) صحيح البخارى في أحاديث الأنبياء باب وفاة موسى عليه السلام (ح : ٣٤٠٩) وذكره فى مواضع مختلفة من صحيحه ، كما في التفسير باب واصطنعتك لنفسي (ح : ٤٧٣٦) باب (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقي) (ح : ٤٧٣٨) في القدر تحاج آدم و موسى عند الله (ح : ٦٦١٤) أو في التوحيد باب ما جاء في قوله عز وجل (و كلم الله موسى تكليما (ح : ٧٥١٥) و صحيح مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم و موسى عليهما السلام (ح : ٢٦٥٢) و سنن أبو داود في السنة باب في القدر (ح : ٤٧٠١) و سنن الترمذى في القدر باب ما جاء في حجاج آدم و موسى عليهما السلام (ح : ٢١٣٤)

وسلم : ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه))(١)

وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم فقال : ((ألا رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربى))(٢)

والحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((اذا أحب الله عبدا نادى جبريل ان الله يحب فلان فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض))(٣)

والحديث المتفق على صحته أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ..... ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟) الحديث (٤) والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ومعلومة.

---

(١) البخارى في الزكاة باب الصدقة قبل الرّد (ح : ١٤١٣) وح : ١٤١٧ ، ٣٥٩٥ ، ٦٠٢٣ ، ٦٥٣٩ ، ٦٥٤٠ ، ٦٥٦٣ ، ٧٤٤٣ ، ٧٥١٢ ومسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وانها حجاب من النار (ح : ١٠١٦) وسنن ابن ماجة ح : ١٨٥ ، ٨٤٣ وأحمد في المسند ٢٥٦/٤

(٢) أخرجه أبو داود بلفظ المذكور الا أنه أخرج لفظ (في الموقف) بدل (الموسم) كتاب السنة باب في القرآن (ح : ٤٧٣٤) والترمزى في فضائل القرآن (ح : ٢٩٢٥) وابن ماجة في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية (ح : ٢٠١) وأحمد في المسند ٣ / ٣٩٠ وفي ٣٢٢/٣ بلفظ أحمد وقال الترمذى عقب الحديث المذكور هذا حديث غريب صحيح ، ورواه البخارى في خلق أفعال العباد ص ١٣١ ضمن عقائد السلف والدرامي في السنن (ح : ٣٣٥٧) وفي الرد على الجهمية ص ٣٢٦ ضمن عقائد السلف وشرح اعتقاد أهل السنه للالكائى ٢ / ٣٣٨ (ح : ٥٥٥) ومجموع فتاوى ١٢ / ٥٣ ، ٥٢١

(٣) الموطأ في الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله ، والبخارى في الأدب باب المقة من الله (ح : ٦٠٤٠) التوحيد باب كلام الرب مع جبريل (ح : ٧٤٨٥) ومسلم في البر والصلة والآداب باب اذا أحب الله عبدا أحببه الى عباده (ح : ٢٦٣٧)

(٤) تقدم تخريجه في مبحث موقف الكرامية من صفة علم الله عز وجل

ومعلوم أن السلف رضوان الله تعالى عليهم يثبتون صفة الكلام لله عز وجل وانه قد تكلم بالقرآن الكريم و بالكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها كالتوراة والأنجيل حقيقة ومنه بدأ واليه يعود ولم يزل متكلما اذا شاء و متى شاء وهو غير مخلوق[1] و حروفه و معانيه كلام الله تعالى[2]

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٣/١٤٤، ١٤٤/٣٧، ٥٤، ٥٥، ٢٧٤، ٢٣٥ .

(٢) مجموع فتاوى ٣/٤٤، ١٢/٣٦، ٦٥، ٢٤٣ _ ٢٤٤، ٣٠٤هـ ٣٠٥ ، ٥٦٧_ ٥٦٨ ، ٥٨٧ .

و قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : هذا مذاهب أهل العلم ، و أصحاب الأثر ، و أهل السنة ، المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم الى يومنا هذا ، و أدركت من أدركت من علماء الحجاز و الشام و غيرهما ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها ، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع و خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة و سبيل الحق ، فكان قولهم : ((.... و القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق))

قال : ((و كلم الله موسى تكليما ، من الله سمع موسى يقينا ...... و لم يزل الله متكلما)) (٤)

و بوب الامام أحمد رحمه الله في كتاب الرد على الزنادقة و الجهمية بابا سماه ((بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن الا وحيا و ليس مخلوق)) ثم ذكر قوله : ((و النجم اذا هوى)) (٥)

(٤) السنة للامام أحمد بن حنبل ضمن شذرات البلاتين ص ٤٤-٩ ٤ وانظر ص ٨٠ .
(٥) النجم : ١

===

قال : ((وذلك أن قريشا قالوا : ان القرآن شعر ، وقالوا : أساطير الأولين . وقالوا : أضغاث أحلام ، وقالوا : تقوله محمد من تلقاء نفسه . وقالوا : تعلّمه من غيره — فأقسم الله بالنجم اذا هوى يعني القرآن اذا نزل ، فقال ((والنجم اذا هوى ما ضلّ صاحبكم))(١) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (وما غوى وما ينطق عن الهوى) يقول تعالى : ان محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه فقال :(ان هو) يقول : ما هو يعني القرآن (الا وحي يوحى) . ثم قال (علّمه) يعني علم محمدا جبريل صلى الله عليهما وسلم وهو (شديد القوى) الى قوله تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى) ثم قال الإمام أحمد : (فسمى الله القرآن وحيا ولم يسمه خلقا)(٢)

وروى اللالكائي بسنده عن سفيان بن عيينه يقول : لا نحسن غير هذا : القرآن كلام الله : ((يريدون أن يبدلوا كلام الله))(٣)

وروى اللالكائي بسنده عن حماد بن زيد قال : ((القرآن كلام الله عز وجل أنزله جبريل من عند ربّ العالمين)) (٤)

---

(١) النجم : ٢-٣ .
(٢) الرد على الجهمية والزنادقه ص ١١٤ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة ، عقائد السلف ص ٧٥ تحقيق د. على النشار
(٣) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٣٤٨ (ح : ٥٨١) والسنة لعبد الله بن أحمد
(٤) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٤٨/٢ (ح:٥٨٢) عبد الله في السنة ص ٢٥ ، خلق أفعال العباد ص ١١٩ ضمن عقائد السلف ،

. . . .

=== وروى اللالكائى بسنده عن وكيع بن الجراح قال ((القرآن من الله خرج واليه يعود)) [١] وروى نحوه عن سفيان [٢] من سعيد الثورى وسفيان بن عيينه [٣] وأحمد بن حنبل [٤] وأبو سعيد الدرامى [٥] وغيرهم من علماء السلف الصالح رحمهم الله تعالى ورضى عنهم .

وروى الدارمى بسنده الى عمرو بن دينار قال : أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم ، منذ سبعين سنه يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله ، منه خرج واليه يعود)) [٦]

وعقد الامام اللالكائى بابا سماه : ((سياق ما روى من اجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق)) [٧] ثم شرع بذكر أقوالهم .

كما كفر السلف رحمهم الله تعالى من قال القرآن مخلوق [٨] قال عبدالله بن حنبل رحمه الله تعالى : سمعت أبي يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو عندنا كافر ، لأن القرآن من علم الله - عزوجل - وفيه أسماء الله ، عز وجل وقال سمعت أبي يقول عن من قال ذلك : لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها الا (انا لا تدع) اتيانها ، فان صلى رجل أعاد الصلاة يعنى .. من قال القرآن مخلوق. [٩]

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٢ / ٣٤٨ ح : ٥٨٤ ، السنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٥.
(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى ٨ / ١٥١ ح : ٣١٤
(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى ٢ / ٣٤٨ ح : ٥٨٣
(٤) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى ١ / ١٥٧ ح : ٣١٧
(٥) انظر الرد على الجهميه ص ٩٩ تحقيق الألبانى
(٦) المصدر السابق نفسه ص ١٠٠ (ح ١٠١) ، خلق افعال العباد ص ١١٧ ضمن مجموعة عقائد السلف وانظر منهاج السنة ٢ / ٢٥٣ تحقيق د. محمد رشاد سالم.
(٧) شرح اعتقاد أهل السنه و الجماعة ٢ / ٢٢٧
(٨) السنة لعبد بن أحمد ص ١٨ و ما بعدها
(٩) السنة لعبد الله بن أحمد ١ / ١٠٢-١٠٣ تحقيق د. محمد سعيد قحطاني ومعنى أن القرآن كلام الله تعالى منه خرج واليه يعود .
مجموع فتاوى ١٢ / ٤٠.

ورد على

هؤلاء المخالفين للسلف و أطال في ذلك و أجاد و أفاد كثيرا و أزال شبهاتهم و بين الحق خير بيان رحمه الله رحمة واسعة و قد قام بمناظرة التي تمت بينه و بين المخالفين له أمام نائب السلطان وأفحم المخالفين لحتى يتبين الحق فيها وصحة مذهب السلف في هذه المسألة و انه الحق و الصواب وهو ما دل عليه كتاب الله الحكيم و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و كانت هذه المناظرة على عقيدة التي كتبها و هي العقيدة الواسطية و قال : قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك و على أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته ، من الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية و الأشعرية و أهل الحديث و غيرهم[1] .

و قد بين عقيدة مذهب السلف في كتبه و رسائله و فتاويه و خصه في التأليف عن صفة الكلام لله عز و جل الكتاب "مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم" جمعه الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ضمن مجموعة الرسائل و المسائل كما قام بجمع عدد من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم و ابنه محمد في

---

(١) المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١ / ٤٤١ ومجموع الرسائل و المسائل ٣ / ٣٨

===

مجلد ضخم و هو المجلد الثاني عشر من مجموع فتاوى تحت عنوان :

((القرآن كلام الله))

و يهمنا من هذه المسألة موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من مذهب الكرامية في صفة كلام الله عز وجل ، فنقول :

ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية مذهب الكرامية في كلام الله تبارك وتعالى وفيه : قالوا : انه لم يكن يمكنه تعالى في الأزل أن يتكلم بل صار الكلام ممكنا بعد أن كان ممتنعا عليه من غير حدوث سبب أوجب امكان الكلام و قدرته عليه.(١)

و ذلك اذا كان الذى حدث بعد أن لم يكن هو نوع الكلام فيلزم أن يحدثه بلا سبب يقتضى حدوثه وهو ممتنع بخلاف حادث الإفراد فانه يمكن حدوثه لأن قبله أمورا أخرى تصلح أن تكون سببا ، و ذكر أنه قد وافق عليهم في قولهم هذا كثير من أهل الكلام و الفقه و الحديث ،

== و نص المناظرة : قال شيخ الاسلام ابن تيمية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .... أما بعد : فقد سئلت غير مرة أن أكتب ما حضرني ذكره ، مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة ، في أمر الاعتقاد و بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان ، من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد ، لما سعي اليه قوم من الجهمية و الاتحادية و الرافضية و غيرهم من ذوى الأحقاد ، فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة ، قضاة المذاهب الاربعة و غيرهم من نوابهم ، و المفتين و المشائخ ممن له حرمة و به اعتداد و هم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، و ذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس و سبعمائة فقال لى : هذا المجلس عقد لك فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك و عما كتبت به الى الديار المصرية ، من الكتب التي تدعوا بها الناس الى الاعتقاد و أظنه

قال : و ان أجمع القضاة ، و الفقهاء ، و تتباحثون في ذلك .

فقلت : أما الاعتقاد : فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني ، بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه و سلم وما أجمع عليه = = = =

(١) تقدم قول الكرامية في هذا البحث وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٢٩-٣٠، ٣٩، ٤٠ ، ٤٤ ، مجموعة المنيرية ٢/ ٣٣ ، مجموع فتاوى ١٢/ ٣١٥ ، شرح القصيدة النونية لابن القيم ، د. هراس ١/ ١١٢.

لكن ليس من الأئمة الأربعة و نحوهم من أئمة المسلمين من نقل عنه مثل قولهم يعني الكرامية ، قال : ((و هذا مما شاركوا فيه الجهمية و المعتزلة فان هؤلاء كلهم يقولون : انه لم يكن الكلام ممكنا له في الأزل ثم صار ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه من غير حدوث سبب أوجب امكانه))(١).

غير أن الكرامية خالفت هؤلاء في قولهم انه خلق كلاما في غيره من غير أن يقوم به كلام و قد رد محمد بن الهيصم الكرامي على جهم بن صفوان

==== سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجب اعتقاده ، و كذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري و مسلم .
و أما الكتب فما كتبت الى أحد كتابا ابتداء ادعوه به الى شيء من ذلك ، و لكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني : من أهل الديار المصرية و غيرهم ، و كان قد بلغني أنه زور على كتاب الى الأمير ركن الدين الجاشنكير ، أستاذ دار السلطان ، يتضمن ذكر عقيدة محرفة و لم أعلم بحقيقته لكن علمت أنه مكذوب
و كان يرد عليّ من مصر و غيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد و غيره فأجيبه بالكتاب و السنة وما كان عليه سلف الأمة .
فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك ، فقلت : اكتبوا ، فأمر الشيخ كمال الدين : أن يكتب : فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات و القدر ، و مسائل الايمان و الوعيد و الامامة والتفضيل وهو أن اعتقاد أهل السنة و الجماعة : الايمان بما وصف الله به نفسه ، و بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه و سلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، و أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأوا اليه يعود .
الى آخر ما ذكره من عقيدة الواسطية ، و قال : ((ثم أرسلت من أحضرها و معها كراريس بخطي من المنزل ، فحضرت العقيدة الواسطية)) و قلت لهم : هذه كان سبب كتابتها انه قدم عليّ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها - شيخ يقال له " رضي الدين الواسطي " من أصحاب الشافعي - قدم علينا حاجا و كان من أهل الخير و الدين ، و شكا ما الناس فيه بتلك البلاد ، و في دولة التتر من غلبة الجهل و الظلم ..... و سألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته ، فاستعفيت من ذلك و قلت : قد كتب الناس عقائد متعددة ، فخذ بعض عقائد أئمة السنة فألح في السؤال و قال : ما أحب الا عقيدة تكتبها أنت ، فكتبت له هذه ===

(١) مجموع فتاوى ١٢/٦/ ٣١٥، انظر مجموع فتاوى ٦/ ٥٢٥ ، مجموع الرسائل والمسائل ٣/ ٣٠.

و المعتزلة بقوله : فقد حكي عن جهم بن صفوان أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ، انما هو كلام خلقه الله ، فنسب اليه كما قيل سماء الله ، و أرض الله ..... و أما المعتزلة فانهم أطلقوا القول بأن كلام الله على الحقيقة ، ثم وافقوا جهما في المعني حيث قالوا كلام الله بائنا منه)).(١)

و قد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على الكرامية في قولهم المذكور و من وافقهم بقوله : " ظنوا أن المؤثر التام يتراخى عنه أثره ، و ان القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وأن الحوادث لها ابتداء و قد حدثت بعد أن لم تكن بدون سبب حادث)).(٢)

و معلوم أن الكرامية و الكلابية و الأشعرية يقولون : المرجح هو الارادة القديمة الأزلية.(٣) و بين أن هؤلاء لم يهتدوا للقول الوسط ، كما لم يهتد كذلك للقول الصواب الحق الفلاسفة القائلون : ان العلة التامة و معلولها مقترنان في الزمان و يتلازمان .

ثم ذكر الحق و القول الصواب الوسط في ذلك بقوله : " ان المؤثر التام مستلزم أن يكون أثره عقب تأثيره التام لا مع التأثير ولا متراخيا عنه ، كما قال تعالى : ((انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)).(٤) فهو سبحانه يكون كل شيء فيكون عقب تكوينه لا مع تكوينه في الزمان ولا متراخيا عن تكوينه ، كما يكون الانكسار عقب الكسر ، و الانقطاع عقب القطع ووقوع الطلاق عقب التطليق لا متراخيا عنه

=== العقيدة و أنا قاعد بعد العصر .... فأشار بأن لا أقرأها أنا لرفع الريبة ، و أعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين ، قرأها على الحاضرين حرفا حرفا ، و الجماعة الحاضرون يسمعونها ويورد المورد منهم ما شاء و يعارض فيها ما شاء ، و الأمير أيضا : يسأل عن مواضع فيها ، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين ، من الخلاف و الهوى ما قد علم الناس بعضه ، و بعضه بسبب الاعتقاد ، و بعضه بغير ذلك = = =

(١) درء التعارض ٢/ ٤٨ .
(٢) مجموع الرسائل والمسائل ٣/ ٣٩ .
(٣) درء التعارض ٢/ ٦٣ .
(٤) يس : ٨٢ .

ولا مقارنا له في الزمان

وذكر أن قول الكرامية : انه تكلم بعد أن لم يكن متكلما ، وان كان قادرا على الكلام ، يقول به من يقول انه تحله الحوادث ، بعد أن لم تكن تحله من غير الكرامية ، وقول من قال : انه محدث يحتمل هذا القول ، وانكار الامام أحمد رحمه الله تعالي يتوجه اليه[1] . وغيره[2] قرر أن الكلام صفة كمال ، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، ومن لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفا بها لو كان حدوثها ممكنا فكيف اذا كان ممتنعا ؟

فتبين أن الرب عز وجل لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال،منعوتا بنعوت الجلال ، ومن أجلها الكلام[3]، فلم يزل متكلما اذا شاء ولا

=== ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام ، والمناظرات : في هذه المجالس فانه كثير لا ينضبط ، لكن أكتب ملخص ما يحضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك ، والمناظره طويلة يرجع اليها من يريد اطلاعها أنظر مجموع فتاوى ٣ / ١٦٠ ـ ١٩٤ و أنظر مناظرة العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ص ٤١٥ ـ ٤٢١

(١) مجموع فتاوى ٦ / ١٦١ ، قد أنكر الامام أحمد على داود بن علي امام الظاهرية قوله القرآن محدث ، ولما دخل داود بعد طلب من صالح بن أحمد بن حنبل أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه ، فأتي صالح أباه فقال رجل سألني أن يأتيك ، فلما عرفه قال : هذا قد كتب الي محمد بن يحي في أمره أنه زعم أن القرآن محدث ، فلا يقربني فقال يا أبه انه ينتفي من هذا و ينكره فقال : محمد بن يحي أصدق منه لا تأذن له ، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٩٩

(٢) درء تعارض ٢ / ٢٥٤

(٣) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل

يزال كذلك [١] .

وبيّن أن هذا هو الحق والصواب أعني قول السلف : لم يزل متكلما اذا شاء ولا يزال كذلك وهو الذى دل عليه الكتاب والسنة ثم قال : ((فانا نقول بذلك[٢])) ، فقول شيخ الاسلام ابن تيميه هو قول السلف يؤمن به ويعتقد ويدعو اليه ويذود عنه رحمه اللّه رحمة واسعة . والصواب ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية من أنه يلزم من قول الكرامية صار متكلما بعد أن لم يكن انتفاء صفة الكمال عنه ويلزم حدوث الحادث بلا سبب ويلزم أن ذاته صارت محلا لنوع الحوادث بعد أن لم تكن كذلك ، وهذا باطل وهو الذى أبطله السلف[٣] والصحيح في هذه المسألة هو قول سلف الأمة رحمهم اللّه تعالى ورضى عنهم ، قالوا : لم يزل الله تعالى متكلما اذا شاء [٤]، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته [٥] .

فالفرق بين مذهب الكرامية و بين مذهب السلف ، أن الكرامية تقول : انه تعالى تكلم بعد أن لم يكن متكلما ،

أما السلف رحمهم الله تعالى فيقولون بدوام كونه متكلما بمشيئته وهذا رد على ما ذهبت اليه الكرامية من أن نوع كلام الله تبارك وتعالي حادث [٦]

---

(١) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣ / ٤٥ مجموع فتاوى ١٢ / ٥٢
(٢) مجموع فتاوى ٦ / ١٦١
(٣) مجموع فتاوى ٦ / ٣٢٥
(٤) مجموع الرسائل والمسائل ٣ / ٤٤ ، مجموع فتاوى ٦ / ١٥٣ ، ١٢ / ٥٢ ، ٥٤
(٥) منهاج السنة ٢ / ١٨٢ تحقيق د. محمد رشاد سالم و أنظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣ /٤٤ و مجموع فتاوى ٦ / ١٢٩٥٣ / ٥٢ ، ٥٤
(٦) منهاج السنة ٢ / ١٨٣

و يعني السلف رحمهم الله تعالى قولهم : ((لم يزل الله عز و جل متكلما اذا شاء)) أن كلام الله تعالى قديم أى جنسه أو نوعه لم يزل و لم يقل أحد منهم ان نفس الكلام المعين قديم ، ولا قال أحد منهم القرآن قديم / بل (١) كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته وكان القرآن كلامه ، و كان منزلا منه غير مخلوق ، و لم يكن مع ذلك أزليا قديما بقدم الله تعالى و ان كان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، فجنس كلامه قديم ، فمن فهم قول السلف و فرق بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض [٢] ولا يعقل خلوه تعالى عن الكلام ، لأن الخلو عن الكمال نقص يستحيل على الله تعالى [٣]

و بهذا أخطأت الكرامية في قولها انه تعالى تكلم بعد أن لم يكن متكلما و أن الكلام كان ممتنعا عليه في الأزل و لم يكن ممكنا ثم صار ممكنا ، بل قالوا : يمتنع أن يقال في حقه تعالى : ما زال متكلما كما [٤] تقدم بيان قولهم في هذه المسألة .

و الصواب ما بينه السلف رحمهم الله تعالى من أن الله تبارك و تعالى لم يزل متكلما اذا شاء و متى شاء كما تقدم [٥] ذكره ، و كما بين [٦] شيخ الاسلام ابن تيمية أن هذا هو الحق و الصواب ، فكلام الكراميه في هذه المسألة باطل مخالف للسلف رحمهم الله تعالى و من ثم يخالف الكتاب و السنة .

---

(١) مجموع فتاوى ٦ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، ٣٢٥ ـ ٣٢٦ منهاج السنة ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ درء تعارض ٢ / ١٤٨ ، مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٣٣٠ شرح القصيدة النونية ١ / ١١٢

(٢) مجموع فتاوى ١٢ / ٥٤

(٣) شرح القصدة نونية ابن القيم د. محمد خليل هراس ١ / ١١٢ ، و مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢٩٤

(٤) ص ٢٨٣ من الرسالة .

(٥) ص ٢٩٦ من الرسالة وانظر درء تعارض ٢/ ٨ - ٩ .

(٦) ص ٣٠٢ من الرسالة .

و كذلك قولهم [١] ((ثم صار الكلام ممكنا له تعالى بعد أن كان ممتنعا عليه من غير حدوث سبب أوجب امكان الكلام و قدرته)) كما أشار شيخ الاسلام ابن تيمية ذلك [٢]

فالكرامية خالفت السلف كما تقدم [٣] في أن القرآن حادث نوع و قد أوضح شيخ الاسلام ابن تيمية هذه المسألة و بين الصواب فيها فأرى أن أورده ليتضح خطأ الكرامية فيها قال : " و هذا باطل " يعني قول الكرامية المتقدم آنفا و ذكر أن هذا هو الذى أبطله السلف بأن ما يقوم به من نوع الكلام و غيره اما أن يكون صفة كمال أو صفة نقص ، فان كان كمالا فلم يزل ناقصا حتي تجدد له ذلك الكمال ، و ان كان نقصا فقد نقص بعد الكمال و هذه الحجة لا تبطل قيام نوع الكلام و غيره شيئا بعد شيء ، فان ذلك انما يتضمن حدوث افراد الكلام و غيره لا حدوث النوع ، و النوع ما زال قديما ، و ما زال متصفا بالكلام و ذلك صفة كمال فلم يزل متصفا بالكمال ولا يزال ، بخلاف ما اذا قيل : صار متكلما بعد أن لم يكن ،

و اذا قيل في ذلك : الفرد من أفراد الكلام هل هو كمال أو نقص ؟ قيل: هو كمال وقت وجوده و نقص قبل وجوده مثل مناداته لموسى عليه السلام كانت كمالا لما جاء موسى عليه السلام ، و لو ناداه قبل ذلك لكان نقصا و الله منزه عنه ، ولأن افراد الحوادث يمتنع قدمها ، و ما امتنع قدمه لم يكن، و أضاف قائلا أن عدمه في القدم نقص بل النقص المنفي لابد أن يكون عدم ما يمكن وجوده و يكون وجوده خيرا من عدمه ، فلا يكون عدم شيء نقصا الا بهذين الشرطين :

١ - بأن يكون عدمه ممكنا [٤] ،

٢ - و أن يكون وجوده خير من عدمه ، فاذا كان عدمه ممتنعا : كعدم

---

(١) ص ٢٦٨ من الرسالة.

(٢) ص ٢٩٩ من الرسالة .

(٣) في ص ٢٨ وانظر مجموع فتاوى ٦ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ٥٢٦

(٤) أرى الصحيح وجوده ممكنا بدل عدمه ممكنا و قد يكون خطأ مطبعيا .

الشريك والولد ، فهذا مدح وصفة كمال ، واذا كان عدمه ممكنا فالأولى عدمه : كالأشياء التي لم يخلقها ، فانه كان ان لا يخلقها أكمل من أن يخلقها ، كما أن ما خلقه كان أن يخلقه أكمل من أن لا يخلقه الى أن قال فقد تبين الفرق بين نوع الحوادث وأعيانها. (*)

وان وافقتهم في أن أفراد الكلام حادث ، وارمما يدل على دوام نوع بعض أفعال الله تعالى المخلوقة نعيم أهل الجنة فانه يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد واحد من الأعيان الفانية ، ومن الأعيان الحادثة ما لا يفني بعد حدوثه ، كأرواح الآدميين ، فانها مبدعة ، كانت بعد أن لم تكن ، ومع هذا باقية دائمة [1].

فأفعال الله القائمة به بمشيئته وقدرته نوعها أزلي قديم وافراده حادث كما تقدم آنفا غير أن الكلابية ومن اتبعهم كالأشعرية يقولون أن القرآن قديم لازم لذات الله تعالى [2].

وكما تقدم في أكثر من موضع أن الكرامية تفرق بين الحادث والمحدث وأن الحادث عندهم هو فعل الله القائم بذاته تعالى والمحدث هو فعل الله تعالى المنفصل عن ذاته أي المخلوق ، غير أن السلف استعملوا لفظ ((المحدث)) الفعل القائم بذاته تبارك وتعالى وليس المخلوق واستدلوا على ذلك قوله عزّ وجلّ (ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث) [3]

واذا تكلم الله بكلام بمشيئته وقدرته وهو قائم به ، جاز أن يقال: هو محدث ، وهو مع ذلك كلامه القائم بذاته وليس بمخلوق ، وهذا قول

---

(١) درء تعارض ٢ / ١٤٨ (*) مجموع فتاوى ٦/ ٣٢٥-٣٢٦.
(٢) منهاج السنة ٢ / ١٨١ تحقيق د٠ محمد رشاد ، مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢٩٠ وانظر كلام محمد بن الهيصم الكرامي في ذلك درء تعارض ٢ / ٤٨
(٣) الانبياء : ٢

كثير من أئمة السنة [1] والحديث ، وقد احتج الامام البخارى و غيره على ذلك بقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : ان اللّه عزّ وجلّ يحدث من أمره ما يشاء وان مما أحدث أن **لا تكلموا** فى الصلاة [2]

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب اللّه أقرب عهدا باللّه تقرؤونه محضا لم يشب [3]))

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب [4]))

وأما قول الكرامية ((ان كلام الله عز و جل قائم بذاته و بمشيئته و قدرته و أن المتكلم من قام به الكلام))

صحيح موافق لما ذهب اليه سلف الأمه رحمهم الله تعالى ، قالوا : المتكلم من تكلم بفعله و مشيئته و قدرته فقام به الكلام [5]

و بهذا وافقت الكرامية السلف في هذه المسألة فقولهم صحيح في هذه النقطة و بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن الذين يقولون ذلك القول الذى

---

(١) منهاج السنة ٢ / ١٨٩ _ ١٩٠ تحقيق د. محمد رشاد

(٢) علقه البخارى في صحيحه و هو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التوحيد باب قول الله تعالى (كل يوم هو في شأن) بصيغة الجزم ووصله أبو داود في السنن في الصلاة باب رد السلام في الصلاة ح : ٩٢٤، و النسائي ٣ / ١٩ في الكلام في الصلاة ، و أحمد في المسند ٥ / ٢٠٠ ح : ٣٥٧٥ ، ٦ / ٩١ ح ٤١٤٥ ، ٣٥٦٣ ، ٣٩٤٤ .

(٣) في التوحيد باب قول الله (كل يوم هو في شأن) ح : ٧٥٢٢ ،

(٤) في التوحيد باب قول الله (كل يوم هو في شأن) ح : ٧٥٢٣

(٥) أنظر منهاج السنة ١ / ٢٢٣ مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل و المسائل ٣ / ٢٨ _ ٢٩ ، ٤٥ ، ١١٧، أنظر درء تعارض ٢ / ٢٥٥ ، ٢٥٧

تقول به الكرامية هم أكثر أهل الحديث و طوائف من الشيعة و المرجئة و غيرهم [١].

و خالف في ذلك من قال : المتكلم من فعل الكلام ولو كان منفصلا عنه كالجهمية و المعتزلة و من وافقهم ، و كذلك من قال : المتكلم من قام به الكلام و لو لم يكن بفعله ولا هو بمشيئته ولا قدرته و هذا قول الكلابية و السالمية و من وافقهم [٢] .

أما قول الكرامية : ((ان القرآن كلام الله غير مخلوق وهو متكلم به [٣])) فانه قول السلف رحمهم الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم الإمام أحمد رحمه الله و غيره و تقدم [٤] ذكر ذلك ،

بل قد قال غير واحد من السلف رحمهم الله تعالى ((من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئا من الله مخلوق)) [٥] و قالوا : من قال ذلك فهو كافر [٦] .

و أما قول محمد بن الهيصم الكرامي و غيره من الكرامية : ((القرآن غير بائن من الله تعالى و انما هو موجود منه قائم به)) [٧] و عزاه الى أهل الجماعة ، صحيح و موافق لقول السلف رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

فانه معنى قول السلف : القرآن كلام الله

---

(١) أنظر المصادر السابقة أنفا .

(٢) منهاج السنة ١ / ٢٢٣ درء تعارض ٢ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل و المسائل ٣/٢٨ ـ ٢٩ ، ٤٥ ، ١١٧ .

(٣) المصدر السابق درء ٢ / ٢٥٦ ، مجموعة الرسائل و المسائل ٣ /٢٧ ـ ٢٨ ، ٤٢ ـ ٤٣ ، ١١١٧

(٤) درء تعارض ٢ / ٤٨ ـ ٤٩ ، مجموع فتاوى ١٢ / ١٧٧ .

(٥) ص-٢٩٦-٢٩٧ من الرسالة. (٦) مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٧

(٧) ص٢٨٩ من الرسالة.

منه بدأ و منه خرج و اليه يعود كما في الحديث رواه أحمد و غيره عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلي الله عليه و سلم ((انكم لن ترجعوا الى الله بشئ أفضل مما خرج منه))[1] يعني القرآن .

و قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأصحاب مسيلمة الكذاب لما سمع قرآن مسيلمة : ((و يحكم أين يذهب بعقولكم ؟ ان هذا كلاما لم يخرج من آل)) أى من رب))[2]

و ليس معني قول السلف : انه منه خرج و منه بدأ ، انه فارق ذاته و حل بغيره فان كلام المخلوق اذا تكلم به لا يفارق ذاته و يحل بغيره ، فكيف يكون كلام الله ؟ قال الله تعالى : ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)) فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم و مع هذا فلم تفارق ذاتهم))[3] .

و أيضا فالصفة لا تفارق الموصوف و تحل بغيره ، لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق ، و الناس اذا سمعوا كلام النبي صلى الله عليه و سلم ثم بلغوا عنه كان الكلام الذى بلغوه كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد بلغوه بحركاتهم و أصواتهم فالقرآن أولى بذلك ، فالكلام كلام البارى تعالى[4]

غير أن مقصود السلف رضى الله عنهم الرد على هؤلاء الجهمية كما تقدم[5] فانهم زعموا أن القرآن خلقه الله تعالى في غيره فيكون قد ابتدأ و خرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله[6] .

---

(١) مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٧ والحديث ضعفه الألباني ، ضعيف جامع الصغير ٢ / ٢٠٧ .
(٢) مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٧ .
(٣) مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٧ - ٥١٨
(٤) المصدر السابق نفسه ص ٥١٨
(٥) ص ٢٨١ من الرسالة .
(٦) مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٨

و قد أنكر محمد بن الهيصم على الجهمية و المعتزلة قولهم هذا المذكور في كتابه جمل الكلام حيث قال : وزعموا أن الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى عليه السلام ، و خلق كلامه في الهواء فسمعه جبريل ولا يصح عندهم أن يوجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة (١) فلما قالوا ذلك بين السلف رحمهم الله أن القرآن من الله بدأو خرج، و ذكروا قوله تعالى : (و لكن حق القول مني) فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات (٢) و قد أبطل شيخ الاسلام ابن تيمية قول هؤلاء الجهمية و المعتزلة من عدة وجوه (٣) ، و يهمنا قول الكرامية

و أما قول الكرامية بأن كلام الله تبارك و تعالى حرف و صوت (٤) ، وان اطلاق الجواب في هذه المسألة نفيا و اثباتا خطأ ، وهي من البدع المولدة ، الحادثة بعد المائة الثالثة لما قال قوم من متكلمة الصفاتية : ان كلام الله الذي أنزل على أنبيائه كالتوراة ، والانجيل و القرآن ، و الذي لم ينزله ، و الكلمات التي كون بها الكائنات و الكلمات المشتملة على أمره و نهيه و خبره ، ليست الا مجرد معنى واحد ، هو صفة واحدة قامت بالله ، ان عبر عنها بالعبرانية كانت التوراة ، و ان عبر عنها بالعربية كانت القرآن ، و ان الأمر و النهي و الخبر صفات لها ، لا أقسام لها ، و ان حروف القرآن مخلوقة ، خلقها الله و لم يتكلم بها و ليست من كلامه ، اذ كلامه لا يكون بحرف وصوت و هناك آخرون على النقيض من هؤلاء و هم من المثبتة قالوا : بل القرآن هو الحروف و الأصوات ، وتوهم قوم انهم يعنون بالحروف المداد ، وا لأصوات أصوات العباد ، و هذا ما لم يقله عالم .

---

(١) درء تعارض ٢ / ٤٩ أنظر مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٨
(٢) المصدر السابق نفسه
(٣) راجع مجموع فتاوى ١٢ / ٥١٠ و ما بعده و غيره
(٤) ص ٢٨٢ من الرسالة .

والحق والصواب الذي عليه سلف الأمة - كالامام أحمد والبخاري صاحب الصحيح ، في ((كتاب خلق أفعال العباد)) وغيره ، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم - اتباع النصوص الثابتة ، واجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام الله ، حروفه ومعانيه ، ليس شيء من ذلك كلاما لغيره ، وليس القرآن اسما لمجرد المعني ، ولا لمجرد الحرف بل لمجموعهما ، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ، ولا المعاني فقط ، كما أن الانسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ، ولا مجرد الجسد ، بل مجموعهما ، وان الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح ، وليس ذلك كأصوات العباد ، لا صوت القارئ ولا غيره وان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أعماله ، كما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ، ولا معانيه تشبه معانيه ، ولا حروفه تشبه حروفه ، ولا صوت الرب تعالى يشبه صوت العبد ، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته ، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته [1] .

---

(١) مجموع فتاوى ١٢ / ٢٤٣ _ ٢٤٤

[illegible]

١ - موقف الكرامية من صفة اليد لله عزوجل .

٢ - موقف الكرامية من صفة الوجه لله عز وجل .

١ - موقف الكرامية من صفة اليد لله عز وجل .

((صفة اليدين))

تثبت الكرامية صفة اليدين لله تبارك وتعالى صفة قائمة بذاته تعالى وأنهم يقولون : "انه تعالى له يد لا كالأيدي"(١) .

وقال محمد بن الهيصم : انه تعالى خلق آدم بيده (٢) ، وذكر أنهم لا يعتقدون من ذلك شيئا على معنى فاسد : من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين وانما ذهبوا في ذلك الى اطلاق ما أطلقه القرآن فقط من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه (٣) .

وذكر ابن أبي الحديد عن الكرامية اثباتهم صفة اليدين لله عز وجل وأنهم لا يتجاوزون الاطلاق ولا يفسرون ولا يؤولون وانما يقتصرون على اطلاق ما ورد به النص(٤) ، نحو ما ذكره ابن الهيصم عنهم .

فالكرامية في اثباتهم صفة اليدين لله تبارك وتعالى على نحو الذى ذكره عنهم الشهرستاني وابن الهيصم وابن أبي الحديد تتبع آثار السلف وتوافقهم في ذلك فان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم يثبتون لله سبحانه صفات الكمال كاليدين من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل كما دل على ذلك كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع سلف الأمة رحمهم الله تعالى .

---

(١) انظر الملل والنحل ١١٢/١ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٢٨/٣ - ٢٢٩

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية
في صفة اليد لله عز وجل

أثبت علماء أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا من المفسرين وغيرهم صفة اليدين لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وكماله وكما دلت نصوص الكتاب والسنة .

ولم ينف هذه الصفة لله عز وجل الا الجهمية والمعتزلة وطائفة من الأشعرية وأولوا اليدين في قوله تعالى ((لما خلقت بيدى)) بمعنى النعمتين . وطائفة أخرى ذهبت الى أن المراد باليدين: القدرة[1].

---

(١) اقاويل التفاوت ص ١٩٤
انظر لوامح الانوار البهية ١/٢٣٢ انظر قول المعتزلة في ذلك شرح اصول الخمسة ص

ان اثبات اليدين/ لله عز وجل صفة كمال لا نقص فيها فلو قدرنا / اثنين أحدهما يقدر أن يفعل بيديه والآخر لا يمكنه ذلك اما لامتناع أن يكون له يدان ، واما لامتناع الفعل باليدين كان الأول أكمل .

ولهذا الانسان أكمل من الجمادات التي تفعل بقوى فيها ، كالنار والماء فاذا قدر اثنان أحدهما لا يمكنه الفعل الا بقوة فيه ، والآخر يمكنه الفعل بقوة فيه وبكلامه فهذا أكمل .

فاذا قدر آخر يفعل بقوة فيه وبكلامه وبيديه اذا شاء فهو أكمل وأكمل(1) .

وما أحسن كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا المجال إذ قال: ((أعلم -رحمك الله- ان العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة : فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيا ، ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا .

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، وأصمت عنه كما صمت الرب تعالى عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه مثل انكار ما وصف منها فكما عظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها(2) .

فقد - والله - عز المسلمون ، الذين يعرفون المعروف وبهم يعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف به نفسه من هذا في كتابه ، وما بلغهم مثله عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن))(3) .

وأورد من الأدلة الآيات التي تدل على اثبات صفة " اليد " لله عز وجل وهي كثيرة نذكر منها مايلي :

---

(1) انظر مجموع فتاوى (٦/ ٩٢ - ٩٣) .

(2) مجموع فتاوى (٥/ ٤٥) .

(3) مجموع فتاوى (٥/ ٤٥) .

قال الله عز وجل لليهود الذين وصفوه بالبخل لعائن الله عليهم ، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال : ((قالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)) (١) .

وقال عز من قائل لابليس لعنه الله تعالى لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام ((ياابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)) (٢) .

وقال جل ثناؤه : ((وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)) (٣) .

وقال تبارك وتعالى : ((تبارك الذى بيده الملك)) (٤) .

وغير ذلك من الآيات التي تدل على اثبات اليد لله عز وجل على وجه يليق بجلاله وكماله .

وبين أن السنفي اثباتها متواترة فقال : " وقد تواتر في السنة مجيء " اليد " في حديث النبي صلى الله عليه وسلم نذكر منها : (٥)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وفيه : ((ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده)) (٦) ، وفي رواية للامام مسلم ((كتب لك التوراة بيده)) (٧) .

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان يمين الله ملاى لا يغيضها (٨) نفقة سحاء (٩) الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) (ص : ٧٥) (٣) (الزمر : ٦٧)
(٤) (الملك : ١) (٥) مجموع فتاوى ٦/٣٦٣ .
(٦) (٧) صحيح البخاري في القدر باب تحاج آدم وموسى عليهما السلام عند الله ح : ٦٦١٤ وصحيح مسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام ح : ٢٦٥٢ وسنن أبي داود في السنة باب في القدر ح : ٤٧٠١ ، وسنن الترمذى في القدر باب ماجاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح : ٢١٣٤ ، وسنن ابن ماجة في المقدمة باب في القدر ح : ٨٠ .
(٨) لا يغيضها : لا ينقصها ، النهاية ٣/٤٠١ ، فتح البارى ١٣/٣٩٥ .
(٩) سحاء : دائمة الصب بالعطاء ، النهاية ٢/٣٤٥ ، فتح البارى ١٣/٣٩٥ .

وبيده الأخرى الفيض- أو القبض - يرفع ويخفض)) [1] .

وفي الحديث الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، وهم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)) [2] .

وفي الصحيحين قول حبر اليهودى من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد أو يا أبا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ : ((وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)) والحديث بألفاظ متقاربة متفق عليه .

---

(١) صحيح البخارى في التوحيد باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) ح : ٧٤١١، باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) ح : ٧٤١٩ ، وصحيح مسلم في الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق ح : ٩٩٣ ، وسنن الترمذى في التفسير باب من سورة المائدة ح : ٣٠٤٥ ، وقال حديث حسن صحيح ، والمسند ٢/٣١٢ ، والتوحيد ص ٤٧ .

(٢) صحيح مسلم في الامارة باب فضيلة الامام العادل ح : ١٨٢٧ ، وسنن النسائي ٨/٢٢١ ، والمسند ٢/١٦٠ ، والأسماء والصفات ص ٣٢٤ ، وقد جاءت رواية في صحيح مسلم " يقبض الله الأرض بشماله وتكون السماء بيمينه) الحديث (ح : ٢٧٨٨) ولفظة (شمال) شاذة ، لمخالفتها أحاديث الثقات التي فيها (بيده الأخرى) قاله المحقق شعيب أرنؤوط هامش أقاويل الثقات ص ١٥٨ ، وذكر البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٢٤ أن لفظ (الشمال) روى من طريقين في أحدهما : جعفر بن الزبير وفي الآخر : يزيد الرقاشي وهما متروكان) الى آخر ما ذكره انظر أقاويل الثقات ص ١٥٧ - ١٥٨ غير أن ذلك غير طريق الامام مسلم الذى هو شاذ كما تقدم .

ومنه : ((وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجده)) [1] .

وفي الحديث المتفق على صحته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض)) [2] ، ومنها حديث شفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه : ((يا آدم ... خلقك الله بيده)) [3] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومعلومة ، ويبين أن

---

(١) البخاري في التفسير باب وما قدروا الله حق قدره ح : ٤٨١١ ، وفي التوحيد باب قوله تعالى (لما خلقت بيدى) ح : ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، باب قول الله تعالى (ان الله يمسك السموات أن تزولا) ح : ٧٤٥١ ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ح : ٧٥١٣ ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب صفة القيامة والجنة والنار ح : ٢٧٨٦ ، والترمذى (ح : ٣٢٣٨) ، (٣٢٣٩) ، وأحمد ٤٢٩/١ ، ٤٥٧ ، وابن خزيمة في التوحيد ٥٩٢٥٤ ، والآجرى : ٣١٨ ، الطبرى في التفسير : ٢٧/٢٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٣٤ .

(٢) البخارى في التفسير باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) ح : ٤٨١٢ وفي الرقاق باب يقبض الله الأرض يوم القيامة) ح : ٦٥١٩ وفي التوحيد باب قول الله تعالى (ملك الناس) ح : ٧٣٨٢ ، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) ح : ٧٤١٣ ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب صفة القيامة والجنة والنار ح : ٢٧٨٧ ، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٩٢ ، وأحمد ٣٧٤/٢ ، والدارمى ٣٢٥/٢ ، وابن أبي عاصم (٥٤٩) ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٤٨ .

(٣) الحديث متفق عليه ، البخارى في التفسير باب قول الله تعالى (علم آدم الأسماء كلها) ح : ٤٤٧٦ ، وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار ح : ٦٥٦٥ وفي التوحيد باب قول الله تعالى : (لما خلقت بيدى)ح : ٧٤١٠ ، ومسلم في الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ح : ١٩٣ .

فى اثباتها متواترة ثم قال : ((فالمفهوم من هذا الكلام : أن لله تعالى يدين مختصان به ذاتيتان له كما يليق لجلاله ، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وابليس ، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى ، وأن ((يداه مبسوطتان)) ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء ، لأنّ الاعطاء والجود فى الغالب يكون ببسط اليد ومدها ، وتركه يكون ضما لليد الى العنق ، صار من الحقائق العرفية اذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقية)[1] .

قال : فالقائل : (ان زعم أنه ليس له يد من جنس أيدى المخلوقين : وأن يده ليست جارحة ، فهذا حق ، وان زعم أنه ليس له يد زائدة على الصفات السبع فهو مبطل)[2] .

وقد بين استعمالات لفظ اليد ، وجعله مقامات أربعة وهي :

المقام الأول : ان لفظ (اليدين) بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة ، لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع كقوله تعالى : (ان الانسان لفي خسر)[3] ، ولفظ الجمع في الواحد كقوله تعالى (الذين قال لهم الناس : ان الناس)[4] ولفظ الجمع في الاثنين كقوله تعالى (صغت قلوبكما)[5] .

---

(١) المصدر السابق ٣٦٢/٦ - ٢٦٣ .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢٦٣ .
(٣) العصر : (٢) .
(٤) آل عمران : (١٧٣) .
(٥) التحريم : (٤) .

أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين ، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له ، لأن هذه الألفاظ عدد وهي نصوص في معناها لا يتجوّز بها ، ولا يجوز أن يقال : عندي رجل ويعني رجلين ، ولا عندي رجلان ويعني به الجنس ، لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس فيه شياع ، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس والجنس يحصل بحصول الواحد (١) .

فقوله تعالى (لما خلقت بيدي) لا يجوز أن يراد به القدرة ، لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد .

ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصي بصيغة التثنية .

ولا يجوز أن يكون (لما خلقت أنا) لأنهم اذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل الى اليد فتكون اضافته الى اليد اضافة له الى الفعل ، كقوله تعالى (بما قدمت أيديهم) (٢) أما اذا أضاف الفعل الى الفاعل ، وعدى الفعل الى اليد بحرف الباء كقوله تعالى (لما خلقت بيدي) فانه نص في أنه فعل الفعل بيديه ، ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشي أن يقال له : فعلت هذا بيديك ويقال : هذا فعلته يداك ، لأن مجرد قوله : فعلت كاف في الاضافة الى الفاعل ، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة ، ولست تجد في كلام العرب والعجم - ان شاء الله تعالى - أن فصيحا يقول : فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه ، الا ويكون فعله بيديه حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها (٣) .

---

(١) مجموع فتاوى ٦/٣٦٥ .

(٢) البقرة : (٩٥) .

(٣) مجموع فتاوى ٦/٣٦٥ - ٣٦٦ .

المقام الثاني : هب أنه يجوز أن يعني باليد حقيقة اليد ، وأن يعني بها القدرة أو النعمة ، أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل ، لكن ما لموجب لصرفها عن الحقيقة ؟

فان قلت : لأن اليد هي الجارحة وذلك يمتنع على الله سبحانه وتعالى ، قلت لك : هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيدى المخلوقين وهذا لا ريب فيه ، لكن لم لا يجوز أن يكون له (يد) تناسب ذاته التي تستحق من صفات الكمال ؟

وانما حقيقة اللفظ وظاهره (يد) يستحقها الخالق كالعلم والقدرة ، بل كالذات والوجود (١) .

المقام الثالث : ويقول لمن يظن أنه عند التحقيق فان الحق مذهب من يتأول الصفات وأحاديثها من المتكلمين : بلغك أن في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من أئمة المسلمين : أنهم قالوا : المراد باليد خلاف ظاهره ، أو الظاهر غير مراد ، أو هل في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة ، بل أو دلالة خفية ؟ (٢) .

ويضيف شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (فان أقصى مايذكره المتكلف قوله تعالى : (قل هو الله أحد) وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) وقوله عز وجل : (هل تعلم له سميا) ؟

وذكر أن هؤلاء الآيات انما يدللن على انتفاء التجسيم والتشبيه ، أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس في الكلام مايدل عليه بوجه من الوجوه .

ويعرض على شكل سؤال بقوله : (وكذلك هل في العقل مايدل دلالة ظاهرة على أن البارى لا (يد) له ألبتة ؟ لا (يدا) تليق بجلاله ولا (يدا) تناسب المحدثات ، وهل فيه مايدل على ذلك أصلا ، ولو بوجه خفي ؟

---

(١) المصدر السابق ص (٣٦٧) .

(٢) مجموع فتاوى ٦/٣٦٧ - ٣٦٨ .

فاذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد البتة ، وان فرض ما ينافيه فانما هو من الوجوه الخفية - عند من يدعيه - والا ففي الحقيقة انما هو شبهة فاسدة .

ويزيد المسألة بيانا أيضا بقوله : (وهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد وأن الله تعالى خلق بيده ، وأن يداه مبسوطتان ، وأن الملك بيده ، وفي الحديث مالا يحصي ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولي الأمر : لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقة ولا ظاهره ، حتى ينشأ (جهم بن صفوان) بعد انقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل اليهم على نبيهم صلى الله عليه وسلم ويتبعه عليه (بشر ابن غياث) ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق)(١) .

مقام الرابع : قال : أنا أذكر لك من الأدلة الجلية القاطعة والظاهرة ما يبين لك أن لله ((يدين)) حقيقة ..

ثم بدأ بذكر الأدلة والحجج من الكتاب والسنة نحو ما مر في أول هذا البحث(٢) أما الكرامية فان مذهبها في هذه المسألة صحيح وموافق لما ذهب اليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا وذلك أنهم يصفون الله تبارك وتعالى بصفة ((اليد)) قائمة بذاته تعالى وليست كالأيدى ، وأنهم يلتزمون الكتاب والسنة فما أطلقه الكتاب والسنة على الله تعالى من صفة يطلقون عليه تبارك وتعالى من غير تكييف ولا تشبيه ، ومالم يرد به القرآن والخبر فلا يطلقونه .

---

(١) مجموع فتاوى ((٦/٣٦٨)) .

(٢) ص ((٢٩٣ - ٢٩٥)) من الرسالة .

موقف الكرامية

من صفة الوجه لله تبارك و تعالى

((موقف الكرامية من صفة الوجه لله تبارك وتعالى))

أثبتت الكرامية صفة الوجه لله عز وجل كما ذكره عنهم الشهرستاني وابن أبي الحديد وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم .

قال الشهرستاني بعد أن ذكر أنهم أجمعوا على اثبات الصفات كالعلم .

قال : (وربما زادوا ... الوجه صفات قائمة به ، قالوا : له وجه لا كالوجوه)

كما نقل عن محمد بن الهيصم قوله : (وانما ذهبنا في ذلك الى اطلاقه ماأطلقه القرآن فقط من غير تكييف ولا تشبيه وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه) [1] .

وذكر ابن أبي الحديد مذهبهم في هذه الصفة بقوله : (وأطلقت الكرامية عليه سبحانه لفظ ... الوجه وقالوا : (لانتجاوز الاطلاق ولا نفسر ذلك ولا نتأوله ، وانما نقتصر على اطلاق ماورد به النص[2] .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الكرامية ممن يثبت صفة الوجه اذ قال : (فانه ... كان اثبات هذه الصفة مذهب أهل الحديث والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية) [3] فاثبات الكرامية صفة الوجه لله تبارك وتعالى كما تقدم آنفا وأن لله عز وجل وجها لا كالوجوه ، ومن غير تكييف ولا تشبيه وانما يلتزمون بما ورد بالنص من القرآن والسنة وما لم يرد فيهما فلا يطلقونه على الله عز وجل ، أمر يوافق ماذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية / الذى يثبت صفات الله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ، كما استدل على ذلك من أدلة كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المشرفة .

---

(١) الملل والنحل ١١٢/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٢٨/٣ - ٢٢٩ .

(٣) مجموع فتاوى ١٥/٦ .

أما في الكتاب فقد وردت آيات في اثبات هذه الصفة منها قوله تعالى :
((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام [1])) ، وقوله عز من قائل : ((كل شيء هالك الا وجهه)) [2] وقوله تبارك وتعالى : ((وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) [3] .

والآيات الواردة في اثبات وجه الله عز وجل كثيرة منها قوله تعالى : ((ذلك خير للذين يريدون وجه الله)) [4] وقوله : ((وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله)) [5] .

وأما في السنة فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة وصف الله عز وجل بالوجه حقيقة على ما يليق به ، فمن ذلك حديث عبد الله بن قيس المتفق على صحته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) [6] هذه رواية الامام البخاري ، أما رواية الامام مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي ففيها : (رداء الكبرياء) بدل (رداء الكبر) في الرواية السابقة .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : ((ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، (وفي رواية النار) ، لو كشفه

---

(١) الرحمن : ٢٧
(٢) القصص : ٨٨
(٣) الكهف : ٢٨
(٤) الروم : ٣٨
(٥) البقرة : ٢٧٢
(٦) صحيح البخارى في التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ح : ٧٤٤٤ صحيح مسلم في الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح : ١٨٠ ، سنن الترمذى في صفة الجنة ، باب ماجاء في صفة غرف الجنة ح : ٢٥٢٨ وقال : حسن صحيح ، وسنن ابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٨٦ والمسند ٤/ ٤١١ ، ٤١٦ وسنن الدارمي ٢/ ٣٣٣ .

لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) (١) . فهي حجب تحجب العباد عن الادراك ، كما قد يحجب الغمام والشقوق عنهم الشمس والقمر ، فاذا زالت تجلت الشمس والقمر ، أما حجبها لله عن أن يرى ويدرك فهذا لا يقوله مسلم ، فان الله تبارك وتعالى لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ليلة الظلماء ، ولكن محجب أن تصل أنواره الى مخلوقاته (٢) كما في الحديث المتقدم آنفا .

فالبصر يدرك الخلق كلهم وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار ، والجهمية لا تثبت له حجبا أصلا ، لأنه عندهم ليس فوق العرش(٣) .

وفي الحديث الصحيح في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى : (فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، وهو الزيادة) (٤)الحديث ، نسأل الله الكريم الجواد ألا يحرمنا من النظر الى وجهه الكريم .

وقد جاء في صحيح البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (لما نزلت هذه الآية : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) (٥) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك ، قال تعالى : (أو من تحت أرجلكم) .

---

(١) صحيح مسلم في الايمان باب في قوله عليه الصلاة والسلام : ان الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ، ح : ١٧٩) سنن ابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٩٥ ، ١٩٦ ، والمسند ٤/ ٤٠١ ، ٤٠٥ ، رد الدارمي على بشر المريسي ص ١٦٠ ، ١٧٠ ، التوحيد لابن خزيمة ص ١٩ ، ٧٥ .

(٢) مجموع فتاوى ٦/ ١٠ ، وانظر المصدر السابق ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، وسبحات وجهه جلاله ونوره كما فسر بذلك الخليل وأبي عبيد ونقل عنهما أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه اعتقاد التوحيد باثبات الأسماء والصفات ونقل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله : "نور السموات نور وجهه" سبحانه وتعالى انظر مجموع فتاوى ٥/ ٧٤ ، وذكر ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر أن معنى سبحات وجهه : جلاله وعظمته وهي في الأصل جمع سبحة ، وقيل : أضواء وجهه ، وقيل : سبحات وجهه : محاسنه لأنك اذا رأيت الحسن الوجه ، قلت : سبحان الله ، وقيل : معناه تنزيه له ، ثم ذكر المعنى الراجح عنده وهو الصحيح ان شاء الله كما في الحديث المتقدم آنفا قال : وأقرب من هذا كله أن المعنى : لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور ، كما خر موسى عليه السلام صعقا ، وتقطع الجبل دكا لما تجلى الله سبحانه وتعالى " النهاية ١/ ٣٣٢ .

(٤) الحديث صحيح سيأتي في فصل رؤية الله عز وجل

(٥) (الأنعام : ٦٥) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بوجهك ، قال تعالى : (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا أهون أو هذا أيسر) (١) .

والحديث المتفق على صحته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورته) (٢) وهذا لفظ لمسلم ولأحمد ، أما لفظ البخارى فهو : (اذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه) .

وقد جاء في المسند : اذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه ، لا يقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته) (٣) .

ففي هذه الآيات والأحاديث دليل على اثبات صفة الوجه لله عز وجل حقيقة على وجه يليق بجلاله وكماله من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل .

---

(١) في التفسير باب (قل هو القادر) الآية ح : ٤٦٢٨ ، ٧٣١٣ ، سنن الترمذى في التفسير باب (من سورة الأنعام ح : ٣٠٦٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح) والمسند ٣٠٩/٣ ، التوحيد لابن خزيمة ص ٨ الأسماء والصفات ص ٣٠٢ .

(٢) صحيح البخارى في العتق باب اذا ضرب العبد فليتجنب الوجه ح : ٢٥٥٩ ومسلم في البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه ح : ٢٦١٢ ، والمسند ٢٤٤/٢ ، ٢٥١/٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٩ ، ٤٦٣ .

(٣) ٤٣٤/٢ وقال العلامة أحمد محمد شاكر اسناده صحيح ح : ٧٤١٤ ، الأدب المفرد للبخارى ص ٢٨ ، التوحيد لابن خزيمة ص ٢٦ ، الشريعة للآجرى ص ٣١٤ - ٣١٥ تاريخ بغداد ٢٢٠/٢ - ٢٢١ ، الاسماء والصفات للبيهقى ص ٢١٦ .

((موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في صفة الوجه))

ومعلوم أن شيخ الاسلام ابن تيمية يثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه عز وجل وأثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر اعتقاد الفرقة المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة قال : (ومن الايمان بالله : الايمان بما وصف به نفسه تعالى فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)[1] فلم يفرق بين صفة وأخرى وانما أثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه ومنها صفة الوجه لله عز وجل .

وبين أن صفة الوجه لله عز وجل من صفات الكمال وضدها صفة نقص[2] .

وليس هنا فى المسألة مايدعوا الى الانكار على الكرامية اذ أنهم أثبتوا صفة الوجه لله تبارك وتعالى على مايليق بجلاله وكماله وهذا اتباع للسلف الصالح رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وموافقة لهم ، وشيخ الاسلام ابن تيمية يدعوا الى اتباع السلف فى كل شئ ويستشهد بهم ويعتمد عليهم فى الأصول والفروع وينصر مذهبهم بالبراهين القوية النقلية والعقلية .

وبين شيخ الاسلام ابن تيمية أنه قد يقع نزاع بين المثبته والنفاة فى صفة ودلالة النص عليها ، يريد المريد أن يجعل ذلك اللفظ - حيث ورد - دالا على الصفة وظاهرا فيها هذا مايقوله المثبت الذى اختلف عليه الأمر .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيميه تاليف العلامة الدكتور محمد خليل هراس ص١٨-٢٠، وانظر الحمويه الكبرى ص (١٥٤-١٥٥) ضمن نفائس تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى .

(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية وشرحها د . محمد خليل هراس ص (١٨-١٩) ، و مجموعة الرسائل الكبرى (١/٣٩٣) و مجموع فتاوى (٣/١٢٩-١٣٠) ، وهذه هى العقيده التى طلبها من شيخ الاسلام ابن تيمية أحد قضاة واسط يقال له ، رضى الدين الواسطى من أصحاب الشافعى قدم حاجا وطلب من الشيخ عقيده تكون له عمدة له ولأهل بيته وشكا مابالناس فى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم فكتب هذه العقيدة وسميت الواسطية . انظر مجموع فتاوى : ٣/١٦٤ وانظر ص (١٢٩) ، وانظر مجموع الرسائل الكبرى (١/٤١٥) .

(٣) مجموع فتاوى (٦/٦٨ ، ٩٢) .

أما الثاني فيقول : وهناك لم تدل على الصفة فلا تدل هنا[١] .

فيبين شيخ الاسلام هذه المسألة بقوله : (فان الدلاله في كل موضع بحسب سياقه وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية ، وهذا موجود في أمر المخلوقين يراد بألفاظ الصفات منهم في مواضع كثيرة غير الصفات[٢] . وذكر مثالين على ذلك أحدهما يتعلق بهذه الصفة .

أحدهما : صفة الوجه فانه لما كان اثبات هذه الصفة مذهب أهل الحديث والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية وغيرهم .

وكان نفيها مذهب الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، ومذهب بعض الصفاتية من الأشعرية وغيرهم ، صار بعض الناس من الطائفتين كلما قرأ آية فيها ذكر الوجه جعلها من موارد النزاع ، فالمثبت يجعلها من الصفات التى لا تتأول بالصرف ، والنافى يرى أنه اذا قام الدليل على أنها ليست صفة فكذلك غيرها"[٣] .

---

(١) انظر مجموع فتاوى ١٤/٦ - ١٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) مجموع فتاوى ١٥/٦ ، وقال : " ومثال ذلك قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) (البقرة : ١١٥) قال : أدخلها في آيات الصفات طوائف من المثبتة والنفاة ، حتى عدها "أولئك "كابن خزيمة مما يقرر اثبات الصفة وجعل (النافية) تفسيرها بغير الصفة حجة لهم في موارد النزاع " قال :" ولهذا لما اجتمعنا في المجلس المعقود وكنت قد قلت : أمهلت كل من خالفني ثلاث سنين ان جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئا مما ذكرته كانت له الحجة . . . وجعل المعارضون يفتشون الكتب ، فظفروا بما ذكره البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات) في قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) فانه ذكر عن المجاهد والشافعي أن المراد قبلة الله ، فقال أحد كبرائهم - في المجلس الثاني - قد أحضرت نقلا عن السلف بالتأويل ، فوقع في قلبي ما أعد فقلت : لعلك قد ذكرت ماروى في قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب) الآية قال : نعم ، قلت : المراد بها قبلة الله فقال : قد تأولها مجاهد والشافعي وهما من السلف ، ولم يكن هذا السؤال يرد على فانه لم يكن مما ناظروني فيه صفة الوجه . . . وكلامي كان مقيدا ، كما في الأجوبة فلم أر احقاقهم في هذا المقام

وقد استدل شيخ الاسلام ابن تيميه في اثباته لصفة الوجه لله عز وجل بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وتقدم[1] ذلك .

بل قلت هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلا ، ولا تندرج في عموم قول من يقول : لا تؤول آيات الصفات ... فان (الوجه) هو الجهة في لغة العرب ، يقال : قصدت هذا الوجه ، وسافرت الى هذا الوجه أى : الى هذه الجهة ، وهذا كثير مشهور ، فالوجه هو الجهة ، وهو الوجه : كما في قوله تعالى : (ولكل وجهة هو موليها) (البقرة : ١٤٨) أى متوليها فقوله تعالى (وجهة هو موليها) كقوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) كلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربان ، وكلاهما في شأن القبله ، مجموع فتاوى ١٥/٦ - ١٦ .

(١) ص ٣١٧ - ٣١٩ من الرسالة .

الفصل الثالث

الصفـــات الفعليـــــــة

١ - موقف الكرامية من أفعال الله تبارك وتعالى الاختيارية (الحوادث) .

٢ - موقف الكرامية من صفة النزول لله عز وجل .

٣ - موقف الكرامية من صفة المجيء والاتيان لله عزوجل .

الفصل الثالث

الصفات الفعلية

موقف الكرامية

من أفعال الله تبارك وتعالى الاختيارية " الحوادث "

تثبت الكرامية الأفعال الاختيارية القائمة بذاته عز وجل كالارادة والسمع والبصر الحادثة وهي الأمور الحادثة القائمة بذاته تعالى وتكون بقدرته ومشيئته.(١)

وذكر غير واحد من المتكلمين قول الكرامية هذا فقال الشهرستاني :" ومن مذهبهم جميعا ، جواز قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى".(٢) وكذا ذكره عنهم البغدادى(٣) والاسفراييني(٤) وأبو المعالي(٥) وأبو الحسن(٦) الطبرى المعروف بالكيا والرازى(٧) والآمدى(٨) وغيرهم .

قال أبو الحسن الطبرى المتقدم آنفا : انهم (يعني الكرامية وغيرهم) ، يجوّزون على الله الجيئة والذهاب والنزول والصعود والانتقال فيقولون : هذه الأشياء لم تكن فكانت وهذا هو الحادث ".(٩)

لكن الكرامية لا تجوّز قيام كل حادث بذاته تبارك وتعالى ،بل ما يفتقر اليه من الايجاد والخلق(١٠) ويعنون بذلك الأمور القائمة بذاته تعالى كالارادة

---

(١) انظر درء التعارض ٢/ ١٨-١٩ ، ١٤٧-١٤٨ ، ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٧٦ ، ٣٢٤- ، ١٩/٤ ، ١٠٦-١٠٧ ،ومنهاج السنة تحقيق د. محمد رشاد ،وشرح نونية ابن القيم ١/ ١١٠-١١١.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٠٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢١٧.

(٤) التبصير في الدين ص ١٠٠-١٠١.

(٥) الارشاد ص ٤٤.

(٦) درء التعارض ٨/ ٩٥ .

(٧) الأربعين ص ١١٨.

(٨) درء التعارض ٤/ ١٩ نقل من كتاب أبكار الأفكار للامدى / دار الكتب المصرية ١/ ٤٧٦-٤٧٧ وغاية المرام ص ١٨٠.

(٩) درء التعارض ٨/ ٩٥.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ١٩ نقلا عن أبكار الأفكار خ ١/ ٤٧٦-٤٧٧.

الحادثة والقول وادراكه للمرئيات وادراكه للمسموعات ،وبعضهم جعلوها خمسة أجناس هي : الكاف والنون " كن " والارادة ،والسمع والبصر.(١)

ومن أصلهم أن ما يحدث في ذاته تعالى فانما يحدث بقدرته ومايحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الإحداث ،ويعنون بالأحداث : الايجاد والاعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الأقوال والارادات ، ويعنون بالمحدث: ما باين ذاته من الجواهر والأعراض".(٢)

ويفرقون بين الخلق والمخلوق(٣) ،والايجاد والموجود والموجد ،وكذلك بين الاعدام والمعدوم ، فالمخلوق انما يقع بالخلق ،والخلق انما يقع في ذاته تعالى بالقدرة ، والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته بالقدرة.(٤)

ويرون أن الحوادث القائمة بذاته تعالى ليست مخلوقة ولا محدثة ، لأن المحدث أو المخلوق هو المباين لذات الله تبارك وتعالى من الجواهر والأعراض.

واختلفت الكرامية هل الموجود يفتقر الى ايجاد واحد والمعدوم الى اعدام واحد أم أكثر أو أقل ؟

فقال بعضهم : لكل موجود ايجاد ،ولكل معدوم اعدام ، بمعنى أن الله عز وجل يحدث ايجادا بقدرته يوجد به هذا الموجود .

وقال بعضهم : ايجاد واحد يصلح لموجودين اذا كانا من جنس واحد ، واذا اختلف الجنس تعدد الايجاد بتعدد أجناس المخلوقات وكذا يتعدد الايجاد بتعدد أجناس المعدومات.(٥)

---

(١) الملل والنحل ١/١١٠.

(٢) المصدر السابق ١/١٠٩-١١٠.

(٣) المصدر السابق ص١١٠ ،درء تعارض ١/٣٣٨، ٢/٢٦٢، ٢٦٤.

(٤) الملل والنحل ١/١١٠ ،درء تعارض ٢/٣٩٠.

(٥) الملل والنحل ١/١١٠.

وألزم بعضهم تعدد القدرة بتعدد الايجاد اذ قالوا : لو افتقر كل موجود أو كل جنس الى ايجاد ، فليفتقر كل ايجاد الى قدرة ، فالتزم تعدد القدرة بتعدد الايجاد .

وقال بعضهم أيضا : تتعدد القدرة بعدد أجناس المحدثات .

وأكثرهم على أنها تتعدد بعدد أجناس الحوادث التي في ذاته من الكاف والنون ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، وهي خمسة أجناس.(١)

وادّعى بعضهم أن الكرامية تذهب الى أن قدرة الله تبارك وتعالى لا تتعلق بالمخلوقات وانما تتعلق كما مر بما يحدث في ذاته عز وجل الذى يسمونه الخلق أو الاحداث أو الايجاد والاعدام ، وهذه عبارة عن القول والارادة (٢) الخ .

ويقول الشهرستاني : " وأجمعوا على أن الحوادث لا توجب للّه تعالى وصفًا ، ولا هي صفات له فتحدث في ذاته هذه الحوادث من الأقوال ، والارادات والتسمعات ، والتبصرات ، ولا يصير بها قائلا ، ولا مريدا ، ولا سميعا ولا بصيرا ، ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا ، وانما هو قائل بقائليته ، وخالق بخالقيته ، ومريد بمريديته ، وذلك قدرته على هذه الأشياء .(٣)

ومن أصلهم أن الحوادث التي يحدثها اللّه عزّ وجل في ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها ، اذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذلك الحوادث ، ولشارك الجوهر في هذه القضية ، واعتمدوا في ذلك ما اعتبروه حجة وقالوا : فلو قدر عدمها فلا يخلو : اما أن يقدر عدمها بالقدرة ، أو باعدام يخلقه في

---

(١) المصدر السابق ١/١١٠ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، التبصير في الدين ص ١١٣ .

(٣) الملل والنحل ١/ ١١١ وانظر الارشاد ص ٤٥ - ٤٦ ، أبكار الأفكار : ١/٤٧٧ - ٤٧٨ ، درء تعارض ٤/ ٢٠ .

ذاته ، ولا يجوز أن يكون عدمها بالقدرة ،لأنه يؤدى الى ثبوت المعدوم في ذاته ،وشرط الموجود والمعدوم أن يكونا مباينين لذاته ،ولو جاز وقوع معدوم في ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعدومات بالقدرة ،ثم يجب طرد ذلك في الموجد ، حتى يجوز وقوع موجد محدث في ذاته ، وذلك محال عندهم ،ولو فرض اعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيسلسل، فارتكبوا ،لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته.(١)

وذكر الشهرستاني أن الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير فيكون في ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث قال :" وذلك محال وشنيع".(٢)

كما ذكر أن ابن الهيصم لم يقم بترميم هذه المسألة كما فعل بغيرها كالتجسيم عند الكرامية فسّرها بأنها بمعنى القائم بالذات".(٣)

بعد أن عرفنا موقف الكرامية من اثبات أفعال الله تعالى الاختيارية القائمة بذاته تعالى بمشيئته وقدرته وقبل أن نشرع في بيان موقف شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله من الكرامية في هذه المسألة و معرفة ما لهم وما عليهم يجدر بنا أن نعرف مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى في هذه المسألة الذى هو الاعتماد الأساسي والميزان الحق بين المذاهب والفرق من حيث الصواب والخطأ والحق والباطل .

---

(١) الملل والنحل ١/ ١١١،انظر كلام الآمدى في درء تعارض ٤/ ٠٩ ١ نقلا أبكار الأفكار خ ١/ ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١١٢.

(٣) المصدر السابق نفسه .

موقف شيخ الاسلام ابن تيميه

من الكراميـة في أفعال الله تعالى الاختياريـــة

ان شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى يثبت مسألة أفعال الله الاختيارية القائمة بذاته تبارك وتعالى بمشيئته وقدرته كالاستواء على العرش والنزول الى السماء الدنيا والاتيان والمجيء ونحو ذلك.(١)

واستشهد على اثبات هذه المسألة الآيات والأحاديث الكثيرة.

---

(١) انظر درء تعارض ٢/٣‏٧‏٠‏١٤.

(*) درء تعارض ٢/١١٦-١٢١ شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٩ جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ٥.

أما الآيات فمنها : قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ في سبع[1] مواضع من كتاب الله عز وجل ، وقوله عز من قائل ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾[2] وقوله تبارك وتعالى ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾[3] وقوله عز وجل ﴿ يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب ﴾[4] وقوله جل ثناؤه ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾[5] وقوله عز من قائل ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾[6] وقوله جل ثناؤه ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾[7] وقوله جلت قدرته ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾[8] وقوله عز وجل ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾[9] وقوله تبارك وتعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[10] وقوله عز من قائل ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾[11] وقوله عز وجل ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾[12] وقوله عز وجل ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾[13] وقوله جل ثناؤه ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾[14] وقوله تبارك وتعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[15] وقوله عز وجل ﴿ وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾[16] وقوله جل ثناؤه ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾[17] وقوله جل ذكره ﴿ اتبعوا ما أسخط الله ﴾[18] والآيات في هذا الباب كثيرة جدا معلومة.

---

(١) الاعراف : ٥٤ ، ويونس : ٣ ، ورعد : ٢ ، والفرقان : ٥٩ ، والسجدة : ٤ ، والحديد : ٤.
(٢) البقرة : ٢٩ ، فصلت : ١١.
(٣) البقرة : ٢٤٥ ،
(٤) الأنبياء : ١٠٤.
(٥) الزمر : ٦٧
(٦) السبأ : ٢٣.
(٧) الرحمن : ٢٩.
(٨) الأنبياء : ٢.
(٩) الطلاق : ١.
(١٠) النساء : ١٦٤.
(١١) الاعراف : ١٤٣.
(١٢) الأعراف : ٢٢ .
(١٣) مريم : ٥٢ .
(١٤) آل عمران : ٢٦.
(١٥) البقرة : ٢٢٢.
(١٦) الحجرات : ٧ .
(١٧) الفتح : ١٨.
(١٨) محمد : ٢٨.

وبعد أن ذكر آيات كثيرة قال : " وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله ، لا سيما المرتبة كقوله تبارك وتعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ (٢) ونحو ذلك ". (٣)

وذكر أن مما يدل على هذا الأصل ما علق بشرط ، كقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٤) وقوله جل ذكره ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٥)

وقال : " وفي القرآن مواضع كثيرة تدل على هذا الأصل ". (٦)

---

(١) الضحى : ٥.

(٢) الليل : ٧.

(٣) درء تعارض ٢/ ١٢١.

(٤) الطلاق : ٢، ٣.

(٥) آل عمران : ٣١.

(٦) درء تعارض ٢/ ١١٩.

وقال : " فمن له فهم في كتاب الله يستدل بما ذكر من النصوص على ما ترك ، ومن عرف حقيقة قول النفاة علم أن القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن يثبت ما يقدر الله عليه ويشاؤه / من أفعاله التي ليست هي نفس المخلوقات ... ولولا ما وقع في كلام الناس من الالتباس والاجمال لما كان يحتاج أن يقال : الأفعال التي ليست هي نفس المخلوقات ".(١)

ثم قال : " وفي الجملة هذا في كتاب الله أكثر من أن يحصى ".(٢)

كما ذكر الأحاديث الكثيرة للاستدلال بها على هذه المسألة(٣)

قال وكذلك في الأحاديث المستفيضة الصحيحة المتلقاة بالقبول(٤) وهي كثيرة أذكر منها :

---

(١) در' تعارض ص ١٢٣- ١٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق ص ٢/ ١٣٤ - ١٤٥ ،جامع الرسائل ٢/ ٥.

(٤) در' تعارض ٢/ ١٢٤.

حديث القدسي الذى يقول الله عز وجل فيه : " اذا تقرب العبد مني شبرا تقربت منه ذراعا " واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا أو بوعا ". (١)

وفي الحديث " أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ ". (٢)

وفي حديث الشفاعة : "ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ،

---

(١) الحديث مع اختلاف الألفاظ متفق عليه عن أبي هريرة وأنس وأبي سعيد : البخارى في التوحيد باب قول الله تعالى * ويحذركم الله نفسه * / ح : ٧٤٠٥ وباب قول الله تعالى * يريدون أن يبدلوا كلام الله * ح : ٧٥٠٥ ، وباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ،وروايته عن ربه ح : ٧٥٣٧ ،ومسلم في الذكر باب الحث على ذكر الله ح : ٢٦٧٥ وفي التوبة باب في الحض على التوبة : ٢٦٧٥ ،والترمذى في الزهد باب في حسن الظن بالله ح : ٢٣٨٨ وابن ماجه في الأدب باب فضل العمل ح : ٣٨٢٢ ، المسند ٢/ ٤١٣ ، ٤٠/٣٤٣٥ ، ١٢٢.

(٢) متفق عليه والعبارة في الموطأ ١/ ١٩٢ والاستسقاء باب الاستمطار بالنجوم، البخارى في الأذان باب يستقبل الامام الناس اذا سلم ح : ٨٤٦ ، ومسلم في الايمان باب بيان كفر من قال امطرنا بالنوء ح : ٧١ ،وأبو داود في الطب باب في النجوم ح ٣٩٠٦.

ولن يغضب بعده مثله ".(١)

وفي الحديث " ما منكم من أحد الا سيكلّمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان ".(٢)

كما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لقد ضحك الله الليلة، أوعجب من فِعالكما ".

وذلك الأنصارى رضي الله عنه الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله ، فلما أصبح الرجل غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا الحديث .(٣)

---

(١) هذه العبارة جزء من حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة المتفق عليه . البخارى في الأنبياء باب قول الله تعالى * انا أرسلنا نوحا الى قومه * ح : ٣٣٤٠ ، وفي التفسير سورة بني اسرائيل ،باب * ذرية من حملنا مع نوح * ح : ٤٧١٢ ،ومسلم في الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ح : ١٩٤.

(٢) متفق عليه : البخارى في الرقاق باب من نوقش الحساب عذب ح : ٦٥٣٩ ومسلم في الزكاة ،باب الحث على الصدقة ح : ١٠١٦ ،وابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية ح : ١٨٥ ، ١٨٤٣ (٤) في صحيح مسلم ح : ١٠١٦ في الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .

(٣) البخارى في الصحيح في مناقب الأنصار باب * ويؤثرون على أنفسهم * الآية ح : ٣٧٩٨ وفي التفسير باب * ويؤثرون على أنفسهم * الآية ح : ٤٨٨٩ ،والنسائي ٣٢/٦ في الجهاد باب اجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم اتصافه الله تبارك وتعالى بالنظر الى قلوب الناس وأعمالهم المؤمنين قال ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم". (١)

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم "أن المطر حديث عهد بربه". (٢)

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ان الله يحدث من أمره ما شاء وان مما أحدث : أن لا تكلموا في الصلاة". (٣)

وفي الحديث المتفق عليه : " لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في دوية مهلكة" (٤) الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم في البر باب تحريم ظلم المسلم ح : ٢٥٦٤ وابن ماجه في الزهد باب القناعة ح : ٤١٤٣ ،وأحمد في المسند : ٧٨١٤ وقال أحمد شاكر : اسناده صحيح .

(٢) أخرجه مسلم في الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء ح : ٨٩٨ .

(٣) والحديث بألفاظ مختلفة رواه البخارى في صحيحه في التوحيد ، باب قوله تعالى * كل يوم هوفي شأن * عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا ،ورواه النسائي مسندا مرفوعا في السهو باب الكلام في الصلاة ٣/١٦ ،كما أسنده مرفوعا الامام أحمد في المسند :٣٥٧٥، ٣٨٨٥، ٣٩٤٤، ٤١٤٥ وقال أحمد شاكر عقب ذكر كل من هذه الأحاديث اسناده صحيح .

(٤) البخارى في صحيحه في الدعوات باب التوبة ح : ٦٣٠٨، ٦٣٠٩، ومسلم في التوبة باب في الحث على التوبة والفرح بها ح : ٢٧٤٣، ٢٧٤٤، ٢٧٤٧.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه قوله :
" يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة ".(١)

وروى البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :
يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله محضا لم يشب / وفي رواية أقرب الكتب عهدا بالله / تقرؤنه محضا لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم ".(٢)

فكل ما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال الله تعالى التي يشاؤها ويقدرها مثل قربه من عباده كيف يشاء وتكلمه مع ملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام وعباده يوم القيامة وغضبه وضحكه ، ونزوله الى سماء الدنيا ومجيئه واتيانه يوم القيامة وسمعه للمسموعات وبصره للمبصرات وغيرها أفعال اختيارية بمشيئته وقدرته من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل .

---

(١) البخارى في الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ح : ٢٨٢٦ ،ومسلم في الامارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ح : ١٨٩٠ ،النسائي في الجهاد باب اجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة ٦/ ٣٢ ، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٩١ .

(٢) في التوحيد باب قول الله عز وجل * كل يوم هو في شأن * ح : ٧٥٢ .

ثم قـــــال

بعد أن أورد هذه الأحاديث : " وهذا الباب في الأحاديث كثير جـــــدا يتعذر استقصاؤه ،ولكن نبهنا ببعضه على نوعه ،والأحاديث جاءت في هـــذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث ".(١)

وذكر أن " أهل الاثبات بينوا أن العقل مطابق موافق لما أخبرت بـــه النصوص ،ودلت عليه ،لا معارض له ،لكن المقصود أن نبين أن القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يحصر .(٢)

بين ان اثبات هذه المسألة هو مذهب أكثر أهل الحديث ، بـــل قول أئمة الحـديث وهو الذى نقلوه عن سلف الأمة وكثير من الفقهاء والصوفيـــة

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ وانظر منهاج السنة ٢/ ٣٨١ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

أو اكثرهم : وفيهم من الطوائف الاربعة - الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية - من لا يحصى عدده الا الله تعالى (١) اذا ليس اثبات هذا الأصل خاصا بالكرامية والمجوس كما ادعت الاشعرية .

وبين ان أهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تبارك وتعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها ، والجهمية والمعتزلة تنكر هذا حتى جاء عبدالله بن سعيد بن كلاب فأثبت قيام الصفات اللازمة به تعالى ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي ، وأبوالحسن الأشعرى وغيرهما ، وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب الى قول ابن كلاب ، ولهذا أمر الامام أحمد بهجره ، وكان الامام أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ، ثم قيل عن الحارث : انه رجع عن قوله.(١)

وأئمة السنة والحديث على اثبات نوعين من هذه المسألة ، هو الذى ذكره عنهم من نقل مذهبهم ، كحرب الكرماني ، وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما ، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة ، وأن ذلك مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين ، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كالامام أحمد واسحاق بن راهويه وعبدالله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور .

وقال عثمان الدارمي وغيره : ان الحركة من لوازم الحياة ، فكل حي متحرك وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات ، الذين اتفق السلف الصالح على تضليلهم وتبديعهم .

وطائفة أخرى من السلف كنعيم بن حماد الخزاعي والبخارى صاحب " الصحيح " وأبي بكر بن خزيمة ، وغيرهم كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله : يثبتون المعنى الذى يثبته هؤلاء ، ويسمون ذلك فعلا ونحوه .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١) درء تعارض ٢/٦ بتصرف قليل .

ومن هو" لا" من يمتنع عن اطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور.(١)

وقد حصل نزاع بين امام الأئمة ابن خزيمة وأصحابه في هذه المسألة.(٢)

وكان ابن كلاب والحارث المحاسبي وأبو العباس القلانسي وغيرهم يثبتون مباينة الخالق للمخلوق ،وعلوه بنفسه فوق المخلوقات ،وكذلك الأشعرى كما تقدم(٣) . وأبو الحسن الأشعرى لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ومال الى أهل السنة والحديث ، وانتسب الى الامام أحمد ،كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها "كالابانة" و"الموجز" و"المقالات" وغيرها ، وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر عبد العزيز وأبي الحسن التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة في الجملة .(٤)

وكلام السلف الصالح رحمهم الله تعالى في هذه المسألة ومن نقل مذهبهم كثير جدا في كتب التفسير والأصول .

قال الامام الحافظ اسحاق بن راهويه : حدثنا بشر بن عمر : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أى ارتفع .

وقال أبو الحسن الأشعرى لما ذكر مقالة أهل السنة والحديث :" ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله ينزل الى السماء الدنيا

---

(١) درء تعارض ٢/٧-٨ بتصرف قليل .

(٢) انظر درء ٢/١٩ وذلك لما كان المستقر عند امام الأئمة ابن خزيمة ماتلقاه عن أئمته : من أن الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة ،وكان له أصحاب كأبي على الثقفي وغيره تلقوا طريقة ابن كلاب ،وهو أن الله لا يوصف بأنه يقدر على الكلام اذا شاء ولا يتعلق ذلك بمشيئته فأمر ولاة الأمر بتأديبهم لمخالفتهم له . انظر درء تعارض ٢/ ٩١.

(٣) في مسألة الاستواء .

(٤) درء تعارض ٢/١٦.

... ، ويقرون بأن الله سبحانه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ (١) ، وأن الله تبارك وتعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : ﴿ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ (٢).

وروى الخلال في السنة بسنده عن الامام أحمد رحمه الله تعالى قيل له : أهل الجنة ينظرون الى ربهم عز وجل ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ، ينظر وينظرون اليه ويكلمهم ويكلمونه ، كيف شاء واذا شاء ". (٣)

وروى أيضا باسناده عن الامام أحمد رحمه الله تعالى قال : نحن نؤمن بأن الله عزوجل على العرش كيف شاء وكما شاء ،بلا حد (٤) ولا صفة يبلغها واصف ، أو يحده أحد ، فصفات الله له ومنه ،وهو كما وصف نفسه ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ بحد ولا غاية ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ (٥) هو عالم الغيب والشهادة ، وعلام الغيوب ،ولا يدركه وصف واصف ، وهو كما وصف نفسه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾. (٦)

وروى الخلال أيضا باسناده عن حنبل قال : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى (أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا)

---

(١) الفجر : ٢٢.

(٢) ق : ١٦ ،مقالات الاسلاميين ٣٢٣/١.

(٣) درء تعارض ٢٩/٢.

(٤) ويعني الامام أحمد رحمه الله بذلك نفي الاحاطة بالله تعالى عز وجل علم الخلق به ،وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه الا بما أخبر عن نفسه ، ليبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته كما قال الشافعي في خطبة رسالته " : الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه ،وفوق ما يصفه به خلقه " وهذا القول لا ينافي ما نص عليه الامام أحمد نفسه وغيره من الأئمة كالامام عبد الله بن المبارك ،قيل له : كيف تعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد " وهذا الحد لا يعلمه غيره تعالى ،انظر درء تعارض ٣٣/٢-٣٥.

(٥) الأنعام : ١٠٣. (٦) الشورى : ١١ ،درء تعارض ٣٠/٢.

و" ان الله يرى " و" ان الله يضع قدمه "[١] وما أشبه هذه الأحاديث ،فقال أبوعبدالله ،نؤمن بها ،ونصدق بها ،ولا كيف ولا معنى - أى لا نكيفهـا ولا نحرفها بالتأويل فنقول : معناها كذا - ولا نرد منها شيئا ،ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق ،اذا كان آسانيد صحاح ،ولا نرد علـى قوله ،ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلاحد ولا غاية ، ليس كمثله شيء[٢].

وقال الامام أحمد أيضا رحمه الله تعالى : " ونصفه كما وصف به نفسه ،وصفاته منه وله ،ولا نتعدى القرآن والحديث ،فنقول كما قال ،ونصفه كما وصف نفسـه ، ولا نتعدى ذلك ،ولا تبلغه صفة الواصفين ،نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ،وما وصف به نفسه من كلام ونزول ، وخلوه بعبده يوم القيامة ، ووضعه كتفه[٣] عليه - هذا كله يدل علـى أن

---

(١) وحديث المتقدم متفق على صحته في البخارى في التفسير سورة ق باب وتقول هل من مزيد ، وفي الايمان والنذور ،باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ح : ٦٦٦١ ،وفي التوحيد باب قول الله تعالى وهوالعزيز الحكيم ح : ٧٣٨٤ وباب ما جاء في قول الله تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ح : ٧٤٤٩ ،وفي صحيح مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح :٢٨٤٨ وفـي المسند ٢/٣٦٨-٣٦٩ و ٥١٣١٣.

(٢) درء تعارض ٢/٣٠-٣١.

(٣) لعله يريد "كنفه" وهو الصحيح الذى ورد في الأحاديث الصحيحـة كحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتفق عليه عن صفوان بن محرز قال : " بينا ابن عمر يطوف اذ عرض رجل فقال : أبا عبد الرحمن - أو قال يا ابن عمر هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى ؟ فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يدني المؤمن من ربه ،وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف) الحديث للبخارى في التفسير باب (ويقول الأشهـاد

===

الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة ، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد الا ما وصف به نفسه : سميع بصير ،لم يزل متكلما عالما غفورا ،عالم الغيب والشهادة ،علام الغيوب ،فهذه صفات وصف الله بها نفسه ، لا تدفع ولا ترد ،الى أن قال : " والخبر بضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك الا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ،وبتثبيت القرآن الكريم ،لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة ".(١)

وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى /(الله يتكلم كيف يشاء)(٢) وقال أيضا : نقول : ان الله لم يزل متكلما اذا شاء).(٣)

وسئل الامام أحمد رحمه الله تعالى عن المشبهة ما تقول ؟ قال : من قال بصر كبصري ، ويد كيدي ،وقدم كقدمي ،فقد شبه الله بخلقه ،وهذا يحده ، وهذا كلام سوء ،وهذا محدود ،والكلام في هذا لا أحبه ".(٤)

وقال الامام عبد العزيز المكي الكناني في مناظرته لبشر المريسي :" انه تعالى لم يزل يفعل ولا يمنعه منه مانع".(٥)

وقال : "ان شاء فعله وان شاء لم يفعله "(٦) وفي كلامه دلالة صريحة على أنه يجعل الخلق غير المخلوق ،والفعل غير المفعول وأن الفعل صفة لله مقدور لله اذا شاء).(٧)

=== هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ح : ٤٦٨٥ وفي الأدب باب ستر المؤمن على نفسه ح ٦٠٧٠ ،وفي التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح : ٧٥١٤ ومسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل ،وان كثر قتله ح : ٢٧٦٨ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٨٣.

(١) درء تعارض ٢/ ٣١- ٣٢.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٣٥ . (٣) المصدر السابق ص ٣٦.

(٤) درء تعارض ٢/ ٣٢ . (٥) المصدر السابق ٢/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٦.

(٧) المصدر السابق ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥.

وصنف الامام الصابوني كتابه الذى سماه عقيدة أصحاب الحديث وقال فيه :
أصحاب الحديث - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون الله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل ﴿ يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ (١) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أوالقوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونهما بكيف أوتشبيهما بأيدى المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ومَنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢)، وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والارادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر) (٣).

---

(١) (ص : ٧٥).

(٢) (الشورى : ١١).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ السلام أبي عثمان الصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٠٥ - ١٠٧ كما طبعت مع مجموعة الرسائل الكمالية ص ٧٣ وكما طبعت مستقلة في وقت قريب.

وبين أن لفظ (الحوادث) مجمل ، فقد يراد به الأمراض والنقائص ، والله تعالى منزه عن ذلك كما نزه نفسه عن السنة والنوم واللغوب ، وعن أن يؤوده حفظ السموات والأرض وغير ذلك مما هو منزه عنه بالنص والاجماع . وذكر أن كثيرا من نفاة الصفات كالمعتزلة وغيرهم يجعلون مثل هذا حجة في نفي قيام الصفات أو قيام الحوادث به مطلقا وهو غلط منهم ، فان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام ، ولا يجب اذا نفيت عنه النقائص والعيوب أن ينتفى عنه ما هو من صفات الكمال ونعوت الجلال .(١)

ولا عجب أن يولي شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى أفعال الله تعالى الاختيارية القائمة بذاته تعالى وبقدرته ومشيئته اهتمامه الكبير ويعتني بها عناية خاصة ويفيض فيها بالبحث والتحليل مما لم أر لغيره وذلك أنه قد اتفق على انكارها ونفيها المتكلمون من معتزلة وأشعرية وغيرهم والفلاسفة ، بل ادعى الأشعرية كما ذكره الآمدي وغيره أنه لم يقل بقيام الحوادث بذاته تعالى الا الكرامية والمجوس .(٢)

فقام شيخ الاسلام ابن تيميه والعلامة ابن القيم وغيرهما بجهود كبيرة في بيان هذه المسألة بيانا شافيا كافيا وأوردوا الأدلة الكثيرة القاطعة القوية نقلية وعقلية وأقوال سلف الأئمة رحمهم الله تعالى .

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٣٨١ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٢) انظر درء تعارض ٤/ ١٩ نقلا عن أبكار الأفكار للآمدي خ ١/ ٤٧٦-٤٧٧.

كما أثبت هذا الأصل بالدليل العقلي فقال : " فان المثبتين يقولون : كونه قادرا على الفعل بنفسه صفة كمال ،كما أن قدرته على المفعول المنفصل صفة كمال ،فانا اذا عرضنا على صريح العقل من يقدر / على الفعل القائم به والمنفصل عنه ومن لا يقدر على أحدهما ،علم أن الأول أكمل ". (١)

وذكر مقالات الناس في هذه المسألة فذكر قول الجهمية (٢) ومن وافقهم من المعتزلة ،وقول الكلابية (٣) ومن وافقهم من السالمية وغيرهم ،كما ذكر قول السلف وأئمة السنة والحديث وكثير من أهل الكلام و منهم الكرامية الذى يهمنا .

وأيد شيخ الاسلام ابن تيمية قول السلف الذين يثبتون أفعال الله الاختيارية القائمة بذاته تبارك وتعالى بقدرته ومشيئته ،وذلك قول الكرامية الذى اتبعت فيه السلف رحمهم الله تعالى غير أن الكرامية خالفتهم في قولها : انه تعالى يفعل بعد أن لم يكن فاعلا (٤) ،فالسلف يقولون : انه تعالى يفعل ويتكلم اذا شاء " (٥) وانه تعالى لم يزل اذا شاء (٦) ولم يزل يفعل ". (٧)

---

(١) درء تعارض ٢/٢٢٠ وانظر المصادر السابق ٤/٩٣.

(٢) يقولون : لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات ،ولا غيرها لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع ،اذ الصفة عرض ،والعرض لا يقوم الا بجسم ،جامع الرسائل ،المجموعة الثانية ص ٢٢٧.

(٣) يقولون : تقوم به صفات بغير مشيئته وقدرته فأما ما يكون بمشيئته وقدرته ، فلا يكون الا مخلوقا منفصلا عنه لا يقوم بذات الرب تعالى ،وقالوا : ان ذلك حادث ،والرب لا تقوم به الحوادث ،فانه اذا كلم موسى بن عمران بمشيئته ،كان ذلك النداء والكلام حادثا ،ولو قامت به الحوادث لم يخل منها ،وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ،جامع الرسائل المجموعة الثانية ص ٤ ، ٧. ثم اختتم بقول السلف وأئمة السنة والحديث وكثير من أهل الكلام كالهشامية والكرامية وغيرهم : يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته .

===

وذلك أن الكرامية تقول : " ان جنس الحوادث يكون بعد أن لم يكن ". [١]

وقد أنكر هذا القول أئمة أهل السنة والحديث كالامام أحمد رحمه الله تعالى وغيره . وقالوا ان نوع الفعل أو الجنس لم يزل متصفا به بمشيئته وقدرته شيئا فشيئا فهو حادث الآحاد قديم النوع. [٢]

أما اثبات أفعال الله تعالى الاختيارية أو الأمور التي تقوم بذاته وقدرته ومشيئته مثل كلامه تعالى وسمعه للمسموعات وبصره للمبصرات وارادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه فقد بين شيخ الاسلام ابن تيميه أنه مذهب السلف وكثير من أهل الكلام كالكرامية. [٣]

وقد زعم الآمدى أنه لم يثبت قيام الحوادث بذاته تبارك وتعالى من العقلاء الا المجوس والكرامية فقال في ذلك : " العقلاء من أرباب الملل وغيرهم ، متفقون على استحالة قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى غير المجوس والكرامية فانهم اتفقوا على جواز ذلك." [٤]

===

(٤) در، تعارض ٢/٢٢٧، ٣٨٩.

(٥) المصدر السابق .

(٦) الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد / ص ٣٦.

(٧) در، تعارض ٢/٢٢٧، ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٨٠.

(١) المصدر السابق ص١٤٧ - ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ،

(٢) منهاج السنة ٢/٣٧٩ ، در، تعارض ٢/٢٥٤، ٢٥٩، ٣١٣

(٣) انظر جامع الرسائل له المجموعة الثانية ص ٥٠ .

(٤) در، تعارض ٤/١٩ نقله عن أبكار الأفكار خ ١/٤٧٦ - ٤٧٧ دار الكتب المصرية علم الكلام رقم ١٩٥٤.

وهذا الكلام غير صحيح فقد رد عليه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى بقوله : " ليس بنقل مطابق "(١) يعني نقل الآمدى السابق .

وقال : " أما أهل الملل فلا يضاف اليهم من حيث هم أرباب ملة الا ما ثبت عن صاحب الملة ،صلوات الله عليه وسلامه ،أو ما أجمع عليه أهل العلم ،وأما ما قاله بعض أهل الملة برأيه أواستنباطه ، مع منازعة غيره له ، فلا يجوز اضافته ".(٢)

قال : " ومن المعلوم أنه لا يمكن أحد أن ينقل عن محمد صلى الله عليه وسلم ولا عن اخوانه المرسلين ،كموسى / وعيسى صلواة الله عليهما ، ما يدل على قول النفاة لا نصا ولا ظاهرا ،بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ،وتوافق قول أهل الاثبات .

وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والتابعون لهم باحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهورة ،وشيوخ المسلمين المتقدمين ،لا يمكن أحد أن ينقل نقلا صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ،بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات ،فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر.(٣)

قال : (ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب الجمهية نفاة الصفات . . . ولم يكن قبل هذا يعرف في أهل الملة من يقول بنفي الصفات ،ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة

---

(١) درء تعارض ٤/ ٢٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤ .

بذاتـه ،قال : " فلما حدث هذا القول وقالت به المعتزلة ،وقالوا : لا تحـل به الأعراض والحوادث ،وأرادوا بذلك أنه لا تقوم به صفة كالعلم والقدرة ،ولا فعل كالخلق والاستواء أنكر أئمة السلف ذلك عليهم كما هو متواتر معروف ".(١)

قال : " ومن هذا قالت المعتزلة : ان القرآن مخلوق ،لأنه لو قام بذاته للزم أن تقوم به الأفعال والصفات ،وأطبق السلف والأئمة على انكار هذا عليهم ، وكل من خالفهم قبل ابن كلاب كان يقول بقيام الصفات والأقوال والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته به ، لكن ابن كلاب ومتبعوه فرقوا بين ما يلزم الذات من أعيان الصفات كالحياة والعلم ،وبين ما يتعلق بالمشيئة والقدرة فقالوا هذا لا يقوم بذاته لأن ذلك يستلزم تعاقب الحوادث عليه ،وابن كرام ... كان بعد ابن كلاب بمدة، وكان أكثر أهل القبلة قبله على مخالفة المعتزلة والكلابية ،حتى طوائف أهل الكلام من الشيعة والمرجئة كالهشامية وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير الأثرى وغيرهما ،وأمثال هؤلاء كانوا يقولون بقيام الحوادث به ".(٢)

ومن أكابر شيوخ المعتزلة والشيعة من يقول : انه صار مدركا بعد أن لم يكن كهشام بن الحكم وأبي الحسين البصرى ومن اتبعهما ،لأن الادراك عندهم كالسمع والبصر انما يتعلق بالموجود وهم يقولون : صار مريدا بعد أن لم يكن ،وأما البغداديون وان أنكروا الادراك والارادة فهم يقولون : صار فاعلا بعد أن لم يكن ،قالوا : وهذا القول يتجدد أحكام له وأحوال(٣) وذكر أن أئمة السنة والحديث قد صرحوا بالحركة كما صرحوا بأنه لم يزل متكلما اذا شاء،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٣ - ١٧٤ وانظر منهاج السنة ١/ ٤٢٢.

(٣) منهاج السنة ١/ ٤٢١.

ثم قال : " وأما غير أهل الملل فالفلاسفة متنازعون في هذا الأصل والمحكي عن كثير من أساطينهم القدماء أنه كان يقول بذلك ... حتى صرح بالحركة من صرح منهم ، بل الذين كانوا قبل أرسطو من الأساطين كانوا يقولون بحدوث العالم عن أسباب حادثة ،وهم يقولون بهذا الأصل : اما تصريحا واما لزوما .

وكذلك غير واحد من متأخريهم كأبي البركات البغدادى صاحب " المعتبر" وهو من أعظم الفلاسفة المتأخرين قدرا ،وأنه قال : لا تتم الوهيته لهذا العالم الا بذلك فكيف يحكي الاتفاق على خلاف ذلك . (١)

والرازى الذى هو من أعظم الناس منازعة للكرامية وحصل بينهم ما حصل من الخلاف والمناظرات ،وهذه المسألة من أشهر المسائل التي ينازعهم فيها ومع هذا فقد ذكر أن قولهم يلزم أكثر الطوائف ،وذكر أنه ليس لمخالفيهم حجة صحيحة ،الا الحجة التي احتج بها وهي من أضعف الحجج . (٢)

فقال في كتابه " الأربعين " :" المشهور أن الكرامية يجوزون ذلك وسائر الطوائف ينكرونه ، ومن الناس من قال : ان أكثر طوائف العقلاء يقولون بهذا المذهب وان كانوا ينكرونه باللسان ،أما المعتزلة فمذهب أبي علي وأبي هاشم واتباعهما ،انه مريد بارادة حادثة لا في محل وكاره للمعاصي والقبائح بكراهة محدثة لا في محل فهذه الارادات والكراهات وان كانت موجودة لا في محل الا أن صفة المريدية والكارهية تحدث في ذات الله تعالى وهذا قول بحدوث الحوادث في ذات الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥ - ٢٦ ، انظر منهاج السنة ٤٢٢/١ ،تحقيق د. محمد رشاد وبيان تلبيس الجهمية ٣٠٤/١ .

(٢) درء تعارض ٢٠/٢ ، ١٧٧ بتصرف قليل .

وأيضا اذا حضر المرئي والمسموع حدثت في ذات الله تعالى صفة السامعية والمبصرية بل المعتزلة لا يطلقون لفظ الحدوث وانما يطلقون لفظ التجدد وهذا نزاع في العبارة .

وأما أبو الحسين البصري فانه يثبت علوما متجددة في ذات الله تعالى بحسب تجدد المعلومات - وأما الأشعرية فانهم يثبتون النسخ ويفسرونه بأنه رفع الحكم الثابت وانتهاء الحكم وعلى التقديرين فانه اعتراف بوقوع التغير لأن الذى ارتفع وانتهى فقد عدم بعد وجوده .(١)

وبين شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى أن مما يوضح أن الرازى وأمثاله كانوا يعتقدون ضعف حججهم في هذه المسألة - مع فرط رغبتهم في ابطال قول الكرامية اذا أمكنهم - أنه لم يعتمد على ذلك في مسألة كلام الله تعالى في أجل كتبه "نهاية العقول" ،ومسألة الكلام هي من أجل ما يبنى على هذا الأصل .(٢)

وبهذا يتضح أن تشنيع الأشعرية كعبد القاهر البغدادى والاسفراييني وأبي المعالي والرازى والآمدى وغيرهم على الكرامية في اثباتهم قيام الأمور الاختيارية بذاته تبارك وتعالى لا يعتمد على دليل شرعي ولا عقلي فلا يلتفت الى قولهم .

----

(١) الأربعين ص١١٨ ، وانظر كلامه في درء تعارض ٢/١٥٨-١٥٩ نقلا عن كتابه "نهاية العقول في دراية الأصول في دار الكتب المصرية ،مكتبة طلعت علم الكلام رقم ٥٦٥ ،والثانية دار الكتب المصرية أيضا علم كلام توحيد رقم ٧٤٨ . ودرء تعارض ٢/٢٠٧-٢٠٨ ، ٤/٢٢ ،وانظر منهاج السنة ١/٤٢١-٤٢٢ ،وانظر كلام الآمدى درء تعارض ٢/١٥٨-١٥٩.

(٢) درء تعارض ٢/٢٤٤.

وقول الكرامية هو الصحيح في هذه المسألة لأنه يستند الى الأدلة النقلية والعقلية المذكورة وما ذهب اليه سلف هذه الأمة وقد بين كل هذا شيخ الاسلام ابن تيميه كما تقدم بيانا شافيا كافيا .

قالت الكرامية : ان خصومنا من الكلابية والأشعرية قد شنعوا علينا في قولنا بحدوث الكلام في ذاته تعالى بمشيئته واختياره مع أنه لا حجة لهم في هذا التشنيع على أنهم قد قالوا بمثل قولنا في أفعاله تعالى فجعلناها حادثة، ولزمهم في ذلك مثل ما لزمنا من أن الله كان معطلا عن الفعل في الأزل ، ثم صار فاعلا بلا تجدد سبب أوجد القدرة ،بل نحن أقرب منهم الى الحق لأننا جعلنا الكلام والفعل صفتين قائمتين بذاته.

وأما هم فعطلوه عن قوله وفعله ،فان القول المسموع عندهم مخلوق كما أن الفعل عين المفعول المخلوق ."(١)

وقد علق على هذا الكلام العلامة الامام ابن قيم الجوزية وبين أن الكرامية أقرب الى الحق من الكلابية والأشعرية في هذه المسألة مع انحراف الكرامية عن الحق والصواب اذ جوّزوا بخلوه تعالى في الأزل عن الكلام والفعل غير أن خطأهم أهون من خطأ هؤلاء ، فقال في ذلك : " ولا شك أن تعطيل البارى عن قوله وفعله شر ، وأدخل في الباطل من القول بحلول الحوادث في ذاته ،والحق أن مقالة ابن كرام وان كانت منحرفة عن جادة الصواب حيث حكم بخلوه تعالى في الأزل عن الكلام والفعل وهما من صفات كماله الا أن خطأه أهون من خطأ الأشعرية ،ولهذا لم يستطيعوا أن يردوا عليه ببرهان جلي فان ما قاله أقرب الى العقل والنقل مما قالوه".(٢)

---

(١) شرح نونية ابن القيم للدكتور محمد خليل هراس ١/ ١١١.

(٢) المصدر السابق .

وما بين أن قول القائل : " الجمهور على خلاف ذلك ،وانما الخلاف فيه مع الكرامية " قول من ظن أن طوائف منحصرة في المعتزلة والكلابية والكرامية ، بل أكثر طوائف المسلمين يجوزون ذلك : من أهل الكلام وأهل الحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم ، وأما أئمة أهل الحديث والسنة فكالمجمعين على ذلك ، فكلام من يعرف كلامه في ذلك صريح فيه ،والباقون معظمون لمن قال ذلك ،شاهدون له بانه امام في السنة والحديث.(١)

وأما قول الكرامية " ان ما يحدث في ذاته فانما يحدث بقدرته وما يحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث" الى آخر ما قالوا ،فان هذا مبني على قول جماهير الناس ان الخلق القائم بذاته تعالى بمشيئته وقدرته غير المخلوق المنفصل عن ذاته تبارك وتعالى والذى كان بالخلق كالارادة والقول ، وقد بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيميه بقوله : " ان جماهير الناس يقولون : الخلق غير المخلوق ، / والفعل غير المفعول ،وهذا قول جماهير الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وجماهير الصوفية ،وجماهير أهل الحديث ،بل كلهم ، وكثير من أهل الكلام والفلسفة أوجماهيرهم ، فهو قول أكثر المرجئة من الكرامية وغيرهم ،وأكثر الشيعة ،وكثير من المعتزلة والكلابية ،وكثير من الفلاسفة ، ولأصحاب مالك والشافعي وأحمد في ذلك قولان ،فالذى عليه أئمتهم : أن الخلق غير المخلوق ، وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى وقول جمهور أصحاب أحمد ، وهو الذى حكاه البغوى عن أهل السنة ،وقول كثير من الكلابية ".(٢)

والصواب في هذه المسألة مع الكرامية اذ فرقت بين ما يقوم بذاته بقدرته ومشيئته وهو الحادث كالفعل والخلق وبين المخلوق المنفصل عن ذاته تبارك وتعالى وهو المفعول الذى كان بالحادث كالقول والارادة .

---

(١) المصدر السابق ٣٣٠-٣٣١.

(٢) درء تعارض ٢/٢٦٤ ،وانظر المصدر السابق ١/ ٢،١٩٣/ ١١٢، ٢٥٨، ٢٦١.

وذلك أنهم اتبعوا في ذلك السلف الصالح بل وهو قول جماهير الناس كما مر بنا قريبا ، والذين أخطأوا في هذه المسألة هم الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين لا يثبتون الصفات أصلا ،وكذلك الكلابية والسالمية ومن وافقهم الذين لا يثبتون الأفعال الاختيارية والأمور التي تقوم بذاته تبارك وتعالى بقدرته ومشيئته والحوادث عندهم المخلوقات المنفصلة عن ذاته تبارك وتعالى وكل ذلك تقدم بيانه.

وأما قول الكرامية : " ان الكلام والفعل كان بعد أن لم يكن وأن جنس الكلام والفعل حادث له ابتداء في ذاته فان الذى ألجأهم الى ذلك الخوف من القول بحوادث لا أول لها ، وأن هذا يلزمه التسلسل في الموجودات.(١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ان الحوادث اما أن يمتنع دوامها ويجب أن يكون شل لها ابتداء ،واما ألا يمتنع دوامها بل بجواز حوادث لا أول لها ، فان كان الأول : لزم وجود الحوادث عن القديم الواجب الوجود بنفسه من غير حدوث شيء من الأشياء ،كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام سواء قالوا : انها تصدر عن القادر المختار ،ولم يثبتوا له ارادة قديمة ،كما تقوله المعتزلة والجهمية ، أوقالوا : انها تصدر عن القادر المختار المريد بارادة قديمة أزلية ، كما تقوله الكلابية والأشعرية والكرامية ".(٢)

ولما جعلت الكرامية جنس الحوادث بذاته تبارك حادثا خوفا من القول بحوادث لا أول لها ،وخوفا من التسلسل في الموجودات ،وهذا يلزم قائله حدوث الحوادث بلا سبب حادث ،وذلك يستلزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح

---

(١) انظر شرح نونية ابن القيم للدكتور محمد خليل هراس ١/١٠١.

(٢) منهاج السنة ١/١٨٧-١٨٨ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

الا الارادة القديمة والقدرة القديمة فالتزمت الكرامية ذلك [١] ، وقالوا : بل يرجح مع كون الرجحان أولى لا مع وجوبه كما قاله محمد بن الهيصم وغيره من الكرامية [٢] وغيرهم.

وقد جوز شيخ الاسلام ابن تيميه قدم جنس صفات الأفعال الاختيارية والأمور القائمة بذاته تبارك وتعالى مع حدوث أفرادها وخروجها الى الوجود شيئا بعد شيء لا الى أول مستلزما للتسلسل [٣] وقال : " وأما تعاقب الحوادث فقد نفوه بناء على امتناع حوادث لا أول لها ،فان صح هذا الفرق والا لزمهم طرد الجواز كما طرده غيرهم ممن لا يمنع ذلك [٤] ،وقد أورد أقوال المنازعين في تسلسل الحوادث وهو نوعان :-

النوع الأول : تسلسل في العلل والفاعلين والمؤثرات :

بأن يكون للفاعل فاعل ،وللفاعل فاعل الى ما لا نهاية له ،وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء .

والنوع الثاني : تسلسل في الآثار :

بأن يكون الحادث الثاني موقوفا على حادث قبله ،وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك ،وهلم جرا ،فهذا في جوازه نزاع مشهور، والناس فيه على أربعة أقوال :

---

(١) انظر درء تعارض ٢/١٨٠ ، ١٨١، ٢٥٩، ٢٢٧ ، ٣٨٦-٣٨٨، ٢٩٤/٤.

(٢) درء تعارض ٦٣ ، ٦٤.

(٣) انظر منهاج السنة ٢٧٩/٢ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٤) درء تعارض ٢٠٢/٢.

القول الأول : منعه في الماضي والمستقبل كما ذهب الى ذلك جهم وأبو هذيل وهو أضعف الأقوال .

القول الثاني : منعه في الماضي دون المستقبل ،وهو قول كثير من طوائف أهل الكلام كالجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الكرامية والأشعرية والشيعة ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

القول الثالث : تجويزه فيهما فيما هو مفتقر الى غيره كالفلك ،سواء قيل : انه محتاج الى مبدع كما قال ابن سينا وأتباعه ،أوقيل : انه محتاج الى ما يشبه به ،كما قال أرسطو وغيره .

القول الرابع : يجوز فيهما ،لكن لا يجوز ذلك فيما سوى الرب ، فانه مخلوق مفعول ،وحوادثه القائمة به لا تحصل من غيره ،وهو مذهب أئمة أهل السنة والحديث وأئمة الفلاسفة وغيرهم ". (١)

وأيد شيخ الاسلام ابن تيميه هذا القول الأخير ونصره واختاره ، ولا شك أنه هو القول الحق والصواب اذ قال به أئمة السنة والحديث وهو الذى تدل عليه جميع الأدلة النقلية منها والعقلية.

وقد أبطل ما اعتمد عليه القائلون بامتناع تسلسل الحوادث وتعاقبها في الماضي كالكرامية وغيرهم وهو دليل التطبيق فقد رد عليه وكشف عن زيفه حيث قال : " مثال ذلك أن يقدروا الحوادث من زمن الهجرة مثلا الى ما لا يتناهى والحوادث من زمن الطوفان الى ما لا يتناهى أيضا ثم يوازنون بين الجملتين فيقولون ان تساوتا لزم مساواة الزائد الناقص وهذا ممتنع ،وان تفاضلتا لزم أن

---

(١) درء تعارض ١/ ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٤/ ٢٩٢ - ٢٩٣ ،منهاج السنة ١/ ١٧٦ بتصرف قليل .

يكون فيما لا يتناهى تفاضل وهو محال .

والذين نازعوهم من أهل الحديث والكلام والفلسفة منعوا هذه المقدمة وقالوا لا نسلم أن حصول مثل هذا التفاضل في ذلك ممتنع بل نحن نعلم أن من الطوفان الى ما لا نهاية له في المستقبل أعظم من الهجرة الى ما لا نهاية له في المستقبل وكذلك من الهجرة الى ما لا بداية له في الماضي أعظم من الطوفان الى ما لا بداية له في الماضي ، وان كل منهما لا بداية له فان ما لا نهاية له من هذا الطرف وهذا الطرف ليس أمرا محصورا محدودا موجودا حتى يقال هما متوازيان في المقدار فكيف يكون أحدهما أكثر بل كونه لا يتناهى معناه أنه يوجد شيئا بعد شيء دائما فليس هو مجتمعا محصورا ، والاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوى في المقدار الا اذا كان ما يقال عليه انه لا يتناهى قدرا محدودا وهذا باطل فان ما لا يتناهى ليس له حد محدود ولا مقدار معين بل هو بمنزلة العدد المضعف فكما أن اشتراك الواحد والعشرة والمائة والألف في التضعيف الذى لا يتناهى لا يقتضي تساوى مقاديرها فكذلك هذا ، وأيضا فان هذين هما متناهيان من أحد الطرفين وهو الطرف المستقبل غير متناهيين من الطرف الآخر وهو الماضي.(١)

وحينئذ فقول القائل لزم التفاضل فيما لا يتناهى غلط ، فانه انما حصل في المستقبل وهو الذى يلينا وهو متناه ثم هما لا يتناهيان من الطرف الذى لا يلينا وهو الأزل وهما متفاضلان من الطرف الذى يلينا وهو طرف الأبد فلا يصح أن يقال وقع التفاوت فيما لا يتناهى اذ هذا يشعر بأن التفاوت حصل في الجانب الذى لا آخر له وليس كذلك بل انما حصل التفاضل من الجانب المنتهى

---

(١) منهاج السنة ١/١٢٠.

الذى له آخر فانه لم ينقض ".(١)

وأما ما ذكر عن الكرامية من أن الحوادث التي تقوم بذاته تبارك وتعالى واجبة البقاء فقد بين شيخ الاسلام ابن تيميه أن ذلك يخالف قول أئمة أهل السنة والحديث وأئمة أكثر الطوائف وهو الذى يختاره ويؤيده وهو الحق الذى يجب اتباعه فقال في ذلك : " قول الكرامية الذى حكاه (أى الآمدى) عنهم من أنه يستحيل تعرى البارى عن الأقوال الحادثة في ذاته بعد قيامها، قول لا يوافقهم عليه كل من وافقهم على أصل هذه المسألة ، فان الموافقين لهم على أصل المسألة هم أكثر الناس ، وأئمتهم من الطوائف كلها ، حتى من أئمة أهل السنة والحديث وأئمة الفلاسفة ، أهل الشرع وأهل الرأى ،وأما / هذا القول فموافقهم عليه قليل ".(٢)

ومما احتج نفاة أفعال الله تعالى الاختيارية كأبي المعالى الجوينى على الكرامية أنهم تناقضوا (٣) وقد سلمت الكرامية لعمدة نفاة أفعال الله تعالى الاختيارية ،ان القابل للشئ لا يخلو عنها ومن ضده بعد الاتصاف كذلك قبل الاتصاف.(٤)

وقال الآمدى : " السابع - في تناقض الكرامية - أنهم جوزوا اجتماع الارادة الحادثة مع الارادة القديمة ،ومنعوا ذلك في العلم والقدرة ،ولو سئلوا

---

(١) المصدر السابق وانظر كتاب ابن تيمية السلفي للدكتور محمد خليل هراس ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) درء تعارض ٤/ ١٣٦.

(٣) درء تعارض ٢/ ١٧٨، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٨ ، ٤/ ٦١ ، منهاج السنة ٢/ ٢٦٤ ، تحقيق د . محمد

(٤) المصدر السابق .

عن الفرق لكان متعذرا ."[1] وذكر مثل هذا عنهم أبو المعالى الجويني .[2]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية على قوله : " ان كانوا هم فرقوا فغيرهم لم يفرق ،بل جوز تجدد علوم وقدر ".[3]

وقال : " فان غاية هذا الكلام (كلام أبي المعالي) - ان صح - أن الكرامية تناقضوا وقالوا قولا ولم يلتزموا بلوازمه ".[4]

وقد سبق في بداية هذا البحث قول الشهرستاني أن بعض الكرامية تثبت تعدد القدرة بتعدد الايجاد الذى هو الحادث من الأقوال والارادات ، وهذا صحيح موافق لقول شيخ الاسلام ابن تيمية وهو خلاف ما ذكره الآمدى عن الكرامية .

ولذلك لم يعين شيخ الاسلام ابن تيمية خطأ الكرامية في اثباتها حدوث القول والارادة الحادثتين دون القدرة والعلم ولكن يلزمهم الخطأ اذ قال " ان كان ما ذكره (أبو المعالي) لازما لهم لزمهم الخطأ ، اما في اثبات الملزوم واما في نفي اللازم ،ولم يتعين الخطأ في أحدهما ،فلم لا يجوز أن خطؤهم في نفي اللوازم ؟ فان أقام على ذلك دليلا عقليا كان هو حجة كافية في المسألة ،والا استفدنا خطأ الكرامية في أحد قوليهم و وان لم يكن ما ذكره لازما لهم لم يفد لا اثبات تناقضهم ولا دليلا في مورد النزاع ".[5]

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان تناقضت الكرامية فغيرهم الذين يثبتون هذا الأصل وهم أكثر الناس لم يتناقضوا .[6]

---

(١) درء تعارض ٤/٢٦٦ نقلا عن أبكار عن أبكار الأفكار خ ١/٤٨٨.

(٢) الارشاد ص ٤٦ ،ودرء تعارض ٢/١٩٨.

(٣) درء تعارض ٤/٢٦٦ وانظر ٢/٢٠٣.

(٤) المصدر السابق ٢/١٩٨ ، ٢٠٣.

(٥) المصدر السابق ٢/١٩٩.

(٦) المصدر السابق ٢/١٧٧ ، ١٨٧.

وقال : " وبالجملة عامة ما يذكر في هذا الباب (اثبات الحوادث بذاته تعالى بقدرته ومشيئته) يعود الى نوع تناقض من الكرامية ،وهو عمدة منازعيهم، ليس معهم ما يعتمدون عليه الا تناقضهم ،وتناقض أحد المتنازعين لا يستلزم صحة قول الآخر ، لجواز أن يكون الحق في قول ثالث ،لا قول هذا ولا قول هذا لا سيما اذا عرف أن هناك قولا ثالثا ،وذلك القول يتضمن زوال الشبه القادحة في كل من القولين الضعيفين ".(١)

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أنهم ينفون قيام الأكوان بالله تعالى لأنها هي دليلهم على حدوث العالم كما استدلت بذلك المعتزلة وهم يقولون : المتصف بالأكوان لا يخلو منها .(٢)

ثم أورد النزاع بين الكرامية وبين غيرها كالمعتزلة في الصفات ومنها الأفعال الاختيارية والأمور القائمة بذاته تبارك وتعالى بمشيئته وقدرته .

ثم علق بقوله : " ومن تدبر كلام هؤلاء الطوائف - بعضهم مع بعضهم - تبين له أنهم لا يعتصمون فيما يخالفون الكتاب والسنة الا بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض ،وآخر منتهاهم : حجة يحتجون بها في اثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الاعراض ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدث الذى ذمه السلف .(٣)

---

(١) درء تعارض ٤/ ٦١.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

موجود ، وكذلك هنا ان صح اطلاقها على الله تعالى لفظ الانتقال وتقصد به النزول مثلا فالنزول لفظ شرعي ثبت لله عزوجل من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل أما لفظ الانتقال فقد اختلف فيه بعض العلماء فمنهم من أثبتها ومنهم من نفاها والصواب مع من اختصر على الألفاظ الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة (١) .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن السلف ما كانوا يستعملون الالفاظ المجملة المبتدعة التي لم ترد في كتاب الله تبارك وتعالى وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ويجب على المسلم ان يلتزم الالفاظ الواردة في الشرع كما يلتزم المعاني الثابتة في الشرع كذلك وخاصة المسائل التي تتعلق باصول الدين كصفات الله عزوجل وكل ذلك سبق تفصيله وبيان شيخ الاسلام ابن تيمية الحق فيه خير بيان بيانا شافيا رحمه الله تعالى رحمة واسعة في رده على الكرامية في قولهم ان الله تعالى جسم ، وسأورد موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من صفة النزول لله تبارك وتعالى وأدلته على ذلك ليتضح لنا مدى موافقة الكرايمة للسلف أو مخالفتها لهم ، إن الكرايمة قد وافقت السلف في إثباتها صفة النزول لله عز وجل فقد اثبت ابن تيمية هذه الصفة استنادا الى ما ورد في السنة الصحيحة المتواترة في ذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم " اى حديث النزول ... " جماعة كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم قال : " فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث " (٢) وقال الامام الذهبي : أن أحاديث النزول متواترة تفيد القطع / وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (ان نزول الرب تبارك وتعالى الى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة (رضي الله عنهم) قال : وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع (٣) .

---

(١) انظر شرح حديث النزول ص ٨١ .

(٢) شرح حديث النزول ص ١٠٧

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢ / ٢٢١

وقال المحقق الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى : " وهذا حديث النزول رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم - بمعناه - غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم منهم أبو هريرة رضي الله عنه ورواه عن أبي هريرة عدد كثير من التابعين ... وهو حديث صحيح متواتر المعنى ، قطعي الثبوت والدلالة (١) .

كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أسماء بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا هذا الحديث (٢) .

كما أورد المحدث الكبير ناصر الدين الألباني روايات حديث النزول بالتفصيل في كتابه ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل فأورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحده سبعة طرق وبين أحوال الرواة والذين أخرجوا هذه الأحاديث في كتبهم (٣) .

وحديث النزول هذا قد رواه أصحاب الأمهات الستة كالبخارى (٤) في صحيحه ومسلم (٥) في صحيحه وأبوداود (٦) في سننه والترمذى (٧) في سننه والنسائي وذكر الحافظ ابن حجر أن حديث رفاعة الجهني وحديث جبير بن مطعم عند النسائي (٨) ورواه ابن ماجة (٩) كما رواه غير أصحاب أمهات السنة كالامام مالك (١٠) والامام

---

(١) هامش مسند الامام احمد تحقيق احمد محمد شاكر ١٣/ ٢٥١

(٢) فتح البارى ١٣/ ٢٩ - ٣٠

(٣) ٢/ ١٩٥ - ١٩٩

(٤) كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ح: ١١٤٥ وطرفاه: في ٦٣٢١ ، ٧٤٩٤

(٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ح : ٧٥٨

(٦) كتاب الصلاة باب أى الليل أفضل ح: ١٣١٥ وكتاب السنة باب في الرد على الجهمية ح : ٤٧٣٣

(٧) كتاب ابواب الصلاة باب ماجاء في نزول الرب عز وجل الى السماء الدنيا كل ليلة ح : ٤٤٦ وكتاب الدعوات باب حدثنا الأنصارى ح : ٣٤٩٨

(٨) فتح البارى ٣/ ٣٠

(٩) السنن ١/ ٤٣٥ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في أى ساعات الليل أفضل ح: ١٣٦٦

(١٠) في الموطأ (١/ ٢١٤/ ٣٠) .

أحمد (١) والدارمي (٢) وأبوداود (٣) الطيامسي وأبوعوانة (٤) وابن خزيمة (٥) والدارقطني (٦) والآجرى (٧) والبيهقي (٨) وغيرهم .

والحديث له روايات مختلفة قال الامام الحافظ الترمذى (٩) رواية أبي هريرة أصح الروايات وأيد ذلك الحافظ ابن حجر وقال : (ويقوى ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها) (١٠) ولفظ الحديث : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول : من يدعوني فاستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فاغفر له " ، فهذا لفظ البخارى عن أبي هريرة وهو متفق عليه ورواه الامام مالك وأبو داود والترمذى والبيهقي في السنن والاسماء والصفات والامام احمد وكلهم يروون عن طريق الامام مالك عن ابن شهاب الزهرى (١١) ...

والروايات الأخرى ٢- " اذا مضى شطر الليل " و ٣ " الثلث الأول " ٤ - الثلث الأول أو النصف " ٥ - النصف أو الثلث الاخير ، ٦ - الاطلاق ، والرواية المطلقة فهي محمولة على المقيدة ، وأما التي " بأو " فان كانت أو للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه ، وان كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الاحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم (١٢) .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بطلان ما قالت هذه الطائفة " ان ثلث الليل يختلف باختلاف البلاد ، وذكر أن هذا ما جعلوه دليلا على ما يتأولون عليه حديث النزول فقال في الرد عليهم: وهذا الذى ذكروه انما يصح اذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح الى الارض ، وهو يشبه قول من قال : "يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته .

واضاف قائلا : " فاذا قدر النزول هكذا كان ممتنعا ، لما ذكروه من أنه لا يزال تحت العرش في غالب الاوقات أو جميعها (١٣) .

---

(١) في المسند تحقيق احمد محمد شاكر ح : ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٣٦٧٣ ، ٣٨٢١ ، ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ ، ٧٧٧٩ وكلها بأسانيد صحيحة كما قال المحقق احمد محمد شاكر عقب كل حديث .

(٢) السنن (١/ ٣٤٧ - ٣٤٨) والرد على الجهمية ص ٣٨ - ٤١ تحقيق زهير شاوش تخريج الألباني .

(٣) مسند طيالسي ح: (٢٥١٦)

(٤) مسنده (٢/ ٢٨٨)

(٥) في التوحيد ص ٨٣ - ٩٠ (٦) كتاب النزول تحقيق د . علي ناصر الفقي .

(٧) الشريعة ص ٣٠٦ - ٣١٦ تحقيق الشيخ المحقق محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى .

(٨) في السنن (٣/ ٢) وفي الاسماء والصفات ص ٣١٦ - ٣١٧

(٩) سنن الترمذى ٢/ ٣٠٩ كتاب ابواب الصلاة باب ما جاء في نزول الرب عزوجل .

(١٠) فتح البارى ٣/ ٣١

(١١) انظر ارواء الغليل ٢/ ١٩٥ - ١٩٦

(١٢) فتح البارى ٣/ ٣١

(١٣)

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من اثبات الكرامية صفة النزول :

معلوم أن موقف شيخ الاسلام ابن تيمية هو موقف السلف الصالح الا أنه جاء في فترة كان المبتدعة في تمكن وقوة فواجه فرقا كثيرة ذات مذاهب مختلفة وقد كان بعض المخالفين لعقيدة السلف الصالح في عهده يقصدون ابطال الحق وهم يعلمون ، كما أن بعضهم يخالفون الحق لعدم علمهم بذلك وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن رجلين اختلفا في حديث النزول أثبت أحدهما صفة النزول ونفاها الآخر فقال في الجواب عن ذلك : (أما القائل الأول الذى ذكر نص النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فقد أصاب فيما قال ، فان هذا القول الذى قاله قد استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم واتفق سلف الأمة ، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك ، وتلقيه بالقبول ، ومن قال ما قاله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فقوله حق وصدق ، وان كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعان (١) . وذكر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد قاله انه ينزل الى السماء الدنيا - الحديث ، علانية ، وبلغه الأمة تبليغا عاما لم يخص به احدا دون أحد ولا كتمه عن أحد ، وكان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله تعالى تذكره وتأثره وتبلغه ، وترويه في المجالس الخاصة والعامة واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرا في المجالس الخاصة والعامة كصحيحي البخارى ومسلم وموطا مالك ومسند الامام أحمد وسنن أبي داود والترمذى والنسائي وامثال ذلك من كتب المسلمين (٢) .

وقد صرح بخطأ من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه ، كتمثيله بصفات المخلوقين و وصفه بالنقص المنافي لكماله الذى يستحقه ، ويرى أن يمنع من يظهر ذلك ، وان زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه ، فيعتبر ذلك أيضا مخطئا ، قال : فان وصفه سبحانه تعالى في هذا الحديث بالنزول كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستواء الى السماء وهي دخان ، و وصفه بأن خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش و وصفه بالاتيان والمجيء مثل قوله تعالى : ﴿هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ (٣) (٤) وغيرها من الآيات التي ذكرها .

---

(١) شرح حديث النزول ص ٥

(٢) انظر المصدر السابق

(٣) (البقرة : ٢١٠) .

(٤) شرح حديث النزول ص ٥ - ٦

ويعتبر النزول من الافعال التي وصف الله بها نفسه وهي الافعال التي تسميها النحاة أفعالا متعدية أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى اليه الا بحرف الجر، كالاستواء الى السماء وعلى العرش، والنزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك (١) وبين شيخ الاسلام اذا قيل : علم زيد، ونزول زيد، واستواء زيد ونحو ذلك لم يدل ما يشركه فيه غيره لكن لما علمنا أن زيدا نظير عمرو، وعلمنا أن علمه نظير علمه ونزوله نظير نزوله، فهذا علمناه من جهة القياس والمعقول والاعتبار، لا من جهة دلالة اللفظ، فاذا كان هذا في صفات المخلوق، فذلك في الخالق أولى (٢).

فاذا قيل : علم الله وكلام الله ونزوله واستوائه ووجوده وحياته ونحو ذلك، لم يدل ذلك على ما يشركه غيره فيه أحد من المخلوقين بطريق الأولى، ولم يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك كما دل في زيد وعمرو ولم يدل ذلك مماثلة الغير له في ذلك كما دل في زيد وعمرو، لأن هناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار والقياس، لكون زيد مثل عمرو، وهناك نعلم أن الله لا مثل له ولا كفيء ولا ند، فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ... ولا نزوله مثل نزول غيره، قال : ولهذا كان مذهب السلف، اثبات الصفات، ونفي مماثلتها بصفات المخلوقات، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذى لا نقص فيه، منزه عن صفات النقص مطلقا، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله) (٣) وأوضح أن الصفة تتبع الموصوف فاذا قال السائل : كيف ينزل أو كيف يعلم أو كيف استوى قيل له : كيف هو في نفسه ؟ فاذا قال : أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقيل له : وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فان العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف ونقل هذه الطريقة عن بعضهم وأيده وذكر أن هذا يكون اذا استعملت هذه الاسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين، وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة (٤).

وذكر أن ما نقله الرازى وأمثاله من المتأخرين : ان لفظ الوجود وغيره مقول بالاشتراك اللفظي فقط، من غير ان يكون بين المسميين معنى عام، ومثلوا في ذلك لفظ المشترى اذا سمى المبتاع والكوكب، ولفظ سهيل المقول على الكوكب والرجل وحكوا ذلك

---

(١) المصدر السابق ص ٦
(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٠
(٣) شرح حديث النزول ص ١٠
(٤) المصدر السابق ص ١١

عن كل من قال بنفي الأحوال ، وهم عامة أهل الاثبات بما فيهم متكلمة الاثبات كابن كلاب والأشعرى وابن كرام وغيرهم ، بل ومحققي المعتزلة ، كأبي الحسين وغيره فهؤلاء الناقلون مجمعون في كلامهم دعوى الاشتراك اللفظي (١) .

ويقرر شيخ الاسلام أن الذى ينفي شيئا من صفات الله عزوجل بحجة أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم ، فان نفيه باطل ، ولو لم يرد الشرع باثبات ذلك ولا دل عليه العقل ، فكيف ينفي بمثل ذلك ما دل الشرع والعقل على ثبوته ؟ (٢) .

وبين أنه يلزمه ما فر منه من التجسيم والتشبيه حيث وصفه بصفات النقص الذى يجب تنزيه الرب عنها ومع أنه جحد الخالق جل جلاله (٣) .

وأجاب على سؤال السائل : كيف ينزل ؟ وبين أن هذا بمنزلة قوله : كيف استوى ؟ وقوله كيف يسمع ؟ وكيف يبصر ؟ وكيف يعلم ويقدر ويخلق ويرزق قال : وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الاسلام مثل : مالك بن انس، وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

---

(١) يراجع المصدر السابق ص ١١ - ١٢ ، ١٨ ، ١٩

(٢) انظر شرح حديث النزول ص ٢٨- ٢٩

(٣) انظر المصدر السابق نفسه ص ٢٩ ، ٣٠

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية اثبات السلف الصالح رحمهم الله تعالى لهذه الصفة لله تبارك وتعالى وانه ينزل الى السماء الدنيا في كل ليلة كما ورد في الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفا [1]. قال ابو محمد (٢) حرب بن اسماعيل الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن أحمد واسحاق وغيرهما وذكر معها من الاثار عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو كتاب كبير صنفه على طريقة (الموطأ) ونحوه من المصنفات قال في آخره في الجامع : (باب القول في المذهب : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وادركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع، خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ، وهو مذهب احمد واسحاق بن راهويه بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا واخذنا عنهم العلم (٣) ثم قال : (وينزل كل ليله الى السماء الدنيا ، كيف شاء وكما شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (٤) .

وقال ابو الحسن الاشعرى تحت عنوان : هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة قال : ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

وقال أبو عثمان ، اسماعيل الصابوني الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة عنه في السنة وقد ذكر ذلك أبو القاسم التيمي في كتاب (الحجة في بيان المحجة) له قال : (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف بل يثبتون له ما اثبته رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله تعالى) (٦) .

(١) في ص ٣٧١ من الرسالة .
(٢) هو حرب بن اسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني صاحب الامام أحمد ومن أئمة الحنابلة توفي سنة ٢٨٠ انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ١/ ١٤٥-١٤٦ وشذرات الذهب ٢/ ١٧٦ .
(٣) درء تعارض ٢/ ٢٢
(٤) درء ٢/ ٢٣
(٥) مقالات الاسلاميين ١/ ٣٢٣ تحقيق محمد محي الدين .
(٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث له ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١١٢ درء تعارض ٢/ ٢٦ ، شرح حديث النزول ص ٥٠ - ٥١

وقال ابو عثمان ايضا : (فلما صح خبر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أقربه أهل السنة وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولم يعتقدوا تشبيهاله بنزول خلقه، وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا بأن صفات الرب تبارك وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا، ولعنهم لعنا كثيرا (١) .

وقال الخطابي : (مذهب علماء السلف وائمة الفقهاء أن يجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها، وأن لا يزيغوا لها المعاني، ولا يتاولوها، لعلمهم بقصور علمهم عن دركها (٢) .

وروى بسنده عن الاوزاعي قال : (كان مكحول والزهري يقولان امروا الاحاديث كما جاءت) (٣) .

وروى البيهقي بسنده أنه سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه (٤) فقالوا : (آمروها كما جاءت بلاكيفية (٥)

وقال ابن حجر : (نقل البيهقي وغيره عن الائمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم)أنهم يجرون هذه الاحاديث على ما وردت مؤمنين بها على طريق الاجمال منزهين الله تعالى عن الكيفية والتشبيه (٦) .

وروى البيهقي أيضا بسنده عن أبي داود الطيالسي قال : (كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدونه ولا يشبهونه ولا يمثلونه يروون الحديث ولا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر)(٧) .

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ص ١١٧ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية د رء تعارض ٢ / ٢٧ - ٢٨

(٢) معالم السنن شرح مختصر أبي داود ٧ / ١٢٢ كتاب السنة باب في الرؤية .
ومعنى يزيغو : زاغ يزيغ زيغا : مال، والزيغ : الشك والجوز عن الحق قاموس المحيط مادة زوغ

(٣) المصدر السابق نفسه

(٤) قلت هذا اعتقاد الامام البيهقي والحق أنه ليس هناك تشبيه .

(٥) الاسماء والصفات ص ٤٥٣ في كتاب السنن الكبرى ٣ / ٢

(٦) فتح الباري ٣ / ٣٠

(٧) كتاب السنن الكبرى ٣ / ٣

وقال عباد بن العوام : أقدم علينا شريك بواسط، فقلنا له : ان عندنا قوما ينكرون الأحاديث (ان اللهعزوجل ينزل الى السماء الدنيا) فقال شريك : انما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وانماعرفنا الله عزوجل بهذه الأحاديث)[1] وروى عن الأوزاعي وغيره من السلف أنهم قالوا في حديث النزول يفعل الله ما يشاء (٢) . وروى الخلال بسنده عن سليمان بن حرب قال : سأل بشر بن السرى حماد بن زيد فقال : (يا أبا إسماعيل الحديث الذى جاء (ينزل الله الى السماء الدنيا) يتحول من مكان الى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ، ثم قال : هو في مكانه ، يقرب من خلقه كيف شاء) (٣) . وروى أبو عثمان اسماعيل الصابوني في رسالته السنة باسناده عن عبد الله بن المبارك أنه سأل سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان ، فقال عبد الله : يا ضعيف، ليلة النصف؟ ينزل في كل ليلة ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن : كيف ينزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان ؟ فقال عبد الله بن المبارك : ينزل كيف شاء) (٤) .

وقال البخاري رحمه الله : (وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب يزول من مكانه فقل : أنا أومن برب يفعل مايشاء) (٥) وقد نقل هذاالكلام عن الفضيل بن عياض جماعة من أئمة السنة وتلقوه بالقبول (٦) وقد رواه الفقيه الحافظ أبو بكر الأثرم في كتاب " السنة " وقد نقله عنه الخلال في السنة فروى باسناده عن ابراهيم ابن الأشعث قال أبو بكر هو صاحب الفضيل قال : سمعت الفضيل بن عياض : يقول (ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) فلا صفة أبلغ مما يتأكد وصف الله عز وجل نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهات . . . كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي وكما شاء أن يضحك . . .) (٧) .

---

(١) تهذيب سنن أبي داود ٧/ ١٢٣ ، كتاب السنة باب في الرؤية ، انظر الاسماء والصفات ص ٤٥١ انظر شرح حديث النزول ص ٤٨
(٢) شرح حديث النزول ص ٤١ - ٤٢
(٣) در ٢/ ٢٤ - ٢٥ نقله عن الكتاب السنة للخلال ، شرح حديث النزول ص ٤٠-٤٧
(٤) در ٢/ ٢٧ نقلا عن اسماعيل الصابوني في رسالته في السنة ، الاسماء والصفات ص ٢٥٣ شرح حديث النزول ص ٥٢ - ٥٣ ص ٤٧ نقلا عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده .
(٥) أفعال العباد ص نقل عنه في در ٢/ ٢٤ ، شرح حديث النزول ص ٤٧ - ٤٨
(٦) انظر در ٢/ ٢٤ ، وانظر شرح حديث النزول ص ٤٧
(٧) درء ٢/ ٢٣ - ٢٤ نقلا عن كتاب " السنة " لأبي بكر الأثرم ونقل عنه الخلال في (السنة) .

و يروى باسناده أبو عثمان اسماعيل الصابوني في رسالته المشهورة " في السنة " عن أبي عبد الله أحمد بن سعيد (١) بن ابراهيم الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضره اسحاق بن ابراهيم يعني ابن راهويه .

فسئل عن حديث النزول صحيح هو ؟ قال : نعم ، فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا يعقوب : أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : نعم ، قال : كيف ينزل ؟ فقال له اسحاق : أثبته فوق حتى أصف لك النزول ، فقال الرجل : أثبته فوق ، فقال اسحاق : قال الله عزوجل : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٢) . فقال له الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة ، فقال اسحاق : أعز الله الأمير ! ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟) (٣) و روى باسناده ايضا عن اسحاق بن ابراهيم قال له الأمير (كيف ينزل ؟ قال : قلت : أعز الله الأمير ! لا يقال لأمر الرب كيف ؟ انما ينزل بلا كيف) (٤) .

وروى البيهقي باسناده عن اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول : (جمعني وهذا المبتدع يعني ابراهيم ابن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها ، فقال ابراهيم : كفرت برب ينزل من سماء الى سماء فقلت : آمنت برب يفعل ما يشاء قال : فرضي عبد الله كلامي وأنكر على ابراهيم " (٥) .

وقد جاءت عن اسحاق بن ابراهيم بن راهويه رحمه الله روايات متعددة في اثباته صفة النزول لله عزوجل ومناظرته للمبتدعة والذين ليس عندهم علم لهذه الأحاديث ، فهذه الروايات تؤيد بعضها بعضا .

و مما ورد عن الحافظ الامام اسحاق بن راهويه كما رواه البيهقي بسنده عن أبي العباس السراج قال : سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول : دخلت يوما على طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وعنده منصور بن طلحة فقال لي : يا أبا يعقوب ان الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له : نؤمن به ، فقال له طاهر : ألم أنهك عن هذا الشيخ ؟ ما دعاك الى أن تسأله عن مثل هذا ؟ قال اسحاق : فقلت له : اذا أنت لم تؤمن أن لك ربا يفعل ما يشاء ليس تحتاج أن تسألني) (٦) .

---

(١) ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٨
(٢) (الفجر : ٢٢) .
(٣) درء ٢ / ٢٦ - ٢٧ نقلا عن ابي عثمان اسماعيل الصابوني في رسالته (في السنة) انظر درء ٢ / ٢٩ نقله عن ابي اسماعيل الانصارى عن حرب انكر ما في ، انظر الاسماء والصفات ص ٤٥٢ - ٤٥٣ ، شرح حديث النزول ص ٣٩ - ٤٠ ، ٥١
(٤) درء ٢ / ٢٧ نقله عن ابي عثمان النيسابورى اسماعيل الصابوني في رسالته (في السنة) شرح حديث النزول ص ٥١ نقلا ايضا عن الشيخ ابي عثمان الصابوني المذكور آنفا .
(٥) الاسماء والصفات ص ٤٥٢ ، درء تعارض ٢ / ٢٨ - ٢٩ نقلا عن الاسماء والصفات للبيهقي .
(٦) الاسماء والصفات ص ٤٥٢ ونقل عنه في درء تعارض ٢ / ٢٨

وروى البيهقي بسنده أيضا عن الامام الحافظ اسحاق بن راهويه قال : دخلت يوما علي عبد الله بن طاهر فقال لي : يا أبا يعقوب تقول : ان الله ينزل كل ليلة؟ فقلت : أيها الأمير : ان الله تعالى بعث الينا نبيا صلى الله عليه وسلم " نقل الينا عنه أخبار بها نحلل الدماء وبها نحرم ، وبها نحلل الفروج ، وبها نحرم ، وبها نبيع الأموال وبها نحرم فان صح ذا صح ذاك وان بطل ذا بطل ذاك ، قال : فأمسك عبد الله) (١) .

ومما روى عن الامام الحافظ اسحاق بن راهويه أنه جرت مناظرة بينه وبين بعض المبتدعة الجهمية أمام الأمير عبد الله بن طاهر ، ويذكر القصة الحافظ اسحاق بن راهويه نفسه كما رواه عنه عبد الرحمن بن منده باسناده قال الحافظ اسحاق : اجتمعت الجهمية الى عبد الله بن طاهر يوما فقالوا له أيها الأمير انك تقدم اسحاق وتكرمه وتعظمه ، وهو كافر يزعم أن الله عزوجل ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ويخلو منه العرش قال : فغضب عبد الله وبعث الي فدخلت وسلمت فلم يرد على السلام غضبا ولم يستجلسني ، ثم رفع رأسه وقال لي : ويلك يا اسحاق ما يقول هؤلاء ؟ قال : قلت : لا أدرى قال : تزعم أن الله سبحانه وتعالى ينزل الى السماء الدنيا في كل ليلة ، ويخلو منه العرش؟ فقلت أيها الأمير : لست أنا قلته ، قاله النبي صلى الله عليه وسلم) (٢) .

وروى الحافظ اسحاق بسنده عن الأغر بن مسلم ، أنه قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد (رضي الله عنهما) أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ينزل الله الى سماء الدنيا في كل ليلة ، فيقول : " من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرلي فاغفر له " (٣) . ثم قال اسحاق : ولكن مرهم يناظروني قال : فلما ذكرت له النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سكن غضبه وقال لي اجلس ، فجلست ، فقلت : مرهم أيها الأمير يناظروني قال : ناظروه ، قال : فقلت لهم : يستطيع أن ينزل ولا يخلو منه العرش أم لا يستطيع ؟ فقال فسكتوا واطرقوا رؤوسهم ، فقلت : أيها الأمير مرهم يجيبوا فسكتو ، فقال : ويحك يا اسحاق ماذا سألتهم؟

---

(١) الاسماء والصفات ص ٤٥٢

(٢) شرح حديث النزول ص ٥٢ نقله عن عبد الرحمن بن منده وله مصنف سماه " الرد على من زعم أن الله في كل مكان وعلى من زعم أن الله ليس له مكان ، وعلى من تأول النزول على غير النزول) .

(٣) سبق الحديث والكلام عليه في **ص ٣٧٠ من الرسالة .**

قال قلت : أيها الامير قل لهم : يستطيع أن ينزل ولا يخلوا منه العرش أم لا ؟ فاين هذا ؟
قلت : ان زعموا أنه لا يستطيع أن ينزل الا أن يخلو منه العرش، فقد زعموا أن الله عاجز مثلي ومثلهم وقد كفروا وان زعموا انه يستطيع أن ينزل ولا يخلو منه العرش، فهو ينزل الى السماء الدنيا كيف شاء ، ولا يخلو منه المكان (١).

ولا زلنا ننقل أقوال علماء السلف رحمهم الله في نزول الله عزوجل الى السماء الدنيا وبيان اثبات ذلك بل ودفاعهم عن ذلك ومناظرتهم لمن يخالف ذلك اذا اقتضى الأمر وقد روى الخلال في كتاب " السنة " باسناده عن ... حنبل قال : (سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى (ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا) (٢) وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبو عبد الله (يعني الامام احمد بن حنبل) : نؤمن بهـا، ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، فنقول : معناها كذا ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حق ، اذا كان باسانيد صحاح ولا نرد على الله قوله ... (٣). وروى عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده باسناده أنه لما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر السنة، وما وقع فيه الناس من القدر والرفض والاعتزال والارجاء وخلق القرآن ، كتب الى أحمد بن حنبل : أن أكتب الى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فكتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، ثم ذكر فيها : (وينزل الله الى السماء الدنيا) (٤) وروى اللالكائي بسنده عن أحمد بن علي الآبار قال : سمعت يحى ابن معين يقول : (اذا سمعت الجهمي يقول : أنا أكفر برب ينزل ، فقل : أنا أومن برب يفعل ما يريد) (٥).

وقال الامام الدارمي في رده على بشر المريسي العنيد : (فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه وانما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش وبكل مكان، ومن غير زوال لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول، قال : فيقال لهذا المعارض: وهذا ... من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة

---

(١) شرح حديث النزول ص ٢٥ نقله عن كتاب المذكور في النزول لعبد الرحمن بن منده.
(٢) الحديث تقدم في ص ٣٧٠ من الرسالة.
(٣) د رء ٢/٣٠-٣١ نقله عن الخلال في كتاب السنة.
(٤) شرح حديث المنزول ص ٤٣-٤٤ نقلا عن عبد الرحمن بن منده في كتابه (الرد على من زعم أن الله في كل مكان، وعلى من زعم أن الله ليس له مكان، وعلى من تأول النزول على غير النزول)، لم أجد هذا في عقيدة أهل السنة التي كتبها الامام احمد الى مسدد بن مسرهد هذا المطبوع ضمن شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالح ص٠٨-٤٨ تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ولكنني وجدت ذلك في كتاب السنة للامام أحمد ضمن شذرات البلاتين ص ٤٥.
(٥) شرح حديث النزول ص ٤٢ نقله عن اللالكائي، لم أجد في كتاب اللالكائي المطبوع (شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة بتحقيق دكتور أحمد سعد حمدان).

و وقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار وبوقت من الليل شطر أو الأسحار ؟ فرحمته وأمره يدعوان العباد الى الاستغفار أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه ؟ فيقولان (هل من داع فأجيب ؟ هل من مستغفر فأغفر ؟ هل من سائل فأعطى ؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعوا الرحمة والأمر اللذين يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله ، وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قال : قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وقال أيضا : (ما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ثم لا يمكثان الا الى طلوع الفجر ثم يرفعان وقال : قد علمتم ان شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل لا يقبله الا كل جاهل) (١) .

وقال الحافظ أبو بكر ابن خزيمة امام الأئمة : (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في نزول الرب جل وعلا الى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه الصلاة والسلام بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية اذ النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول ، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق السماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم انه ينزل اليه اذ يحال في لغة العرب أن يقول : ينزل من أسفل الى أعلا ، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلا الى أسفل) (٢) .

فهذا بعض أقوال الحفاظ الأئمة علماء السلف الصالح رحمهم الله تعالى الذين يثبتون صفة النزول لله تبارك وتعالى نزولا حقيقيا على وجه يليق بجلاله وعظمته بعد أن صح الخبر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعضهم صنف في ذلك كتبا كما صنف الامام أبو الحسن الدارقطني والامام عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فالنزول ثابت لله عزوجل كما يليق بجلاله وكماله والذين نقلوا الينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا الينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وكما قبل العلماء منهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن وقالوا : من ردها فهو ضال حيث يحذرونه ويحذرون منه (٣) .

ولولا مخافة الاطالة لنقلت قدرا كبيرا من أقوالهم وفيما ذكرناه كفاية .

---

(١) رد الامام الدارمي على بشر المريسي ص ٢٠

(٢) كتاب التوحيد ص ٨٣

(٣) الشريعة للآجرى ص ٣٠٦

كما نقل - أقوال الأئمة الحفاظ في نزول الله عزوجل واجابتهم لمن سأل كيف ينزل وذكرنا أن اجابتهم كانت ينزل كيف يشاء ،لا يقال لأمر الرب تعالى كيف ؟ فهذا يوافق ما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عن الامام مالك وشيخه ربيعة وأم سلمة رضي الله عنهم جميعا في أن كيفية الاستواء مجهول ،وبين أن العبارة (من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فاستجب له ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟لا يجوز أن يقولها ملك عن الله، بل الذى يقول الملك ما ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال : (اذا أحب الله العبد نادى جبريل اني أحب فلانا فاحبه ،فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع القبول في الأرض، وذكر في البغض مثل ذلك (١) .فالملك اذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول : ان الله أمر كذا أو قال كذا وهكذا اذا أمر السلطان مناديا

---

(١) رواه البخارى في الأدب باب المقة من الله تعالى ح : ٦٠٤٠ وفي التوحيد باب كلام الرب مع جبريل ح : ٧٤٨٥ رواه مسلم في البر والصلة باب اذا أحب الله عبدا حببه الى عباده ح : ٢٦٣٧

ينادي فانه يقول : يا معشر الناس أمر السلطان بكذا ونهى عن كذا ورسم بكذا لا يقول : أمرت بكذا ونهيت عن كذا بل لو قال ذلك بودر الى عقوبته ، وهذا تأويل من تأويلات القديمة للجهمية ، فان تأولوا تكليم الله لموسى عليه السلام بأنه أمر ملكا فكلمه فقال أهل السنة ، ولو كلمه ملك لم يقل : (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) (١) بل كان يقول كما قال المسيح عليه السلام : (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبد والله ربي وربكم) (٢) فالملائكة رسل الله الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تقول كما كان جبريل عليه السلام يقول لمحمد عليه الصلاة والسلام (وما نتنزل الا بأمر ربك ، له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) (٣) .

ويقول : ان الله يأمرك بكذا ويقول كذا ، لا يمكن أن يقول ملك من الملائكة : (انني أنا الله لا اله الا أنا) (٤) ، ولا يقول : (من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له ؟) ولا يقول : (لا يسأل عبادي غيري) كما رواه النسائي وابن ماجه وغيرهما ، وسندهما صحيح (٥) .

وفي ابطال حجة من قال : (انه يأمر مناديا فينادي . . .) وذلك لما رواه النسائي في بعض طرق الحديث قال شيخ الاسلام : (فان هذا ان كان ثابتا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فان الرب يقول ذلك ، ويأمر مناديا بذلك لا أن المنادي يقول : (من يدعوني فاستجيب له ؟) (٦) ويناقش من يؤول نزول الله عزوجل بنزول رحمته أو غير ذلك قال : (قيل ان الرحمة التي تثبتها اما أن تكون عينا قائمة بنفسها ، واما أن تكون صفة قائمة في غيرها فان كانت عينا وقد نزلت الى السماء الدنيا ، لم يكن أن تقول : من يدعوني فاستجيب له كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك . وان كانت صفة من الصفات ، فهي لا تقوم بنفسها ، بل لا بد لها من محل ، ثم لا يمكن بالصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها ، ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل الينا ، فأي منفعة لنا في ذلك؟ (٧) .

---

(١) طه : ١٣
(٢) المائدة : ١٢٠
(٣) مريم : ٦٤
(٤) طه : ١٣
(٥) انظر شرح حديث النزول ص ٣٦ - ٣٧
(٦) المصدر السابق ص ٣٧
(٧) المصدر السابق ص ٣٨

((موقف الكرامية من صفة المجيء والاتيان لله تبارك وتعالى))

((صفة المجيء والاتيان))

أثبتت الكرامية صفة المجيء لله عز وجل قال محمد بن الهيصم الكرامي :

((وانه تعالى يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق)) (١) .

وبين ابن الهيصم اعتقادهم في اثبات صفات الله عز وجل ومن ذلك صفة المجيء مع تنزيه الله سبحانه وتعالى وعدم اعتقاد الكرامية في ذلك شيئا من المعاني الفاسدة قال : لا نعتقد من ذلك شيئا على معني فاسد .. لا ترددا في الأماكن التي تحيط به تفسيرا للمجيء) (٢) .

وذكر ابن أبي الحديد وهو يتحدث عن الكرامية وابن الهيصم قال : (ومن ذلك اتيانه ومجيئه كما نطق به الكتاب العزيز في قوله سبحانه (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٣) . ثم قال : (واطلق ابن الهيصم هذه الألفاظ اتباعا لما ورد في الكتاب والسنة وقال : (لا أقول بمعانيها ولا أعتقد حركته الحقيقية وانما أرسلها ارسالا كما وردت) (٤) .

وأورد شيخ الاسلام ابن تيمية عن أبي الحسن الطبرى المعروف بإلكيا قوله : (ان المشبهة والكرامية يجوزون على الله الجيئة والذهاب والنزول والصعود والانتقال ويقولون هذه الأمور لم تكن فكانت ، وهذا هو الحادث) (٥) ويعنى بالمشبهة أهل الحديث(٦) .

والكرامية في اثباتها صفة المجيء لله تبارك وتعالى وقول محمد بن الهيصم : انه يأتي يوم القيامة لمحاسبة الخلق كما مر بنا أنفا قول صحيح موافق للكتاب وللسنه الصحيحة وما ذهب اليه سلف هذه الأمة ومن اتبعهم من أئمة الحديث والفقه وغيرهم .

---

(١) الملل والنحل ١/١١٢ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) الفجر : ٢٢
(٤) شرح نهج البلاغه ٣/٢٣٠ .
(٥) درء تعارض ٨/٩٥ .
(٦) انظر المصدر السابق ص ٩٧ .

((موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في صفة الاتيان أو المجيء))
لله عز وجل

معلوم أن شيخ الاسلام ابن تيمية قد اهتم في بيان صفات الله عز وجل وبيانها ويثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل .

فمن ذلك الصفات التي اعتني بها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله صفة المجيء والاتيان لله تبارك وتعالى التي هي من صفات الخبرية واستدل في اثباتها الآيات

ومن ذلك قوله تعالى : ((هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر والى الله ترجع الأمور)) (١) .

وقوله تبارك وتعالى : ((هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك)) (٢) .

وقوله عز من قائل : ((كلا اذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا)) (٣) .

---

(١) (البقرة : ٢١٠) .
(٢) الأنعام : ١٥٨ .
(٣) الفجر : ٢٢ .

ومن الأحاديث ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال : (ان الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة) وفيه (يحشر الناس يوم القيامة) فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبع ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى فيقول : أنا ربكم فيقولون : (هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه)(١) ، وهذا تجليه تبارك وتعالى يوم القيامة .

ورد على من نفاها من المتكلمين والفلاسفة في كتبه ورسائله وفتاويه ، كما يبدوا ذلك واضحا لمن اطلع عليها .

ويوضح أن صفة الاتيان والمجيء من صفات الله تبارك وتعالى الأفعال الاختيارية القائمة بذاته المقدسة والتى لا تتعدى الى مفعول بخلاف فعل الخلق فانه يتعدى الى مفعول (٢) ، ويأتي تبارك وتعالى اتيانا يليق بجلاله ولم يزل عاليا وهو فوق العرش كما قال ذلك حماد بن زيد واسحاق بن راهويه وأحمد في رسالته الى مسرد (٣) كما تقدمت الاشارة اليه (٤) .

وذكر أن هذا قول أئمة الحديث وكثير من أهل الكلام ، ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وأن اقرار الاتيان والمجيء وغيره من الأفعال اللازمة التى وردت في الكتاب والسنة هو بقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث (٥) .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري كتاب الأذان باب فضل السجود (ح : ٨٠٦ ، وفي الرقاق باب الصراط جسر جهنم ح : ٦٥٧٣ ، وفي التوحيد باب قول الله تعالى ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)) ح : ٧٤٣٧ ، صحيح مسلم في الايمان باب معرفة طريق الرؤية ح : ١٨٢ ، المسند (ط الحلبي) ٥٣٤/٢ ، الرد على الجهمية ص ٤٢ ، ص ٢٨٨ ضمن عقائد السلف ، رد على بشر المريسي له ص ٥٢ .

(٢) مجموع فتاوى ٣٩٨/١٦ ، أنظر المصدر السابق نفسه ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٣) تقدم في مبحث النزول (٤) درء تعارض ٣٢٢/٦ .

(٥) انظر شرح حديث النزول ص ١٨٨ .

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية أقوال بعض السلف رحمهم الله تعالى

وذلك يشهد على صحة مذهبه وموافقته لهم من ذلك

ما رده الامام الدارمي على بشير المريسي قال : (وادعيت أيها المريسي في قول الله عز وجل : ((هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)) [1] وفي قوله تبارك وتعالى ((هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك)) [2] فادعيت أن هذا ليس منه اتيان ، لما أنه غير متحرك [3] (عندك) ولكن يأتي بالقيامة بزعمك ، وقوله : (يأتيهم الله في ظلل من الغمام) : يأتي الله بأمره في ظلل من الغمام ، ولا يأتي هو بنفسه ثم زعمت أن معناه كمعنى قوله : ((فأتى الله بنيانهم من القواعد)) [4] وقوله عز من قائل : ((فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)) [5] .

قال الامام عثمان الدارمي رحمه الله تعالى في رده : " فيقال لهذا المريسي : قاتلك الله : ما أجرأك على الله وعلى كتابه بلا علم ولا بصر ! أنبأك الله سبحانه وتعالى أنه اتيان ، وتقول : ليس باتيان ، انما هو مثل قوله تعالى : ((فأتى الله بنيانهم من القواعد)) لقد ميزت بين ما جمع الله ، وجمعت بين ما ميز الله ولا يجمع بين هذين في التأويل الا كل جاهل بالكتاب والسنة ، لأن تأويل كل واحد منهما مقرون به

---

(١) (البقرة : ٢١٠)

(٢) (الأنعام : ١٥٨)

(٣) تقدم في مبحث النزول الكلام على اطلاق الحركة والانتقال على الله عز وجل هل تجوز ذلك أم لا ؟

(٤) (النحل : ٢٦) .

(٥) (الحشر : ٢) .

في سياق القراءة لا يجهله الا مثلك " (١) .

قال : " وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله عز وجل فوق عرشه ، فوق سمواته وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه ، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم ، وتشقق السموات يومئذ لنزوله ، وتنزل الملائكة تنزيلا ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، كما قال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم "(٢) .

وأضاف قائلا : " فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل الى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا ، علموا يقينا أن ما يأتي الناس من العقوبات انما هو من أمره وعذابه) (٣) .

وبين أن تفسير اتيان الله يوم القيامة منصوص في الكتاب مفسر لا يشتبه بنزول أمره فقال في ذلك : (فقد فسر الله المعنيين تفسيرا لا لبس فيه ولا يشتبه على ذي عقل فقال فيما يصيب به من العقوبات في الدنيا : (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) (٤) فحين قال : (أتاها أمرنا) علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه فلما قال : (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) (٥) الآيات . وقال أيضا : (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) (٦) و (يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر والى الله ترجع الأمور) (٧) وقوله عز من قائل : (كلا اذا دكت الأرض دكا دكا ، وجاء ربك والملك صفا صفا) (٨) .

---

(١) نقض بشر المريسي ص ٥٠ ، ونقل كلامه شيخ الاسلام ابن تيمية في درء تعارض ٦٦/٢ - ٦٧ .
(٢) رد الامام الدارمي على بشر المريسي ص ٥٠ - ٥١ ، انظر درء تعارض ٦٧/٢ - ٦٨
(٣) رد الامام الدارمي على بشر المريسي ص ٥١ ، انظر درء تعارض ٦٨/٢ .
(٤) (يونس : ٢٤) .
(٥) (الحاقة : ١٣) .
(٦) (الفرقان : ٢٥) .
(٧) (البقرة : ٢١٠) .
(٨) (الفجر : ٢١ ، ٢٢) .

علم بما قص الله عز وجل من الدليل وبما حد لنزول الملائكة يومئذ : (أن هذا اتيان الله تبارك وتعالى بنفسه يوم القيامة ، ليلي محاسبة خلقه بنفسه ، لا يلي ذلك أحد غيره ، وأن معناه مخالف لمعنى اتيان القواعد ، لا ختلاف القضيتين)(١) ويمضي الامام الدارمي في بيان هذه المسألة اذ قال : (وقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تفسير هذا الاتيان حتى لا تحتاج له منك الى تفسير) .

وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تجليه تبارك وتعالى يوم القيامة الذي في الصحيحين وقد تقدم(٢) ، وذكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ، وتلا هذه الآية : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) (٣) قال : " يبدلها الله تعالى يوم القيامة بأرض من فضة لم تعمل عليها الخطايا ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى "(٤) ويضيف الامام الدارمي مثبتا هذه الصفة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وكماله ومبينا الحق ومنتقدا على بشر المريسي وغيره ممن ينفي هذه الصفة فقال في ذلك : (ومن يلتفت أيها المريسي الى تفسيرك المحال في اتيان الله تبارك وتعالى يوم القيامة ويدع تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الا كل جاهل مجنون خاسر مغبون (٥) ؟ لما أنك مفتون في الدين مأفون (٦) ، وعلى تفسير كتاب الله تعالى غير مأمون ، ويلك ! أيأتي الله تعالى بالقيامة ويتغيب هو بنفسه ؟ فمن يحاسب الناس يومئذ ؟ لقد خشيت على من ذهب مذهبك هذا أنه لا يؤمن بيوم الحساب) (٧) .

---

(١) رد الامام الدارمي على بشر المريسي ص ٥١ ، انظر درء تعارض ٦٩/٢ .

(٢) تقدم في ص ٣ من هذا المبحث ، كما أورد أحاديث كثيرة في رده على الجهمية من بعضها هذه الأحاديث وبعضا آخر لم يذكرها هنا تحت عنوان باب نزول تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب .

(٣) (ابراهيم : ٤٨) .

(٤) الرد على الجهمية ص ٤٢ تحقيق الباني ، ورده على بشر المريسي ص ٥٢ .

(٥) المغبون من الغبن بالتسكين في البيع ، والغبن بالتحريك في الرأى ، وقد غبن فهو مغبون ، وغبن رأيه بالكسر اذا نقصه فهو غبين أى ضعيف الرأى . الصحاح مادة غبن .

(٦) مأفون من أفن الهمز والفاء والنون يدل على خلو شيء وتفريغه قالوا : الأفن قلة العقل ورجل مأفون ، معجم مقاييس اللغة ١١٩/١ مادة أفن .

(٧) رد الامام الدارمي على المريسي ص ٥٣ - ٥٤ .

وقال عمرو بن(١) عثمان الزاهد من مشائخ الصوفية في كتابه الذى سماه (التعرف بأحوال العباد والمتعبدين) قال : " لم يستحدث تعالى صفة كان منها خليا ولا اسما كان منه بريا تبارك وتعالى ، فكان هاديا سيهدى ، خالقا سيخلق ، ورازقا سيرزق ، وغافرا سيغفر ، وفاعلا سيفعل ... كذلك قال الله تبارك وتعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا) بمعنى أنه سيجيء ، فلم يستحدث الاسم بالمجيء ، وتخلف الفعل لوقت المجيء ، فهو جاء سيجيء ، ويكون المجيء منه موجودا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه ، لأن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل ، وتنقطع النفس عند ارادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود ، فلا تذهب في أحد الجانبين : لا معطل ولا مشبه ، وأرض لله بما رضي به لنفسه ، وقف عند خبره عن نفسه مسلما مستسلما مصدقا ، بلا مباحثة التنفير ، ولا مناسبة التنقير (٢) " .

وذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى يأتي يوم القيامة لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء وذكر بعض آيات الاتيان والمجيء (٣) .

وكان علماء السلف رحمهم الله تعالى يكفرون من أنكر اتيان الله عز وجل يوم القيامة ومجيئه كما روى شيخ الاسلام اسماعيل الصابوني بسنده عن حماد بن أبي حنيفة رحمه الله قال : (قلنا لهؤلاء أرأيتم قول الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) قالوا أما الملائكة فيجيئون صفا صفا وأما الرب تعالى فانا لا ندرى ماعني بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم : انا لم نكلفكم أن تعلموا كيفية مجيئه ولكننا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه ، أرأيتم من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب . (٤)

---

(١) هو عمر بن عثمان ابن كرب بن غصص ، الامام الرباني ، شيخ الصوفية ، أبو عبد الله المكي الزاهد توفي سنة بعد الثلاث مئة ، وله تصانيف في الطريق انظر مصادر ترجمته طبقات الصوفية : ٢٠٠-٢٠٥ ، حلية الأولياء : ١٠/ ٢٩١- ٢٩٦ ، ذكر أخبار أصبهان : ٢/ ٩٣ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣- ٢٢٥ ، الرسالة القشيرية ص ٣٦ ، المنتظم ٦/ ٩٦ صفة الصفوة ٢/ ٤٤٠- ٤٤٢ ، العبر ٢/ ١٠٧- ١٠٨ ، دول الاسلام ١/ ١٨١ ، سير اعلام النبلاء ١٤/ ٥٧ ، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٧- ٢٢٨ ، العقد الثمين ٦/ ٤١٠- ٤١١ ، طبقات الأولياء ص ٣٤٣- ٣٤٤ ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠- ١٨٤ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥- ٢٢٦ .

(٢) الحموية الكبرى ص ١٢٨ ضمن نفائس تحقيق الشيخ حامد الفقي ، ومن باب النقر : نقرت عن الأمر : اذا بحثته عنه ولعله يقصد عدم البحث عن كيفية صفات الله تعالى .

(٣) شرح حديث النزول ص ١٨٨ .

(٤) عقيدة أصحاب الحديث للشيخ اسماعيل المذكور ضمن مجموعة الرسائل المنبرية ١/ ١١٨ .

ومن هؤلاء المتكلمين الذى أشار اليهم شيخ الاسلام ابن تيمية أنهم يثبتون صفة المجيء والاتيان الكرامية موافقة لسلف هذه الأمة   ومن اتبعهم ممن أثبت هذه الصفة لله تبارك وتعالى .

وقد رد على النفاة المتفلسفة والمعتزلة والأشعرية الذين يفسرون مجيء الله تبارك وتعالى واتيانه بمعنى تجليه وظهوره وانكشاف بصيرة العبد لا مجيئا حقيقيا ، غير أن الأشعرية أثبتت من رؤية الله تبارك وتعالى مالا تثبته المعتزلة وان كان منهم من يوافقهم في المعنى الذى قصدوه (١) كما سيأتي في فصل الرؤية (٢) .

كما أن هؤلاء النفاة لا يثبتون دنو الله ودنو عبده اليه بخلاف أهل السنة والجماعة من السلف ، وأهل الحديث وأهل المعرفة ومن اتبعهم من الفقهاء والصوفية ، والعامة وأهل الكلام أيضا ، فان اتيانه ومجيئه عندهم قد يكون بحركة من العبد وقرب منه ودنو اليه (٣) .

والاتيان و معلوم
وهكذا يغالطون الناس في تحريف صفة المجيء / ، ان كان في موضع من كتاب الله تعالى مايدل على أنه يأتي تبارك وتعالى بنفسه ففي موضع آخر قد جاء مايدل على أنه يأتي بعذابه كما في قوله تعالى : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) (٤) وقوله عز من قائل : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) (٥) .

يغسرون ذلك   فالذين يؤولون /يفسرون ذلك
ويؤول النفاة صفة المجيء والاتيان/الآيات والأحاديث التى تدل على مجيئه واتيانه/بمعنى مجيء أمره وبأسه (٦) وقدرته .

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٦/٨ - ٩ .

(٢) فصل رؤية الله

(٣) مجموع فتاوى ٦/٩ .

(٤) (النحل : ٢٦) .

(٥) (الحشر : ٢) .

(٦) انظر مجموع فتاوى ١٦/٣٩٥ ، ٤١٩ .

الا أن هذا يخالف ظاهر النصوص الشرعية من القرآن والحديث وما أجمع عليه سلف هذه الأمة ومن اتبعهم من أئمة الحديث والفقه .وكثير من أهل الكلام كما تقدم آنفا (١) .

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر مجيء الأمر واتيانه في آيات كثيرات نذكر منها قوله تبارك وتعالى : (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) (٢) .
وقوله تبارك وتعالى : (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) (٣) ، وقوله عز من قائل : (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) (٤) ، وقوله عز وجل : (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا) (٥) وقوله عز وجل : (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا)(٦) وقوله تعالى : (ياابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك)(٧) وقوله عز من قائل : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها)(٨) .
أما مجيئه تبارك وتعالى واتيانه بنفسه كما في قوله تعالى (وجاء ربك والملك) الآية وفي قوله عز وجل : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) ، فذلك صفة فعل تقوم بذاته المقدسة بمشيئته وقدرته على وجه يليق بجلاله وعظمته وكماله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ، واتيانه ليس مثل اتيان أحد من خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وعلى ذلك دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة واجماع أهل السنة والجماعة من السلف ومن اتبعهم كما تقدم آنفا .

---

(١) ص٣٨٦ من هذا البحث .
(٢) (يونس : ٢٤) .
(٣) (هود : ٤٠) .
(٤) (هود : ٥٨) .
(٥) (هود : ٩٤) .
(٦) (هود : ٦٦) .
(٧) (هود : ٧٦) .
(٨) (هود : ٨٢) .

ويقرر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن كون اتيانه تبارك وتعالى ومجيئه ليس مثل اتيان المخلوق ومجيئه ، أمر ضرورى متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل فان الصفات والأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة ، فاذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها ولا ريب أن العلي الأعلى العظيم ، فهو أعلى من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، فلا يكون اتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه وأكبر هذا ممتنع(١) .

وذكر قول الكرامية التى وافقت فيه كثيرا من الحنبلية وأكثر أهل الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء والصوفية وجمهور المسلمين ، وأكثر كلام السلف ، وذلك أن هذه الأفعال الاختيارية كالمجيء والاتيان وغير ذلك التى تقوم بذاته تبارك وتعالى ليست من المخلوقات المنفصلة عن ذاته تعالى ، وليست بمنزله الذات والصفات القديمة والواجبة التى لا تتعلق بها مشيئته لا بأنواعها ولا بأعيانها (٢) .

فيثبتون صفة المجيء لله عز وجل وغيرها من الأفعال القائمة بذاته بمشيئته وقدرته وأنه تعالى يجيء يوم القيامة ، بعد أن لم يكن جائيا(٣) .

أما قول الكرامية كما ذكره عنهم محمد بن الهيصم : (لا نعتقد من ذلك شيئا على معنى فاسد ، لاترددا فى الاماكن التى تحيط به تفسيرا للمجيء) .

أما اثبات صفة المجيء وعدم اعتقادهم من ذلك على معنى فاسد ، كلام صحيح يوافق النصوص الشرعية وما أجمع عليه السلف ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة وذلك اثبات صفة المجيء والاتيان ونفى المعانى الفاسدة عن الله عز وجل كأن يكون مجيئه واتيانه مثل مجيء واتيان أحد من خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٤) .

---

(١) مجموع فتاوى (١٦/٤٢٢) انظر المصدر السابق نفسه ص (٤٢٠) .

(٢) مجموع فتاوى (١٦/١٥٠) بتصرف قليل .

(٣) انظر المصدر السابق نفسه ص (١٥١) .

(٤) (الشورى : ١١) .

أما العبارة (لاترددا فى الأماكن التى تحيط به تفسيرا للمجئ) (١) وكون الكرامية لاتعتقد ذلك قد يظن الظان أنهم ينفون صفة المجئ والاتيان وليس كذلك اذ قد تقدم أنهم يثبتونها ، لاأفهم ماذا يقصدون بهذه العبارة وتقدم مذهب السلف الذى هو اثبات صفة المجئ والاتيان لله عز وجل كما نطق بذلك الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وهو مذهب شيخ الاسلام ابن تيمية وكل ذلك تقدم .

(١) ان لفظ المكان الذى ورد فى هذه العبارة لفظ مجمل يستفسر المقصود منه فان فسر معنى لائقا لله عز وجل قبل والا رد .

ولشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام جيد فى هذه المسألة نورد هنا فقال بعد أن ذكر أقوال الناس فى لفظ المكان : (والنزاع فى هذه الباب نوعان :

أحدهما معنوى ، كمن يدعى وجود مكان هو جوهر قائم بنفسه ليس هو الجسم واكثر العقلاء ينكرون ذلك .

والثانى نزاع لفظى ، وهو من يقول : المكان مايحيط بغيره ، ويقول آخر : ماغيره عليه ، أو ما يتمكن عليه) (*) .

ثم بعد أن بين أن الخلاف فى لفظ "المكان" معنوى ولفظى ، ذكر أنه من هنا نشأ النزاع هل الله تبارك وتعالى فى مكان أم لا ؟ ثم يحكم على هذه الأقوال قال :

(ولاريب أن لفظ "المكان" يقال على هذا وهذا ، ومن نشأ تنازع أهل الاثبات هل يقال : ان الله تعالى فى مكان أم لا ؟

وهذا كتنازعهم فى الجهة والحيز ، لكن قد يقر بلفظ "الجهة" من لا يقر بلفظ "الحيز" أو "المكان" وربما أقر بلفظ "الحيز" أو "المكان" من لا يقر بالآخر ، وسبب ذلك اما اتباع ماورد ، أو اعتقاد أن فى أحد اللفظين من المعنى المردود ماليس فى الآخر .

= = =

(*) درء تعارض (٢٤٨/٦ - ٢٤٩) .

. . . .

=== ===

قال : (وحقيقة الأمر في المعنى أن ينظر الى المقصود ، فمن اعتقد أن المكان لا يكون الا مايفتقر اليه المتمكن ، سواء كان محيطا به ، أو كان تحته ، فمعلوم أن الله سبحانه ليس في مكان بهذا الاعتبار ، ومن أعتقد أن العرش هو المكان ، وأن الله تعالى فوقه ، مع غناه عنه ، فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار ، فما يجب نفيه بلا ريب افتقار الله تعالى الى ماسواه ، فانه سبحانه غني عن ماسواه ، وكل شيء فقير اليه ، فلا يجوز أن يوصف بصفة تتضمن افتقاره الى سواه وأما اثبات النسب والاضافات بينه وبين خلقه ، فهذا متفق عليه بين أهل الأرض) . (درء تعارض ٦/ ٢٤٩) .

وأما قول الكرامية وابن الهيصم فى اثبات مجئ الله تبارك وتعالى واتيانه كما نطق به الكتاب العزيز وذكرو قول الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) ، وأن ابن الهيصم يطلق هذه الألفاظ اتباعا لما ورد فى الكتاب والسنة .

كلام صحيح وقول أهل السنة والجماعة من السلف ومن اتبعهم كما تقدم فى هذا البحث .

وقول ابن الهيصم : (لا أقول بمعانيها ولا أعتقد حركته الحقيقية وانما أرسلها ارسالا كما وردت) .

هذه العبارة لا يوافق عبارات السلف كما مر بنا فانهم يثبتون الصفة حقيقة لله عز وجل وينفون الكيفية ، وذكرنا أن معنى عباراتهم : أمروها كما جاءتونحوها من العبارات معناها اثبات الصفة ونفى علم الكيفية ، كما قالوا : الاستواء غير مجهول ، بخلاف هذه العبارة لابن الهيصم الكرامى (لا أقول بمعانيها) . وحتى وان كان المعنى المقصود صحيحا فانه لابد من استعمال اللفظ الصحيح الشرعى كذلك .

وأما قول ابن الهيصم : (ولا أعتقد حركته الحقيقية) فانه يستفسر عن ما يقصده بتلك العبارة .

فان لفظ " الحركة " والانتقال والتغير والتحول ونحو ذلك من الألفاظ المجملة فيجب أن يقال : انه تبارك وتعالى منزه عن مماثلة المخلوقين من كل وجه لا يماثل المخلوق لا في حركة ولا في غيرها)[1] .

وان المتكلمين انما يطلقون لفظ الحركة على الحركة المكانية ، وهو انتقال الجسم من مكان الى مكان بحيث يكون قد فرغ الحيز الأول وشغل الثاني كحركة أجسامنا كالهواء والماء والتراب والسحاب من حيز الى حيز ،

---

(١) مجموع فتاوى (٦/١٦/٤٢٦) بتصرف قليل ، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية جملة من الحركات عن الفلاسفة مثلا أنهم يطلقون الحركة على كل مافيه تحول من حال الى حال ويقولون أيضا : حقيقة الحركة هو الحدوث أو الحصول ،والخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا بالتدريج وجعلوا الحركة أربعة أنواع تحت جنس واحد : حركة في الكيف ،وهي تحول الشيء من صفة الى صفة مثل اسوداده واحمراره ومثل مصيرا حلوا وحامضا ،وتغيير رائحته وكذلك في النفوس كعلم الانسان بعد جهله وايمانه بعد كفره ، كل هذه الاحوال النفسانية هي حركة الكيف ، وهذا مما احتج به من جوز منهم الحركة ،وهو حركة في الصفات والكيفية .

ثانيا : حركة في الكم مثل امتداد الشيء ،ومثل كبر الحيوان بعد صغره وطوله بعد قصره ومثل امتداد الشجر والنبات وامتداد عروقه في الأرض وأغصانه في الهواء ،فهذا حركة في المقدار والكمية .

ثالثا : حركة في الوضع ، مثل دوران الشيء في موضع واحد كدوران الفلك الذى يسمى الدولاب وكحركة الرحى ،وغير ذلك فانه لا ينتقل من حيز الى حيز ،بل حيزه واحد لكن يختلف في أوضاعه فيكون الجزء منه تارة محاذيا للجهة العليا فيصير محاذيا للجهة اليسرى .

وهذا النوع يقولون : ان ابن سينا زاده .

الرابع : الحركة في الأين وهي الحركة المكانية ،وهو انتقاله من حيز الى حيز .

هذه أنواع الحركة عند أصحاب أرسطو .

وقد تنازعوا في الرب تبارك وتعالى هل تقوم به جنس الحركة ؟ على قولين .

شرح حديث النزول ص (١٧٩ - ١٨٠) مجموع فتاوى (٥/٥٦٦ - ٥٦٨) .

فأكثر المتكلمين لا يعرفون للحركة معنى الا هذا (١) .

ويبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن هؤلاء المتكلمين لما فسروا الحركة هذا التفسير نفوا ما جاءت به النصوص من أنواع جنس الحركة كالصعود والنزول والمجيء والاتيان ، فانهم ظنوا جميعها انما تدل على هذا التفسير الذى فسروا به لفظ (٢) الحركة "

ويبين أن أهل اللغة يطلقون لفظ الحركة على جنس الفعل ، فكل من فعل فعلا ، فقد تحرك عندهم ، ويسمون أحوال النفس حركة فيقولون : تحركت فيه المحبة ، وتحركت فيه الحمية ، وتحرك غضبه ، وتوصف هذه الاحوال بالحركة والسكون فيقال سكن غضبه قال تعالى " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح "(٣) فوصف الغضب بالسكون(٤) .

وقال : " ينبغى أن يعرف أن الحركة جنس تحته أنواع مختلفه باختلاف الموصوفات بذلك وما يوصف به نفس الانسان من ارادة ومحبة وكراهة وميل نحو ذلك كلها فيها تحول النفس من حال الى حال وعمل للنفس ، وذلك حركة لها بحسبها ، ولهذا يعبر عن هذه المعانى بألفاظ الحركة فيقال : فلان يهفو الى فلان وهذا اللفظ يستعمل فى حركة الشىء الخفيف بسرعة كما يقال : هفا الطائر بجناحه أى خفق وطار (٥) .

والمقصود هنا أن هذا من أنواع الحركة العامة ، والحركة العامة هى التحول من حال الى حال ومنه قولنا : لا حول ولا قوة الا بالله ، فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال الى حال ، والقوة هى القدرة على ذلك التحول ، فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوى والسفلى حركة وتحول من حال الى حال ولا قدرة على ذلك الا بالله تبارك وتعالى .

---

(١) شرح حديث النزول ص (١٧٩) مجموع فتاوى (٥/٥٦٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه وانظر المصدر السابق أيضا ص (٤٥٨) .

(٣) (الأعراف : ١٥٤) .

(٤) شرح حديث النزول ص (١٨٠) ، مجموع فتاوى ص (٥/٥٦٨) .

(٥) شرح حديث النزول ص (١٨٣، ١٨٤) ، مجموع فتاوى (٥/٥٧١ - ٥٧٢) .

هذا هو التفسير الأصح لهذه الكلمة الذى عليه الجمهور وهو الصواب وهو الذى يدل عليه اللفظ ولفظ الحول يعم كل تحول .

ثم يبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن المقصود هنا أن الناس من أهل الملل وغير أهل الملل متنازعون في جنس " الحركة العامة " التى تتناول مايقوم بذات الرب تبارك وتعالى من الأمور الاختيارية كالغضب والرضا والفرح وكالدنو والقرب والاستواء والنزول بل والأفعال المتعدية كالخلق والاحسان وغير ذلك .

ويذكر شيخ الاسلام ابن تيمية هنا أقوال المنتسبين الى الاسلام في هذه المسألة وهي ثلاثة أقوال (١) .

من ذلك قول الكرامية وهو اثبات ذلك ، وهو قول الهشامية وغيرهم من طوائف أهل الكلام الذين صرحوا بلفظ الحركة .

وأما الذين أثبتوها بالمعنى العام حتى يدخل في ذلك قيام الأمور والأفعال الاختيارية بذاته ، فهذا قول طوائف غير هؤلاء : كأبي الحسين البصرى ، وهو اختيار أبي عبدالله بن الخطيب الرازى وغيره من النظار (٢) .

واتضح من نقل شيخ الاسلام ابن تيمية أن الكرامية تثبت الحركة لله عز وجل وتصرح به وقد يبدو أن هذا يخالف قول ابن الهيصم المتقدم آنفا " ولا أعتقد حركته الحقيقية لكن قد يمكن التوفيق بينهما بأن يقال مثلا انه يثبت الحركة ويقول بها الا أن هذه الحركة ليست مثل حركة المخلوقين .

---

(١) شرح حديث النزول ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مجموع فتاوى ٥/٥٧٤ ، ٥٧٥ .

(٢) أحدها قول من ينفي ذلك مطلقا وبكل معنى ، فلا يجوز أن يقوم بالرب شيء من الأمور الاختيارية ، فلا يرضي على أحد بعد أن لم يكن راضيا عنه ، ولا يغضب عليه بعد أن لم غضبان ، ولا يفرح بالتوبة بعد التوبة ، ولا يتكلم لمشيئته وقدرته اذا قيل : ان ذلك قائم بذاته ، وهذا القول أول من عرف به هم الجهمية والمعتزلة وانتقل عنهم الى الكلابية والأشعرية والسالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة كأبي الحسن التميمي . . والقاضي أبو يعلي ، وابن عقيل وأبي الحسن ابن الزاغوني وأبي الفرج ابن الجوزى وغير هؤلاء من أصحاب أحمد ـ وان كان واحد من هؤلاء قد يتناقض كلامه ـ وكأبي المعالي الجويني وأمثاله من أصحاب الشافعي ، وكأبي الوليد الباجي وطائفة من أصحاب مالك ، وكأبي الحسن الكرخي وطائفة من أصحاب أبي حنيفة .

وهذا خطأ بين اذ ما جاءت به النصوص من أنواع جنس الحركة كالنزول والمجيء والاتيان كما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله آنفا صفات أفعال حقيقية ثابتة لله عز وجل قائمة به بمشيئته وقدرته على وجه يليق بجلاله وعظمته وكماله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليست جنس هذه الحركة غير حقيقية كما قال ابن الهيصم ان صح عنه ذلك ، وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية كما تقدم آنفا على المتكلمين الذين نفوا جنس هذه الحركة الثابتة في النصوص ، فقولهم باطل مردود .

أما علماء السلف رحمهم الله تعالى رحمة واسعة فقد اختلفوا في اثبات لفظ الحركة لله عز وجل على قولين :

أحدهما : اثبات لفظ الحركة كما ذهب الى ذلك الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه نقض بشر المريسي ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث ، وذكره حرب بن اسماعيل الكرماني لما ذكر مذهب أهل السنة والأثر عن أهل السنة والحديث قاطبة وذكر ممن لقي منهم على ذلك : أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور ، وهو قول أبي عبد الله بن حامد وغيره[1] .

= والقول الثاني هو قول الكرامية ذكرت في الصلب وكذلك القول المشهور ~~عليه~~ الذي السلف .

والقول الثالث : الامساك عن النفي والاثبات ، وهو اختيار كثير من أهل الحديث والفقهاء والصوفية كابن بطة وغيره ، وهؤلاء فيهم من يعرض بقلبه عن تقدير أحد الأمرين ، ومنهم من يميل بقلبه الى أحدهما ، لكن لا يتكلم لا بنفي ولا باثبات ، شرح حديث النزول ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مجموع فتاوى ٥/٥٧٦ ، ٥٧٨ .

(١) شرح حديث النزول ص ١٨٧ ، مجموع فتاوى ٥/٥٧٦ - ٥٧٧ .

وقال عثمان الدارمي وغيره : ان الحركة من لوازم الحياة ، فكل حي متحرك وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات ، الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم .

ثانيهما : كثير من أهل الحديث والسنة يقول : المعنى صحيح ، لكن لا يطلق هذا اللفظ لعدم مجيء الأثر به ، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر وغيره في كلامهم على حديث النزول .

والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث هو الاقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل ، وغير ذلك من الأفعال اللازمة(١) .

وذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله يأتي يوم القيامة والملك صفا صفا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء(٢) .

وهكذا يبين شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن المشهور عن السلف من أهل السنة والجماعة أن معنى الحركة صحيح ولكن لا يطلق هذا اللفظ على الله تبارك وتعالى لأنه لم يرد به الشرع بهذا اللفظ ، وأرى أن هذا هو الأصح في المسألة وهو التزام ما ورد لفظا ومعنا والله أعلم .

---

(١) شرح حديث النزول ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مجموع فتاوى ٥٧٧/٥ .

(٢) أنظر المصدرين السابقين .

الفصل الرابع

موقف الكرامية من رؤية الله عزوجل

الفصل الرابع

موقف الكرامية من رؤية الله عز وجل

الرؤية في اللغة :

الرؤية هي النظر بالعين وبالقلب قال الجوهري : الرؤية بالعين تتعدى الى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى الى مفعولين (١) .

قال الزبيدي : " قال الكسائي : اجتمعت العرب على همز ما كان من رأيتوا سترئيت وأرتئيت في رؤية العين وبعضهم يترك الهمزة وهو قليل وكلام العالي الهمز" (٢) يعني كل ما جاء في كتاب الله عزوجل مهموز (٣) .

أما الأفعال المستقبلية فقد أجمع من يهمز ومن لا يهمز على ترك الهمز فيهما وبه نزل القرآن الكريم قال تعالى : (فترى الذين في قلوبهم مرض) (٤) وقال تبارك وتعالى : (وترى القوم فيها صرعى) (٥) وقال عز من قائل حكاية عن الخليل ابراهيم عليه السلام : (اني أرى في المنام) (٦) الآية وقال تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم) (٧) ولم يخالف في ذلك الا قبيلة تيم[8] الرباب فانهم يهمزون مع حروف المضارعة وهو الأصل فتقول : هو يرأى وترأى وأرأى ونرأى فاذا قالوا متى نراك قالوا متى نرآك مثل نرعاك وبعضهم يقلب الهمز فيقول : متى نرؤوك (٩) .

وعلى هذا فان الرؤية في اللغة معناها رؤية بالبصر أو بالبصيرة التي هي القلب أو العقل وعلى ذلك قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) (١٠) .

---

(١) الصحاح ٢٣٤٧/٦ مادة رأى ، لسان العرب ٢٩١/١٤ مادة رأى .
(٢) تاج العروس ١٣٩/١٠ مادة رأى ، لسان العرب ٢٩٢/١٤ مادة رأى .
(٣) لسان العرب مادة رأى .
(٤) المائدة : ٥٢
(٥) الحاقة : ٧
(٦) الصافات : ١٠٢
(٧) سبأ : ٦
(٨) وتيم : قبيلة ، وبنو تيم : بطن من الرباب ، لسان العرب مادة تيم ، وفي تاج العروس : الرباب : أحياء ضبة وهم تيم وعدى وعكل وقيل : تيم وعدى وعوف وثور وأشيب وضبة عمهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة مادة ربب ٢٦٤/١
(٩) الصحاح ٢٣٤٧/٦ لسان العرب ٢٩٣/١٤ تاج العروس ١٣٩/١٠
(١٠) النجم : ١١

رؤية الله تبارك وتعالى عند الكرامية :

تثبت الكرامية رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة (١) وأن الله تبارك وتعالى يرى من جهة فوق (٢) ذلك بأنهم يثبتون العلو لله تعالى والاستواء كما سبق في فصل الاستواء والعلو.

وكما مر في البحث قول الكرامية في الجسم أن أهل الكلام يوردون الألفاظ المبتدعة كالجسم والعرض والتحيز ويدخلون في مسماها الذى ينكرونه وينفونه ما وصف الله تبارك نفسه من الأسماء والصفات والأفعال أو ما وصفه به نبيه عليه الصلاة والسلام، ففي باب رؤية الله عزوجل قالوا انه تعالى غير مرئي لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون الا لجسم والله منزه عن الجسمية فاذا انتفت الجسمية تنتفي عندهم الجهمية واذا انتفت الجهة انتفت الرؤية اذ كل مرئي في جهة من الرائي، فاضطروا لهذا المعنى الى رد الشرع المنقول وأعلوا الأحاديث بأنها أخبار آحاد وأخبار الآحاد لا توجب العلم (٣).

وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الخوارج ومتأخرى الامامية (٤) فقولهم باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع والذى يهمنا هنا هو موقف الكرامية من هذه المسألة مع اشارة أحيانا من يرد عليهم وينكر الرؤية في جهة ثم يشنعون على الكرامية في ذلك .

---

(١) انظر الملل والنحل ١/ والأربعين للرازى ص١٩٠، منهاج السنة ١/ ٢١٦، وشرح المقاصد ٢/ ٨٢
(٢) نفس المصدرين السابقين .
(٣) درء تعارض ٦/ ٢٢٦ ونقل ذلك عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٨٥ انظر منهاج السنة ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠ تحقيق د. محمد رشاد سالم انظر قول الجهمية في الرؤية الأصول الخمسة ص ٢٣٣
(٤) شرح الطحاوية ص ٢٠٤ تحقيق الباني شرح انظر مقالات الاسلامين ١/ ٢١٨ وانظر تحقيق د. محمد محي الدين الملل والنحل ١/ وانظر درء تعارض ١/ ٢٥٠ وانظر منهاج السنة ١/ ٢١٥

ويذهبون الى أنه تعالى يرى لا في جهة لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته وهذا مبنى في نفيهم كون البارى تعالى فوق العرش (١) .

قالوا : والكرامية انما يقولون بالرؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى الله عن ذلك (٢) .

ويجيب الكرامي على هذا الاتهام بقوله : " فليكن هذا لازما للرؤيته وليكن هو جسما " أو قال : " أنا اقول : انه جسم " (٣) .

وتنازع في هذه المسألة نفاة الرؤية ومثبتوها فقالت النفاة : اثباتها يستلزم أن يكون الله تبارك وتعالى جسما وذلك منتف ، وادعوا أن العقل دل على المقدمتين .

أما الذين يثبتون رؤية الله عزوجل فمنهم من نازع في المقدمة الأولى كالأشعرى وأمثاله وهو الذى حكاه الأشعرى عن أهل الحديث وأصحاب السنة وقالوا : لا نسلم أن كل مرئى يجب أن يكون جسما وهذا التنازع مشهور بين المعتزلة (٤) والأشاعرة الا أن كبار متأخرى الاشعرية كأبى المعالي واتباعه خالفوا الاشعرى شيخهم وأمثاله ووافقوا المعتزلة في نفي الرؤية ، فاذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسر به المعتزلة وقالوا انها زيادة انكشاف ونحو ذلك واعترفوا فقالوا : النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي (٥) .

فالأشعرى وقدماء أصحابه كانوا يقولون انه تعالى يرى وأنه فوق العرش بذاته تعالى ومع ذلك ليس بجسم وكذا قال عبد الله بن كلاب والحارث المحاسبي وابو العباس القلانسي بخلاف متأخرى الاشعرية فانهم قالوا إنه يرى لا في جهة لا أمام الرائي ولا خلفه (٦) .

أما الكرامية فانهم نازعوا في المقدمة الثانية فنفوا اللازم وأثبتوا رؤية الله تبارك وتعالى ولم يروا بأسا في اطلاق لفظ الجسم عليه (٧) .

أما أهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والأئمة فانهم لا يوافقون على اطلاق الاثبات ولا النفي بل يستفسرون ما يعنون به .

فان فسر به معنا صحيحا موافقا للكتاب والسنة قالوا به والا فلا .

وسأذكر مذهب شيخ الاسلام ابن تيمية الذى يمثل مذهب السلف في رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وما استدلوا على ذلك من أدلة من كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك أمر لم يختلف فيه السلف

مذهب السلف الصالح في هذه المسألة لتبين مذهب الكرامية فيها من حيث الصواب والخطأ لانهم هم . أعنى السلف الميزان الذى يصحح به المذاهب المختلفة والفرق المتشعبة ، ومذهبهم يوافق ما دل عليه كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) منهاج السنة ١/٢١٧
(٢) شرح المقاصد ٢/٨٢ ، وانظر درء تعارض ١/٢٤٨
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) انظر ١/٢٥٠ ، ٦/٢٢٨ وانظر منهاج السنة ١/٢١٧ ، ٢١٨
(٥) انظر درء ١/٢٥٠ ، انظر منهاج السنة ١/٢١٧ ، مجموع فتاوى ١٦/٨٥
(٦) منهاج السنة ١/٢١٧
(٧) انظر درء ١/٢٤٨

موقف شيخ الاسلام من الكرامية في اثبات روءية الله عز وجل :

هو من أعظم المثبتين لروءية الله تعالى والموافقين لسلف الأمة وقد أولاها عناية خاصة و وضح وبين مذهب السلف رحمه الله وأورد الأدلة الكثيرة النقلية والعقلية التي تدل وتثبت الروءية بجلاء ورد على النفاة المنحرفين المتأولين المخالفين للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة المتبعين لأهوائهم المتأثرين بالفلسفة اليونية والمنطق اليوناني وأتى على شبهاتهم فأبطلها بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ومن يقرأ موءلفاته يجد ذلك واضحا ويتبين له بسطته في العلم والتحقيق في المسائل.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : "روءيته تعالى سبحانه هي أعلى مراتب النعيم الجنة وغاية مطلوب الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له الدين وان كانوا في الروءية على درجات على حسب قربهم من الله سبحانه ومعرفتهم به " (١) . وقال " يجب على كل مسلم اعتقاده أن الموءمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام عند العلماء بالحديث فانه أخبر عليه الصلاة والسلام أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يضام في روءيته (٢) قال : " والذى عليه جمهور السلف رضي الله عنهم أن من جحد روءية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة فهو كافر ، فان كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك ، كما يعرف من لم تبلغه شرائع الاسلام ، فان أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر " قال : (والاحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة قد دون العلماء فيها كتبا) مثل (كتاب الروءية) للدارقطني ، ولأبي نعيم ، وللآجرى ، وذكرها المصنفون في السنة كابن بطة ، واللالكائي ، وابن شاهين وقبلهم عبد الله ابن احمد بن حنبل ، وحنبل بن اسحاق والخلال ، والطبراني وغيرهم رحمهم الله تعالى وخرجها أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن وغيرهم (٤) . أما مسألة روءية الكفار فقد اختلف فيها ، العلماء على ثلاثة أقوال :

---

(١) مجموع فتاوى ٦/٤٨٥، ٨/٣٥٦

(٢) مجموع فتاوى ٦/٤٨٥ ، منهاج السنة ١/٢١٦، ٢١٧

(٤) مجموع فتاوى ٦/٤٨٦ ، منهاج السنة ١/٢١٧

القول الأول : أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له .
وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم المتقدمين ، وعليه جمهور أصحاب الامام احمد وغيره (١) .

القول الثاني : انه يراه تعالى من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرضة القيامة ثم يحجب عن المنافقين فلا يرونه تعالى بعد ذلك ، وهذا قول امام الأئمة أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة ، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث اتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور إلخ .

القول الثالث : أن الكفار يرونه تعالى رؤية تعريف وتعذيب كاللص اذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم من طوائف من أهل الحديث (٢) .

وكل هؤلاء الأقوال الثلاثة المذكورة لديه أدلة من الكتاب والسنة يستدل بها على ما ذهب اليه ولم ينتشر الكلام في هذه المسألة والتنازع فيها الا بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة (٣) .

والذين يقولون أن الكفار يرون ربهم من طوائف من أهل الحديث والتصوف قالوا : بل يرونه تعالى ثم يحتجب كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما مع موافقة ظاهر القرآن قالوا : وقوله تعالى "لمحجوبون" يشعر بأنهم عاينوا ثم حجبوا وقالوا : ورؤية الكفار ليس كرامة ولا نعيما اذ اللقاء ينقسم الى لقاء على وجه الاكرام ولقاء على وجه العذاب وهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء (٤) .

وبعض العلماء فسروا اللقاء في كتاب الله عزوجل وفي السنة أن ذلك يدل على وقوع الرؤية المعاينة وعلى هذا يستدل على أن الكفار والمنافقين يرون ربهم (٥) .

---

(١) مجموع فتاوى ٦/ ٤٨٧ وانظر حادى الارواح ص ٢١٢
(٢) مجموع فتاوى ٦/ ٤٨٧ - ٤٨٨ وانظر المصدر السابق ص ٤٦٦ وانظر حادى الأرواح ص ٢١٤
(٣) انظر فتاوى ٦/ ٤٨٦
(٤) المصدر السابق ص ٤٦٦ - ٤٦٧ وانظر ص ٤٨٨ ص ٤٩٠ - ٤٩١ وانظر ص ٤٩٦- ٤٩٨
(٥) انظر مجموع فتاوى ٦/ ٤٨٨

والذين اختلفوا في رؤية الله تبارك وتعالى للكفار والمنافقين لم يختلفوا في وقوعها للمؤمنين وأنها أعلى مراتب نعيم الجنة والغاية التي يتنافس فيها المتنافسون وأنها أعظم بكثير من جميع نعيم الجنة فهم يتمتعون بذلك ويتلذذون بها (١) فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه (٢) وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم (٣).

و السلف رحمهم الله تعالى قد تلقاها بالقبول واتفق أهل السنة والجماعة عليها بل اتفق عليها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام على تتابع القرون (٤). ولم ينكرها ويكذبها ويحرفها الا أهل البدع المارقون والجهمية (٥) المتهوكون والمعتزلة (٦) المعطلون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله تعالى منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عاكفون وللسنة وأهلها يحاربون ولكل عدو الله تبارك وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام مسالمون والباطنية (٧) الذين هم من جميع الأديان منسلخون والخوارج، وكل هؤلاء يكذبون بصفات الله العلا وبرؤيته تعالى وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة وأجماع سلف الأمة وأولئك شرار الخلق والخليقة (٨).

وقرر شيخ الاسلام ابن تيمية بمثل ما قرره قبله علماء أهل السنة والجماعة من أنه لا يرى الله تعالى أحد في الدنيا بعينه فقال: (أن أئمة السنة والجماعة متفقون من أن الله عزوجل لا يراه احد بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا الا في نبينا محمد عليه الصلاة والسلام خاصة) (٩).

---

(١) مجموع فتاوى ١/٦،٢٦/٤٨٥،٨/٣٥٥

(٢) الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة حـ: ١٨١ وغيره.

(٣) حادى الأرواح ص ٢١٢

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٢٢٢

(٥) انظر الملل والنحل ١/٨٦

(٦) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ انظر المقالات الاسلاميين ١/٢٦٣ والفرق بين الفرق ص ١١٤ والملل والنحل ١/٤٤

(٧) الملل والنحل ١/١٩٣

(٨) انظر مجموع فتاوى ٣/٣٩١،٨/٣٥٦ وانظر حادى الأرواح ص٢١٢ وأنظر أقاويل الثقات ص ٧٨ وانظر شرح الطحاوية ص

(٩) مجموع فتاوى ٢/٣٣٥،٣/٣٨٦،٣٩٠،٣٩١،٥/٤٩٠،٤٩٢،٦/٥١٠، ٥١٢، منهاج السنة ٢/٥١٠ تحقيق د. محمد رشاد.

واستدل بما استدل به علماء السلف من الأدلة النقلية في الكتاب والسنة.

أما عن الكتاب فالدليل الأول قوله جل ثناؤه :

(١)
﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾

---

(١) القيامة : ٢٢-٢٣. أى وجوه حسنة جميلة من النعيم تنظر الى خالقها وهذه الآية الكريمة من أقوى الأدلة وأبينها على أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة وقد فسر علماء التفسير هذا المعنى غير المعتزلة ومن وافقهم قال الامام: أبو جعفر بعد أن ذكر الاختلاف في تأويل الأدلة قال : (وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذى ذكرناه عن الحسن وعكرمة ، من أن معنى ذلك : تنظر الى خالقها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما : (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة قال: وإن أفضلهم منزلة ، لمن ينظر في وجه الله عز وجل كل يوم مرتين

رواه الامام احمد (٥٣١٧) والترمذى (٢٥٥٦) في صفة الجنة : باب أقل رجل في الجنة له مسيرة الف سنة من الجنات و (٣٣٢٧) في تفسير سورة القيامة ، والحاكم ٢/٥٠٩ ، ٥١٠ ، واسناده ضعيف ثوير هو ان أبي فاختة متفق على ضعيفه وكذا قال احمد شاكر في المسند .

===

== قال : ثم تلا : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال : بالبياض والصفاء ، قال : (الى ربها ناظرة ، قال تنظر كل يوم في وجه الله تعالى) (١) وقال البغوى في قوله تعالى : (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس فأكثر الناس تنظر الى ربها عيانا بلاحجاب (٢) وقال ابو عبد الله القرطبي (الى ربها) الى خالقها ومالكها (ناظرة) اى تنظر الى ربها على هذا جمهور العلماء) (٣) وقال ابن كثير في قوله تعالى : (الى ربها ناظرة) اى تراه عيانا كما رواه البخارى في صحيحه (أنكم سترون ربكم عيانا) (٤) . و هذا قول كل مفسر (٥) من أهل السنة والحديث ، قال ابن القيم بعد أن ذكر تفسير المفسرين في قوله تعالى " الى ربها ناظرة " بأنه تنظر الى وجه ربها عزوجل وقد ذكر العلماء بأن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعدية بنفسه كما بين ذلك العلامة ابن القيم (٦) في حادى الأرواح والعلامة ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٧) ، والحافظ ابن حجر في الفتح وغيرهم (٨) ، فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى (انظرونا نقتبس من نوركم) (٩) وان عدى بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض) (١٠) وان عدى بالى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر) (١١) . فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر (١٢) ؟ ==

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢٩ / ١٩٣
(٢) معالم التوزيل في هامش تفسير ابن كثير ٩ / ٦٢ - ٦٣
(٣) ١٩ / ١٠٥ في الجامع لأحكام القرآن .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير مع البغوى ٩ / ٦٢

(٥) حادى الارواح ص ٢١٩
(٦) ص ٢١٩
(٧) ص ٢٠٥ تحقيق آلباني .
(٨) الفتح ١٣ / ٤٢٥
(٩) الحديد : ١٣
(١٠) الأعراف : ١٨٤
(١١) الانعام : ٩٩
(١٢) حادى الأرواح ص ٢١٩ وانظر شرح الطحاوية ص ٢٠٥ تحقيق الألباني وفتح البارى في التوحيد باب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ١٣ / ٤٢٥

وقال أبو الحسن الاشعرى وهو يشرح معنى قوله تعالى (الى ربها ناظرة) قال : (فلما أراد الانتظار لم يقل (الى) فلما قال سبحانه (الى ربها ناظرة) علمنا أنه لم يرد الانتظار، وانما أراد الرؤية، لما قرن النظر بذكر (الوجه) ولما قرن الله عزوجل النظر بذكر (الوجه) أراد نظر العينين التين في الوجه كما قال (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) (١) فذكر الوجه وانما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة (٢) ولما سئل الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى عمن يفسر قوله تعالى (الى ربها ناظرة) ينظر الى ثوابه فقال الامام مالك كذبوا فأين هم عن قول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٣). ذكره الحافظ ابن حجر عن أبي العباس السراج في تاريخه باسناده عن الامام مالك (٤) رحمه الله تعالى.

وبهذا النقل عن علماء التفسير قديما وحديثا وغيرهم من العلماء الذين ذكرنا أقوالهم أيضا يتأكد لدينا أنهم يتفقون على أن معنى الآية الكريمة هو أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في يوم القيامة وينظرون اليه كما ينظرون القمر ليلة البدر والشمس ليس دونها سحاب ومن شذ عن هذا التفسير من المعتزلة ونحوهم وخالف هؤلاء المفسرين والعلماء المعترف لهم بأنهم أئمة هذا الشأن فقد ضل ضلالا مبينا.

وقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن فسر الآية : (الى ربها ناظرة) أنهم يرون ربهم عيانا قال : (وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام (٥).

وذكر العلامة ابن القيم أن هذه الآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة وقال : (وان أبيت الا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها (٦).

---

(١) (البقرة : ١٤٤).
(٢) الابانة عن أصول الديانة ص ٣٩ تحقيق د. فوقيه.
(٣) المطففين : ١٥
(٤) فتح البارى ١٣/ ٤٢٦
(٥) تفسير ابن كثير والبغوى ٩/ ٦٢
(٦) حادى الأرواح ص ٢١٨

الدليل الثاني من الكتاب قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(١)

(١) فقد ورد في تفسير هذه الآية أقوال للمفسرين يوصلها بعضهم الى خمسة أقوال أو ست ، قال الامام أبو جعفر الطبرى رحمه الله تعالى : يقول الله تعالى جل ذكره :(للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه فأعطاه فيما أمر ونهى (الحسنى) قال : (ثم اختلف أهل التأويل في معنى (الحسنى) والزيارة) (٢) .

فذكر الأقوال ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : (ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى ، أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وأن تبيض وجوههم و وعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه ، وأن يعطيهم غرفا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله تعالى اياهم على الحسنى ألتي جعلها الله لأهل جناته ، وعم ربنا جل ثناؤه بقوله (زيادة) الزيادات على (الحسنى) فلم يخصص منها شيئا دون شيء ، وغير مستنكر من فضل الله تبارك وتعالى أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله تعالى ، فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره) (٣) .

و هكذا ذكر أقوال المفسرين في الآية ثم رجح أن تشمل الآية المعاني كلها من معاني (الزيادة) معناها : النظر الى وجهه سبحانه ومن فسر بهذا المعنى كما أورده الطبرى عدد من الصحابة والتابعين كأبي بكر الصديق وحذيفة وأبي موسى الأشعرى وصهيب راوى حديث النبي عليه الصلاة والسلام في رؤية الله عز وجل وغيرهم . و من التابعين عامر بن سعد وغيره وقد يكون في بعض أسانيد هؤلاء ارسال أو ضعف غير أن الحديث الذى رواه صهيب قال : تلا رسول الله عليه الصلاة والسلام هذه الآية : (للذين أحسنو الحسنى وزيادة) قال : (اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : (يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه) فيقولون (وما هو ؟ الم يثقل الله تعالى موازيننا ويبيض وجوهنا ؟ قال :(٤) ثم ذكر سائر

= = =

---

(١) يونس : ٢٦
(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٥ / ٦٢
(٣) تفسير الطبرى ١٥ / ٧١ تحقيق محمود شاكر .
(٤) تفسير الطبرى ١٥ / ٦٧

الحديث نحو حديث عمرو بن علي وابن بشار عن عبد الرحمن ولفظ الحديث (اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى (تريدون شيأ أزيدكم ؟ فيقولون الم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار) الحديث، والحديث صحيح أخرجه الامام مسلم في صحيحه (١) .

وبعد أن ثبت الحديث في المسألة وهو نص فيها فلا كلام لأحد كائنا من كان أعني تفسير الآية المذكورة .

ومما فسره المفسرون هذه الآية لفظ " الزيادة " بأنها النظر الى الله تبارك وتعالى ومن فسرها بذلك الطبرى كما سبق آنفا والبغوى (٢) وابن الجوزى (٣) والقرطبي (٤) وابن كثير (٥) والسيوطي (٦) والشوكاني (٧) .

وهذا التفسير الذى فسر به المفسرون بالآية المذكورة هو الصحيح لورود الحديث الصحيح المذكور فيها وهذا حجة بأن معنى (الزيادة) النظر الى الرب تبارك وتعالى وبهذا القول قال به أبو بكر الصديق وأبو موسى الاشعرى وحذيفة وابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وعبد الرحمن ابن أبي ليلى والسدى ومقاتل (٨) .

وقال العلامة ابن القيم : وقال غير واحد من السلف في الآية : " ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة " (٩) بعد النظر اليه والأحاديث بذلك عنهم صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الله تبارك وتعالى (١٠) .

---

(١) كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ج : ١ ٨١ ومسند أبي داود الطياسي ص ١٨٦ ح : ١٣١٥ ومسند الامام احمد ٤ / ٣٢ ٣٣٣ ٣٣٣ انظر هامش تفسير الطبرى كلام محمود شاكر ١٥ / ٦٧
(٢) تفسير البغوى على هامش تفسير ابن كثير ٤ / ٢٩٦
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤ / ٢٤
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٣٠
(٥) تفسير ابن كثير مع البغوى ٤ / ٢٩٦ .
(٦) الدر المنثور ٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦
(٧) فتح القدير ٢ / ٤٢٠
(٨) زاد المسير في علم التفسير ٤ / ٢٤ وانظر حادى الارواح ص ٢١٥ - ٢١٦
(٩) يونس : ٢٦
(١٠) حادى الأرواح ص ٢١٦

ومما يستدل على امكان الرؤية قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين سأل ربه عزوجل رؤيته قال : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا " (١) .

(١) الأعراف ١٤٣ .

يخبر الله عزوجل عن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر اليه (٢) .

وقوله تعالى "لن تراني" تعلق بها نفاة الرؤية وقالوا : "لن" لنفي الأبد وذلك غلط (٣) ، قال ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا * فقوله أردد وسواه فاعضدا (٤)

والله سبحانه وتعالى أجابه بقوله "لن تراني" ولم يقل اني لا أرى ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله (٥) .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى عليه السلام لا يقوى على ذلك فهذه الآية تدل على جواز الرؤية لأن موسى عليه السلام مع علمه بالله تعالى وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض سألها ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى عليه السلام أن يسألها (٦) والله سبحانه وتعالى لم ينكر على موسى عليه السلام سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه وانما لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى (٧) وقد ورد الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم وغيره : " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عزوجل حتى يموت (٨) .

وقال السدى ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه تبارك وتعالى أحب أن ينظر اليه وقال : " رب أرني أنظر " فسأل ذلك شوقا الى رؤيته عزوجل (٩) لما اسمعه كلامه

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٨ وانظر التفسير الكبير ١٤ / ٢٢٩ ، وانظر تفسير ابن كثير مع البغوى ٣ / ٥٤٥
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٣ / ٢٥٦
(٤)
(٥) شرح الطحاوية ص ٢٠٧ تحقيق ألباني .
(٦) انظر الرد على الجهمية للامام احمد ص ٨٦ ، زاد المسير في علم التفسير ٣ / ٢٥٦ ، وانظر حادى الأرواح ص ٢١٢ - ٢١٣
(٧) حادى الارواح ص ٢١٢ - ٢١٣ وانظر منهاج السنة ١ / ٢١٧ - ٢١٨
(٨) مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب ذكر ابن صياد ح : ٢٩٣١ الترمذى في الفتن باب ما جاء في علامة الدجال ح : ٢٢٣٥ الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٨
(٩) جامع البيان عن تأويل آى القرآن

و مما يستدل أهل السنة والجماعة على رؤيته تعالى يوم القيامة قوله تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون" (١)

قال البغوى في قوله تعالى "أنهم ملاقوا) معاينوا ربهم في الآخرة وهو رؤية الله تعالى، قال: وقيل المراد من اللقا الصيرورة اليه (٢) وكذلك الآيات "واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه" (٣) وقوله تعالى "فمن كان يرجو لقاء ربه" (٤) وقوله تعالى "تحيتهم يوم يلقونه سلام" (٥).

قال العلامة ابن القيم: أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب الى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى "فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه" (٦) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرضات القيامة بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم (٧) القيامة (٨). وغير ذلك من الأدلة في كتاب الله تبارك وتعالى وما قال العلماء في تفسيرها وشرحها يطول ويضيق عنها المجال.

والحق أن رؤية الله عز وجل ممكنة في الدنيا عقلا، وثبت شرعا أنها تقع في الآخرة فاتفق الشرع والعقل على امكان الرؤية و وقوعها فان الرؤية أمر وجودى لا يتعلق الا بموجود وما كان أكمل وجودا كان أحق أن يرى فالبارى سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه، و تتعذر الرؤية لاسباب منها (أ) خفاء المرئي (ب) آفة وضعف في الرائي، والله سبحانه وتعالى أظهر من كل موجود وانما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر اليه فان كان الرائي في دار البقاء كانت قوة البصر في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، (٩).

(١) البقرة: ٤٥ - ٤٦

(٢) معالم التنزيل هامش تفسير ابن كثير ١/ ١٥٨ - ١٥٩

(٣) البقرة: ٢٢٣

(٤) الكهف: ١١٠

(٥) الاحزاب: ٤٤

(٦) التوبة: ٧٧

(٧) تقدم في ص ٤٠٩ - ٤١٠ من الرسالة.

(٨) حادى الارواح ص ٢١٤

(٩) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٢٨٤ حادى الأرواح ص ٢١٢ - ٢١٣ وانظر منهاج السنة ١/ ٢١٨

وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على رؤية الله تعالى فمتواترة (١) والاحاديث في أيدى أهل العلم عن النبي عليه الصلاة والسلام أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم (٢) وهي الأحاديث التي في الصحيح ورويت عن النبي عليه الصلاة والسلام من عدة أوجه.

فمن الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه وهو في الصحيحين وفي غيرهما قال : أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا : لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك ، وهذا لفظ البخارى (٣) ولفظ البخارى أيضا من حديث أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك (٤).

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه واللفظ للبخارى قال : قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا ؟ قلنا : لا

---

(١) انظر مجموع فتاوى ٣ / ٣٩٠ حادى الارواح ص ٢١٩ تفسير ابن كثير مع البغوى ٦٣/٩
(٢) الرد على الجهمية ص ٨٦ ضمن مجموعة عقائد السلف وانظر الرد على الجهمية ص ٦٣ تحقيق الألباني وانظر الشريعة ص ٢٥٢ والتصديق بالنظر الى الله تعالى في الآخرة ص ٣٦ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥١ تحقيق شعيب ارناؤط .
(٣) في التوحيد باب قول الله عزوجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ح : ٧٤٣٧ ومسلم في الايمان باب معرفة طريق الرؤية ح : ١٨٢ ، سنن أبي داود في السنة باب في الرؤية ح : ٤٧٣٠ سنن الترمذى في صفة الجنة باب ما جاء خلود أهل الجنة وأهل النار ح : ٢٥٥٧ ، المسند ٢ / ٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩
(٤) متفق عليه البخارى في التوحيد باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ح : ٧٤٣٩ ، ومسلم في الايمان باب معرفة طريق الرؤية ح : ١٨٣

قال : فانكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ الا كما تضارون في رؤيتهما (١)

وحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته (٢) .

وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي (٣) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومتواترة كما تقدمت الاشارة (٤) اليه يوجد في مطانها من كتب الصحاح والسنن والمسانيد وتلقاها العلماء بالقبول والتسليم وانشراح الصدر الا المنحرفين المحجوبين عن ربهم يوم القيامة (٥) .

وقد روى هذه الاحاديث عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم يوصلها بعضهم نحو ثلاثين صحابيا (٦) كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي موسى وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأبي أمامة ومعاوية وجابر وحذيفة وأنس ابن مالك وعمار بن ياسر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدرى وجريد بن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعدى بن حاتم الطائي وبريده بن الحصيب الاسلمي وأبي رزين العقلي وعائشة أم المؤمنين وعماره بن رويبه وسلمان الفارسي وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف ، وأبي بن كعب، وكعب بن عجزة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ورجل من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام غير مسمى (٧) .

---

(١) متفق عليه البخارى في التوحيد باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ح : ٧٤٣٩ ومسلم في الايمان باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٣

(٢) متفق عليه البخارى في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ح : ٥٥٤ ، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦ ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح : ٦٣٣ ، الترمذى في صفة الجنة ح : ٢٥٥٤ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ح : ١٧٧ واحمد في المسند ٤/ ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥

(٣) مجموع فتاوى ٥/ ١٠٧ شرح الطحاوية ص

(٤) آنفاً ص ٤١٦ من الرسالة .

(٥) انظر حادى الأرواح ص ٢١٩ - ٢٢٠ ومنهاج السنة ١/ ٢١٦ - ٢١٧

(٦) شرح الطحاوية ص ١٥٢

(٧) شرح أصول اعتقاد اهل السنة ٣/ ٤٧٠ ، حادى الارواح ص ٢١٩

وقد ساق أحاديثهم العلامة ابن القيم (١) رحمه الله تعالى وعددهم أكثر من ثلاثين صحابيا .

وأما التابعون ومن بعدهم من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها الا الله عزوجل (٢)

---

(١) حادي الأرواح ص ٢٢٠ وما بعدها . ،اذكر طرفا من ذلك روى اللالكائي باسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى في جنته) (١) . وروى اللالكائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هل تنكرون أنه تكون الخلة لابراهيم ؟ والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليه الصلاة والسلام (٢) وروى الامام أبوبكر الآجرى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو ما رواه اللالكائي (٣) .

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٤٩٦

(٢) المصدر السابق نفسه ٣/٤٩٧

(٣) الشريعة ص ٤٩١ تحقيق محمد حامد الفقي .

وذكر ما رواه مسلم في صحيحه وقد تقدم الحديث (١) والمسألة بتفاصيلها ، ونشير هنا أن هذا مذهبه فقط وأنه يرد على من يدعي أنه تعالى يراه احد في الدنيا ممن يزعم أنه من أولياء الله تعالى وقد بين شيخ الاسلام أن الناس في رؤية الله عزوجل على ثلاثة أقوال :

القول الأول : هو قول الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين رضوان الله عليهم على أن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار عيانا ، وأن أحدا لا يراه في الدنيا بعينه (٢) ، لا نبي ولا غيره (٣) . وذلك لعجز أبصار الناس عن رؤيته تعالى / لا لاجل امتناع رؤيته بل هي جائزة (٤) . لكن يرى في المنام (٥) كما سيأتي الاشارة الى ذلك (٦) ، ويحصل للقلوب من المكاشفات ما يناسب حالها ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن أنه رأى ذلك بعينه وهو غالط ، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد .

القول الثاني : هو قول النفاة الجهمية ومن وافقهم أنه تعالى لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة وكذا / قال المعتزلة والرافضة والباطنية والخوارج وغيرهم كما تقدم (٧) .

---

(١) تقدم في ص ٤١٤ من الرسالة .

(٢) انظر مجموع فتاوى ٢/ ٣٣٥ ، ٣/ ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٥/ ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٦/ ٥١٠ ، ٥١٢ ، منهاج السنة ٢/ ٥١٠ تحقيق د . محمد رشاد سالم .

(٣) منهاج السنة ٢/ ٥١٠ تحقيق د . محمد رشاد . وانظر مختصر الصواعق ١/ ٢٨٠ .

(٤) انظر منهاج السنة ١/ ١١٧

(٥) قال العلامة المحقق شعيب آرنووط في هامش زاد المعاد : وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه تعالى في المنام أخرجه الامام أحمد في مسنده بروايات متعددة ١/ ٣٦٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والترمذي عنه : ٣٢٣١ ، ٣٢٣٢ ، وأحمد ٥/ ٢٤٣ وللترمذي : ٣٢٣٣ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأحمد ٤/ ٦٦ ، و ٥/ ٣٧٨ من حديث عبد الرحمن بن عايش رحمه الله تعالى عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك الروايات لحديث : " رأيت ربي تبارك وتعالى في المنام " وكانت في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح أنظر هامش زاد المعاد ٣/ ٣٧ تحقيق شعيب أرنووط .

(٦) في ص ٤٢٢ من الرسالة .

(٧) في ص ٤٠٤ من الرسالة .

القول الثالث : هو قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة وهذا قول حلولية الجهمية كابن عربي صاحب الفصوص الذين يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون : " انه لا يرى في الدنيا والآخرة وأنه يرى في الدنيا والآخرة (١) .

وقد تنازع بعض الصحابة والسلف في هل محمد عليه الصلاة والسلام رأى ربه عز وجل ليلة المعراج ؟ (٢) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فاختلف السلف فيها فأنكرت عائشة رضي الله عنها وروى بسنده عن مسروق رحمه الله أنه قال لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين هل رأى محمد عليه الصلاة

---

(١) مجموع فتاوى ٢/٣٣٦ - ٣٣٧ ، وقول حلولية الجهمية متناقض اذ يقولون ان الوجود المطلق السارى في الكائنات لا يرى ، وهو وجود الحق تبارك وتعالى عندهم ثم من اثبت الذات قال : يرى متجليا فيها ، ومن فرق بين المطلق والمعين قال : لا يرى الا مقيدا بصورة ، ومعلوم أن المطلق لا يكون في الخارج مطلقا فيقتضي أن يكون الرب تعالى معدوما وهذا هو جحود الرب وتعطيله وان جعلوه ثابتا في الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة مجموع فتاوى ٢/٣٣٧ - ٣٣٨ وانظر مقالات الاسلاميين ١/٢٦٣

(٢) القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٩٥ وانظر هامش الشريعة ص ٤٩٢ وانظر مجموع فتاوى ٣/٢٨٦ وانظر اقاويل الثقات ص ١٩٦

والسلام ربه تعالى فقالت : لقد قف شعري مما قلت : ثلاث من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن محمدا رأى ربه تعالى فقد كذب ثم قرأت قوله تعالى (لا تدركه الابصار)(١) الآية قال : وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنهما وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه ومثله عن أبي هريرة انه قال : انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين (٢) .

قال : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم رآه تعالى بعينه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين (٣) .

وقد جمع العلماء بين هذه الروايات وقال الامام زين الدين مرعي الحنبلي : (وقد رجح القول انه - اى النبي صلى الله عليه وسلم لم يره - اى الله سبحانه وتعالى بعين رأسه)شيخ الاسلام ابن تيمية وقال : قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون في هذه المسألة وما تلقوه فيها قريبا من مائة مصنف فلم أجد يروى باسناد ثابت ولا صحيح ولا عن صاحب ولا عن امام انه صلى الله عليه وسلم رآه تعالى بعين رأسه، قال : فالواجب اتباع ما كان عليه السلف والأئمة ، وهو اثبات مطلق الرؤية أو رؤية مقيدة بالفؤاد (٤) .

وقال الامام المرعي : وقال يعني شيخ الاسلام ابن تيمية لم يثبت عن الامام احمد رحمه الله التصريح بانه عليه الصلاة والسلام رأى ربه تعالى بعين رأسه قال : لكن حكى النقاش عن احمد بن حنبل أنه قال : "أنا أقول بحديث ابن عباس : بعينه رآه، رآه حتى انقطع نفسه ، لكن ابن تيمية أعلم بنقول أحمد وغيره من النقاش ، وأحمد أجل من أن يكون عنده من عدم السكينة ما يتكلم بمثل هذا حتى ينقطع نفسه ، انما هي حكايات المجازفين في النقول عن الائمة فتأمل ، وصاحب البيت أدرى ، وكم للناس من مجازفات في المنقول والمعقول ، والمرجع في ذلك انما هو لاقوال المحققين والعلماء الراسخين والائمة الربانيين (٥) .

---

(١) الأنعام : ١٠٣

(٢) الشفا ١/١٩٦

(٣) المصدر السابق نفسه ، وانظر أقاويل الثقات للمرعي تحقيق شعيب أرووط ، وانظر شرح الطحاوية ص

(٤) اقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات ص ١٩٦ بتصرف قليل انظر مجموع فتاوى ٥٠٩/٦

(٥) اقاويل الثقات ص ١٩٦ ، انظر مجموع فتاوى ج ٣/٣٨٦ - ٣٨٧، و٥٠٩/٦

وقد جمع شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه الروايات و وفق بينهم كما نقل عن الامام الدارمي رحمه الله تعالى اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم على أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه تعالى فقال في ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية : (وأما الرؤية) فالذى ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " رأى محمد عليه الصلاة والسلام ربه بفؤاده مرتين " وعائشة انكرت الرؤية ، فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة رضي الله عنها أنكرت رؤية العين وابن عباس رضي الله عنهما أثبت رؤية الفؤاد " قال : " والألفاظ الثابتة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول : رأى محمد عليه الصلاة والسلام ربه تعالى وتارة يقول : رآه محمد عليه الصلاة والسلام ولم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما لفظ صريح بأنه رآه بعينه ، وكذلك الامام أحمد رحمه الله تعالى . . . لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ، ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس رضي الله عنهما ففهم منه رؤية العين» (١) .

وقد صح عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أني أراه ؟ (٢) أى حال بيني وبين رؤيته النور كما قال في لفظ آخر " رأيت ربي " وقد صح عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : " رأيت ربي تبارك وتعالى " ولكن لم يكن هذا في الاسراء ، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة (٣) في منامه . وعلى هذا بنى الامام أحمد وقال : نعم رآه حقا ، فان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حق ولا بد (٤) وهذا هو الحق في هذه المسألة .

فالكرامية اتبعت السلف الصالح في هذه المسألة ، غير أن هناك خلافا بين الكرامية وبعض الأشعرية في مسألة رؤية الله عزوجل .

وقد جرت بينهم مناظرات كل ذلك وغيرها سيأتي في موقف شيخ الاسلام ابن تيمية ان شاء الله تعالى .

---

(١) مجموع فتاوى ٦ / ٥٠٩ ، وانظر المصدر السابق ٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧
(٢) الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في الايمان باب في قوله عليه الصلاة والسلام : نور أني أراه وفي قوله رأيت نورا ح : ١٧٨
(٣) تقدم تخريجه في ص ٤١٩ من الرسالة .
(٤) انظر مجموع فتاوى ٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٦ / ٥٠٧ - ٥٠٨ ، وانظر درء تعارض ١ / ١٠٦ - ١٠٧

وشيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر إنكار الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم رؤية الله عزوجل ذكر أن الاشعرية المتأخرين يخالفونهم في نفي الرؤية فيثبتون رؤية الله تبارك وتعالى ثم قال : " ولكن الرؤية التي أثبتوها لا حقيقة لها " . اذ يذهبون الى أنه يرى لا في جهة لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته (١) .

وقد كتب ابن فورك الى أبي اسحاق (٢) الاسفراييني كتابا يحكى ما جرى له في مجلس السلطان يمين الدولة محمود سبكتكين فقال في كتابه : وجرى في كلام السلطان : أليس تقول : إنه يرى لا في جهة ، فقلت نعم يرى لا في جهة (٣) ، قال : " ثم بلغني أن السلطان يكرر على نفسه كيف يعقل شيء لا في جهة ، قال : وفرحت الكرامية في ذلك قال : فلما رجعت الى البيت فاذا أنا برقعة فيها مكتوب ، الأستاذ أدام الله سلامته على مذهبه

(١) مجموع فتاوى ٣٥٧/٨ ، ومعلوم أن هذا مشهور عن متأخرى الأشعرية انظر منهاج السنة ٢١٧/١

(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم مهران الاسفراييني الملقب بركن الدين ، فقيه شافعي ومتكلم أصولي توفى سنة ٤١٨ وانظر ترجمته : وفيات الاعيان ٢٨/١ ، تبيين كذب المفترى ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، طبقات الشافعية ٢٥٦/٤ - ٢٦٢ ، العبر للذهبي ١٢٨/٣ ، البداية والنهاية ٢٤/١٢ ، شذرات الذهب ٢٠٩/٣ - ٢١٠ الاعلام ٥٩/١

(٣) مجموع فتاوى ٨٢/١٦ ، مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢

أن الباري ليس في جهة فكيف يرى لا في جهة فكتبت خبر الرؤية صحيح وهي واجبة كما بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على أن الله يرى لا جهة لأنه صلى الله عليه وسلم قال : (لا تضامون في رؤيته) و معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فانه لا في جهة (١) قال ابن فورك : (فلما ردت اليه (يعني السلطان محمود سبكتكين) أنفذها الى حاكم البلد ، وهو أبو محمد الناصحي (٢) والمستقاة فيما قلته فجمع قوما من الحنفية والكرامية فكتب هو أعزك الله - بأن من قال : بأن الله تعالى يرى لا في جهة مبتدع ضال) وكتب ابو حامد المعتزلي عنه وكتب انسان بسطامي مؤدب في دار صاحب الجيش مثله ، فردوا عليه آي على السلطان ، فأنفذ اليّ ما في ذلك المحضر الذى فيه خطوطهم وكتب اليّ رقعة قال فيها : (فانهم كتبوا هذا فما تقول في هذه الفتوى (٧) ؟ .

أما موقف شيخ الاسلام ابن تيمية عن المتخاصمين الذين هم الكرامية والأشعرية اذ شنعت الأخيرة على الأولى في اثباتها الرؤية من جهة فوق ، وهي لا ترى أن الجهة شرط في الرؤية فأثبتت الرؤية بدون مقابلة ولا جهة وقد سبق قول ابن فورك هذا آنفا ، كما بين شيخ الاسلام ابن تيمية المحق من المبطل في تلك المناظرة (٤) أيضا التي تمت بين ابن فورك وبين الكرامية عند السلطان محمود بن سبكتكين وأرى لزاما على أن أبين موقف شيخ الاسلام ابن تيمية في الطائفتين المتخاصمتين في: هل أن المرئى في جهة أم لا ، ليتضح موقف الكرامية من خصومها وأيتهما على الحق في هذه المسألة .

وقد أوضح شيخ الاسلام أن الأشعرية في إنكارهم الجهة كإبن فورك وفي قولهم (إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة) قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة ، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة قال : (والأخبار المتواترة عن النبي عليه الصلاة والسلام ترد عليهم كقوله في الأحاديث الصحيحة (انكم سترون ربكم كما ترون

---

(١) مجموع فتاوى ١٦ / ٨٣ ، مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢
(٢) لم أجد له ترجمة .

(٧) مجموع فتاوى ١٦ / ٨٣ - ٨٤

(٤) ص ٤٢٣ قبل هذه الصفحة ، والذى تقدم هو اشارة الى المناظرة وليست المناظرة نفسها كاملا .

الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته) وقوله عليه الصلاة والسلام لما سأله الناس : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : (هل ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب ؟ قالوا : نعم وهل ترون القمر صحوا ليس دونه سحاب ؟ قالوا : نعم قال : (فانكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر) (١) .

قال : فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي فإن الكاف حرف تشبيه دخل على الرؤية ، وفي لفظ البخاري (يرونه عيانا)(٢) قال : (ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانا مواجهة ، فيجب أن نراه كذلك ،

وأما رؤية ما لا تعاينه ولا تواجهه فهذه غير متصوره في العقل فضلا عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر) (٣) .

والحق أن ما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية من أنه لا يتصور رؤية من غير مواجهة ولا معاينة كما بيّن ذلك بالأدلة الشرعية وبإتفاق جمهور العقلاء على بطلان ذلك، وهذا هو الحق قول الأشعرية المتأخرين بخلاف المتقدمين من أصحاب الأشعري وابن كلاب وأصحابه فانهم يثبتون لله تبارك وتعالى العلو وبأنه فوق العرش وهذا أصل الخلاف، وابن فورك متقدم على أبي معالي الجويني رأس متأخري الأشعرية الذين ينكرون صفات الخبر به وهو يثبتها ومع ذلك يقول : انه تعالى يرى لا في جهة فهو يوافق نفاة صفات الخبر به في هذه المسألة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن رد عليه : " هذا مع أن ابن فورك هو ممن يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين وكذلك المجيء والإتيان موافقة لأبي الحسن الأشعري (٤) . الا أنه وافق المتأخرين في هذه المسألة.

ولما رأى متأخروا الأشعرية تناقض هذا القول مالوا الى إنكار الرؤية وقالوا بقول المعتزلة في الباطن كما سبق (٥) وفسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا تنازع فيه المعتزلة (٦) .

---

(١) تقدم ص ٤١٣ - ٤١٤ من الرسالة.
(٢) الحديث خرجه البخاري في التوحيد ح ٧٤٣٥.
(٣) مجموع فتاوى ١٦/ ٨٤ - ٨٥ وانظر درء ١/ ٢٥٢
(٤) مجموع فتاوى ١٦/ ٨٤ - ٨٥، وانظر درء تعارض ١/ ٢٥٢
(٥) مجموع فتاوى ١٦/ ٨٩
(٦) تقدم في ص ٤٠٥ من الرسالة.

وقد استدل ابن فورك في مناظرته مع الكرامية الخبر الصحيح في الرؤية وأنه يدل على أنهم يرونه تعالى لا في جهة، وزعم أن لفظ (لا تضامون) بمعنى لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة.

وهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه، ولا قاله أحد من أئمة العلم بل هو تفسير منكر عقلا وشرعا ولغة فإن قوله (لا يضامون) يروى بالتخفيف أى لا يلحقكم ضيم (١) في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال، فإنه قد يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يرى وهو سبحانه يتجلى تجليا ظاهرا فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته وهذه الرواية المشهورة (٢).

وقيل: (لا تضامون) بالتشديد اى لا يضم بعضكم الى بعض كما يتضام الناس عند روية الشمس الخفي كالهلال، فأما أن يروى بالتشديد ويقال: (لا تضامون) اى لا تضمكم جهة واحدة فهذا باطل لأن التضام انضمام بعضهم الى بعض فهو تفاعل، كالتماس، والتراد، ونحو ذلك، وقد يروى (لا تضامون) بالضم والتشديد أى لا يضام بعضكم بعضا، وبكل حال فهو من (التضام) الذى هو مضافة بعضهم بعضا، ليس هو أن شيئا آخر لا يضمكم، فان هذا المعنى لا يقال فيه (لا تضامون) فانه لم يقل: (لا يضمكم شيء)، ثم الراؤون كلهم في جهة واحدة (٣) على الأرض وهؤلاء القوم أثبتوا مالا يمكن رؤيته وأحبوا نصر مذهب أهل السنة والجماعة والحديث فجمعوا بين أمرين متناقضين فإن مالا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه يمتنع أن يرى بالعين لو كان وجوده في الخارج ممكنا فكيف وهو ممتنع (٤).

وإنما يقدر في الأذهان من غير أن يكون له وجود في الاعيان فهو من باب الوهم والخيال الباطل ولهذا فسروا الإدراك بالرؤية في قوله (لا تدركه الأبصار) كما فسرتها المعتزلة لكن عند المعتزلة خرج مخرج المدح فلا يرى بحال.

---

(١) مجموع فتاوى ١٦ / ٨٥ مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٣ - ٤

(٢) الضيم كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية انظر الصحاح مادة ضمم، وضيم، والقاموس مادة الضم، ولسان العرب ضم، والنهاية لابن الأثير مادة ضمم قال: الضيم، الظلم والصحاح ولسان العرب مادة ضيم.

(٣) انظر مجموع فتاوى ١٦ / ٨٥ - ٨٦، انظر مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٤ - ٥

(٤) مجموع فتاوى ١٦ / ٨٧ مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٥ - ٦

وهؤلاء قالوا : لا يرى في الدنيا دون الآخرة والآية تنفي الإدراك مطلقا دون الرؤية كما قال ابن كلاب وهذا أصح ، وحينئذ فتكون الآية دالة على إثبات الرؤية وهو أنه يرى ولا يدرك فيرى من غير إحاطة ولا حصر وبهذا يحصل المدح (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وكان ابن فورك في مخاطبة السلطان قصد إظهار مخالفة الكرامية كما قصد بنيسابور القيام على المعتزلة في استتابتهم وكما كفرهم عند السلطان ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ويعذرهم بالخطأ في الإجتهاد ، بل إبتدع بدعة وعادى من خالفه فيها أو كفره ، فإنه هو يظلم نفسه ..

(قال : (وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق يتبعون الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يبتدعون) (٢) . وقد اتضح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية هذا أن ابن فورك ابتدع في قوله (يرى لا في جهة) وتفسيره للحديث لا تضامون اى لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته .

ويفهم من كلامه أيضا أن الكرامية من المبتدعة المخطئين لكنه يرى ألا يكفر المبتدعة وأن يعذر لهم فيما عذره الشرع ، وهذا عين الصواب وقد جاء عنه في هذا المبحث في أكثر من موضع أنه إذا كان مع المبتدع حق قبل ولا يترك هذا الحق من أجل كونه مبتدعا وهذا يدل على إنصافه وعدله في خصومه وأنه ينشد الحق دون غيره .

ومما يشهد ما قلناه من كلامه ما صرح به في ذلك من آخر كلامه في المتناظرين قال : (وهؤلاء كل منهم يرد بدعة الآخرين ولكن هو أيضا مبتدع) ثم قال : (فيرد بدعة ببدعة وباطلا بباطل) (٣) وقال أيضا : (وكذلك ما حكاه من مناظراتهم له عند الوزير مجلسا بعد مجلس هو من هذا الباب ، فإن المعتزلة والكرامية يقولون : حقا وباطلا وسنة وبدعة كما أنه أيضا كذلك يقول : حقا وباطلا موافقة لأبي الحسن الأشعرى ، وأبو الحسن سلك في مسألة الاسماء والأحكام والقدر مسلك الجهم بن صفوان مسلك المجبرة ومسلك غلاة المرجئة (٤) و هكذا بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن فورك لم يكن محقا في رده على الكرامية في مسألة الجهة وإنكاره أن يكون المرئى في جهة وإستدلاله بالحديث على ذلك مع أن ابن فورك من قدماء الأشعرية الذين يثبتون صفات

---

(١) مجموع فتاوى ١٦/٨٧ - ٨٨ ، مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٦
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٩٥ - ٩٦
(٣) مجموع فتاوى ١٦/٩٦
(٤) المصدر السابق نفسه .

الخبرية كما تقدم (١) وأن في كلام ابن فورك بدعة كما أن في كلام الكرامية بدعة فهم يردون بدعة ببدعة وباطلا بباطل، وقد يكون في كلام كل هؤلاء حق وباطل الى غير ذلك مما ذكره شيخ الإسلام فهو الحق الذى يجب إتباعه فرد على المتخاصمين جميعا من الكرامية ومن ينازعهم الذين قالوا: (لو رؤى لكان في جهة وماكان في جهة فهو جسم وماكان جسما فهو محدث) فعارضهم على ذلك الكرامي بقوله: (فليكن هذا لازما للرؤية، وليكن هو جسما) وقال: (أنا أقول إنه جسم) كما تقدم (٢).

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان هؤلاء نفوا رؤية الله عزوجل بالمعقول الذى ادعوه (لو رؤى لكان في جهة) وأولئك أثبتوا الرؤية والتجسيم بالمعقول الذى ادعوه (٣) قال النافي: (أنت مبتدع في اثبات الجسم) والمثبت يعني الكرامية وغيرهم يقولون: (وأنت مبتدع في نفيه) قال شيخ الاسلام: (البدعة في نفيه كالبدعة في اثباته ان لم تكن أعظم بل النافي أحق بالبدعة من المثبت لأن المثبت أثبت ما أثبتته النصوص، وذكر هذا معاضدة للنصوص وتأييدا لها وموافقة لها وردا على من خالف موجبها، فان قدر أنه ابتدع في ذلك كانت بدعته أخف من بدعة من نفي ذلك نفيا عارض به النصوص ودفع موجبها ومقتضاها) (٤).

ومعلوم أن نفاة الصفات كالرؤية والعلو على العرش ونحو ذلك متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم وسلف الأمة رضوان الله عليهم كثر كلامهم في ذم الجهمية النفاة للصفات، وذموا المشبهة أيضا، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذم الجهمية لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه كما تقدم في مبحث موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجسم وأما ذكر التجسيم وذم المجسمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف كما لا يعرف في كلامهم أيضا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، والامام أحمد رحمه الله امتنع من موافقة ابن برغوث في قوله: الجسم نفيا واثباتا (٥).

---

(١) في ص ٤٢٥ من الرسالة.
(٢) ص ٤٠٥ من الرسالة.
(٣) انظر درء تعارض ١/ ٢٤٨
(٤) درء ١/ ٢٤٨

(٥) انظر درء تعارض ١/ ٢٤٩، وتقدم هذا في مبحث موقف الكرامية من اطلاق الجسم على الله عزوجل.

وهكذا أوضح شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن كلا من الفريقين المختلفين من الكرامية التي تثبت رؤية الله عزوجل مع اثبات الجهة والجسم والأشاعرة الذين يثبتون رؤية الله تبارك وتعالى بدون جهة مخطئ ومبتدع .

أخطأت الكرامية في تسمية الله تعالى جسما وقد تقدم (١) تفصيل مسألة الجسم، كما أخطأت الاشعرية في اثبات رؤية الله تبارك وتعالى بدون جهة فذلك رؤية لا حقيقة لها (٢) .

ثم بعد أن بين أن هؤلاء مبتدعة مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة أوضح مذهب سلف الأمة الصحيح وذكر أنهم يثبتون المعاني الصحيحة الشرعية وكذلك الألفاظ الشرعية فقال في ذلك : (فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية ، فيعبرون بها ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، ومن تكلف بما فيه معنى باطلا يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه الى البدعة أيضا ، قالوا : انما قابل بدعة ببدعة ورد باطلا بباطل) (٣) .

وقد تقدم هذا كله في مبحث موقف الكرمية من اطلاق لفظ الجسم على الله تعالى وأشرت هنا لعلاقته بما نحن بصدده والله أعلم .

ونلحق فصل رؤية الله عزوجل مبحث موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجهة على الله تبارك وتعالى لعلاقة به

---

(١) في مبحث موقف الكرامية من اطلاق لفظ الجسم على الله تعالى .

(٢) انظر مجموع فتاوى ٨/ ٣٥٧ وتقدم ص ٤٢٤-٤٢٥ من الرسالة .

(٣) در ١/ ٢٥٤

موقف الكرامية من اطلاق الجهةعلى الله تبارك وتعالى :

الجهة في اللغة : **الوجه** .

الوجه والجهة بمعنى والهاء عوض من الواو، والمواجهة : المقابلة (١) .

الجهة بالكسر والضم : الناحية (٢)

الجهة من الألفاظ المبتدعة المحتملة للحق والباطل وقد سبق في موقف الكرامية من اطلاق الجسم على الله تعالى تفصيل الألفاظ المجملة المبتدعة وما قال فيها العلماء .

موقف الكرامية من اطلاق الجهة على الله تبارك وتعالى :

تطلق الكرامية الجهة على الله عزوجل فتقول : ان الله تبارك وتعالى يرى من جهة فوق (٣) .

قال الرازى : (وأما الكرامية المجسمة فهم انما يسلمون جواز رؤية الله عزوجل لاعتقادهم أنه جسم وفي مكان وهم متفقون على أنه لو لم يكن جسما ولم يكن في مكان فانه يمتنع وجوده فضلا عن رؤيته) (٤) .

نعم الكرامية تثبت الجهة وتنسبه الى الله تبارك وتعالى لكنهم يقصدون معنى صحيحا وان استعملوا لفظا يحتمل الحق والباطل ، يعنون بلفظ الجهة العلو والفوقية و تلك معاني صحيحة وموافقه لمذهب سلف الأمة الذى يقره أهل الأديان والعقلاء حتى أن المشركى العرب كانوا يثبتون أن الله تبارك وتعالى في السماء كما قال الحصين والد عمران بن الحصين رضي الله عنهما لما سأله النبي عليه الصلاة والسلام كم تعبد اليوم الها ؟ قال : سبعة ، ستة في الأرض و واحد في السماء (٥) الحديث فأخبر أن الله عزوجل في السماء ، وكذلك أهل الكتاب لم يرد عن أحد من هؤلاء أنه عارض النصوص من الكتاب والسنة التي تثبت العلو ،

---

(١) الصحاح مادة وجه ٦ / ٢٢٥٤ - ٢٢٥٥

(٢) القاموس مادة وجه .

(٣) تقدم في مبحث رؤية الله تعالى ص

(٤) الأربعين ص ١٩٠

(٥) الحديث في سنن الترمذى كتاب الدعوات باب حدثنا احمد بن منيع ...) وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، والدارمي في رده على بشر المريسي قال : فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على الكافر أن عرف أن اله العالمين في السماء كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال : وحصين الخزاعي كان يومئذ في كفره أعلم بالله الجليل الأجل من المريسي واصحابه مع ما ينتحله من الاسلام اذ ميز بين الخالق الذى في السماء والالهة والأصنام المختلفة التي في الأرض ص ٢٤ - ٢٥

فلم ينكر العلو والفوقية لله الا الجهمية والمعتزلة ومتأخرى الأشعرية ومن وافقهم كما بينا ذلك في مبحث موقف الكرامية من علو الله عزوجل فالكرامية اذا أخطأت في اطلاق لفظ الجهة على الله تعالى وان صح المعنى الذى تقصده وهو العلو .

((موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الكرامية في الجهة))

وقد تنازع في الجهة أهل الفلسفة واهل الكلام فالمثبتون من هوء لاء وأولئك يقدحون في ادلة النفاة بالقوادح العقلية .

وأما أهل السنة وان كانوا يعرفون بعقولهم من المعاني الصحيحة نقيض ما يقوله النفاة ، فلا يعبرون عن صفات الله تعالى بعبارات مجملة مبتدعة (١) .

فاذا فسر وفصل تبين الحق من الباطل والمراد من غير المراد ، ومراد النفاة منه غير المراد في اللغة (٢) .

غير أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم يذهبون الى أن الله تبارك وتعالى لا يرى في الآخرة والا لكان في جهة وما كان في جهة فهو جسم وذلك على الله محال (٣) والاشعرية المتقدمون من كأبي الحسن الاشعرى وأصحابه كانوا يثبتون العلو والاستواء ورؤية الله عزوجل وأنه ليس جسما بخلاف متأخرى الأشعرية فانهم خالفوا امامهم الأشعرى وأصحابه في اثبات الرؤية و وافقوا المعتزلة في نفي الرؤية و وصفوا النزاع بينهم وبين المعتزلة بأنه لفظي (٤) .

كل هذا قد تقدم وانما أتينا به لعلاقته بالجهة التي نحن بصددها .

وأورد الآمدى قول القائل اذا كان المرجح للصفة الحادثة هو القدرة القديمة والاختيار فلابد أن يكون الرب تعالى قاصدا لمحل حدوثها ومحل حدوثها ليس الا ذاته فيجب أن يكون قاصدا لذاته والقصد الى الشيء يستدعى كونه في الجهة وهو محال (٥) .

و هذا الكلام موجه الى الكرامية التي تذهب الى أن مستند الصفات الحادثة هو القدرة القديمة والمشيئة الأزلية القائمة بذات الرب تعالى وهذا القول مردود على صاحبه فقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (أما قول القائل القاصد الى الحدوث في محل يستدعى كون المحل في جهة فان أراد به ما يقصد حدوثه في محل مباين له فالكرامية تقول : بموجب ذلك وليس هذا محل النزاع هنا .

---

(١) درء تعارض ٩/ ٣٣٥

(٢) المصدر السابق ٥/ ٥٥

(٣) تقدم في ص من فصل موقف الكرامية من روية الله تعالى .

(٤) تقدم ص ٢ - ٣ من فصل الروية .

(٥) درء ٤/ ٤١ - ٤٢ نقلا عن أبكار الأفكار ١/ ٤٨٠ - ٤٨١

ثم القائل لهذا اما أن يجوّز كون الأمور المباينة للرب في جهة منه أو لا يجوّز ذلك فان جوّزه قال بموجبه مع بقاء محل النزاع، وان لم يجوّزه كان ذلك دليلا على فساد قوله في مسألة الجهة، وحينئذٍ فيكون ذلك أقوى لقول الكرامية ومن وافقهم وان أراد ان ما يقصد حدوثه في محل هو ذاته يوجب أن تكون ذاته في جهة من ذاته فيقال: هل يعقل كون الشيء في جهة من نفسه أم لا ؟ (١) وقصد الشيء اما أن يستلزم كونه بجهة من المقاصد واما ان لا يستلزم ذلك ،فان استلزم ذلك لزم كون جميع الأجسام بجهة من الرب تعالى فإنه اذا أحدث فيها الأعراض الحادثة كان قاصدا لها على ما ذكره فيلزم أن يكون بجهة منه على هذا التقدير، وحينئذ فيكون هو ايضا بجهة منها (٢).

وهكذا بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن الله تعالى بجهة من المحل الذى يحدث فيه الحوادث وهذا حقٌ فان الله تعالى ليس داخلَ المخلوقات فبطلت حجتهم لأن غايتها إنَ قصده للحوادث في ذاته يستلزم كون ذاته في جهة فبطل نفي هذا اللازم.

وأما أن يقال مصدر الشيء لا يستلزم كونه بجهة من المقاصد فحينئذ بطلت هذه الحجة فثبت بطلانها على التقدرين (٣).

وكلام هؤلاء النفاة مبنيٌ على مقدمتين، وصحة احداهما تستلزم بطلان الآخرى. وبطلانها يتضمن بطلان احدى المقدمتين فتبطل الحجة وبهذا يثبت بطلان احداهما على كلا التقديرين أما المقدمتان المذكورتان فهما: الأولى هي: القاصد لا يقصد الا ما هو في جهة.

الثانية: هي كون البارى في الجهة محال.

فان كانت المقدمة الأولى صحيحة لزم أن يكون في الجهة الانه يقصد حدوث حوادث قطعا فبطلت الثانية. وان كانت الأولى باطلة بطلت الحجة أيضا لبطلان احدى مقدمتيها (٤).

وهذه الحجة فاسدة وبينٌ فسادها أيضا على أصول أهل الملل ممن يقول: بحدوث العالم، كما أنَ بطلانها على رأى الفلاسفة الدهرية أظهر، فانهم لا ينكرون حدوث الحوادث وقولهم: أنها حادثة عن علة أزلية موجبة بنفسها كما يقوله ابن سينا وأمثاله فانهم قالوا: ان الحوادث عنه بوسائط فيقال: إمّا أنها تستلزم كونها منه في جهة أم لا ؟ وتبطل الحجة على التقديرين.

---

(١) د ر ٤/ ٥١ - ٥٢

(٢) د ر ٤/ ٥٢

(٣) انظر المصدر السابق نفسه ص ٥٣

(٤) د ر ٤/ ٥٣

وقال ابن رشد في مناهج الأدلة في الرد على الاصوليين (القول في الجهة)
وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها
المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله،
وظواهر الشرع تقتضي اثبات الجهة مثل قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)(١).
وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: (

(الى غير ذلك من الايات التي ان سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولا وان قيل فيها: انها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابها، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، واليها كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب من سدرة المنتهى).

قال: (وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهة الى نفيها هو أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة يوجب اثبات المكان)(١) واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية. قال: (ونحن نقول: ان كل هذا غير لازم، فان الجهة غير المكان)(٢)

---

(١) تقدم الكلام عن لفظ المكان والجهة في هامش (١) ص ٣٩٤.

(٢) درء تعارض ٦/٢١٣ - ٢١٤ نقلا عن مناهج الأدلة لابن رشد.

الفصل الخامس

موقف الكرامية من التحسين والتقبيح العقليين

الفصل الخامس

موقف الكرامية

من التحسين والتقبيح العقليين

القضاء والقدر

ان القضاء والقدر أحد أركان الايمان الستة كما هو مذكور في حديث جبريل عليه السلام المشهور قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره "(١) والآيات والأحاديث التي تدل على وجوب الايمان بالقضاء والقدر كثيرة منها :

قوله تبارك وتعالى : ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾(٢) ،

وقوله عز من قائل : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾(٣) ،

وقوله جل ثناؤه : ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾(٤) ،

وقوله عز وجل : ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾(٥) .

ان للقضاء والقدر مراتب أربعة والتي من لم يؤمن بواحد منها لم يؤمن بالقضاء والقدر تلك هي مختصرة :

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان (ح : ٨) ،وأبو داود في السنة باب في القدر ح : ٤٦٩٥ ، والترمذي في أبواب الايمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام ح : ٢٦١٠ ، النسائي في الايمان باب صفة الايمان والاسلام ٨/ ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) القمر : ٤٩ .

(٣) الفرقان : ٢ .

(٤) الطلاق : ٣ .

(٥) الأحزاب : ٣٨ .

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه وتعالى الأزلي بالأشياء قبل كونها الذى أحاط بكل شيء ،قال تعالى : ﴿ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ الى قوله تبارك وتعالى ﴿ اني أعلم ما لا تعلمون ﴾.(١)

قال الامام مجاهد في تفسيرها : علم من ابليس المعصية وخلقه لها وعلم منه أنه لا يسجد لآدم ، وروى نحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي رضي الله عنهم .

وقال قتادة في علمه أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون ،وساكنوا الجنة .(٢)

فالله سبحانه وتعالى كماهوحكيم عليم في اختياره من خلقه واضلاله من يضله منهم فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة .

قال تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾.(٣)

المرتبة الثانية : كتابته عزوجل للأشياء قبل كونها قال تبارك وتعالى : ﴿ انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين ﴾.(٤)

فجمع بين الكتابين السابق لأعمالهم قبل وجودهم وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شيء كما كان في

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢١٢/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/١ ، زاد المسير في علم التفسير ٦١/١-٦٢ ،شفاء العليل لابن القيم ص ٢٩ .

(٣) البقرة : ٢١٦ ، شفاء العليل ص ٣٣ .

(٤) يس : ١٢ .

الحديث المتفق على صحته : (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء).(١)

وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،وكان عرشه على الماء ".(٢)

كما ذكر الكتاب المقارن لأعمال الناس فأخبر أنه يحييهم بعد ما أماتهم للبعث ويجازيهم بأعمالهم.(٣)

المرتبة الثالثة : وهي مشيئة الله تعالى للأشياء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وعلى ذلك القول أجمع المسلمون من أولهم وآخرهم ولم يخالف في ذلك الا من شذ من الذين خالفوا الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم وأتباعهم .

وما دل عليه الكتاب والسنة ، وهؤلاء طائفة من الفلاسفة وغيرهم الذين جوزوا أن يكون في ملكه تعالى ما لا يشاء وأن يشاء ما لا يكون ،قال تعالى ﴿ وما تشاءون الا أن يشاء الله ﴾ .(٤)

---

(١) الحديث مع اختلاف في الألفاظ عن عمران بن حصين في صحيح البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ﴾ الآية ح : ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ،وفي التفسير باب ح : ٤٣٦٥ وفي التوحيد ،باب ﴿ وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ﴾ ح : ٧٤١٨ والمسند (ط. الحلبي) ٤/ ٤٣١، ٤٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ح : ٢٦٥٣ ،والترمذى في السنن في القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء ح : ،وأحمد في المسند (ط . المعارف) ١٠/ ١١٤.

(٣) انظر شفاء العليل ص ٢٩ ، ٣٩-٤٠.

(٤) الانسان : ٣٠.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء).(١)

وفي الصحيح أيضا عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء ").(٢)

ففي هذه الآيات والأحاديث دلالة على أن الله عز وجل شاء ما وقع وما سيقع في هذا الكون وان لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكون القيوم القائم بتدبير عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض وغير ذلك الا بعد اذنه . وكل ذلك بمشيئته وتكوينه اذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾.(٣)

المرتبة الرابعة : وهي خلق الله سبحانه وتعالى الأعمال وتكوينه وايجاده لها فأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية ، فكل دليل صحيح للجبرية انما يدل على اثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته وأنه على كل شيء قدير ولكن

---

(١) انظر شفاء العليل ص ٤٣ - ٤٤.
أخرجه البخاري في صحيحه في مواقيت الصلاة باب الأذان بعد ذهاب الوقت ح : ٥٩٥ وفي التوحيد باب في المشيئة والارادة ح : ٧٤٧١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الزكاة باب التحريض على الصدقة ، والشفاعة فيها ح : ١٤٣٢ ، ٦٠٢٧ ، ٦٠٢٨ ، وفي التوحيد باب في المشيئة والارادة ح : ٧٤٧٦ .

(٣) القصص : ٦٨ ، شفاء العليل ص ٤٤.

ليس دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرا مريدا فاعلا بمشيئته وقدرته وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وأنها فعل له لا لله وأنها قائمة به لا بالله .

وكل دليل صحيح تقيمه القدرية فانما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيئتهم وارادتهم وأنهم يختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين وليس لديهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرا على أفعالهم وهو الذى جعلهم فاعلين فحزب الرسول صلى الله عليه وسلم وعسكر الايمان أسعد بالحق في هذه المسألة وغيرها من المسائل من جميع الطوائف فانهم يثبتون قدرة الله عز وجل على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيئة العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنهم لا يشاءون الا أن يشاء الله ولا يفعلون الا من بعد مشيئته .(١)

وأما في باب التعديل والتجويز فقد اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تبارك وتعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم شيئا ، بل هو منزه عن الظلم (٢) غير انهم اختلفوا في معنى كونه منزها عن الظلم لما خاض الناس في القدر (٣) والظلم وضع شيء في غير موضعه (٤) والعدل ضده

---

(١) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢.

(٢) رسالة في معنى كون الرب تعالى عادلا في تنزهه عن الظلم لشيخ الاسلام ابن تيميه ضمن جامع الرسائل. المجموعة الأولى ص ١٢١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الصحاح ١٩٧٧/٥ ، مختار الصحاح ص ٤٠٥ والتعريفات للجرجاني ص ١٢٥.

وضع كل شيء في موضعه ،فالله سبحانه وتعالى حكم عدل يضع الأشياء مواضعها ولا يضع شيئا الا في موضعه الذى يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل، ولا يفرق بين المتماثلين ولا يسوى بين المختلفين ،ولا يعاقب الا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل .(١)

ومعلوم أن الكرامية من المثبتين للقدر (٢) قال محمد بن الهيصم : " نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى ".(٣)

*

الحسن والقبح عند الكرامية

الحسن والقبح في اللغة :

قال الأزهرى : الحسن نعت لما حسن ،حسن يحسن حسنا فيهما فهو حاسن وحسن .(٤)

الحسن نقيض القبح ،والجمع محاسن على غير قياس كأنه جمع محسن(٥) وقد حسن الشيء ، وان شئت خففت الضمة فقلت : حسن الشيء ، ولا يجوز أن تنقل الضمة الى الحاء ، لأنه خبر ،وانما يجوز النقل اذا كان بمعنى المدح

---

(١) رسالة في معنى كون الرب تعالى عادلا في تنزهه عن الظلم ضمن جامع الرسائل . المجموعة الاولى ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) انظر د. تعارض ١٠/٢٨.

(٣) الملل والنحل ١/١١٣.

(٤) لسان العرب مادة حسن .

(٥) الصحاح مادة : حسن ٥/٢٠٩٩ تحقيق أحمد عبد الغفور ،لسان العرب مادة حسن .

أو الذم لأنه يشبه في جواز النقل بنعم وبئس ،وذلك أن الأصل فيهما نعم وبئس فسكن ثانيهما ونقلت حركته الى ما قبله ،وكذلك كل ما كان في معناهما.

ويقال رجل حسن ،وامرأة حسنة وقالوا امرأة حسناء ولم يقولوا رجل أحسن ،وهو اسم أنث من غير تذكير ،كما قالوا غلام أمرد ولم يقولوا جارية مرداء ، فهو يذكر من غير تأنيث .(١)

القبح : والقبح ، ضد الحسن يكون في الصورة والفعل ، قبح يقبح قبحا وقبوحا وقباحا وقباحة وقبوحة ،وهو قبيح والجمع قباح وقباحى والأنثى قبيحة ،والجمع قبائح وقباح .

وقال الأزهرى : هو نقيض الحسن ،عام في كل شيء (٢) ،وقبحه الله أى نحاه عن الخير ، فهو من المقبوحين ،يقال : قبحا له وقبحا أيضا .

وأقبح فلان : أتى بقبيح ،والاستقباح : ضد الاستحسان ،وقبح عليه فعله تقبيحا ،واستقبحه : رآه قبيحا.(٣)

قال أبو زيد : قبح الله فلانا قبحا وقبوحا أى أقصاه وباعده من كل خير كقبوح الكلب والخنزير ،وفي النوادر المقابلة والمكابحة المشاتمة .

وفي التنزيل ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾(٤) أى المبعدين عن كل خير .

والقبيح : طرف عظم المرفق .(٥)

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) لسان العرب مادة (قبح) .

(٣) الصحاح مادة (قبح) ١/ ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،وانظر لسان العرب مادة (قبح) .

(٤) القصص : ٤٢.

(٥) لسان العرب . مادة (قبح).

الحسن والقبح العقليين عند الكرامية :

ذكر عبد القاهر البغدادى قول الكرامية في هذه المسألة كما يعتقده عنهم اذ قال : " تكلموا في باب التعديل والتجويز بعجائب منها قولهم : يجب أن يكون أول شيء خلقه الله تعالى جسما حيا يصح منه الاعتبار ، وزعموا أنه لو بدأ بخلق الجمادات لم يكن حكيما ". (١)

وأضاف قائلا : " وزادوا في هذه البدعة على القدرية في قولها لا بد من أن يكون في الخلق من يصح منه الاعتبار ". (٢)

كما يؤيد الاسفراييني البغدادى اتباع الكرامية المعتزلة في القول بايجاب الاشياء وحظرها . (٣)

وذكر الشهرستاني مذهبهم في هذه المسألة اذ قال : " واتفقوا على أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ، وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة ". (٤)

ولا شك أن الكرامية ممن يقولون بالتعليل والحكمة (٥) وممن يذهب الى أن العقل قد يعلم به حسن كثير من الافعال وقبحها في حق الله تبارك وتعالى وحق عباده . (٦)

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٠ - ٢٢١ وأصول الدين ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢١ .

(٣) التبصير في الدين ص ١١٤ .

(٤) الملل والنحل ١/١١٣ .

(٥) منهاج السنة ١/١٤٣ - ١٤٤ ، ٤٤٩ - ٤٥٠ تحقيق د . محمد رشاد بتصرف ، وانظر درء تعارض ٢/٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٦) درء تعارض ٩/٦٥ .

ولا شك أن الكرامية من أشد الناس تعظيما للعقل كالمعتزلة والشيعة ومن وافقهم من طوائف بعضها والعلماء اذ يقولون كلهم بأن العقل يوجب ويحظر ويحسن ويقبح .(١)

واختلف أصحاب المقالات في هل الكرامية تقول بالصلاح والأصلح على قولين :

القول الأول : انهم لا يقولون برعاية الصلاح والأصلح واللطف عقلا كما قالت المعتزلة ذكر ذلك عنهم الشهرستاني .(٢)

القول الثاني : انهم يقولون بالصلاح والأصلح العقليين كما قالت المعتزلة كما نقله عبد القاهر البغدادى حيث قال : " وان كانت الكرامية لم تثبت فكرة اللطف الالهي في مذهبها ، فانها قالت بالصلاح والأصلح تماما كما قالت المعتزلة ، اذ لا يجوز - عندها - في حكمة الله اخترام الطفل الذى يعلم أنه ان أبقاه الى زمان بلوغه أمن ،ولا اخترام الكافر الذى لو أبقاه الله تعالى الى مدة آمن ،الا أن يكون في اخترامه اياه قبل وقت ايمانه صلاح لغيره ".(٣)

والحق أن الكرامية ممن يثبت الحكمة والمصلحة العامة وأن ذلك يجب مراعاتها ،وان افضى ذلك الى مفسدة جزئية ،وذكروا أن هذا يشاهد في المخلوقات والمأمورات ،وهذا مذهب الفقهاء في تعليل الشرعيات ، وهو مذهب كثير من النظار ،أو أكثرهم ، في تعليل المخلوقات ،وهو مذهب الفلاسفة وغيرهم من الطوائف .(٤)

---

(١)

(٢) الملل والنحل ١/١١٣.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢١.

(٤) درء التعارض ٨/٥٦. بتصرف وانظر مجموع فتاوى ٨/٩٢ - ٩٣.

وسلك هذا المسلك القاضي أبو خازم بن القاضي أبي يعلى في كتابه المصنف في أصول الدين الذي رتبه ترتيب محمد بن الصيصم في كتابه المسمى (بجمل المقالات).(١)

وتعني الكرامية بقولها (الحكمة والمصلحة العامة) أن ما أمر الله تبارك وتعالى العباد انما فيه صلاحهم وما نهاهم عنه ففيه فسادهم ، وأن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله ، وأن ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام مصلحة عامة ،وان كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته ،واستدلوا على قولهم هذا مثل الحديث : (ان الله تبارك وتعالى كتب في كتاب عنده موضوع فوق العرش : " ان رحمتي تغلب غضبي"، وفي رواية " ان رحمتي سبقت غضبي ".(٢)

فهم يقولون : فعل المأمور به ،وترك المنهي عنه مصلحة لكل فاعل وتارك، وأما نفس الأمر وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام فمصلحة عامة للعباد وان تضمن شرا لبعضهم .

وهكذا سائر ما يقدره الله تغلب فيه المصلحة والرحمة والمنفعة وان كان في ضمن ذلك ضرر لبعض الناس ،فلله في ذلك حكمة أخرى . فلا بد في كل ذلك من حكمة ومصلحة لأجلها خلقها الله تبارك وتعالى ،

---

(١) د، تعارض ٨/٥٦.

(٢) متفق عليه في البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه (ح : ٧٤٠٤) .
وفي التوحيد باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ (ح : ٧٤٥٣).
وسلم في التوبة باب في سعة رحمة الله (ح : ٢٧٥١) ، والمسند (ط الحلبي) (٢/٣١٣ ، ٣٥٨، ٣٨١).

وقد غلبت رحمته غضبه.[١]

وقال الشهرستاني : " وخالفنا في ذلك (أى في الحسن والقبح العقليين) الثنوية والتناسخية والبراهمة والخوارج والكرامية والمعتزلة[٢] فصاروا الى أن العقل يستدل به حسن الأفعال وقبحها على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل القبيح والأفعال على صفة نفسية من الحسن والقبح ، واذا ورد الشرع بهما كان مخبرا عنهما لا مثبتا لهما ثم من الحسن والقبح ما يدرك عندهم ضرورة كالصدق المفيد والكذب الذى لا يفيد فائدة ومنها ما يدرك نظرا بأن يعتبر الحسن والقبح في الضروريات ثم يرد اليهما ما يشاركها في مقتضياتها ثم يرتبون على ما ذكرناه قولهم في الصلاح والأصلح واللطف والثواب والعقاب".[٣]

وقد سبق أنه نفي عن الكرامية القول بالصلاح والأصلح ،كما نفى هو وعبد القاهر البغدادى .

---

(١) منهاج السنة ١/ ٤٦٢ - ٤٦٣ ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ،انظر مجموع فتاوى ٨/ ٩٢ - ٩٣.

(٢) انظر موقف المعتزلة في المغنى ١٤/ ٢٢-١١٠ ،وشرح الأصول الخمسة ص ٣٠١ - ٣٢٣.

(٣) نهاية الاقدام ص ٣٧١ ،وانظر غاية المرام في علم الكلام هامش (١) ص ٢٣٤ .

موقف شيخ السلام ابن تيمية

من الكرامية في الحسن والقبح العقليين

ان شيخ الاسلام ابن تيمية أولى بهذه المسألة اهتمامه البالغ وبينها وأوضح الحق فيها ورد على المبطلين فيها ، وهذه المسألة لها علاقة وثيقة بالقضاء والقدر التي صنف فيها شيخ الاسلام ابن تيمية كتبا كرسالة في القضاء والقدر[1] ، ورسالة في الاحتجاج بالقدر[2] ، ومجلد الثامن من مجموع فتاوى[3] كما ذكر ذلك في كتبه الأخرى .

وتحدث عن مسألة التحسين والتقبيح العقليين ، و ذكر بعض الناس أن الذى يعلم بالعقل أنه حسن أو قبيح هو في الأمور الثلاثة الآتية :

الأول : الملاءمة والمنافرة .

ومما لا شك فيه أن من الأمور ما هو ملائم للانسان ونافع له فيحصل له به اللذة ، ومنها ما هو مضاد له ضار له يحصل له به الألم،[4] فما نفع الانسان ولائمه وبه لذة فهو حسن ، وما ضره ونافره وفيه ألم فهو قبيح .

الثاني : الكمال والنقصان .

فالعلم صفة كمال والجهل صفة نقص ، فالعلم حسن ولمن اتصف به

---

(١) طبعت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٨٧ - ٩٥ .

(٢) طبعت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٩٧ - ١٥٥ ، وطبعت مستقلة ، المكتب الاسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ دمشق ، والثانية ١٣٩٨هـ .

(٣) جمعه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد .

(٤) الاحتجاج بالقدر لشيخ الاسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/١٠٣ والاربعين للرازى ص ٢٤٦ ، والمحصل له ص ١٤٧ ، ودرء تعارض ٨/٢٢ .

كمال ،والجهل قبيح ولمن اتصف به نقصان.[1]

الثالث : المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب آجلا .

مثل الطاعات والمعاصي ،فالحسن على هذا ما يتعلق به المدح والثواب في العاجل والاجل ،والقبيح ما يتعلق به الذم والعقاب في العاجل والاجل وما لا يتعلق به شيء منها فهو خارج عن الحسن والقبح .

وعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على هذه الأقسام الثلاثة هل يعلم به العقل أنه حسن أو قبيح فقال عن الأول : " فرجع الفرق الى الفرق بين اللذة والألم ... وهذا الفرق معلوم بالحس والعقل ،والشرع مجمع عليه ، بين الأولين والاخرين ، بل معلوم عند البهائم ، بل هذا موجود في جميع المخلوقات .

واذا أثبتنا الفرق بين الحسنات والسيئات ،وهوالفرق بين الحسن والقبيح ، فالفرق يرجع الى هذا ،والعقلاء متفقون على أن كون بعض الأفعال ملائما للانسان ، وبعضها منافيا له ، اذا قيل هذا حسن وهذا قبيح ،فهذا الحسن والقبح مما يعلم به العقل باتفاق العقلاء .

ثم علق على هذا بقوله : " وهذا الذى اتفقوا عليه حق ، توهموا بعد هذا أن الحسن والقبح الشرعي خارج عن ذلك بل هو في الحقيقة يعود الى ذلك لكن الشارع عرف بالموجود ،وأثبت المفقود فحسنه : اما كشف وبيان واما اثبات لأمور في الأفعال والأعيان ."[3]

---

(١) انظر الاربعين للرازى ص ٢٤٦ ،والمحصل ص ١٤٧

(٢) انظر الأربعين للرازى ص ٢٤٦ ، شرح المواقف ٨/ ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) الاحتجاج بالقدر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ١٠٣- ١٠٤ ،انظر كتاب النبوات له ص ١٠٢ - ١٠٣ ،درء تعارض ٨/ ٢٢.

وتنازعوا في الحسن والقبح ،بمعنى كون الفعل سببا للذم والعقاب ، هل يعلم بالعقل أم لا يعلم الا بالشرع ،وكان من أسباب النزاع ،أنهم ظنوا أن هذا القسم مغاير للأول ،وليس هذا خارجا عنه ،فليس في الوجود حسن الا بمعنى الملائم ،ولا قبيح الا بمعنى المنافي ، والمدح والثواب ملائم ،والذم والعقاب مناف ، فهذا نوع من الملائم والمنافي .(١)

قال :" يبقى الكلام في بعض أنواع الحسن والقبح لا في جميعه ،ولا ريب من أنواعه ما لا يعلم الا بالشرع ،ولكن النزاع فيما قبحه معلوم لعموم الخلق ، كالظلم ،والكذب ،ونحو ذلك ."

قال : " والنزاع في أمور منها : هل للفعل صفة صار بها حسنا وقبيحا ، وأن الحسن العقلي هو كونه موافقا لمصلحة العالم والقبح العقلي بخلافه ، فهل في الشرع زيادة على ذلك ،وفي أن العقاب في الدنيا والاخرة ،هل يعلم بمجرد العقل .(٢) "

وتحدث عن القسم الثالث اذ قال : " ومن الناس من أثبت قسما ثالثا للحسن والقبح ،وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص ، وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسألة ولكن ذكره بعض المتأخرين ،كالرازى وأخذه عن الفلاسفة ."

قال : " والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول ، فان الكمال الذى يحصل للانسان ببعض الأفعال هو يعود الى الموافقة والمخالفة ،وهو اللذة

---

(١) رسالة الاحتجاج بالقدر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ١٠٣، ١٠٤ ، وانظر النبوات ص ١٠٣ المطبعة السلفية ، درء تعارض ٨/ ٢٢ .

(٢) رسالة الاحتجاج بالقدر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ١٠٤ .

والألم ،فالنفس تتلذ بما هو كمالها ،وتتألم بالنقص ،فيعود الكمال والنقص الى الملائم والمنافي ". (١)

وهكذا رد شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الأقسام الثلاثة ،الملائمة والمنافية ، الكمال والنقصان ،المدح والذم الى الأول الذى هو الملائمة والمنافية . وذكر أنه ليس في الوجود حسن الا بمعنى الملائم ،ولا قبيح الا بمعنى المنافي والمدح والثواب ملائم ،والذم والعقاب مناف ،وأن الكمال والنقصان يعودان الى الملائم والمنافي .

واختتم هذه الأقسام بقوله : " والمقصود هنا أن الفرق بين الأفعال الحسنة التي تحصل لصاحبها بها لذة ،وبين السيئة التي يحصل له بها ألم ،أمر حسي يعرفه جميع الحيوان . (٢)

والملائمة والمنافرة والكمال والنقصان لا نزاع بين علماء الكلام في أنهما يدركان بالعقل وان لم يرد الشرع بذلك وأن العقل يستقل بهما. (٣)

وقال : " ان الحسن والقبح العقليين ثابتان في أفعال العباد دون الرب اذا كان معناهما يؤول الى اللذة والألم والمعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا عقليين في فعل القادر مطلقا سواء كان قديما أومحدثا وقالوا : ان ذلك ثابت بدون كونه مستلزما اللذة والألم ،كما ادعوا ثبوت حكمته للفاعل القادر ولا تعود اليه ولا يستلزم اللذة ،فادعوا ما هو خلاف الموجود المعقول ،ولهذا تسلط عليهم النفاة . (٤)

---

(١) رسالة الاحتجاج بالقدر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ١٠٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٠٥.

(٣) شرح المواقف ٨/ ١٨٢ - ١٨٣.

(٤) كتاب النبوات ص ١٠٣ المطبعة السلفية .

والذى يهمنا هو قول الكرامية وذكر ما له وما عليه ،فقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الكرامية من مثبتي القدر وأنهم يقولون : بالتعليل والحكمة [١] .

وأورد شيخ الاسلام ابن تيميه مقالات المسلمين في الحسن والقبح العقليين في تنازعهم في مسألتين :

أحدها : أن العباد هل يعلمون بعقولهم حسن بعض الأفعال ويعلمون أن الله تعالى متصف بفعله ،ويعلمون قبح بعض الأفعال ويعلمون أن الله منزه عنه على قولين معروفين :

الأول : أن العقل لا يعلم به حسن بعض الأفعال ولا قبحه أما في حق الله تعالى فلأن القبيح منه ممتنع لذاته ، وأما في حق العباد فلأن الحسن والقبح لا يثبت الا بالشرع ، وهذا قول الأشعرى وأتباعه ،وكثير من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وهؤلاء لا ينازعون في الحسن والقبح اذا فسر بمعنى الملائم والمنافي أنه علم بالعقل ،وكذلك لا ينازعون ولا ينازع أكثرهم أو كثير منهم في أنه اذا عني به كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص أنه يعلم بالعقل.

والقول الثاني : أن العقل قد يعلم به حسن كثير من الأفعال وقبحها في حق الله تبارك وتعالى وحق عباده ،وهذا مع أنه قول المعتزلة فهو قول الكرامية وغيرهم من الطوائف وهو قول جمهور الحنفية ،وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، كأبي بكر الابهرى [٢] وغيره من أصحاب مالك ،

---

(١) منهاج السنة ١/١٤٣-١٤٤ تحقيق د. محمد رشاد.

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن صالح التميمي المالكي الأبهرى ولد سنة ٢٨٩ وتوفي سنة ٣٧٥ شيخ المالكية العراقيين وصاحب التصانيف.
وانظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٥/٤٦٢-٤٦٣ ، العبر في خبر من
===

وأبي الحسن التميمي ،وأبي الخطاب (الكلوذاني) (١) من أصحاب أحمد ،
وذكر أن هذا القول قول أكثر أهل العلم ، وهو قول طوائف من أئمة الحديث .

وذكر أن بعض علماء أهل السنة عدّوا القول الأول من أقوال أهل البدع ،
كما ذكر ذلك أبو النصر السجزى في رسالته المعروفة في السنة ،وذكره صاحبه أبو
القاسم سعد بن علي الزنجاني (٢) في شرح قصيدته المعروفة في السنة.

وفي المسألة قول ثالث اختاره الرازى في آخر مصنفاته ،وهو القول
بالتحسين والتقبيح العقليين في أفعال العباد دون أفعال الله تبارك وتعالى (٣)

=== غبر ٢/ ٣٧١ ،الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٨ ،الاعلام ٧/ ٩٨ ،وينسب
الى أبهر و هي بليدة بالقرب من زنجان .
انظر معجم البلدان مادة أبهر ، وابن الأثير ،اللباب ١/ ٢٠ ،والزنجان
بفتح الزاى وسكون النون وفتح الجيم وفي آخره نون هي مدينة على حد
اذربيجان من بلاد الجبل . اللباب ١/ ٥٠٩.

(١) هو أبو الخطاب محفوظ بن حمد بن الحسن الكلوذاني ،ولد ببغداد سنة
٤٣٢ وتوفي بها سنة ٥١٠ . شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف . كان
اماما علامة ،ورعا صالحا وافر العقل غزير العلم ، جيد النظم تفقه
على القاضي أبي يعلى وتخرج به أئمة ،انظر ترجمته في طبقات الحنابلة
٢/ ٢٥٨ العبر في خبر من غبر ٤/ ٢١ الذيل لابن رجب ١/ ٢٣٠ ،
شذرات الذهب ٤/ ١٠٣ الأعلام ٦/ ١٧٨ وانظر درء تعارض ٩/
٥٠ - ٦٢ .

(٢) هو أبو القاسم سعيد بن علي بن محمد بن علي الزنجاني ،توفي أول
سنة ٤٧١ أو في آخر سنة ٤٧٠ ،وهو الحافظ القدوة الزاهد نزيل
الحرم.
انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٣ - ١١٧٨ ،العبر في خبر من
غبر ٣/ ٢٧٦ ،شذرات الذهب ٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠ ،وقد مر معنى لفظ
" الزنجان " قريبا .

(٣) منهاج السنة ١/ ٤٤٨ - ٤٥٠ . وانظر درء تعارض ٨/ ٤٩٢-٤٩٣.

وواضح ما أورده شيخ الاسلام ابن تيمية من أقوال المسلمين في هذه المسألة أنه يرى الصواب مع القول الثاني اذ قال به طوائف من أئمة أهل السنة وهو قول أكثر أهل العلم كما ذكره أبو الخطاب الكلوذاني وهو قول الكرامية ، مما يدل على أن قولها صحيح في هذه المسألة .

وهو قول طوائف من أئمة الحديث .

وقد ذكر قول من عدّ القول الأول بأنه من أقوال أهل البدع ولم يعلق عليه ،مما يدل على أنه لا يرضى بهذا القول ويوافق من وصفه بأنه من أقوال أهل البدع . بل صرح ببيان القول الحق الصواب اذ قال :

(وطائفة تقول بل هي " أى الأفعال " متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم ولكن لا يعاقب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة ،كما دل عليه القرآن في قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾) .(١)

وفي قوله جلت قدرته : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ .(٢)

قال : " وهذا أصح الأقوال ،وعليه يدل الكتاب والسنة فان الله تبارك وتعالى أخبر عن أعمال الكفار بما يقتضي أنها سيئة قبيحة مذمومة قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ،واخبر أنه لا يعذبهم الا بعد ارسال رسول اليهم ".(٣)

كما أورد تنازع أئمة الطوائف في الأعيان قبل ورود السمع اذ قال :

---

(١) الاسراء : ١٥.

(٢) الملك : ٨ .

(٣) درء تعارض ٨ / ٤٩٣.

فقالت الحنفية وكثير من الشافعية والحنبلية : إنها على الاباحة ، مثل ابن سريج (١) وأبي اسحاق المروزى (٢) وأبي الحسن التميمى ، وأبي الخطاب

وقالت طائفة : إنها على الحظر ، كأبي على (٣) بن أبي هريرة وابن حامد ، والقاضي أبي يعلى وعبد الرحمن الحلواني (٤) وغيرهم .

ثم علق على القولين بقوله : " مع أن أكثر الناس يقولون : إن القولين لا يصحان الا على قولنا بأن العقل يحسن ويقبح والا فمن قال : إنه لا يعرف بالعقل حكم ، امتنع أن يصفها قبل الشرع بحظر أو اباحة كما قال ذلك الأشعرى وغيره ". (٥)

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادى شيخ الشافعية وكان يقال له الباز الاشهب ، ولد سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٣٠٦ . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٤/٢٨٧ - ٢٩٠ ، وفيات الأعيان ١/٦٦ - ٤٧ ، العبر ٢/١٣٢ ، طبقات الشافعية ٣/٢١-٣٩ البداية والنهاية ١١/١٢٩ ، شذرات الذهب ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ ، الاعلام ١/١٧٨ - ١٧٩.

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد المروزى صاحب ابن سريج ، انتهت اليه رئاسة مذهب الشافعي ببغداد مات سنة ٣٤٠ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٦ - ٢٧ ، تاريخ بغداد ٦/١١ ، العبر ٢/٢٥٢ شذرات الذهب ٢/٣٥٥ - ٣٥٦ ، الاعلام ١٠/٢٢ - ٢٣.

(٣) هو أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادى ، شيخ الشافعية صاحب التصانيف وصاحب ابن سريج توفى سنة ٣٤٥ . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٧/٢٩٨ - ٢٩٩ ، وفيات الأعيان ٢/٧٥ ، العبر ٢/٢٦٧ ، شذرات الذهب ٢/٣٧٠ ، الاعلام ٢/٢٠٢.

(٤) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن علي (الحلواني) الفقيه الحنبلي الامام ولد سنة ٤٩٠ وتوفي سنة ٥٤٦ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٤/١٤٤.

(٥) منهاج السنة ١/٤٥٠ - ٤٥١ وانظر درء تعارض ٨/٤٩٢ - ٤٩٣ .

كما ذكر أنه ليس في طوائف المسلمين من يقول : ان الله تبارك وتعالى يفعل قبيحا أو يخل بواجب ، ولكن المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة النافين للقدر ، يوجبون على الله سبحانه وتعالى من جنس ما يوجبون على العباد ، ويحرمون عليه ما يحرمونه على العباد ، ويضعون له شريعة (بقياسه) على خلقه ، فهم مشبهة الأفعال.(١)

كما أنه اختلف أهل السنة في هل يوصف الله تبارك وتعالى بأنه أوجب على نفسه وحرم على نفسه ، أولا معنى للوجوب الا اخباره بوقوعه ، ولا للتحريم الا اخباره بعدم وقوعه على قولين :

القول الأول : لا يجب على الله تبارك وتعالى شيء ولا يحرم عليه شيء .

القول الثاني : بل هو أوجب على نفسه وحرم على نفسه كما نطق بذلك الكتاب والسنة في مثل قوله تبارك وتعالى :

﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾(٣) ،

وقوله عز وجل : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾(٤) .

وفي الحديث الالهي الصحيح : (يا عبادى اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا).(٥)

---

(١) منهاج السنة ١/٤٤٧ تحقيق د. محمد رشاد سالم

انظر مجموع فتاوى ٨/ ٤٣١، ٩١، ٩٢.

(٣) الأنعام : ٥٤.

(٤) الروم : ٤٧.

(٥) الحديث عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه أخرجه مسلم في صحيحه في البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (ح : ٢٥٧٧) ، وابن ماجه في السنن في الزهد باب ذكر التوبة (ح : ٤٢٥٧) والترمذى في السنن في صفة القيامة باب حدثنا هناد ، وأحمد في المسند (ط الحلبي) ٥/ ١٥٤، ١٦٠، ١٧٧.

أما أن العباد يوجبون عليه ويحرمون عليه فممتنع عند أهل السنة كلهم ، ومن قال : انه أوجب على نفسه أوحرم على نفسه فهذا الوجوب والتحريم يعلم عندهم بالسمع ، وهل يعلم بالعقل ؟ على قولين لأهل السنة.

فمن قال من أهل السنة : ان الله لا يجب عليه شيء ولا يحرم عليه شيء ، امتنع عنده أن يكون مخلا بواجب أو فاعلا لقبيح ،

ومن قال : انه أوجب على نفسه أوحرم على نفسه ، فهم متفقون على أنه لا يخل بما كتبه على نفسه ولا يفعل ما حرمه على نفسه. (١)

ويقول السلف والجمهور الذين يثبتون الحكمة في خلق الله وأمره : وأفعال الله لا تمثل بأفعال المخلوقين فان المخلوق لو كان له عبيد ، يظلمون ويأتون الفواحش ، وهو قادر على منعهم ولولم يمنعهم ، لكان ذلك قبيحا منه وكان مذموما على ذلك والرب سبحانه وتعالى لا يقبح ذلك منه ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والنعمة السابغة . (٢)

ومذهب سلف الأمة مع أن قولهم : الله خالق كل شيء وربه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه هو الذى خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك.

ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة ، قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾. (٣)

وقال تبارك وتعالى : ﴿ ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾. (٤)

---

(١) منهاج السنة ١/ ٤٥١ - ٤٥٣ ، تحقيق د. محمد رشاد.

(٢) مجموع فتاوى ٨/ ٤٣٢.

(٣)

(٤) رسالة الأمر والارادة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧. و مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ١٤٢.

وذكر في موضع آخر أن الكرامية من يذهب الى أن معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وأصول الدين تحصل بالعقل وتجب به وهو القول من يوجب بالعقل كالمعتزلة وغيرهم .

ثم علق على هذا القول وغيره ممن يرى أن ذلك يحصل بالشرع ويجب به ، ومن يرى أنها لا تجب الا بالشرع وتحصل بالعقل " فقال في ذلك :

" وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن أعدل الأقوال أن الأفعال مشتملة على أوصاف تقتضي حسنها ووجوبها وتقتضي قبحها وتحريمها ،وأن ذلك قد يعلم بالعقل ، لكن الله تبارك وتعالى لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة كما قال عز وجل : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١) ولم يفرق سبحانه بين نوع ونوع ". (٢)

وذكر أن الكرامية ممن ينزه الله تبارك وتعالى عن بعض الأفعال المقدورة ، وأن هذا قول أكثر الناس من المثبتين للقدر ،وغيرهم من المعتزلة وغيرهم . وأن هذا قول كثير من أهل المذاهب الأربعة ،وأهل الحديث وغيرهم. (٣)

وأورد قول الكرامية وغيرهم كالقاضي أبي خازم بن القاضي أبي يعلى أن معنى كونه خالقا لأفعال العباد أنه خالق للأسباب التي عندها يكون العبد فاعلا ويمتنع ألا يكون فاعلا ، فما علم الله تبارك وتعالى أن العبد يفعله خلق الأسباب التي يصير بها فاعلا ،ويقولون : ان أفعال العباد وجدت من

---

(١) الاسراء : ١٥.

(٢) النبوات ص ١٧٣ - ١٧٤ (السلفية) ،وذكر أن هذه الاية يحتج بها الأشعري وأصحابه ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى واتباعه وهم يجوزون أن الله يعذب في الاخرة بلا ذنب حتى قالوا يعذب أطفال بالاخرة فاحتجوا بها على المعتزلة ،والآية حجة على الطائفتين . المصدر السابق ،وانظر درء تعارض ٨/ ٤٩٣.

(٣) درء تعارض ٠ ١/ ٢٨.

جهته لا من جهة الله تبارك وتعالى ،ويقولون : ان الله تعالى موجدها ، كما قالوا :إن الله خالقها .

ويقولون : إنه تعالى لم يكونها ولم يجعلها ، ويقولون : ان العبد تحدث له ارادة مكتسبة ،لكن قد يقولون : إنها بارادة ضرورية يخلقها الله تعالى وعزا هذا النقل الى القاضي أبي خازم وغيره.

وذكر أن الكرامية قد تقول : ان العبد يحدث ارادته مطلقا ، كما قالته القدرية لكن هؤلاء يقولون : إن الرب عز وجل يسّر خلق الأسباب التي تبعث داعية على ايقاع ما يعلم أنه يوقعه.(١)

ويبدو من قولهم ان معنى كونه عز وجل خالق أفعال العباد أنه خالق للأسباب التي عندها يكون العبد فاعلا الى آخره ، وقولهم (انه تعالى لم يكونها ولم يجعلها ،أنهم لا يثبتون ان الله تبارك وتعالى يخلق أفعال العباد وانما الأسباب التي يكون العبد بها فاعلا ، لكن زال هذا الوهم بقولهم : "إن الله تبارك وتعالى موجد أفعال العباد وخالقها " كما تقدم قريبا.

ثم ذكر قول الحق في هذه المسألة اذ قال : "وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف رحمهم الله تعالى فيقولون : ان فعل العبد له حقيقة ،

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦ تحقيق د. محمد رشاد ،كما أورد قول من قال : الفعل هو المفعول كما يقوله الجهم بن صفوان ،ومن وافقه كالأشعري وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقول : ان أفعال العباد هي فعل الله تعالى ويورد قولهم ثم يرد عليهم . المصدر السابق .

ولكنه مخلوق لله ومفعول لله تعالى ،لا يقولون : هو نفس فعل الله ،ويفرقون بين الخلق والمخلوق ،والفعل والمفعول .(١)

وذكر أن هذا هو الفرق الذى حكاه البخارى في كتاب " خلق أفعال العباد " عن العلماء قاطبة(٢) ، وأنه هو الذى ذكره غير واحد من السلف ، وهو قول الحنفية وجمهور المالكية والشافعية والحنبلية وهو قول طوائف من أهل الكلام من الهشامية وكثير من المعتزلة والكرامية ، وهو قول الكلابية .(٣)

مما يدل على صحة قول الكرامية في هذه المسألة إنها فرقت بين فعل الله تبارك وتعالى وبين فعل العبد .

ولهذا قال محمد بن الهيصم الكرامي شيخ الكرامية في عصره :
" وخلق (أى الله تبارك وتعالى) الموجودات كلها ،حسنها وقبيحها ،وأراد الكائنات كلها خيرها وشرها ."(٤)

ولا شك أن هذا قول أهل السنة والجماعة كما مر في بداية هذا البحث .

وأما ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيميه عن الكرامية أنهم يقولون :
" ان العبد يحدث له ارادة مكتسبة " فقد ذكره أيضا محمد بن الهيصم زعيمهم في وقته اذ قال : " نثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة ،ويسمى ذلك كسبا ،والقدرة الحادثة موءثرة في اثبات فائدة زائدة ،على كونها مفعولا مخلوقا للبارى تعالى ،تلك الفائدة هي مورد التكليف ،والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب ".(٥)

---

(١) منهاج السنة ٢٩٨/٢ تحقيق د . محمد
(٢) انظر خلق أفعال العباد للبخارى ضمن عقائد السلف ص ٢١٢.
(٣) منهاج السنة ٢٩٨/٢ - ٢٩٩.
(٤) الملل والنحل ١١٣/١.
(٥) المصدر السابق نفسه.

واذا كان الكسب عند الكرامية هوالكسب عند الاشاعرة وفسر الاشعرى الكسب بأنه ما يحصل في محل القدرة المحدثة مقرونا بها ووافقه على ذلك طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد .

وأكثر الناس طعنوا في هذا الكلام وقالوا : عجائب الكلام ثلاثة : ظفرة النظام ،وأحوال أبي هاشم ،وكسب الاشعرى .(١)

ويقول الاشعرى : " ان ذلك الفعل مقدور للرب تعالى لا للعبد" وهو فعل العبد وهو قول جهم ،وقال الاشعرى وأتباعه : ان المؤثر فيه قدرة الرب تعالى دون قدرة العبد ".(٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (ولا يقولون ان العبد فاعل في الحقيقة بل كاسب ،ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقا معقولا بل حقيقة قولهم قول جهم : ان العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب ، والله تعالى عنده فاعل فعل العبد ، وفعله هو نفس مفعوله ،فصار الرب عز وجل عندهم فاعلا لكل ما يوجد من أفعال العباد ، ويلزمهم أن يكون هو الفاعل للقبائح وأن يتصف بها على قولهم انه يوصف بالصفات الفعلية القائمة بغيره ، وجعلوه عادلا ومحسنا بعدل واحسان يقوم بغيره ".(٣)

وعندهم يجوز أن يعذب الله تعالى جميع أهل العدل والصلاح والدين والانبياء والمرسلين بالعذاب الابدى ،وأن ينعم جميع أهل الكذب والظلم والفواحش بالنعيم الابدى .(٤)

---

(١) منهاج السنة ٤٥٩/١،٢٩٧/٢-٢٩٨ وأنشد في ذلك :
مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو الى الافهام
الكسب عند الاشعرى والحال عند الهاشمي وطفرة النظام .

(٢) در، تعارض ٨٢/١ ، ٤٩/٥ ، ٥٠ النبوات ص ١٠٤ السلفية ، والاشعرى خالف أهل السنة والجماعة في مسائل القدر والوعيد والاسماء والاحكام انظر در، ٤٦١/٧ .

(٣) النبوات ص ١٠٤ .

(٤) المصدر السابق ١٠٥ السلفية .

ومذهب السلف رحمهم الله تعالى وجمهور العلماء يثبتون ما في الأعيان من القوى والطبائع ، ويثبتون للعبد قدرة حقيقية وإرادة ، ويقولون : ان هذه الأمور جعلها الله أسبابا لأحكامها ، وهو يفعل بها. (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وكلام السلف والأئمة مذكور في غير هذا الموضع ، ولهذا نص الامام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما أن العقل غريزة في الانسان ". (٢)

وهكذا عرفنا أن اثبات الكرامية للعبد قدرة حادثة بالفعل وأن ذلك كسب ان كان ذلك كسب الأشعري ومن اتبعه فان ذلك ليس فعلا حقيقيا ولا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث (٣) بخلاف قول الكرامية فانهم يذهبون الى أن هذه القدرة الحادثة مؤثرة في اثبات الحادث .

---

(١) درء تعارض ٦/٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية عن الأشعري :

" هو وأمثاله يعدون من متكلمة أهل الحديث وكانوا هم خير هذه الطوائف ، وأقربها الى الكتاب والسنة ، ولكن خبرته بالحديث والسنة كانت مجملة ، وخبرته بالكلام كانت مفصلة ، فلهذا بقي عليه بقايا من أصول المعتزلة ، ودخل معه في تلك البقايا وغيرها طوائف من المنتسبين الى السنة والحديث من أتباع الأئمة من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد ، وعامة هؤلاء يقولون الأقوال المتناقضة ولا يلتزمون لوازمه ."

درء تعارض ٧/٤٦٢ بتصرف قليل .

(٣) الملل والنحل ١/٩٧.

والأشعري ومن وافقه أنكروا التعليل جملة (١) ،ولا يثبتون الا محض المشيئة ولا يجعلون في المخلوقات والمأمورات معاني لأجلها كان الخلق والأمر الى غير ذلك من لوازم قولهم .

والمعتزلة يثبتون تعليلا متناقضا في أصله وفرعه ، فيثبتون للفاعل تعليلا لا تعود اليه حكمة ، ثم يزعمون أن كل واحد من العباد قد أراد به الفاعل كل ما هو صالح له أو أصلح ،وفعل معه ما يقدر عليه من ذلك ،ويتكلمون في الالام والتعويضات ،والثواب والعقاب ،بكلام فيه التناقض والفضائح ما لا يحصى. (٢)

والكرامية ممن يقول بالتعليل والحكمة كما تقدم في هذا المبحث .

وشيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أن هذا قول كثير من العلماء واتباع الأئمة الأربعة وغيرهم قال : " وفي الجملة في هذه المسألة النزاع في تعليل أفعال الله وأحكامه" (٣) قال و أكثر أهل السنة على اثبات الحكمة والتعليل . (٤)

والذين جوزوا التعليل لأفعال الله تعالى متنازعون ،فالمعتزلة وأتباعهم من الشيعة تثبت من التعليل ما لا يعقل ،وهو أنه لعلة منفصلة عن الفاعل مع كون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء .

وأما أهل السنة القائلون بالتعليل ،فانهم يقولون : ان الله تبارك وتعالى يحب ويرضى كما دل على ذلك الكتاب والسنة ،ويقولون ان المحبة والرضا أخص من الارادة.

---

(١) انظر مذهبه في ذلك في : التمهيد ص٣٠-٣١ وأصول الدين ص ٨٢ ، ٨٣ والارشاد ص٢٥٧-٣٠١ ،نهاية الاقدام ص٣٩٧ ، ٤١٦ ، والمحصل ص١٤٨-١٥٠ ،غاية المرام ص٢٢٤.

(٢) درء تعارض ٨/ ٥٤ - ٥٥ انظر مذهب المعتزلة في ذلك في المغني ١٤/ ٢٢ - ١١٠ ،وشرح الأصول الخمسة ص٣٠١ - ٣٢٣.

(٣) منهاج السنة ١/ ١٤١.

(٤) المصدر السابق .

وأما المعتزلة وأكثر أصحاب الأشعرى فيقولون : ان المحبة والرضا والارادة سواء - فجمهور أهل السنة يقولون : ان الله عز وجل لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاه ،وان كان داخلا في مراده كما دخلت سائر المخلوقات لما في ذلك من الحكمة ، وهو وان كان شرا بالنسبة الى الفاعل ، فليس كل ما كان شرا بالنسبة الى شخص يكون عديم الحكمة ،بل لله تبارك وتعالى في المخلوقات حكم قد يعلمها بعض الناس وقد لا يعلمها.(١)

وقد مر بنا أن الكرامية وافقت قول جمهور الناس في التحسين والتقبيح العقليين .

وأما قول الكرامية بالصلاح والأصلح العقليين كما مر في هذا البحث فان وافقوا المعتزلة في ذلك فقولهم باطل ، والمعتزلة تقول : ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ،ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا.(٢)

وما ذكره عبد القاهر البغدادى عنهم ان صح قال : لا يجوز عندهم -في حكمة الله اخترام الطفل الذى يعلم أنه ان ابقاه الى زمان بلوغه آمن ، ولا اخترام الكافر الذى لو أبقاه الله تعالى الى مدة آمن ،الا أن يكون في اخترامه اياه قبل وقت ايمانه صلاح لغيره.

وهذه تشبه الحكاية المشهورة لأبي الحسن الأشعرى مع أبي على الجبائي لما سأله عن اخوة ثلاثة : مات أحدهم قبل البلوغ ،والآخر بلغ فكفر ،والآخر بلغ فآمن وأصلح ،فرفع الله تعالى درجات هذا في الجنة ، والصغير جعله

---

(١) منهاج السنة ١/١٤٥-١٤٦ تحقيق محمد رشاد سالم.

(٢) الملل والنحل ، ١/٤٥ ،غاية المرام في علم الكلام ٢٢٤ - ٢٢٥.

دونه في الجنة ، والكافر أدخله النار فقال له الصغير : يا رب ارفعني الى درجة أخي قال : انك لا تستحق ذلك ،فان أخاك عمل عملا صالحا استحق به ذلك ، فقال : يا رب انك أحييته حتى بلغ ، وأنا أمتني ،فلو أبقيتني لعملت مثل ما عمل ،فقال له : انه كان في علمي لو بقيت لكفرت ،فاخترمتك احسانا اليك ،قال : فصرخ الكافر في النار : يا رب فهلا أمتني قبل البلوغ كما فعلت بهذا ؟ قالوا : فلما سأله عن ذلك انقطع. (١)

وقد مر أن الكرامية تقول بالحكمة والمصلحة العامة وأن ذلك يجب مراعاتها وان أفضى ذلك الى مفسدة جزئية وذكروا أن هذا يشاهد في المخلوقات والمأمورات.

وليس هذا مذهب الكرامية فحسب وإنما هو مذهب الفقهاء في تعليل الشرعيات وهو مذهب كثير من النظار ،أو أكثرهم في تعليل المخلوقات كما ذهب الى ذلك الفلاسفة وغيرهم من الطوائف. (٣)

والقول بالمصلحة العامة والحكمة في أفعال الله تبارك وتعالى وأنه حكيم عدل رؤوف رحيم كلام صحيح حق ، أما قول الكرامية المتقدم آنفا : " وأن ذلك يجب مراعاتها " كلام مخالف للكتاب والسنة وما أجمع عليه أهل السنة كما تقدم (٤) فانه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (٥) ، و ﴿ فعال لما يريد ﴾ (٦) ، فلا يقال له تبارك وتعالى يجب عليه كذا ،

---

(١) در٬ تعارض ٥٥/٨ ،تاريخ المذاهب الاسلامية لأبي زهرة ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) انظر در٬ تعارض ١١٠/٩-١١١.

(٣) در٬ تعارض ٥٦/٨.

(٤) انظر ص ٤٤٢-٤٤٤ من هذه الرسالة.

(٥) الأنبياء / ٢٣.

(٦) هود / ١٠٧.

الا اذا أوجب على نفسه شيئا كما حرم على نفسه الظلم (١) ،وقد سبق قول أهل السنة قاطبة " أما أن العباد يوجبون عليه تبارك وتعالى ويحرمون عليه فممتنع " ومن قال منهم أوجب على نفسه أو حرم على نفسه فهذا الوجوب والتحريم يعلم عندهم بالسمع. (٢)

وقد أورد شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى اختلاف الناس في هل كونه تبارك وتعالى لا يفعل الا ما هو الأصلح لعباده ويراعي مصالح العباد أم لا ؟ على قولين :

القول الأول :

ما ذهبت اليه طائفة من المثبتين للقدر ،قالوا : خلقه وأمره متعلق بمحض المشيئة لا يتوقف على مصلحة ،وهذا قول الجهم ووافقه الأشعرى وأصحابه وغيرهم .

القول الثاني :

ذهب جمهور العلماء الى أنه إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ،وأن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله ،وأن ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام مصلحة عامة ،وان كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته ،فان الله كتب في كتاب فهو عنده موضوع فوق العرش : "ان رحمتي تغلب غضبي" وفي رواية : "ان رحمتي سبقت غضبي". (٣)

---

(١) هذه اشارة الى الحديث المتقدم في ص ٤٥٣ من هذه الرسالة.

(٢) تقدم في ص ٤٥٣ من هذه الرسالة.

(٣) متفق عليه تقدم الكلام عليه ص ٤٤٣ من هذه الرسالة.

فهم يقولون : فعل المأمور به وترك المنهي عنه مصلحة لكل فاعل وتارك ،وأما نفس الأمر وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام فمصلحة عامة للعباد وان تضمن شرا لبعضهم.

وهكذا سائر ما يقدره الله تبارك وتعالى تغلب فيه المصلحة والرحمة والمنفعة ، وان كان في ضمن ذلك ضرر لبعض الناس ، فلله في ذلك حكمة أخرى وهذا قول أكثر الفقهاء وأهل الحديث[1] وغيرهم.

وعلى هذا فقول الكرامية في هذه المسألة صحيح وموافق لأهل السنة والجماعة .

ونختتم بهذه المسألة أنه يتلخص الحق والصواب في التحسين والتقبيح العقليين بأمور ثلاثة هي :

الأمر الأول :

أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ،ولو لم يرد الشرع بذلك كالعدل والظلم ،فالأول يشتمل على مصلحة للعالم ، والثاني يشتمل على فسادهم ، فالحسن والقبح في هذا قد يعلم بالعقل، وورود الشرع بتقبيح الظلم ،وتحسين العدل ليس فيه اثبات صفة للفعل لم تكن من قبل ،لكن العقاب على الفعل القبيح لا يحصل الا بورود الشرع بذلك لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[2].

وقوله عز وجل ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[3].

---

(١) منهاج السنة ١/٤٦٢ - ٤٦٣.

(٢) الاسراء : ١٥.

(٣) النساء : ١٦٥.

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ،يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾.(١)

الأمر الثاني :

أن يحصل في خطاب الشارع ما يدل على الحسن والقبح ، فاذا أمر بشيء صار حسنا واذا نهى عن شيء صار قبيحا .

الأمر الثالث :

أن يأمر الله تبارك وتعالى شيئا لحكمة ،في نفس الأمر للامتحان هل يطاع أم يعصى ،وليس المراد فعل المأمور به ، وقد يكون المأمور به حسنا في العقل وقد يكون قبيحا ،وهذا مثل أمر الله العليم الحكيم ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بذبح ابنه اسماعيل عليه السلام ،فلما أسلما وتله للجبين ،وحصل المقصود فداه الله تبارك وتعالى بذبح عظيم قال سبحانه وتعالى : ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك ،فانظر ماذا ترى ؟ قال : ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ،وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم ﴾.(٢)

---

(١) القصص : ٥٩.

(٢) الصافات : ١٠٢ - ١٠٧ ، انظر مجموع فتاوى ٨/ ٤٣٤ - ٤٣٦ .

الفصل السادس

فـرق الكراميـــــة

الفصل السادس

فـــرق الكراميـــة

خرجت مدرسة الكرامية الكثير من الشخصيات والفرق ، وقد تقدم ذكر بعض تلاميذ ابن كرام الذين سمعوا منه أو رووا عنه . وأذكر هنا فرق الكرامية ان شاء الله تعالى .

امتد وجود فرق الكرامية بعد موت ابن كرام الى عدة قرون وكان ممن تزعمها بعد مؤسس الفرقة الكرامية اسحاق بن محمش وابنه أبوبكر ومحمد بن الهيصم وابراهيم بن المهاجر وغيرهم .

وقد اعتبر بعض أصحاب المقالات فرق الكرامية كلها فرقة واحدة بحجة أنهم لايكفرون بعضهم بعضا ولا أرى أن ذلك حجة يعتمد عليها للتفريق بين الفرق ، كما يعتبر البعض الاخر أن فرق الكرامية اختلفوا فى الرأى الا أنهم ليسوا على درجة تؤهلهم لافراد أقوال كل فرقة على حدة ، وذلك أنهم ليسوا علماء معتبرين.(١)

قال عبدالقاهر البغدادى : (الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف حقائقية وطرائقية واسحاقية . وهذه الفرق الثلاث لايكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق فلهذا عددناها فرقة واحدة)(٢) . وتابعه في ذلك الاسفراييني اذ قال : " ويعد جميعهم فريقا واحدا اذ لايكفر بعضهم بعضا " (٣) وذكر اسماء الفرق الثلاثة المذكورة آنفا .

انظر

(١) / الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠٨.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٥ .

(٣) ومعلوم أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون الناس بكل ذنب كما فعلت الخوارج وغيرها وكما ادعى البغدادى ، شرح الطحاوية تخريج الألباني ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

التبصير في الدين ص ١١١.

===

....

=== وإذا كان هؤلاء الخوارج الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لاحدى هذه الطوائف أن تكفر الاخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف اذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ والغالب انهم جميعا جهال بحقائق مايختلفون فيه " ، مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥/٢٠٠.

ومن هؤلاء الطوائف الذين اشتبه عليهم الحق في بعض المسائل الكرامية، كما رأينا بعضها وسنرى البعض الاخر في بقية البحث.

فما ذكره البغدادي أن بعض الفرق كفرت الكرامية، فانني لا أوافق على قول من يكفرهم، والرازي كان من أعظم الناس منازعة للكرامية حتى يذكر بينه وبينهم انواع من ذلك وميله الى المعتزلة والمتفلسفة أكثر من ميله اليهم، واختلف كلامه في تكفيرهم و ان كان هو قد استقر أمره على أنه لايكفر احدا من اهل القبلة، لا لهم ولا للمعتزلة ولا لأمثالهم. "درء تعارض ٢/١٧٧". وتكفير الكرامية يخالف ماذكرت عن أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السنة والحديث والفقه الذين لم يكفروا الخوارج الذين استحلوا دماء الصحابة والمسلمين وكفروا بعض الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والمسلمين.

وتكفير الكرامية غير صحيح ويخالف منهج أهل السنة والجماعة، بل قد كان يحتج باقوال الكرامية من تعظمه الاشعرية وهو من كبارها ذلك هو الغزالي ابوحامد اذ كان يناظر ويبطل حجة الفلاسفة تارة بكلام الكرامية وتارة بكلام الاشعري وتارة أخرى باقوال غيرهما. درء تعارض ١/١٦٣.

وذكر بعضهم أن فرق الكرامية لم يختلفوا فى الاصول والمبـــادىء(١) غير أن الشهرستانى ذكر انهم مختلفون في الرأى بل ذكر أن لكل منهـــم رأيـا الا أنه لم يبين هذا الرأى الذى اختلفوا فيه وقال : " لم يصدر عـــن علماء معتبرين بل عن سفهاء(٢) اغتام (٣) جاهلين فلم نفردها مذهبـــا وأوردنا مذهب صاحب المقالة "(٤)

ونذكر هنا فرق الكرامية اجمالا ثم نفصل ما استطعنا الى ذلك سبيلا. ان مؤرخى الفرق الذين تعرضوا للفرق الكرامية لم يتفقوا على أسماءهـــم ولا على عددهم وانما اختلفوا في ذلك.

وقد مر بنا الثلاثة التى ذكرها كل من البغدادى والاسفراييني .

وأورد الشهرستانى مايبلغ اثنتى عشرة فرقة وذكر ان أصولهم ستـــة هم : العابدية ، والنونية والاسحاقية والواحدية وأقربهم الهيصمية(٥).

---

(١) الموسوعة الميسرة العربية لمحمد غربال ١٤٤٧/٢

(٢) سفهاء من سفه ، والسفه : ضد الحلم واصله الخفة والحركة، الصحاح للجوهرى ٢٢٣٤/٦ .

(٣) الغتمة فى اللغة العجمة والاغتم الذى لايفصح شيئا والجمع غتـــم ورجل غتمى . الصحاح ١٩٩٥/٥ مادة الغتم .

(٤) الملل والنحل ١٠٨/١.

(٥) المصدر السابق ١٠٨/١.

وقد ذكر فخر الرازى أنهم سبع فرق ، فذكر منهم اسماء فرق ثلاثة لم يتقدم ذكرهم هم : الحماقية واليونانية والسورمية [١] .

غير أن المقدسى ذكر ثلاثة اخرى هم : الصواكية والمعية والذمية . ويرى انه ليس فى ذكر مذهبهم كثير فائدة أو معنى [٢] .

ولم يزودنا هؤلاء المؤرخون بمعلومات عن هذه الفرق اكثر من ذكر أسمائهم غير ان الحاكم الجشمي[٣] ذكر في شرح العيون بعض الفرق ونسبها الى اصحابها فقال: الحيدية : ينسبون الى حيد بن سيف [٤]

٢ - الزرينية نسبوا الى زرين [٥] ، رجل من غربشتان ، قيل أخذ عن ابىعبدالله وقولهم يقرب من قول الحيدية ." .

٣ - العابدية : نسبوا الى عثمان العابد ، اخذ عن ابى الفضل العابد واخذ ابوالفضل عن ابىعمر والمازنى واخذ المازنى عن عبدان السمرقندى ، اخذ عن محمد السجزى ويعرف بالشيخ السجزى واخذ هو عن ابى عبدالله [٦] .

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٠١ .

(٢) البدء والتاريخ ١٤٥/٥ .

(٣) هو المحسن بن محمد بن كرامة الجسمى البيهقى ، ابوسعد ، ويقال له الحاكم الجشمي : مفسر عالم بالاصول والكلام ، حنفى ثم معتزلي ، فزيدى ، وهو شيخ الزمخشري ، قرأ بنيسابور وغيرها ، واشتهر بصنعاء (اليمن) ولد سنة ٤١٣ هـ وتوفى مقتولا بمكة سنة ٤٩٤ هـ قيل لرسالة ألفها اسمها (رسالة الشيخ ابليس الى اخوانه المناحيس) انظر ترجمته فى: الاعلام ٢٨٩/٥ ، معجم المؤلفين ١٨٧/٨.
خ : ٢٥/١ ب ، راجع التجسيم عندالمسلمين لسهير مختار ص ٧٢.

(٤) لم اجد له ترجمة .

(٥) لم اجد من ترجم له ، ولم يذكرلا قول الحيدية ولا الزرينية حتى نقارن بين قوليهما .

(٦) لم أجد فيما اطلعت عليه من المراجع والمصادر مايفيد شيئا عن هذا السند المذكور.

٤ - التونية : ينسبون الى أحمد التونى [١] ، قرأ على ابى بكر بن أبى عبدالله وقرا على المازنى .

٥ - المهاجرية : ينسبون الى ابراهيم [٢] بن مهاجر اخذ عن المازنى .

٦- الهيصمية : نسبوا الى محمد بن الهيصم [٣] وهو وجه هذه الطائفة قيل انه اخذ عن محمد بن جعفر واخذ هو عن المازنى قيل ايضا أنه قرأ بالبصرة على أبى الحسين الأجدب وهو معتزلى من اصحاب أبى القاسم [٤] وذكر الشيخ ابوالحسين على بن أبى الطيب أن ابن الهيصم كان يقول بتكافؤ الادلة ولم يكن لهذه الفرقة سلف ولاكان فيهم علماء واتفق لهم نصرة سبكتكين وابنه محمد ، وظهر أمرهم .

هذا ماذكره ابن كرامة الجشمى المعروف بالحاكم ، غير انه لم يفدنا سوى اسم الفرقة واسم من ينسب اليها وقد يذكر من اخذ عنه.

وذكر المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ابرز رجال الكرامية عبر القرون مبتدئا بالقرن الثالث ومنتهيا بالقرن السادس فقال فى كتابه " بحث عن اصول المصطلح الفني للتصوف الاسلامي " تحت عنوان " المفسرين "[٥]

" فى خلال مايقرب من قرنين وبالتحديد بعد الماتريدى المتوفى ٣٤٠ وبعدها انشغل شيوخ الحنفية بتصحيح مذهب المعتزلة في اللاهوت والرد عليهم ،ظهرت مدرسة ابن كرام ، وفيما يلى عرض لاهم شيوخهم منذ ظهور مدرستهم الى عصر نهضتهم "[٦] قال: القرن الثالث الهجرى .

---

(١) ولم اجد له ترجمة ولا من اخذ عنه وهذا السند كله .

(٢) له ترجمة وسياتى ذكره ان شاء الله تعالى .

(٣) له ترجمة وسياتى تفصيل مذهبه ان شاء الله تعالى وترجمته .

(٤) انظر ترجمة ابى القاسم عبدالله بن احمد بن محمود البلخى الكعبى في كتاب طبقات المعتزلة لاحمد بن يحي بن المرتضى ص ٨٨ .

(٥) ص ٢٣٦-٢٣٨ نقلا عن الكتاب التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية ص ٧٣ ، ط. الاسكندرية ١٩٧١م ولم اجد كتاب المستشرق الفرنسى المذكور قيل ان الكتاب فى فرنسا .

(٦) لعله يقصد بعصر نهضتهم لمانصرهم السلاطين محمود سبكتكين وغيره .

وفيه ابراهيم (١) بن محمد بن سفيان واحمد بن محمد بن الدهــــــان (٢) والواعظ عبدالله بن محمد الكارباتي (٣) المتوفى سنة ٣٠٩ وابراهيم بـــن حجاج (٤) الذى انضم الى الكرامية بمساعدة محمد بن غيلان الشافعي الشهير بابن خزيمة (٥) ولد ٢٢٣ و متوفى سنة ٣١١ هـ اما فى القرن الرابع فقال :

" وفيه ابراهيم (٦) بن مهاجر ومحمد (٧) بن عبدوس الطرائقي المتوفي سنة ٣٤٧ هـ ، واسحاق (٨) بن محمشاد المتوفى سنة ٣٨٣ ، وابنه ابوبكـــــر ابن محمشاد المتوفى سنة ٤١٠ (٩) هـ وهو الذى مجد ابن كرام بان جعله رمزا للديـــن ونبيا ثانيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم (١٠) وابوعمر البزار (١١) حـــــواري

---

(١) تقدمت ترجمته فى تلاميذ ابن كرام .

(٢) تقدمت ترجمته فى تلاميذ ابن كرام أيضا .

(٣) لم اجد له ذكرا .

(٤) لعله ابراهيم بن الحجاج الذى سبقت ترجمته فى تلاميذ ابن كرام .

(٥) لم اجد له ترجمة بهذا الاسم ولعل الناقل اخطا واشتبه عليه الامـــــر واراد امام الائمة ابوبكر محمد بن اسحاق المعروف بابن خزيمة الـــذى ولد سنة ٢٢٣ هـ وتوفى سنة ٣١١ هـ وهو الذى اخرج ابن كرام مــــن نيسابور .

(٦) له ترجمة وسيأتي خبره ان شاء الله تعالى .

(٧) لم أجد له ذكرا .

(٨) له ترجمة وسياتى الحديث عنه ان شاء الله .

(٩) له ترجمة وسياتى خبره ان شاء الله .

(١٠) لم أجد هذا الكلام في غير هذا الموضع وعلى هذا لا أعرف صحة هذا القول .

(١١) لم أجد له ذكرا .

ابن كرام الذى وضعه فى منزلة محمد صلى الله عليه وسلم والشاعر الرقيق العميد ابو الفتح علي بن محمد البستي المتوفى سنة ٤٠١ هـ (١)، وله قصيدة مشهورة عن الصوفية مازالت باقية قال: " وفى نهاية هذه الفترة، بدأت المناظرات اللاهوتية بين الاشعرية والكرامية ، وقد قتل ابن فورك(٢) الاشعرى ويقال ان مقتله كان نتيجة للمشاحنات التى كانت بينه وبين بعض الكرامية وقد وقع محمد الثانى (٣) امرا مكتوبا فى كل مكان بالحكم بالنفي على " الكرامية " .

وقد تقدمت المناظرات التي دارت بين ابن فورك والرازى من جهة والكرامية من جهة أخرى بين وقتين مختلفين .

وعن القرن الخامس الهجرى قال: " فى هذا القرن قدم ابن الهيصم بالتفصيل تبريرا للمصطلحات الفلسفية عند الكرامية وهو الذى جعل المذهب يسود فى بلاد الفارس حتي عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م .

اما عن القرن السادس فقال ماسينيون : وفيه ابو القاسم (٤) بن حسين النيسابورى وتلميذه ابو القاسم (٥) بن الموفق بن محمد السجستاني الميدانى المتوفى حوالى سنة ٥٢٠ (٦) .

وهكذا عرض المستشرق الفرنسى الخط التاريخى لرجال الكرامية من حين عصر تلاميذ ابن كرام فى القرن الثالث الى القرن السادس .

والحق أننا لانثق بهذا المستشرق ولكن من أجل قلة امادة الكرامية ذكرنا قوله كما ذكرت زهير فى بحثها (٧) ولم تستطع ان تعلق

---

(١) له ترجمة قد سبق ذكره وسياتى ايضا ان شاء الله تعالى .

(٢) هو محمد بن الحسين بن فورك ابوبكر الانصارى الاصبهانى فقيه شافعي، ومتكلم اشعرى توفى سنة ٤٠٦ هـ انظر ترجمته : تبيين كذب المفترى ص: ٢٣٢-٢٣٣ طبقات الشافعية ١٢٧/٤-١٣٥ وفيات الاعيان ٢٧٢/٤-٢٧٣، الوافي بالوفيات ٣٤٤/٢ ،شذرات الذهب ١٨١/٣-١٨٢، الاعلام ٣١٣/٦ .

(٣) لم اجد له ترجمة ولم اعرف من هو .

(٤) لم أجد من ذكره .

(٥) لم اجد له ذكرا فى الكتب التى بين يدى .

(٦) التجسيم عند المسلمين لسهير مختار ص ٧٣ - ٧٥ .

(٧) المصدر المذكور .

على ماذكره المستشرق لندرة مادة الكرامية . وقد اطلعت على المراجع والمصادر التاريخية وخاصة المتعلقة منها بتاريخ خراسان ونيسابور ماوسعني البحث علما أن كتاب تاريخ نيسابور مفقود غير أني وجدت الحلقة الاولى من كتاب " تاريخ نيسابور " المنتخب من السياق تاليف الحافظ عبدالغافر الفارسي المتوفى سنة ٥٢٩ فلم اجد فيه ولا في غيره مما اطلعت عليه شيئا من هذا ، كما اطلعت على الكتب الصوفية وطبقاتهم كطبقات الصوفية لابى عبدالرحمن السلمى المتوفى سنة ٤١٢ هـ والحلية لابى نعيم الاصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ وصفة الصفوة لابن الجوزى المتوفي سنة ٥٩٧ هـ وطبقات الاولياء لابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ وطبقات الكبرى للشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ وغيرها فلم اجد شيئا من ذلك كما بحثت فى كتب الضعفاء والمتروكين فوجدت فيها بعض رجال الكرامية كابن كرام نفسه وبعض شيوخه وبعض تلاميذه وبعض اتباعه كما هو مذكور فى موضعه .

وقد كان لاتباع ابن كرام نفوذا وتمكينا فى القرن الرابع الهجرى الى القرن السادس وقد كان يتزعمهم حينئذ اسحاق بن محمشاد وابنه ابوبكر ، ثم محمد بن الهيصم وغيرهم وظهور الكرامية وسيادتهم فى ذلك الزمان يرجع الى نصرة الدولة السبكتكينية صاحبة غزنة وخراسان والهند ، الذين توسموا فيهم الخير والزهد والعبادة كابى منصور سبكتكين (1) والد

---

(1) هو الملك صاحب غزنة وبلخ وفاتح الهند تركى كان فيه عدل وشجاعة ونبل مع عسف مات سنة ٣٨٧ هـ وقيل سنة ٣٦٤ هـ . انظر ترجمته فى : المنتظم ٧٦/٧-٧٩ ، الكامل ٤٧٩/٨ ، ٤٨٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٦٢٩ - ٦٣٧ ، وفيات الاعيان ١٧٥/٥ ، ضمن ترجمة ابنه محمود سبكتكين المختصر فى اخبار البشر ١١٣/٢ ، ١١٧ ، سير اعلام النبلاء ٥٠٠/١٦ ، والعبر فى خبر من غبر ١١٨/٢ ، البداية والنهاية ٢٨٢/١١ ، شذرات الذهب ٤٨/٣ ، وفتح الوهبى شرح تاريخ اليميني ٥٥/١-٨٩ ، الاعلام ٤٧/٨-٤٨ .

محمود سبكتكين ويمين الدولة السلطان محمود سبكتكين نفسه [١] .

وقد تقدم آنفا ان القرن الرابع الهجري الى السادس كان عصر نفوذ الكرامية وكانوا فيه مستشارين ومقربين من الدولة السبكتكينية ففي القرن الرابع كان شيخ الكرامية اسحاق بن محمشاد النيسابوري ابو يعقوب .

---

(١) هو الملك السلطان ، فاتح الهند ابو القاسم ، بن سيد الامراء ناصر الدولة محمود سبكتكين ولد سنة ٣٦١ هـ ومات سنة ٤٢١ هـ كانت غزواته في الهند محمودة مشهورة عديدة وفتوحاته المبتكرة عظيمة وازال دولة سامان ، وفتح قلعة سومنان الصنم الكبير وهدم البيت الذي كانوا يحجون اليه ، كان عادلا شجاعا وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرمهم ويجالسهم وأهل الخير كذلك . انظر ترجمته : المنتظم ٥٢/٨-٥٤ ، الكامل في التاريخ ١٣٩/٩ ، ٤٠١ ، وفيات الاعيان ١٧٢/٥ - ١٨٢ ، مختصر اخبار البشر ١٣٤/٢ ، ١٥٧ ، سير اعلام النبلاء ٤٨٣/١٧ - ٤٩٥ ، العبر في اخبار من غبر ٢٤٥/٢ ، طبقات الشافعية ٣١٤/٥-٣٢٧ ، البداية والنهاية ٢٩/١٢ - ٣١ ، شذرات الذهب ٢٢٠/٣ - ٢٢١ ، الاعلام ٤٧/٨ - ٤٨ ، وقد ألف في مناقبه وسيرته كتابا باسمه هو تاريخ اليميني لابي النضر العتبي .

وقد اختلفوا في ضبط اسم والده فمنهم من قال [٢] : اسحاق بن حمشاد ومنهم من قال [٣] : اسحاق بن محمش ، الا أن الاكثرين ضبطوا اسم والده بأنه محمشاد فيكون اسحاق بن محمشاد كما ذكر ذلك الذهبي [٤] وابن حجر وغيرهما .

(٢) شذرات الذهب ١٠٤/٣ .

(٣) تاج العروس ٤٣/٩ ، مادة كرم ، والاعلام ٢٨٩/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٨/٢ .

(٤) ميزان الاعتدال ٢٠٠/١ ، والمغني في الضعفاء ٧٤/١ ، ولسان الميزان ٣٧٥/١ .

فقد وصفه المؤرخون بأنه الزاهد الواعظ شيخ الكرامية ورأسهم في نيسابور[1] قال الحاكم : " كان من العباد المجتهدين يقال أسلم على يديه اكثر من خمسة آلاف [2] وذكر بعضهم ان هؤلاء الذين اسلموا على يديه من اهل الكتاب والمجوس ما بين رجل وامرأة [3] .

وقال ابن السمعاني : " ذكره الحاكم ابوعبدالله الحافظ في " تاريخ نيسابور " فقال: ابويعقوب الكرامي ، شيخهم وامامهم في عصره كان على الحقيقة .. من التاركين للدنيا مع القدرة عليه ان لو شاء " [4] . كما ذكر عنه الحاكم ان من مواعظه قوله : "الا تدخلون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فتسألون عن قصوره وبساتينه ثم تسألون عن منازل ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وعن حليها وجواهرها ثم تسألون عن قصور اصحاب رايات والخلفاء من بعده ؟ ثم قال : " والله لو فعلتم لم تجدوا منها شيئا ولعلمتم انكم على ضلال في طلب الدنيا "[5]

ان هذا مثال يدل على زهده وتقشفه وتاثير اقواله على الناس وخاصة العوام ومن دون شك ان انسانا يتصف بهذه الصفات من الزهد وكثرة العبادة والدعوة اليها ليجد صدا وقبولا في دعوته وهذا ماحصل فعلا كما مر من كلام المؤرخين .

---

(١) العبر في خبر من غبر ٢٢/٣ ، تاج العروس ٤٣/٩ مادة كرم ، الاعلام ٢٨٩/١ ، معجم المؤلفين ٢٣٨/٢.

(٢) العبر ٢٢/٣ ، شذرات الذهب ١٠٤/٣ ، تاج العروس ٤٣/٩ ، الاعلام ٢٨٩/١ ، معجم المؤلفين ٢٣٨/٢.

(٣) الانساب ٣٧٧/١٠ ، العبر ٢٢/٣ ، شذرات الذهب ١٠٤/٣.

(٤) الانساب ٣٧٦/١٠.

(٥) المصدر السابق نفسه .

- أقوال العلماء فيه :

قد يظن ظان أن شخصا هكذا زهده وعبادته وتقشفه لايكون الا ثقة وعدلا وحجة ، غير أن المعروف لدى العلماء وأهل الشان بالسند والحديث والدين الذين حفظوا لنا هذا الدين من التحريف والتعطيل مقياسهم هو الالتزام بمنهج الكتاب والسنة وماصار عليه سلف هذه الامة فقد يكون انسان مظهرا للزهد والعبادة والتقشف ويكون فى نفس الوقت مخالفا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه سلف هذه الامة ومنهجهم فى الجرح والتعديل معلوم كما كان حال الخوارج وغيرها من الفرق كالشيعة الذين جعلوا اظهار العبادة وسيلة الى اغراضهم الخبيثة كالباطينة والقرامطة والعبادة والزهد والتقشف اذا لم يقم على اساس صحيح ومنهج سلف الامة الذى دل عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم يكن معتبرا .

واليك ماقال العلماء فيه من الجرح فى حكمهم عليه بانه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضع الحديث ، لم تنفعه ما اظهره من الزهد والعبادة الكثيرة اذ كان مبتدعا ويكذب على النبي صلى الله عليه وسلم فى سبيل مدح رئيس فرقته المبتدعة .

روى الجوزقانى باسناده عن أحمد بن على بن مهيار (١) يقول : اسحاق بن محمشاد كذاب خبيث يضع الحديث على مذهب الكرامية خذلهم الله تعالى ".(٢)

وروى اسحاق بن محمشاد فى كتاب له "فضائل ابن كرام"(٣) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) لم أجد له ذكرا .

(٢) الأباطيل والمناكير ٢٩١/١ ، ابن الجوزى الموضوعات ٥٠/٢ ، لسان الميزان ٣٧٥/١ .

(٣) سيأتى الكلام عنه .

"يجىء في آخر الزمان رجل يقال له : محمد بن كرام يحي السنة والجماعة ، هجرته من خراسان الى بيت المقدس كهجرتى من مكة الى المدينة " (١) قال الجوزقانى : " هذا حديث موضوع باطل وفى اسناده غير واحد من المجهولين وحال اسحاق بن محمشاد اظهر من ان يقع فيها الريبة ، او يدخل عليها الشبه " (٢) وتابع الجوزقانى ابن الجوزى فقال : " هذا حديث موضوع والمتهم به اسحاق بن محمشاد " (٣) وذكر نحو هذا الذهبى (٤) وابن حجر (٥) والسيوطى (٦) والشوكانى (٧) .

ولاسحاق بن محمشاد تاليف سماه " فضائل ابن كرام " (٨) غير أن كتابه هذا كله كذب موضوع (٩) وقال الذهبى : "فانظر الى المادح والممدوح" (١٠).

مات أبو يعقوب (١١) ابن محمشاد عام ٣٨٣ هـ بنيسابور بلده وقد حضر

---

(١) الاباطيل والمناكير ١/٢٩٠-٢٩١ ، الموضوعات ٢/٥٠ ، ميزان الاعتدال ١/٢٠٠ ، المغنى فى الضعفاء ١/٧٤ ، لسان الميزان ١/٣٧٥ ، اللالىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ١/٤٥٨ ، والفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة ص ٤٢٠ .

(٢) الاباطيل والمناكير ١/٢٩١ .

(٣) الموضوعات ٢/٥٠.

(٤) الميزان ١/٢٠٠ ، والمغنى فى الضعفاء ١/٧٤ .

(٥) لسان الميزان ١/٣٧٥ .

(٦) اللالىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ١/٤٥٨ .

(٧) الفوائد المجموعة فى الاحاديث الضعيفة ص ٤٢٠

(٨) الاباطيل والمناكير ١/٢٩١ ، الميزان ١/٢٠٠ ، المغنى فى الضعفاء ١/٧٤ الموضوعات ٢/٥٠ ، اللالىء المصنوعة ١/٤٥٨ ، الفوائد المجموعة ص ٤٢٠ ،

(٩) الاباطيل والمناكير ١/٢٩١ ، الموضوعات ٢/ ٥٠ اللالىء المصنوعة ١/٤٥٨ ، الفوائد المجموعة ص ٤٢٠ .

(١٠) الميزان ١/٢٠٠ ، لسان الميزان ١/٣٧٥ .

(١١) العبر فى خبر من عبر ٣/٢٢ ، تاج العروس ٩/٤٣ ، شذرات الذهب ٣/١٠٤ ، الاعلام ١/٢٨٩ ومعجم المؤلفين ١/٢٣٨ .

جنازته خلق كثير ، قال الحاكم : ولم أر بنيسابور جمعا مثل جنازته [(١)] . وقال : توفي عشية الخميس ودفن عشية الجمعة . وقال أيضا : " وصلى عليه في جنازته خوانجان [(٢)] فان ميادين البلد لم تسع ذلك الخلق ... وما أرى تخلف احد من السلطان والرعية "[(٣)]

وقد تزعم ابوبكر ابن اسحاق بن محمشاد الفرقة الكرامية بعد موت أبيه .[(٤)]

وقد ذكر العتبي في كتابه اليميني بعض أخبار أبي بكر بن اسحاق فقال : " وقد كان أبوبكر مرموقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكانة أبيه من الزهادة وضمه الاطراف على العبادة واقتفائه نهج أبيه فيما كان ينتحله وينتحيه "[(٥)] .

---

(١) العبر ٢٢/٣ ، شذرات الذهب ١٠٤/٣ .

(٢) لم اجد في كتب ضبط الاسماء وفي كتب اللغة ولا في كتب البلدان التي اطلعت عليها معنى هذه الكلمة ولعلها غير عربية . والله أعلم .

(٣) الانساب ٣٧٧/١٠ .

(٤) انظر فتح الذهبي شرح اليميني ٣١٠/١ وشرح الوهبي - هو شرح لكتاب تاريخ اليميني وسمى بذلك لانه صنف ليمين الدولة محمود بن سبكتكين والفه ابونصر العتبي .
شرح الوهبي يقع في مجلدين كبيرين صنفه الشيخ احمد المنيني هو أحمد بن علي بن عمر الحنفي الطرابلسي الاصل المنيني المولد الدمشقي المنشأ العالم العلامة المحدث المؤلف الشاعر ولد بقرية منين ليلة الجمعة سنة ١٠٨٩ هـ وتوفي سنة ١١٧٢ هـ راجع مقدمة فتح الوهبي شرح تاريخ اليميني .

(٥) مع الفتح الوهبي ٣١٠/٢ .

فتبين من هذا الوصف لابى بكر بن اسحاق أن دولة السلطان محمود بن سبكتكين تحترمه وتشرفه وتجعله فى منزلة عالية من أجل زهده واجتهاده فى العبادة اقتداءا بأبيه .

وقد كان أبومنصور سبكتكين يعتني بالكرامية بسبب ما أظهروا من الزهد والتقشف والعبادة وكان يعتقد أن وجود أمثالهم قليل فى الفقهاء وأعيان المتعبدين (١) واقتفى السلطان محمود أثر أبيه في توقير ابى بكر واصحابه الكرامية واحترامهم واكرامهم وقد اعتنى السلطان محمود ابابكر اكثر من ذى قبل لما قبض عليه جيوش الاتراك عند غياب السلطان بمحاربة الهنود الذين هم في مدينة عظيمة تسمى الملتين وكان بها صنم (٢) يحج اليه الهنود فلما اقترب السلطان وجيوشه الخراسان ، وجد أبوبكر واصحابه فرصة الخروج من قبضة هؤلاء الاتراك ، فكان السلطان محمود يقدر لابى بكر وأصحابه هذا الموقف فقال في ذلك العتبى : " وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية يقصد الزهد والتقشف والعبادة التي اتصفت بها الكرامية ، أنه لما تورد جيوش الخانية (٣) خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان قبضوا بنيسابور على ابى بكر احتياطا لانفسهم من شيعته واحتراسا من غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان من مغاربها واومضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد منهم فرصة الافلات والسلامة على مس تلك الافات فاعتد السلطان ذلك فى سائر مواته (٤) وأوجب حقا يلحظه بعين مراعاته "(٥) .

---

(١) انظر المصدر السابق نفسه

(٢) تقدم ذكر هذا الصنم فى هامش رقم (١) ص ٩ من الرسالة.

(٣) المنسوبة الى أيلك الخان ، وفي معجم البلدان ٣٤١/١ ، خان: موضع باصبهان وهى عجمية في الاصل .

(٤) مواته جمع ماته كداية بمعنى الوسيلة.

(٥) تاريخ اليمينى مع الفتح الوهبى ٣١٠/٢-٣١١.

وقد كان السلطان محمود يدافع عن السنة ويمقع البدع قال العتبى : كان باحثا على طرق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع المعترضة عليها فى سالف الايام استبصارا منه فى الدين واستظهارا على قمع الملحدين فقرأ الكتب وسمع التأويل وتتبع القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول الدين مالم يستنجز معه في الدين بدعة)(١)

ومما يوضح جليا ان السلطان يمين الدولة رحمه الله كان على عقيدة أهل السنة والجماعة بل كان يحافظ عليها ويدافع عنها ويقمع اهل البدع والانحراف المخالفين لهذه العقيدة.

كان بخراسان أناس ينتحلون مذهب الباطنية التى كان يقول بها صاحب مصر وهو الملقب بالحاكم (٢) بأمر الله بن العزيز بن المعز العبيدى وكان ظاهر هذا المذهب الرفض وباطنه الكفر المحض بتأويلات موضوعة تؤدى الى رفع قواعد الدين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله تعالى بالرفض والنقض فأمر السلطان بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم فعرف جماعة منهم فرجموا بالحجارة)(٣).

وكان أبوبكر صاحبنا مستشارا للسلطان محمود بن سبكتكين واحد أعوانه وعلى راى أبى بكر تحشر من اتهم بمذهب الباطنية ليقتل

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) هذا الحاكم يسمى هو وأسلافه بالفاطميين قتل سنة ٤١١ وكان سفاكا للدماء قتل من اماثل دولته وغيرهم صبرا وكان قائلا بالحلول والتناسخ وادعى حلول الاله فيه تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا . فتح الوهبى ٢/٢٤٠.

(٣) . تاريخ اليمينى وشرحه الفتح الوهبى ٢/٢٤٠-٢٤١ (بتصرف).

ويصلب فكان الناس يخافون من أبي بكر واصحابه من ان يوجهوا اليهم تهمة الانتحال بمذهب الباطنية قال في ذلك العتبي : " فصار البرئ كالسقيم مذعورا وعاد الملأفي عارض الخطب شوري ورأى الناس ان ربقته السم القاتل)[1] يعني من تكلم فيه أبوبكر بقدح في اعتقاده أونسبه الى الالحاد قتل [2] .

فأطاع الناس أبابكر واصحابه خوفا من ان يفتي او يكتب في سوء عقيدتهم فيقتلهم السلطان قال العتبي : " فنجعوا له بالطاعة وفرشوا له حدود الضراعة وانعقدت له الرئاسة في لبسه الصوف "[3] وقال: " ولحظته الخاصة والعامة بعين المرجو والمخوف وجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتداع فاستزينوا الناس واستفتحوا الاكياس فمن الط منهم بمكاس رموا بفساد العقيدة او يعطي الجزية من يده ، وغبرت على هذه الحملة سنون لامطمع لاحد في تبديل شكلها)[4] . وهذا يدل على نفوذ الكرامية وقربهم من السلطان وثقته بهم مما جعل الناس يخشونهم ويخضعون لهم كما يدل هذا الكلام على انهم استخدموا نفوذهم على اخذ المال الحرام والجزية وانهم ظلموا الناس بتلك التخويفات فمن لم يطعهم على مايريدون جعلوه في قائمة المتهمين بسوء الاعتقاد كما وصفهم العتبي في كتابه اليميني [5] .

---

(١) تاريخ اليميني وشرحه الفتح الوهبي ٣١١/٢ .
(٢) المصد السابق نفسه
(٣) المصد رالسابق نفسه
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) انظر الفتح الذهبي شرح اليميني ٣١٢/٢ .

وقد غضب السلطان لما سمع أن الكرامية تطلق على الله عز وجل القول بالجسم (١) وذلك لماجرى فى مجلس السلطان ذكر الكراميه وفيه القاضى ابى العلاء (٢) صاعد بن محمد الذى معه كتاب من الخليفة القادر بالله الى السلطان قال العتبى : " فجرى في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم على الله تعالى القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى لما لا يليق بذاته الكريمة فانف السلطان لهذه الشنعاء من مقالهم والعوراء من فحوى جدالهم ودعا السلطان أبابكر سائلا عنه باحثا صورة الحال منه فانكر ابوبكر اعتقاد ما نسب اليه وأظهر البراءة مما احيل به عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب والانكار "(٣) .

فهذه القصة ان دلت على الشئ فانما تدل على ان السلطان انما قرب الكرامية لاعتقاده انهم اهل العبادة والزهادة والدين وأنهم على عقيدة صحيحة سليمة من البدع والانحراف والا لما جعلهم قيمين ومشرفين على الدين وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة ممن يهدمها او يبدلها اويحرفها كالباطنية ، وقد اعطى السلطان ثقته بهؤلاء الكرامية وانخدع لهم ولم يكن يعتقد اعتقادهم والا لما غضب حين سمع أنهم يقولون بالتجسيم . وهذا يدل على عدم صحة من اتهم السلطان بانه يعتقد اعتقاد الكرامية .

والسلطان لما سأل ابابكر عن التجسيم وقوله فيه لم يقتصر على ذلك وانما نفذ الكتب الى عماله فى الرعية وأمر باجراء تحقيق فى المسألة ومعرفة من يقول بالتجسيم من الكرامية فمن تبرأ عن هذا القول مثل مافعله ابوبكر ترك وشأنه ويبقى على حاله من التدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن أصر على دعواه التجسيم ونحوه ولم يختر لنفسه مذهبا سواه جعل منزله محبسا له ورد لسانه دون الفضول قصيرا (٤) .

---

(١) تقدم تفصيل الكلام عن الجسم واطلاق الكرامية به على الله تبارك وتعالى فى مبحث المسمى بذلك .

(٢) هو صاعد بن الحسن بن عيسى ابو العلاء الربعى البغدادى اللغوى كان عالما باللغة والادب والاخبار قال ابن بشكوان " اتهم بالكذب فى اللغة وهو من الرواة للحديث النبوى توفى سنة ٤١٧ هـ . انظر مصادر ترجمته فى: وفيات الاعيان ٢/١٨١-١٨٢ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٨٧ ، العبر ٣/١٢٤ ، لسان الميزان ٣/١٦٠-١٦٣ ، شذرات الذهب ٣/٢٠٦-٢٠٧ ، الاعلام ٣/١٨٦-١٨٧ .

(٣) الفتح الوهبى شرح اليمينى ٢/٣١٤ .

(٤) انظر الفتح الوهبى ٢/٣١٢ .

كلهذا يدل على ان السلطان انما أُحِب القوم وقربهم لانه يظن انهم على الحق والدين الصحيح وهويحب اهل الدين واهل العلم لا انه يعتقد اعتقادهم ولنا عودة الى مايتعلق بهذه المسألة ان شاء الله تعالى ، أعني النفي عن السلطان أنه يعتقد اعتقاد الكرامية .

ومما يدل على ماذهبنا اليه ان السلطان لماتبيّن له أن التهمة التي وجه ابوبكر الى القاضي ابي العلا بانه ينتحل مذهب الاعتزال غيرصحيحة وان القاضي المذكور يتصف بالعلم والورع والتقوى والسيرة الحسنة بشهادة الامير ابوالمظفر نصر بن ناصر الدين اخو السلطان محمود(١)، عقد لنيسابور لابى على الحسين بن محمد بن العباس ليضرب الكرامية ، وفعل ذلك بعد أن تأكد منجريمتهم وابوبكر نفسه لما راى الموقف غير خطته فزعم ان الاشتراك فى رتبة العلم احدث بينهمامنافسة وتنازعا معا مذهبي التجسيم والاعتزال فلا صح مانسبني اليه ولا تقرر ما ادعيته عليه (٢) .

وقد اشتكى الناس من أبي بكر واشياعه كما ذكره العتبى اذ قال " وأطلق تمادى الايام على نباهة ابى بكر وارتفاع مكانته واتساع حشمته ومهابته وانبساط حاشيته فى اموال واعراض اهل ناحيته واستمرار العناد بينه وبين الاشراف فى جيزته ألسن الجمهور من الناس بحضرة السلطان بما طغى من حاله وبغى من جرح خباله اذلالا بافا عيله واعتمادا بزعمه على ماسبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله فتداركه الاحتمال مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة من الانتزاع والعارفة من الارتجاع وابقاء على المحل المرموقة فى الله من ان يلم به انحطاط اوينحل له رباط حتى اذا جاوز الاحتمال حده .. عقد السلطان ولايه نيسابور لابى علي الحسن (٣) بن محمد بن العباس ... وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) انظر الفتح الوهبى ٢/٣١٧-٣١٨ .

(٣)

ان يقمع به من انعقدت له بدالة التأله والتعبد وسابقة الترهب والتزهد فقدر ان الذى حظى به مقصود بالدين فلا سبيل الى حله ..وتطرق الرئيس ابوعلىحواشى المقصود » ، يعنىتتبع الاطراف والحواشى جميع حاشية ابى بكر يعنى أتباعه يتابع العتبىكلامه فيقول : " ينتزع منهم بعضهم اخذوه رشي [1] واحتسوه [2] شروبا رشي [3] ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل بالله واظهر الزهد فىالدنيا ثم لم يتوكل علىالله وهم بصاحبهم فاخذ حذره ، وارخى من دونه ستره ولم يقصد السلطان قصد استئصاله ولا نفضه عن فضول ماله فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة وغمص الفطام عن العادة " .

وهكذا ابعد السلطان أبابكر واصحابه الكرامية عن مركزهم المرموق والتدريس وتشرق المنابر ومن الرئاسة الىالوحشة الا ان السلطان لم يتشدد عليهم ولم يعاقبهم واكتفى بطردهم من مناصبهم وماكانوا يتمتعون به من القرب من السلطان والاستشارة فى امورالدين وقطعت عنهم صلات السلطان ومعاملته لهم بالاكرام والتعظيم .

ولم اجد مايدل على ماذكره المستشرق الفرنسى عن ابى بكر بن اسحاق من انه مجد ابن كرام حتى جعله رمزا للدين ونبيا ثانيا بعد محمد صلى الله عليهوسلم [4] ولايخفى ان هذا لو ثبت لكفر بها .

---

(١) جمع الرشوة بالكسركسدرة وسدر والضم لغة وجمعهارشى بالضم ايضا وهي مايعطيه الشخص الحاكم او غيره ليحكم له او يحمله على مايريد .

(٢) اى شربوه شيئا بعد شئ وشروبا جمع شرب بالثار المثلثة والواو الساكنة شحم رقيق قد غشى الامعاء .

(٣) والكرشاوالكشى جمع كشية وهى شحم بطن العنب وقال ويحتمل ان يكون معناه انهم استقطعوا ماعند الناس على جهة لاتعهد من حيث انهم توسلوا من القليل الىالكثير لان الاحتساء لايكون الا بكل مائع ممن بلغ به الى الشروب والكشي فقد تمادى وتجاوزد الحد.

(٤) تقدم في ص من هذا المبحث .

توفى ابوبكر عام ٤١٠ هـ (١)

الهيصمية

لم أجد معلومات كافية لابراز شخصية محمد بن الهيصم وكل ماذكره مؤرخو الفرق عنه كالبغدادى والاسفراييني والشهرستاني وشيخ الاسلام ابن تيمية والسفاريني وغيرهم يدل على انه كان معتدلا فى آرائه واقرب الى السلف من غيره من الكرامية ..

واليك ما وجدت له من أخبار و معلومات .

هو أبو عبد الله شيخ الكرامية وعالمهم في وقته تقدم في كلام المستشرق الفرنسى ان محمد بن الهيصم كان في القرن الخامس وانه حاول اصلاح مصطلحات الكرامية ، وذكر انه كان سببا في سيادة المذهب فى هذا القرن في فارس.(٢)

قال الشهرستانى : " واجتهد محمد بن الهيصم منهم (اى من الكرامية) فى كل مسالة من مسائل التشبيه حتى رد الخلاف فيها الى مايسوغ ان يذكرولايسفه غير مسالة الحوادث فانه تركها على التكال الاول بعلم صاحبه ابى عبد الله الكرام (٣) .

والشهرستاني بعد ان تكلم عن ابن كرام وشنعه قال: " وحاشا محمد بن الهيصم فانه مقارب "(٤) يعنى انه يقارب السنة فيما ذهب اليه من الآراء.

---

(١) راجع النجيم عند المسلمين مذهب الكرامية ص ٨٦.
(٢) ص ٧ من هذا المبحث .
(٣) نهاية الاقدام ص ١٠٥.
(٤) الملل والنحل ٤٣/١ .

بل ذكر الشهرستانى انأبن الهيصم قد اجتهد فى ارمام مقالة أبى عبدالله بن كرام فى كل مسألة حتى ردها من المحال الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فانه اراد بالجسم القائم بالذات ، ومثل الفوقية فانه حملها على العلو ، وأثبت البينونة غير المتناهية ، وذلك الخلاء الذى اثبته بعض الفلاسفة ، ومثل الاستواء ، فانه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات وهى من أشنع المقالات عقلا[1] .

كما وصف الاسفراييني من اتبع الكرامية باوصاف قبيحة كما هو دأبه تجاه الكرامية فقال في ذلك : " ولما اغتر بهم بعض اغمار[2] الولاة ، ، نفق لهم سوق[3] تطاولوا به على الرعايا فلحقهم اقوام مسهم شئ من الفضل فى باب الادب ، فاستحيوا من اظهار كتاب الملقب " بعذاب القبر "فوضعوا كتابا اخر سموه بهذا الاسم ، ونسبوه اليه يظهرونه واخفوا اصله الذى صنفه "[4].

ولعله يقصد ابن الهيصم وامثاله من الكرامية .

وقد نفى ابن ابى الحديد عن ابن الهيصم مانسب اليه من انه يثبت ان الله تعالى في جهة فوقوبينه وبين العرش بعد لايتناهى وغير ذلك مما يذكره المتكلمون ، فقال فى ذلك : " هكذا يحكى المتكلمون عنه ، ولم اره في شئ من تصانيفه .. وأنا استبعد عنه هذه الحكاية ، لانه كان أذكى من ان يذهب عليه فساد هذا القول"[5] .

---

(١) الملل والنحل ١١٢/١ .

(٢) رجل غمر اى لم يجرب الامور الصحاح مادة غمر ٧٧٢/٢ .

(٣) نفق السوق : قامت القاموس المحيط مادة نفق .

(٤) التبصير فى الدين ص ١٠٢

(٥) شرح نهج البلاغة ٢٢٩/٣-٢٣٠ .

ومما لاريب فيه ان مقالات محمد بن الهيصم أحسن بكثير من مقالات غيره من الكرامية نضرب مثلا من أقواله ، قال : ان الذى اطلقته المشبهة على الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لايشبه (١) سائر ما اطلقه الكرامية من انه خلق آدم بيده ، وانه استوى على عرشه وانه يجئ يوم القيامة لمحاسبة الخلق وذلك انا لانعتقد من ذلك شيئا على معنى فاسد ، من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للاستواء ولا ترددا في الاماكن التى تحيط به تفسيرا للمجئ وانما ذهبنا فى ذلك الى اطلاق ما اطلقه القرآن فقط ، من غير تكييف ولا تشبيه ومالم يرد به القرآن والخبر ، فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة "(٢).

والحق ان هذا الكلام يوافق ماذهب اليه سلف هذه الامة من اثبات صفات الله عز وجل كما يليق به تعالى .

ومحمد بن الهيصم ليس للكرامية مثله فى الكلام والنظر وهو الذى ناظره ابن فورك بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين قال بذلك ابن الصفدى (٣) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية هذه المناظرة التى جرت بينه وبين ابن فورك عند السلطان يمين الدولة محمود سبكتكين فى مسألة علو الله تبارك وتعالى ثم قال: "فرأى قوة كلام ابن الهيصم ، فرجح ذلك ويقال

---

(١) هذه عبارة الشهرستانى وعبر الصفدى بقوله : " ونحو ذلك لاتطلقه الكرامية علية بالمعانى الفاسدة التى اطلقها المشبهة وانما اطلقت الكرامية عليه ما اطلقه القرآن والسنة فقط من غير تشبيه ولاتكييف ومالم يرد به قران ولاسنة فلا تطلقه عليه بخلاف سائر المشبهة " . الوافى بالوفيات ١٧١/٥.

(٢) الملل والنحل ١٦٦/١-١٦٧ ، انظر الوافى بالوفيات ١٧١/٥ ، وتقدم قوله هذا عند الكلام عن الصفات .

(٣) الوافى بالوفيات ١٧١/٥.

انه قال لابن فورك : " فلو أردت أن تصف المعدوم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا ؟ "(١) .

وبعد موت محمد بن الهيصم عاشت فرقته يتزعمها القاضي مجد الدين عبد المجيد عمر المعروف بابن القدوة الذى نهج نفس منهج محمد بن الهيصم كما يبدو وعاش في القرن السادس لأنه عاصر الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . وجرت بينهما مناظرات عام ٥٩٥ هـ والتى كانت سببا فى اثارة فتنة بفيروز كوة لم تنته الا ان خرج الرازى منها كما اورده المؤرخ العلامة ابن الاثير اذ قال : فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ، ملك الغور وغزنة وهو بفيروز كوه ، عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازى الامام المشهور ، الفقيه الشافعي كان قدم الى غياث الدين فأكرمه غياث الدين واحترمه ، وبالغ فى اكرامه ، وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع ، فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة ، واما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه ، وكان اشد الناس عليه الملك ضياء الدين ، وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق ان حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية ، عند غياث الدين بفيروز كوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر ، والمعروف بابن القدوة ، وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة ، وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ فى اذاه وابن القدوة لايزيد على ان يقول لايفعل مولانا الا وأخذك الله ، أستغفر الله ، فانفصلوا على هذا .

وقام ضياء الدين فى هذه الحادثة وشكا الى غياث الدين وذم الفخر

---

(١) در‌ء التعارض ٦/٢٥٣ .

ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال ، بعد ان حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم: لا اله الا الله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا مع الشاهدين . ايها الناس انا لانقول الا ماصح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطا طاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلأي حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله ، وعن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبكى وضج الناس ، وبكى الكرامية ، واستغاثوا واعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازي عن السلطان ، وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ، ويجرى مايهلك فيه خلق كثير ، فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم ،وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها (١).

---

(١) الكامل في التاريخ ١٢/١٥١ - ١٥٢ حوادث ٥٩٥ه.

الفصل السابع

عدم صحة ما نسب الى بعض علماء أهل السنة أنهم من الكرامية.

وقد اتهم بعض المحدثين بعض علماء أهل السنة بانهم أهل التشبيه والتجسيم وانهم صورة من الكرامية كشيخ الاسلام ابي اسماعيل عبدالله الهروى وشيخ الاسلام أحمد بن تيمية وغيرهما رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

قال الدكتور النشار في كتابه " نشأة الفكر " :

" ظهر التشبيه والتجسيم على اقوى صورة لدى الهروى الأنصارى المتوفى سنة ٤٨١ هـ ان هذا الصوفى الممتاز الذى وضع اصول تصوف سلفى كان لابد قد اعتنق مذهب الصفاتية فى صورة مغالية ان ينتهى الى التشبيه والتجسيم ... لقد كان الهروى الانصارى صورة من الكرامية فهو مجسم مثلها وهو يؤمن بالكسب والغاء الأسباب ، كما امنت الكرامية ...)(٢)

---

(١) ٠٦٤٠/١ .

كما انتقد كتابه " منازل السائرين " وذكر ان فى الكتاب القول بوحدة الوجود .

أذكر ما قاله اهل العلم فى شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروى لنعرف ما له وما عليه ليتضح حاله .

قال القاضى ابويعلى في طبقات الحنابلة :كان يدعى شيخ الاسلام ، وكان امام اهل السنة بهراة ويسمى خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته و نبله ، وكان شديدا على الاشعرية "(١) .

قال ابن الجوزى : " كان شديدا على اهل البدع قويا فى نصرة السنة " (٢)

وقال عز الدين ابن الاثير : " شيخ الاسلام ... كان شديد التعصب (٣) فى المذاهب ... وهو من اهل الحديث والرواية "(٤) .

قال الامام الذهبى : " شيخ الاسلام الامام القدوة الحافظ الكبير .. شيخ خراسان " . وقال : " كان شيخ الاسلام اثريا قحا ، ينال من المتكلمة ، وكان صوفيا احد الاعلام ، وكان جدعا فى اعين المبتدعة وسيفا على الجهمية وقد امتحن مرات وكان شيخ خراسان فى زمانه غير مدافع "(٥).

يبدو من كلام النشار انه يحقد على شيخ الاسلام الهروى بانه شديد على اهل البدع وسيف عليهم وخاصة على الجهمية كما كان شديدا على الاشعرية ، والا فشيخ الاسلام اثرى قح ، وشيخ خراسان فى زمانه غير مدافع وهذا واكثر قد تقدم.

---

(١) ٢٤٧/٢.
(٢) المنتظم ٤٥/٩.
(٣) لعله يقصد بقوله : أنا حنبلى ماحييت فان امت فوصيتى : ذاكم الى اخوانى . طبقات الحنابلة ٢٤٨/٢ ، سير اعلام النبلاء ٥٠٦/١٨ ،
(٤) الكامل فى التاريخ ١٦٨/١٠-١٦٩ .
(٥) سير اعلام النبلاء ٥٠٣/١٨ ، ٥٠٦ ، تذكرة الحفاظ ١١٨٣/٣ ، العبر ٢٩٧/٣ ، كما ترجم له فى البداية والنهاية ١٣٥/١٢ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٤١ ، شذرات الذهب ٣٦٥/٣ ، والاعلام ٤/

غير ان الدكتور النشار لايقتنع بهذا الثناء الذى صدر من هؤلاء العلماء الأجلاء .

وأما قوله : " ظهر التشبيه والتجسيم على اقوى صوره لدى الهروى.. فقول فى غاية السقوط وجرأة بالغة فى تزوير الحقائق ، فالهروى رحمه الله تعالى كما تقدم من أقوال العلماء فيه انما هو من علماء اهل السنة والجماعة الذين اتخذوا مذهب السلف الصالح رحمهم الله المشهود برضوان الله عز وجل فى محكم التنزيل وبالخيرية على لسان الصادق المصدوق قدوة فى صفات الله سبحانه وتعالى فامنوا بما وصف به نفسه ووصف به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجروا تلك الصفات على ظاهرها كما يليق بجلال الله عز وجل وعظمته من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل كما فى محكم القرآن " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (1) فالهروى كان شديدا فى نصرة السنة كما تقدم آنفا .

وساق الذهبي أنه كان يدخل على الامراء والجبابرة فما يبالى ، ويرى الغريب من المحدثين فيبالغ فى اكرامه .وقال مرة : هذا الشأن شأن من ليس له شان سوى هذا الشأن - يعنى الحديث "(2) . وقد ذم الكلام وصنف فيه منذلك كتابه (ذم الكلام) قال الذهبى : وقد بالغ ابو اسماعيل فيه على الابتاع فاجاد (3) . فهل يعد هذا ممن أظهر التشبيه والتجسيم على اقوى صوره .. سبحانك هذا بهتان عظيم .

أما ماذكر عن كتابه " منازل السائرين " فقد انتقده العلماء فالامام الذهبى قال عنه : ولكنه له نفس عجيب لايشبه نفس أئمة السلف

---

(1) سورة الشورة : اية ١١.

(2) سير اعلام النبلاء ١٨/٥٠٦

(3) المصدر السابق نفسه ص ٥٠٩ .

فى كتابه " منازل السائرين " ففيه أشياء مضطربة، وفيه أشياء مشكلة .. وقد كان الرجل سيفا مسلولا على المتكلمين له صولة وهيبة .. وكان طودا راسيا فى السنة لايتزلزل ولا يلين "(١) .

ويبدو من كلام الدكتور النشار انه يعتقد ان مذهب السلف في الصفات يفضى الى التجسيم والتشبيه (٢) ، وهذا كلام الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وقد مرت فى التمهيد وفى غيره من مواضع هذا البحث .

كما اتهم دكتور النشار الامام شيخ الاسلام ابن تيميه بالتشبيه والتجسيم اذ قال: بقي التشبيه فى بيت المقدس وفى دمشق وفى حران ، وفى هذه الاخيرة ولد عالم السلف المتأخر الكبير تقي الدين ابن تيمية عام ٦٦١ هـ نشأ في أسرة حنبلية يحيط بها التشبيه والتجسيم وقد وقع فيهما وقوعا كاملا .. ومن المؤكد ان مذهبه خليط من مذهب الصفاتية الغالية ممتزجة بسالمية وكرامية "(٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠٩

(٢) انظر درء تعارض ١/٢٤٤-٢٤٥ .

(٣) نشأة الفكر ١/٦٤١ .

ان هذا القول من د . النشار على شيخ الاسلام ابن تيميه لهو افتراء وبهتان ، لا أساس له من الصحة ،سبحانك هذا بهتان عظيم .

ولا أريد التعريف بشيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تبارك وتعالى فانه أشهر وأكبر من أن أعرف به ،وقد قال فيه الامام الحافظ العلامة الذهبي : " وهو أكبر من أن ينبه الى سيرته مثلي "(١) ،فاذا كان الامام الذهبي وهو من هو في الفضل والعلم يستصغر نفسه في التعريف به ،فكيف أتعرض أنا الفقير الى الله ؟ فأولى ثم أولى ثم أولى ألا أوفي حقه،من أجل ذلك أعتذر عن هذا الأمر .

اضافة الى ذلك ، فقد قام علماء كثيرون التصنيف في حياة شيخ الاسلام ابن تيميه وهم علماء حفاظ أجلاء محققون قديما وحديثا ،وتحدثوا بالتفصيل عن حياته ، عصره ، شيوخه ،تلاميذه ، مناقبه ،علمه ،مؤلفاته ، جهاده ،شجاعته ،كرمه ،محنته ، محاربته للمبتدعة بل كل ما يتعلق به فجزاهم الله عن الاسلام وأهله خيرا .

بعض هذه الكتب ألفت في عصره (٢) وبعضها

---

(١) الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيميه ص ٦٤ ،ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٠ ،شذرات الذهب ٦/ ٨٢ .

(٢) أذكر منها شيئا على سبيل المثال لا الحصر ، ككتاب " العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيميه " تأليف الامام الحافظ المحدث الفقيه الناقد أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الهادى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ،ط/ دار الكاتب العربي ، " الأعلام العلية في مناقب ابن تيميه " تأليف الحافظ المحدث الفقيه أبو حفص عمر بن علي البزار المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ،حققه الشيخ زهير الشاويش ،المكتب الاسلامي ،بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ،

===

بعد عصره (١) وبعضها كتبت في العصر الحديث .(٢)

=== وكتاب " الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيميه شيخ الاسلام كافر " للشيخ الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

(١) مثال ذلك كتاب " القول الجلي في ترجمة شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيميه الحنبلي " للعالم المحدث المؤرخ الفهامة السيد صفي الدين الحنبلي البخارى نزيل نابلس عليه رحمة الله الكريم البارى توفى سنة ١٢٠٠هـ.
وكتاب " الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيميه " تأليف الامام الحافظ المتقن مرعى بن يوسف الكرمي المتوفى سنة ١٠٣٣هـ تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ،الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) ككتاب ابن تيميه ،تأليف الشيخ عبد العزيز المراغي ،دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ، وكتاب " ابن تيميه السلفي " تأليف د . محمد خليل هراس ،ط / مكتبة الصحافة بطنطا الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ . وكتاب " ابن تيميه حياته وعصره - آراؤه وفقهه " تأليف الشيخ محمد أبو زهرة ،ط/ دار الفكر العربي . وكتاب " رجال الفكر والدعوة في الاسلام " الجزء الثاني ،خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن تيميه ،تأليف : أبو الحسن علي الحسني الندوى ،تعريب : سعيد الأعظمي الندوى ،ط/ دار القلم الكويت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. وكتاب " حياة شيخ الاسلام ابن تيميه " محاضرات ومقالات ودراسات ،تأليف : علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار ،المكتب الاسلامي ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م. وكتاب " الامام ابن تيميه " تأليف عبد السلام هاشم حافظ ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. ،و" ترجمة شيخ الاسلام ابن تيميه " لمحمد كرد علي رئيس المجمع العربي بدمشق ،المكتب الاسلامي بدمشق . ===

وبعض هذه الكتب اعتنت بجانب من جوانبه العلمية (١) ، أكثرها كتبت باللغة العربية وبعضها بلغات أخرى (٢) ، وهذه الكتب التي الكثيرة / تبلغ عشرات المجلدات تدل على اهتمام هؤلاء العلماء الأجلاء المحققين بشيخ الاسلام وعنايتهم به ، فلا غرابة في ذلك فانه من أعظم الأئمة الربانيين الأفذاذ .

=== و " ابن تيميه " تأليف الدكتور محمد يوسف موسى ، المركز العلمي للثقافة والعلوم بيروت - لبنان . و " شيخ الاسلام ابن تيمية أمام السيف والقلم " تأليف الشيخ سعد صادق محمد ، ط/ دار اللواء ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

وكتاب " ابن تيميه بطل الاصلاح الديني " تأليف محمود مهدى الاستانبولي ، المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م وغيرها .

وكتاب " شيخ الاسلام ابن تيميه سيرته وأخباره عند المؤرخين " نصوص محفوظة ومطبوعة جمعها وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٦م .

وكتاب " من مشاهير المجددين في الاسلام شيخ الاسلام ابن تيميه وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب " رحمهما الله تعالى ، نبذة عن حياتهما وجهادهما وثمرات دعوتهما ، تأليف فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، تقديم سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى ، ط/ المطابع الأهلية الاوفست الرياض ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد .

(١) ككتاب " الامام ابن تيميه وموقفه من التأويل ، تأليف الشيخ محمد السيد الجليند ، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٣٩٣هـ/ - ١٩٧٣م ، وكتاب " آراء ابن تيميه في الدولة ومدى تدخلها في المجال الاقتصادى " تأليف الشيخ محمد المبارك ،

===

اضافة الى ما صنف في سيرته وحياته ومناقبه ،فلا يخلو كتاب من كتب التراجم عن ذكره والتعريف به ،فأهم هذه الكتب وهي :

١ - تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ٤/٢٧٨-٢٧٩.

٢ - البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٤/ ١٣٢- ١٤١.

٣ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩/ ٢٧١- ٢٧٢.

٤ - المنهل الصافي له أيضا ١/ ٥٦ برقم ١٩١.

٥ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١/ ٧٤ - ٨٠.

٦ - مرآة الجنان لليافعي ٤/٢٧٧ - ٢٧٨.

٧ - الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني ١/ ١٥٤ - ١٧٠.

٨ - البدر الطالع للامام العلامة الشوكاني ١/ ٦٣- ٧٢.

=== ط/ دار الفكر ، وكتاب " أصول الفقه وابن تيميه " تأليف الدكتور صالح بن عبد العزيز آل منصور ،مجلدين ،ط/ دار النصر مصر ، الطبعة الأولى أصل رسالة الدكتوراة في جامعة الأزهر ، وكتاب " موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية " رسالة ماجستير بجامعة أم القرى سنة ١٣٩٨هـ اعداد الدكتور أحمد محمد بناني ،وكتاب " منطق ابن تيميه ومنهجه الفكرى " تأليف الدكتور محمد حسني الزين ،المكتب الاسلامي بيروت ،الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) من أهمها ما كتبه المستشرق الفرنسي هنرى لاووس ،وسماه " نظريات شيخ الاسلام ابن تيميه في السياسة والاجتماع" ترجمة الأستاذ محمد عبد العظيم على ،طبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٣٩م.

وقد حمل هذا العلم عنه تلاميذ أخذوا عنه وكانوا كثيرين جدا ، وصاروا علماء ورؤساء وفضلاء ، من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء وغيرهم (١) بل كانوا من أعلام الأئمة (٢) ، وهؤلاء هم الذين حافظوا على تراث الشيخ ابن تيميه العلمي .

---

(١) الاعلام العلية في مناقب ابن تيميه ص ٣١ .

(٢) فمن أشهر تلاميذه العظام الذين صاروا من أئمة العلم المحققين هم :

١ - الامام الحافظ المحدث الناقد المؤرخ شيخ الاسلام محمد ابن عثمان الذهبي الذى هو غني عن التعريف . قال عنه السبكي في طبقاته الكبرى : (شيخنا وأستاذنا محدث العصر .. امام الوجود حفظا وذهب العصر معنى ولفظا وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها " شذرات الذهب ٦/ ١٥٣ - ١٥٤ وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ٤٦ ، وهو من كبار تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيميه اختصر بعض كتبه ، ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

٢ - الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر الأصولي ، الشهير بابن القيم الجوزية ، لازم شيخ الاسلام ابن تيميه وأخذ عنه ، وله دور هام في المحافظة على مصنفات شيخ الاسلام ابن تيميه رحمهما الله تعالى ، وقد ورث علمه . وتابع جهاده شيخه ، وامتحن وأوذى في الله تعالى مرات وسجن مع شيخه في محنته الأخيرة . وله المصنفات الكثيرة المفيدة وأخذ العلم عنه خلق كثير ، ولد رحمه الله تعالى سنة ٦٩١ هـ وتوفى سنة ٧٥١ هـ ، الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٢١ .

٣ - الامام الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصرى

===

وقد أكثر أئمة الاسلام الكبار الثناء عليه كالامام الحافظ الذهبي ، والامام الحافظ المزى ،والامام الحافظ ابن دقيق العيد ،والحافظ ابن سيد الناس ، والامام العلامة قاضي القضاة كمال الدين الزملكان ،والامام الحافظ البرزالي ،والامام القدوة عماد الدين أحمد بن ابراهيم الواسطي ، والامام الحافظ ابن كثير ،والامام أبوحيان النحوى وغيرهم من أئمة العلماء.(١)

=== البصرى الفقيه الشافعي ،المحدث المفسر المؤرخ ولد سنة ٧٠٠هـ واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت اليه رسالة علم التاريخ والحديث والتفسير وهو من تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيميه .

جلاء العينين ص ٣٤ .

٤ - ابن عبد الهادى الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الهادى الفقيه الحنبلي المقرى ولد سنة ٧٠٤ هـ وتوفى سنة ٧٤٤ هـ لازم شيخ الاسلام ابن تيميه ،كما صنف في الرد على السبكي .

وغيرهم من تلاميذه الذين صاروا من أئمة العلم والتحقيق .

(١) انظر الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية ،تأليف الامام مرعي بن يوسف الكرمي تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف ص ٥٥ .

فكيف
فاذا كان العلماء الائمة الحفاظ وصفوه بصفات عظيمة وأثنوا عليه ثناء عظيما/يتجاهل د/ النشار الا أن يكون عنها أن يبغضه الرجوع الى منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في اثبات صفات الله عز وجل كما يليق بجلاله تعالى وكماله ونبذ تأويلات الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم.

ومعلوم أن نفاة صفات الله تبارك وتعالى من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم يسمون من يثبت هذه الصفات التي هم ينفونها كالعلو والاستواء والنزول والمجيء والاتيان وغيرها مشبهة مجسمة.

فوافق قول د. النشار قول هؤلاء، والا فكيف يصف شيخ الاسلام ابن تيميه بالتشبيه والتجسيم الذى هو من هو في المكانة التي ذكرها علماء الحفاظ الائمة حتى خصومه كما قال السبكي "والله لايبغض ابن تيميه الا جاهل أو صاحب هوى" ولم يذكروا أنه كان من الكرامية.

وقد مر بنا في هذا البحث من أوله الى آخره موقفه من أقوال الكرامية في الألفاظ المبتدعة وفي الصفات وفي القدر وغيرها، وأنه كان يعرض آرائهم وآراء غيرهم على كتاب الله الحكيم وسنة نبيه المشرفة وأقوال سلف هذه الامة فان وافقوا صحح قولهم وان خالفوا أفسد ه كائن من كان هذا القائل، فاذا كان قول د. النشار لا يوافق ما قاله الحفاظ الائمة عن شيخ الاسلام ابن تيميه، ولا يوافق ما تنطق به كتبه ورسائله وفتاويه التي تطابق ما قال عنه أولئك العلماء المحققون، ولم يبق الا ماتتقوله الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من نفاة صفات الله عزوجل على مثبتي الصفات.

وقد خالفت زهير مختار د. النشار في قوله هذا، وذكرت أنه عالم سلفي يدعو الى الكتاب والسنة وأحسنت في ذلك.(١)

---

(١) التجسيم عند المسلمين، مذهب الكرامية ص ٩٧ ومابعدها.

ولا ريب أن د . النشار قد رأى هذا الثناء العظيم من قبل هؤلاء العلماء

فقوله : " في التشبيه .. في حران ، وفي هذه الأخيرة ولد عالم السلف المتأخر الكبير تقي الدين بن تيمية .. نشأ في أسرة حنبلية يحيط بها التشبيه والتجسيم ،وقد وقع فيهما وقوعا كاملا ". فقول في غاية البطلان والسقوط ،لا يلتفت اليه ،وجرأة وتعمد في تزوير الحقائق ،فشيخ الاسلام ابن تيميه معروف ومشهور .

ثم في كلامه " أن شيخ الاسلام ابن تيمية عالم سلفي كبير" ومعلوم أن علماء السلف ليسوا بمشبهة ولا مجسمة كما تقدم في الرسالة في مواضع كثيرة ،وانما كانوا يلتزمون الكتاب والسنة ولا يثبتون الألفاظ المبتدعة ولا ينفونها ،ويبطلون المعاني الفاسدة المبتدعة .

وتقدم بيان ذلك مما أغنى عن اعادتها ،اللهم اذا كان عند الدكتور النشار أن السلفي مشبه مجسم كما يفهم من قوله.

فكون شيخ الاسلام سلفي يكفي للرد على أنه مشبه ومجسم فالسلف كانوا يردون على المشبهة والمجسمة.

وأما قوله :" نشأ في أسرة جنبلية يحيط بها التشبيه والتجسيم "، فكلام غير صحيح وذلك كما أنه معروف أن الحنابلة كانوا على ما كان عليه السلف الصالح في أصول الدين أكثر من غيرهم في الشام وفي غيرها حتى في أشد الأحوال لما سادت الأشعرية المتأخرة في العالم الاسلامي وظن الناس أنها مذهب السلف (١) ، فقد بين شيخ الاسلام ابن تيميه ذلك في

---

(١) انظر الخطط للمقريزي ٤/ ١٨٥ ،والذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام للدكتور بشار عواد ص ٧٦ ،وابن تيميه السلفي للدكتور محمد خليل هراس ص ٤٠.

كثير من كتبه ورسائله وتصانيفه ،ولولا مخافة الاطالة لنقلنا ذلك.

وأما قوله : " ومن المؤكد أن مذهبه خليط من مذهب الصفاتية الغالية ممتزجة بسالمية وكرامية " ،فنقول غير صحيح أيضا لا يقوم على أساس من البرهان ، فقد رد رحمه الله على الفرق الباطلة والمذاهب الفاسدة ، ودعا الى الالتزام بما كان عليه سلف هذه الأمة من أصول الدين وغيرها ، وبين فساد قول من خالفهم من المتكلمين والفلاسفة والصوفية وغيرهم ،وقد جاء في وقت ساد فيه مذهب الأشعرية المتأخرين في كثير من البلاد الاسلامية كمصر والشام وبلاد المغرب وقويت شوكتهم جدا في القرون الوسطى الاسلامية حتى أصبحوا قوة عظيمة ، وذلك بسبب نصر الدولة الأيوبية لها كصلاح الدين الأيوبي الذى حفظها في الصغر ونشأ عليها وحمل عليها كافة الناس أيام دولته على التزامه ،وبقي الأمر على ذلك الحال جميع أيام الملوك بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.(١)

وظل الحال على ذلك الى أن ظهر شيخ الاسلام ابن تيمية في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن ،الذى تصدى للانتصار لمذهب السلف الصالح وبالغ في الرد على ما يخالفه من الشيعة والقدرية والفلاسفة وعلماء الكلام ورد على المعطلة والمؤولة في صفات الله تعالى من الجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم ، فقاد النهضة الاسلامية العظيمة وحمل مشعل الدعوة الى مذهب السلف من جديد الذى اندرس في ذلك الزمان.(٢)

---

(١) الخطط للمقريزى ١٨٥/٤ ، وانظر الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام للدكتور بشار عواد ص ٧٦ ،وانظر ابن تيميه السلفي للدكتور محمد خليل هراس ص ٤.

(٢) انظر المصادر السابقة .

ومن المذاهب التي رد عليها شيخ الاسلام ابن تيميه ،الكرامية والسالمية والفرق الغالية وبسط القول في ذلك في مواضع كثيرة من كتبه وفتاويه ورسائله بكلام نفيس جدا ،ولو ذهبنا نذكر ذلك لطال المقال ولضاق المجال .

ومع ذلك يقول الدكتور النشار هذا القول ، فسبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذه نبذة يسيرة في حق شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى هي غيض من فيض سيره ومناقبه وأقواله . ومن نظر تصانيفه يتجلى له ذلك ، وأذعن بفضله واعترف له بالمزية العظيمة على كثير من كبار المحققين فضلا عن غيرهم .

وبعد كل هذا ،فقد وجدت للدكتور النشار كلاما جميلا صحيحا ان يمدح فيه منهج السلف في أصول الدين ويفضله على منهج المتكلمين المتأخرين المشوب بأفكار دخيلة على الاسلام ويدعو الى احياء علوم السلف بتحقيق كتبهم ونشرها كما يتهم المسلمين في هذا الجانب كالمؤسسات الدينية الكبار كالأزهر ، يخالف مذهبه المذكور آنفا

،قال : " لم يعتن الباحثون في مجال العقائد الاسلامية وأصولها ،بدراسة أوتحليل العقائد السلفية التي تعتمد على صريح القرآن ،وناطق السنة ،والحقيقة أن دراسة الاسلام وعقائده ،لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها ان لم تتناول ما كتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع ،وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم على توالى العصور ، الى عهد ابن تيميه (+ ٧٢٨ هـ) ،ومن أخذ عنه من الأعلام ،حتى عصرنا هذا ".

قال : " ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذا الجانب الأساسي في مجال الدراسات الاسلامية ،وأن نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام ، ونعتقد أن أول خطوة في هذه الدراسة انما هي نشر هذه المؤلفات الدفينة ،وبعث هذه الرسائل والنصوص التي غفل أكثر الناس عنها ، حتى ان المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر ،وبقية الجامعات لم تولها أي اهتمام ولا اعتبار في مناهجها ودراستها ،ذلك أن الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغريبة الدخيلة ، وآراء عهد انحطاط الحضارة الاسلامية مع أن المنهج العلمي التاريخي الصحيح ، يقتضي أن نرجع الى الأصول الأولى قبل كل شيء ".(١)

فهذا جيد صحيح في محله موافق لما يدعو اليه شيخ الاسلام ابن تيميه وغيره من العلماء المحققين الأجلاء رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

ومن اتهم أنه يعتقد ما تعتقده الكرامية،العلامة أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري ،وقيل : المروزي ،الكاتب ،صاحب التصانيف .

قال البيهقي : " كان يرى رأي الكرامية ".(٢) ،ولانطيل في الرد على هذا القول فقد كتب عنه كثير من العلماء ،ومن كتب الدكتور علي ابن نفيع العلياني في رسالته الماجستير ، المشرف على هذه الرسالة ، بعنوان " موقف ابن قتيبة من عقيدة السلف " انما ذكرناه لعلاقته بمانحن بصدد الكلام عنه.

---

(١) مقدمة كتاب عقائد السلف ،تحقيق د/ علي سامي النشار ،وعمار جمعه الطالبي ص ٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٨.

قال الامام الذهبي بعد أن أورد كلام البيهقي المذكور آنفا :

" ونقل صاحب " مرآة الزمان " بلا اسناد عن الدارقطني ،أنه قال : كان ابن قتيبة يميل الى التشبيه ".

قال : هذا لم يصح ،وان صح عنه ،فسحقا له ، فما في الدين محاباة،[1] وقال : " ما رأيت لأبي محمد في كتاب " مشكل الحديث" ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة ،ومن أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول فالله أعلم. "

وخوفا من الاطالة نكتفي بقول الامام الذهبي الذى يدل على أنه - أى ابن قتيبة - كان يوافق في اثبات الصفات على ما كان عليه السلف الصالح الذين كانوا يمرون أخبار الصفات ولا يؤولونها ،وهذا ينفي عنه التشبيه أوأن يكون على رأى الكرامية والله أعلم.

كما اتهم الامام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين ،أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن البيع الضبي الطهماني النيسابورى الشافعي صاحب التصانيف ،أنه يميل الى الكرامية.

قال الامام الذهبي : " عهدى بالحاكم يميل الى الكرامية "[2] ، ولا أطيل الكلام في هذه المسألة أيضا ولكن أقول :

ان الامام الذهبي ذكر أنه يميل الى الكرامية ولم يقل انه من الكرامية أوأنه على رأيهم،وعليه فالأمر أخف في نظرى . ثم يبدو

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٨.
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٩.

لي أنه يخالف الكرامية خلافا للامام الذهبي مع جلالته وعلو كعبه في العلم والفضل لكن لا يضره ذلك ، فالعصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام فقط ، ويدل على ذلك القصة التي حصلت للحاكم من جهة الكرامية ،قال أبو عبد الرحمن السلمي : دخلت على الحاكم وهو في داره ،لا يمكنه الخروج الى المسجد من أصحاب أبي عبد الله بن كرام ،وذلك أنهم كسروا منبره ،ومنعوه من الخروج ".

قال : فقلت له : لو خرجت وأمليت في فضل هذا الرجل حديثا (يقصد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه) ،لاسترحت من المحنة ، فقال : لا يجيء من قلبي ،لا يجيء من قلبي "(١) ،وقال الخطيب : كان ابن البيع يميل الى التشيع.(٢)

وقد دافع السبكي في طبقاته عن الامام الحافظ الحاكم كثيرا عما قيل عنه أنه يميل الى التشيع وأنه يميل الى الكرامية ،فقال : " والغالب على ظني أنه ما عزى الى أبي عبد الرحمن السلمي كذب عليه ، ولم يبلغنا أن الحاكم ينال من معاوية ،ولا يظن ذلك فيه ،وغاية ما قيل فيه الافراط في ولاء على كرم الله وجهه ، ومقام الحاكم عندنا أجل من ذلك.

وقال : " وأما ابن كرام فكان داعية الى التجسيم ،لا ينكر أحد ذلك ، ثم ان هذه الحكاية لا يحكيها الا هذا الذى يخالف الحاكم في المعتقد ".(٣)

---

(١) المنتظم ٢٧٥/٧ ، سير أعلام النبلاء ١٧٥/١٧ ، تذكرة الحفاظ ١٠٥٤/٣ البداية والنهاية ٣٥٥/١١ ،الوافي بالوفيات ٣٢٠/٣ ، ٣٢١ ،طبقات السبكي ١٦٥/٤.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٥/١١.

(٣) طبقات السبكي ١٦٣/٤.

وهكذا اختلف العلماء في حقه ،والله أعلم بالحقيقة ، الا أن المعروف أن الحاكم ،كما قال الذهبي : " الامام الحافظ ،الناقد العلامة شيخ المحدثين " .

ومعلوم أن المحدثين ضد أهل البدعة ،غاية ما في الأمر أنه يميل الى حب علي رضي الله عنه ويفضله على معاوية رضي الله عنه وهذا حق ، أو يفضل الكرامية على المعطلة مثلا ،أما أن يعتقد معتقدهم لم أر من قال به ،والله أعلم.

كما وصف الامام الذهبي وابن كثير السلطان محمود سبكتكين ووالده بأنهما كراميان ،قال الامام الذهبي رحمه الله تعالى في الملك أبي منصور والد السلطان محمود سبكتكين : " وكان كراميا "(١) ، وقد تقدمت(٢) المناظرة التي جرت بين الملك أبي منصور سبكتكين وبين قاضي بلخ النضرى ،فكان مما قال : ما تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء ؟ فقال النضرى : هؤلاء عندنا كفرة ،قال : ما تقولون فيّ ؟ قال : ان كنت تعتقد مذهبهم فقولنا فيك كذلك ، فوثب فجعل يضربهم ،الى آخر القصة .

أقول : هذه القصة انما تدل على أن الملك اقتنع أن الكرامية أولياء زهاد وانخدع لهم وهذا أمر يقع كثيرا لمثل هؤلاء الملوك الذين ليسوا بعلماء خبيرين بدقائق العلم وحقيقة المذهب الصحيح وتمييزه عن غيره ،وان اعتقد ما اعتقدته الكرامية ،فمن هذا الاعتبار.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٨٤ ،العبر ٣/١٤٥.

(٢) في أقوال العلماء في ابن كرام.

وقد مدحه المؤرخون ، قال ابن الأثير وهو يذكر سبب اختيارهم له بالولاية : " لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته ، وكمال خلال الخير فيه "(١) وذكر نحو هذا الحافظ ابن كثير .(٢)

أما عن السلطان محمود سبكتكين يمين الدولة فقد قال فيه الامام الذهبي : " وكان .. من الكرامية "(٣)

وقال ابن كثير : " وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد ".(٤)

غير أن الذهبي نفسه قال عنه : " وكان صادق النية في اعلاء كلمة الله تعالى ... وكان مجلسه مورد العلماء ".(٥)

وقال ابن كثير : " وكان ... في غاية الديانة والصيانة وكراهة المعاصي وأهلها ، لا يحب منها شيئا ، ولا يألفه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خمرا في مملكته ، ولا غير ذلك ولا يحب الملاهي ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرمهم ويجالسهم ، ويحب أهل الخير والدين والصلاح ويحسن اليهم ".(٦)

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه عنه : " وأظهر السلطان محمود سبكتكين لعنة أهل البدع على المنابر ، وأظهر السنة ".(٧)

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٨٤.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٨٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨٦، ٤٩٢- ٤٩٣ .
(٤) البداية والنهاية ١٤/ ٣٠.
(٥) العبر ٣/ ١٤٥.
(٦) البداية والنهاية ١٢/ ٣٠.
(٧) درء التعارض ٦/ ٢٥٣.

ونخلص من هذا أن السلطان محمود سبكتكين ووالده يتصفان بهذه النعوت العظيمة من حب الخير والدين وأهله وعلى ذلك أحبوا الكرامية لزهدهم وعبادتهم وان اعتقدوا اعتقاد الكرامية فانهم ظنوا أن هذا هو الصحيح الحق فان الانسان ان لم يكن عالما يميز بين المذهب الحق من الباطل أو لم يستعن على من يقدر ذلك فقد يخطيء في الاختيار كما استولى على المأمون والمعتصم والواثق جماعة من المعتزلة فزينوا له خلق القرآن وانكار الصفات ،والله أعلم .

الخاتمة

الخاتمـــــة

وبعد هذا العرض والمناقشة لآراء الكرامية في الالهيات ،أذكر خلاصة موجزة لأهم النتائج التي توصلت اليها :

١ - ان الشخصية التي يدور حولها موضوع الرسالة " محمد ابن كرام بن عراف بن حزابة بن البراء أبو عبد الله السجزى وأتباعه " ، والصحيح أنه من بني نزار .رغم عجمة لسانه ،وانما دخلت عليهم العجمة بعد اختلاط الأمم حين دخل هو لا في الاسلام .

٢ - لم تفد المصادر التي ترجمت لابن كرام شيئا عن نشأته الاولى ولا عن أسرته الا ما ذكره ابن السمعاني عنهم من أن والده كان يحفظ الكرم فقيل له : الكرّام ،وتعقبه الامام الذهبي أن ذلك النقل لم يثبت وأن ابن السمعاني ذكره بلا اسناد وأن في ذلك نظر فان كلمة كرام علم على والد محمد سواء عمل في الكرم أو لم يعمل والله أعلم.

٣ - لم تصل الينا كتب ابن كرام ككتاب عذاب القبر وغيره مما نسب اليه ولا كتب أتباعه مما أدى الى الاعتماد في نقل المعلومات عنهم على خصومهم الا ما ذكره عنهم شيخ الاسلام ابن تيميه وغيره ، وكان قول شيخ الاسلام في مسائل الكرامية مهما من عدة اعتبارات هي على النحو التالي :

١ - ما ينقله عنهم من المعلومات انما هي على ما هم عليه حقيقة فلا يزيد عليهم ولا ينقص عنهم ،فهو ليس من خصوم الكراميـــة ولا من أصدقائهم وانما هو عالم بمعاني كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام وأقوال علماء السلف من الصحابـــة ومن اتبعهم ، خبيرا بما يوافق ذلك وما يخالفه مؤمنا بهـــا ويذود عنها ويدعو اليها بأوضح الحجج النقلية والعقليـــة ،

فمن خالف السلف الصالح في شيء من مسائل أصول الدين كالكرامية وغيرهم فهو ينكر عليهم وينتقدهم معتمدا في الاستدلال على كتاب الله الحكيم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام المشرفة وأقوال السلف رحمهم الله تعالى .

٢ - يصحح أحيانا بعض المعلومات التي ذكرها خصوم الكرامية عنهم، من ذلك على سبيل المثال ما قال الآمدى عنهم : إنه لم يثبت قيام الحوادث بذاته تبارك وتعالى من العقلاء الا المجوس والكرامية ،فبين شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله الحق في هذه المسألة وأن كلام الآمدى غير صحيح ،وأن نقله غير مطابق ، وذكر أنه لا يمكن أن ينقل عن محمد صلى الله عليه وسلم ولا عن اخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام كموسى وعيسى وغيرهما ما يدل على قول النفاة لا نصا ولا ظاهرا ،بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة وتوافق قول أهل الاثبات.

وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، والتابعون لهم باحسان وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهورة ،وشيوخ المسلمين المتقدمين لا يمكن أن ينقل نقلا صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات ، فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر.

كما صحح قول الآمدى وغيره عن الكرامية انهم يرون أن ما يقوم بذات الله عزوجل من أفعاله الاختيارية كالارادة والقول مخلوقة ،وبين أن الكرامية لا تقول ذلك.

وأحيانا يقرر عن الكرامية ما ينقله عنهم خصومهم كتناقض الكرامية في بعض المسائل .

٤ - صحيح أن الكرامية من فرق المبتدعة المجسمة ويطلقون على الله تبارك الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل كالجسم والجوهر والتحيز .

وأن الله تبارك وتعالى تكلم بعد أن لم يكن متكلما وأن الله تعالى لا يقال في حقه لم يزل متكلما ،وأن نوع أفعال الله عزوجل حادث ، وأن ما قام به تبارك وتعالى من أفعاله الاختيارية واجبة البقاء ،وتناقضهم في كثير من المسائل .

كل ذلك باطل ومخالف لكتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المشرفة وما أجمع عليه السلف الصالح .

الا أنهم ليسوا كما يقول عنهم خصومهم كالبغدادى ،وابن فورك والرازى ،فقد أصابت الكرامية الحق في بعض المسائل في حين أخطأ هؤلاء فيها ،كاثبات العلو ورؤية الله عزوجل من جهة فوق ،ومباينة الله تبارك وتعالى عن الخلق وغير ذلك .

أو على الأقل ليس خطأ هؤلاء بأشنع من خطأ أولئك وكلهم من أهل الكلام المذموم المبتدع كما بينه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

والمطلوب اعطاء الكرامية مالها وما عليها كغيرها من الفرق .

٥ - ان شيخ الاسلام ابن تيميه ليس من الكرامية ولا يذهب مذهبهم كما يقول د .النشار ،ود . فتح الله خليف ،وانما هو العالم السلفي الكبير المعروف وأشهر وأبين من أن يعرّف كما قال ذلك العلماء المحققون الحفاظ الذين رأوه وعرفوه عند الثناء عليه وبيان سيرته ومناقبه ، وكان مذهبه مذهب السلف الصالح ، وقد نقد الكرامية كثيرا ووصفهم بأنهم من أهل الكلام المذموم المبتدع ،

ومن انصافه أنه اذا استعمل أهل الكلام من الكرامية والأشعرية وغيرهم الألفاظ المبتدعة المحتملة للحق والباطل لا يحكم عليهم حتى يستفسر و يستفصل عن المقصود ، فان فسروا به معنىً صحيحا موافقا للكتاب والسنة قبله مع مطالبته استعمال الألفاظ الشرعية ، وان فسروا به معنى باطلا مخالفا للكتاب والسنة رد قولهم ، فانه لا يبتغي غير الحق.

وأخيرا فانني أقرر بعد قراءتي لبعض كتب المتكلمين والفلاسفة وما كتبه علماء السلف رحمهم الله تعالى ومن اتبعهم ، أن مناهج المتكلمين والفلاسفة بعيدة كل البعد عن كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وما ذهب اليه سلف هذه الأمة ، وما كان كذلك فهو باطل بلا شك ، ولا ريب أنه يجب الحذر منه و يطيلون الكلام الذى هو لغو وفيه تلبيس اذ يستدلون ما يسمون به براهين عقلية وان حقق عليهم الأمر تبين أنهم يخالفون صريح العقل الذى لا يخالف صحيح النقل .

لذلك أدعو الى التمسك بمذهب السلف الصالح بأصول الدين وفروعه والالتزام بالنهج السلفي الذى يستند بالنبع الصافي من الكتاب والسنة.

كما أوصي المسئولين في الجامعة الاستمرار في تحقيق أقوال علماء السلف من الصحابة ومن اتبعهم وتسجيل موضوعات الرسائل للماجستير والدكتوراه في بيان مذهب السلف الصالح ، فان ذلك من شأنه أن يعيد الأمة الاسلامية الى مجدها وكرامتها حتى تستحق نصر الله الموعود .

هذا وأسأل الله العلي القدير رب العرش العظيم أن يرزقنا العصمة في القول والعمل ، وأن ينصر دينه وعباده والله من وراء القصد والهادى الى سواء السبيل ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير

تأليف الحافظ أبي عبدالله الحسين بن ابراهيم الجوزقاني الهمداني ،

تحقيق وتعليق عبدالرحمن الحبار الفريوائي ،

ط/ المطبعة السلفية ،بنارس ، الهند ،

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

- الابانة عن أصول الديانة

للامام أبي الحسن الأشعرى ،

نشره قصي محب الدين الخطيب ،

ط/ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٥هـ .

- ابن تيمية السلفى

لمؤلفه الاستاذ محمد خليل هراس

ط/ المطبعة اليوسفية بطنطا ،

الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية ،

للامام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ،

ط/ مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ .

- ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل

تأليف محمد ناصر الدين الألباني ،

باشراف زهير الشاويش ،

المكتب الاسلامي - بيروت ص ب ١١/٣٧٧١،

ط/ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- أساس التقديس في علم الكلام ،

تأليف فخر الدين الرازى ،

ط/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،بمصر

١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

- الاصابة في تمييز الصحابة ،
للحافظ بن حجر العسقلاني ،
ط/ دار الفكر -١٣٥٨هـ/ ١٩٧٨م.
- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ،
تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ،
ط/ المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض.
- اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ،
تأليف فخر الدين الرازى ،
مكتبة الكليات الازهرية ٩ شارع الصنادقية الأزهر القاهرة ،
طبعة جديدة مضبوطة محققة القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الاعجاز والايجاز ،
لمؤلفه أبو منصور الثعالبي ،
ط/ المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧م ، الطبعة الأولى.
- الاعـــلام ، قاموس التراجم ،
لخير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين ،
تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم
الجوزية - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،
ط/ المطبعة التجارية الكبرى بشار محمد على لصاحبها مصطفى محمد ،
الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات
تأليف الامام زين الدين مرعي الكرمي المقدسي الحنبلي ،
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب أرنؤوط ،
ط/ مؤسسة الرسالة ببيروت ،
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب
تأليف : الأمير الحافظ ابن ماكولا ،
ط/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٩٦٢م
الطبعة الأولى.

- الأنساب ،

للامام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني ،

تعليق : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ،

ط/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ،

الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م

- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،

تأليف قاضي القضاة أبو اليمن مجير الدين الحنبلي ،

قدمه محمد بحر العلوم ،

ط/ المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- الايمان ،

لشيخ الاسلام ابن تيمية ،

ط/ المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة .

- بيان تلبيس الجهمية ،

لشيخ الاسلام ابن تيمية ،

بتصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ،

طبع في مجلدين ، مطبعة الحكومة مكة المكرمة ١٣٩١هـ/

الطبعة الأولى .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،

تأليف الامام الشوكاني ،

ويليه الملحق التابع للبدر الطالع ،لحفاظه النسابة محمد بن

محمد بن يحيى زبارة اليمني ،

ط/ المطبعة السعادة بجوار محافظة مصر القاهرة ،

الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ .

- البداية والنهاية ،

للحافظ ابن كثير ،

ط/ مكتبة المعارف - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ،
ط/ طبع في مدينة شلون على نهر سون بمطبعة برطرند ١٨٩٩م.
- تاريخ بغداد ،
للحافظ أبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ،
ط/ دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان بدون تاريخ .
- تاريخ الجهمية والمعتزلة ،
تأليف الاستاذ العالم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ،
ط/ بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣١هـ ق وسنة ١٢٩٢ هـ ش .
- تاريخ الرسل والملوك ،
تأليف : أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ،
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ،
ط/ الثانية - الناشر : دار المعارف بمصر .
- التاريخ الصغير للحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ،
تحقيق محمود ابراهيم زايد ،
ط/ مكتبة دار التراث ، ٢٢ شارع الجمهورية القاهرة ،
الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ،
تأليف : على مصطفى الغرابي ،
ط/ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، بميدان الأزهر بمصر.
- التبصير في الدين ،
للامام المظفر الاسفرايني ،
تحقيق كمال يوسف الحوت ،
ط/ عالم الكتب ، بيروت ،
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابي الحسن الأشعرى ،
لابن عساكر الدمشقي ،
عني بنشره : القدسي ط/ مطبعة التوفيق بدمشق عام ١٣٤٧هـ .
- التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية ،
تأليف : سمير مختار ،ماجستير فلسفة اسلامية ،
ط/ شركة الاسكندرية ،
١ شارع فنتورا بجوار سيدى عبد الرزاق .
- ترتيب القاموس المحيط ،
للأستاذ طاهر أحمد الزاوى ،
ط/ الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ،
تأليف : الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد
القوى ،المنذرى ، تحقيق وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد
ط/ مطبعة السعادة بمصر ،
الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- تفسير الحافظ ابن كثير
تأليف : الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل
ابن كثير القرشي ويليه معالم التنزيل تفسير الامام البغوى ،
ط/ مطبعة المنار بمصر.
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ،
تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي ،
تحقيق : خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي ،
ط / دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ،
الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- تفسير القرآن العظيم ،
تاليف : الحافظ أبو الفداء اسماعيل ،ابن كثير ،
ط/ دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- التفسير الكبير ،

للفخر الرازى ،

ط/ دارالكتب العلمية ،طهران - الطبعة الثانية .

- تقريب التهذيب ،

المؤلف : ابن حجر العسقلاني ،

تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ،

الناشر : محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلميـــة

بالمدينة المنورة .

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،

تأليف : الامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر ،

تحقيق : سعيد أحمد اعراب ،

ط/ مطابع فضالة بالمحمدية ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ،

تأليف عبد العزيز بن ناصر الرشيد ،

ط/ الامام ١٤ شارع على عبد اللطيف بالمالية بمصر .

- تهذيب الأسماء واللغات ،

تأليف الامام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محيي الدين النووى

ط/ دارالكتب العلمية بيروت لبنان.

- تهذيب التهذيب ،

للامام الحافظ شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن حجـــر

العسقلاني ،

ط/ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ،

حيدر آباد .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي - حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف ،
ط/ مؤسسة الرسالة ببيروت شارع سوريا بناية صمدي وصالحة ،
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،
تاليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،
حققه : محمد زهري النجار ، ط/ المطابع الأهلية للأوفست - الرياض .

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله .
للامام المحدث حافظ المغرب أبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي ،
وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه للمرة الاولى ادارة الطباعة
المنيرية عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
ط/ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

- جامع البيان في تفسير آى القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر ،
راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر ،
ط/ دار المعارف ٨٤٠ - ٩٠٦ .

- جامع الرسائل لابن تيميه ،
تحقيق د . محمد رشاد سالم ،
ط/ المدني ، طبعة أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م طبع في مجلدين .

- الجامع الصحيح ، سنن الترمذي
للامام الحافظ أبي عيسى الترمذي ،
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ،
ط/ مطبعة مصطفى البابي الحبي وأولاده ، الغورية القاهرة ،
الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م .

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،
ط/ مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،
لمؤلفه : الحميدى
الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
- حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ،
للامام ابن القيم
قدمله وأشرف على تصحيحه على صبح المدني ،
ط/ مطبعة المدني ٦٨ شارع العباسية القاهرة ،
١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،
للحافظ ابي نعيم أحمد بن عبد السلام الأصبهاني ،
ط/ مكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز بمصر ،
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .
- خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،
للامام العلامة الحافظ صفي الدين احمد بن عبدالله الخزرجي ،
ط/ المطبعة الكبرى الميرية ،
الطبعة الأولى ١٣٠١هـ .
- درء تعارض العقل والنقل ،
لشيخ الاسلام ابن تيميه ،
بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ،
ط/ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية يقع في ١١ مجلدا ،
الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الدر المنثور
للامام جلال الدين السيوطي ،
ط/ المطبعة الاسلامية بطهران .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،
تأليف : شيخ الاسلام أحمد بن حجر العسقلاني ،
حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق من علماء الأزهر ،
ط/ دار الكتب الحديثة ،بدون تاريخ .

- دقائق التفسير ،الجامع لتفسير الامام ابن تيميه ،
تحقيق د. محمد السيد الجليند ،
ط/ مؤسسة علوم القرآن دمشق ،
الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ،
تحقيق محمد حامد الفقي ،
ط/ مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر ،عابدين ،٠ ١حارة الدمالشة.
الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

- الرد على الزنادقة والجهمية ،
للامام احمد بن حنبل ،
ط/ المطبعة السلفية ،القاهرة ١٣٩٣هـ.

- رسالة الفتوى الحموية الكبرى ،
لشيخ الاسلام ابن تيميه ،
ط/ مطبعة المدني على صبح المدني .

- الرسالة القشيرية و
المؤلف : أبو القاسم عبد الكريم القشيري ،
المطبعة السنية الخديوية ببولاق .

- الروضة الندية ، شرح العقيدة الواسطية ،
لزيد بن عبد العزيز فياض ،
الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ ،ط/ مطابع الرياض.

- زاد المسير في علم التفسير ،

للامام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزى ،

الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ،

ط/ المكتب الاسلامي .

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ،

تخريج الشيخ الألباني ،

الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ / ط/ المكتب الاسلامي .

- السنة قبل التدوين ،

تأليف محمد عجاج الخطيب ،

ط/ مطبعة أحمد مخيمرى القاهرة ،

الطبعة الأولى صفر سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

- سنن ابن ماجه ،

للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ،

حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه واحاديثه علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ،

ط/ دار الاحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- سنن أبي داود ،

للامام الحافظ أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدى ،

اعداد وتحقيق عزت عبيد الدعاس ،عادل السيد ،

ط/ دار الحديث حمص سورية ،

الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

- سنن الدارمي ،

للامام الدارمي ،

طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، ط/ دار احياء السنة النبوية .

- سنن النسائي ،

تأليف الامام الحافظ النسائي ،

بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندى ،

ط/ المطبعة المصرية بالأزهر .

- سير أعلام النبلاء للذهبي ،

أشرف على تحقيق الكتاب وخرج احاديثه شعيب الأرناؤوط ،

ط/ مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثانية.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،

للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،

ط/ دار الافاق الجديدة بيروت .

- شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ،

للحافظ أبي القاسم هبة الله اللالكائي ،

حققه الدكتور احمد سعيد حمدان ،

طبع في أربع أجزاء في مجلدين ،

ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .

- شرح حديث النزول ،

تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ،

ط/ المكتب الاسلامي الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- شرح السنة للامام البغوى ،

تحقيق زهير الشاويش - شعيب الأرناؤوط ،

ط/ المكتب الاسلامي ،يقع في ١٦ مجلد .

- شرح العقيدة الأصفهانية ،

تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ،

قدم له وعرف به الشيخ حسنين محمد مخلوف ،

ط/ دار الكتب الحديثة لتوفيق عفيفي ، ١٤ شارع الجمهورية القاهرة

سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

- شرح العقيدة الطحاوية ،

حققها وراجعها جماعة من العلماء ،

خرج احاديثها الشيخ الألباني ،

ط/ المكتب الاسلامي ،الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

- شرح العقيدة الواسطية ،

لشيخ الاسلام ابن تيميه ،

تأليف العلامة محمد خليل هراس ،

راجعه الاستاذ عبد الرزاق عفيفي ،

ط/ الرسائة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ،

الرياض السعودية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ،

تأليف جمال الدين بن نباته المصرى ،

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،

ط/ مطبعة المدني ٦٨ شارع العباسية بالقاهرة .

- شرح الفقه الأكبر المتن المنسوب الى الامام أبي حنيفة ،

شرحه الامام أبو منصور محمد بن محمد الحنفي السمرقندى ،

عني بطبعه ومراجعته خادم العلم عبدالله بن ابراهيم الأنصارى.

- شرح القصيدة النونية ،

المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية ،

للامام ابن القيم الجوزية ،

شرحها وحققها الدكتور محمد خليل هراس ،

طبع في جزئين ،ط/ دارالكتب العلمية بيروت .

- شرح المقاصد ،

تأليف سعد الدين التفتازاني ،

- شرح نهج البلاغة ،
لابن أبي الحديد ،
بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،
ط/ دار احياء الكتب العربية .
- الشريعة ،
للامام أبي بكر محمد بن الحسين آجري ،
حققه محمد حامد الفقي ،
ط / مطابع الأشراف ،لاهور باكستان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م الطبعة الأولى .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،
للامام القاضي ابي الفضل عياض اليحصبي ،
والكتاب مذيل بالحاشية بمزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء ،
للعلامة احمد بن محمد بن محمد الشـــنى ،
ط/ دارالفكر .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،
لابن القيم الجوزية ،
ط/ دارالمعرفة ،بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الصحاح ،
تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهرى ،
تحقيق احمد عبد الغفور عطار .
- صحيح البخارى بشرح الكرماني ،
ط/ دار احياء التراث العربي بيروت لبنان
الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- صحيح مسلم ،
للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ،
حققه : محمد فؤاد عبد الباقي ،
ط/ دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان .

- صفة الصفوة ،

للامام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى ،

ط/ مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.

- الضعفاء والمتروكين ،

للامام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادى ،

تحقيق موفق بن عبدالله بن عبد القادر ،

ط/ مكتبة المعارف الرياض ،

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- طبقات الحفاظ ،

للحافظ جلال الدين السيوطي ،

بتحقيق على محمد عمر ،

ط/ مطبعة الاستقلال الكبرى ،

الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية ،

للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الدارمي ،

تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو ،

ط/ دار الرفاعي للنشر والطبع والتوزيع.

- طبقات الشافعية الكبرى ،

لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي ،

تحقيق محمود محمد الطناحي ،عبد الفتاح محمد الحلو ،

ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،

الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

- الطبقات الكبرى ،

لابن سعد ،

ط/ دار/ادر- بيروت.

- طبقات المعتزلة ،

تأليف احمد بن يحيى بن المرتضى ،

عنيت بتحقيقه / موسسة ويقشلد فلزر ،

ط/ بيروت لبنان ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

- العبر في خبر من غبر ،

للامام الحافظ محمد بن عثمان الذهبي ،

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ،

الكويت ١٩٦٠م التراث العربي .

- عرش الرحمن ،

لشيخ الاسلام ابن تيميه ،

ط/ مطبعة المنار بمصر .

- عصر المأمون ،

المؤلف د/ احمد فريد رفاعي ،

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م الطبعة الثالثة.

- عظم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة ،

تأليف : السيد عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل ،

ط/ دار اسامة للطباعة ، ١٤ حارة شتات ،السيدة زينب .

- عقائد السلف ،

للأئمة احمد بن حنبل والبخارى وابن قتيبة وعثمان الدارمي ،

تحقيق د/ علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ،

ط/ شركة الاسكندرية ١٩٧١م.

- عقائد السلفية بادلتها النقلية والعقلية لشرح الدرر السنية في عقد أهل السنة المرضية ، لأحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي ،

الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٠م.

- علو الله على خلقه ،

تأليف : الدكتور موسى بن سليمان الدرويش ،

ط / بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الأول ، ص ب ٨٧٢٣.

- العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها ،

للامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ،

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،

ط/ مطبعة العاصمة ش الفلكي بالقاهرة ،

الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- عمدة التفسير ،

عن الحافظ ابن كثير ،

تحقيق بقلم احمد محمد شاكر ،

ط/ تراث الاسلام.

- غاية المرام في علم الكلام ، للآمدى ،

بتحقيق حسن محمود عبد اللطيف ،

يشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة ،

القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ط / مطابع الاهرام.

- غاية النهاية في طبقات القراء ،

المؤلف : شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد الجزرى ،

ط/ الاولى ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ،

الناشر : ج برجستراسر ، مطبعة السعادة .

- فتح البارى شرح صحيح البخارى ،

للحافظ ابن حجر العسقلاني ،

بتحقيق الشيخ ابن باز ، طبعة دار الفكر يقع في ١٣ مجلد والمقدمة.

- فتح البيان ، للامام صديق حسن خان ،
ط/ مطبعة العاصمة القاهرة ، اكتوبر ١٩٦٥م.

- فتح القدير ،
تأليف الامام محمد بن علي الشوكاني ،
ط/ دار المعرفة ،بيروت ،لبنان .

- الفرق بين الفرق لابن طاهر البغدادى تحقيق الاستاذ محمد محي الدين
عبد الحميد ،
ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

- الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل ،
تأليف الامام ابي محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهرى
تحقيق الدكتور محمد ابراهيم نصر الدكتور عبد الرحمن عميرة ،
ط/ شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ،
الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الفرائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ،
لشيخ الاسلام الشاكوني ،
تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ،
اشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ،
ط/ مطبعة السنة المحمدية القاهرة ،الطبعة الاولى١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- في ظلال القرآن - تاليف : سيد قطب ،
ط/ دار الشروق بيروت ، الطبعة الشرعية الثامنة ،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- القاعدة المراكشية ،
تاليف شيخ الاسلام ابن تيميه ،
تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، الاستاذ رضا نعسان معطي
ط/ مطابع الصفا مكة المكرمة ، الطبعة الاولى سنة ١٤٠١هـ.

- كتاب الأسماء والصفات ،
لمؤلفه الامام الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي ،
وقد عني بتصحيح اسماء رجاله ووضع تعليقات عليه المحقق الشيخ زاهد الكوثري.
الناشر : دار احياء الترث العربي - بيروت .

- كتاب الأربعين في أصول الدين ،
لمؤلفه فخر الدين الرازى ،
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد ١٣٥٣هـ
الطبعة الأولى ،
- كتاب أصول الدين ،
تأليف الامام الاستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادى
ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،
الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- كتاب الايمان ،
لابن أبي شيبة العبسي ، ضمن من كنوز السنة - رسائل أربع ،
بتحقيق الألباني ،
ط/ دار الأرقم - الكويت .
- كتاب الايمان ،
للحافظ محمد بن اسحق بن يحيى بن منده ،
تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ،
ط/ مؤسسة الرسالة بيروت شارع سوريا - لبنان.
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- كتاب الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته ،
صنعة الامام أبو عبيد القاسم بن سلام.
وحققه محمد ناصر الدين الالباني ،
ط/ دار الأرقم الكويت.
- كتاب التاريخ الكبير للحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى
لمؤلفه السيد هاشم الندوى
ط/ دائرة المعارف ، يطلب من دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- كتاب تذكرة الحفاظ ،
للامام شمس الدين ابو عبدالله الذهبي ،
صحح عن النسخة القديمة في مكتبة الحرم ،
دار احياء التراث العربي ، الطبعة الاولى الى الطبعة السابعة .
- كتاب تفسير سورة الاخلاص
لشيخ الاسلام ابن تيمية ،
طبع نسخة قرئت على الاستاذ الفاضل آلوسي ،
عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين أبو الفراس النعساني الحلبي ،
ط/ المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ .
- كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ،
تاليف الحافظ امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة ،
راجعه وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس ،
ط/ دار الشروق للطباعة ١٣٨٨هـ/ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- كتاب التمهيد ،
لمؤلفه الامام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ،
التصحيح رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ،
منشورات جامعة الحكمة في بغداد ،سلسلة علم الكلام (١)
النشر : المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م .
- كتاب الثقات ،للامام الحافظ ابي الحاتم التميمي البستي ،
طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعين خان ،
ط/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ،
الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .
- كتاب الجرح والتعديل ،
تأليف : الامام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازى ،
الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الدكن الهند .

- كتاب الحيدة ،

المؤلف : الامام عبد العزيز بن يحيى الكناني ،

تحقيق د/ جميل صليبا ،

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- كتاب الخطط المقريزية المسماة " بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار

يختص ذلك باخبار اقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها ،

تأليف الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزى ،

طبع في ٤ أجزاء ، ط/ مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ،

لابن رجب الحنبلي ،

وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي ،

ط/ مطبعة السنة المحمدية ،عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

- كتاب الرد على الجهمية ،

للامام الحافظ أبي سعيد عثمان الدارمي ،

تحقيق زهير شاويش تخريج محمد ناصر الدين الألباني ،

ط/ المكتب الاسلامي ،

بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- كتاب السـنة ،

للامام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ،

تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد القحطاني ،

ط/ دار ابن القيم الدمام المملكة العربية السعودية ،

الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- كتاب السنة ،

للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الشيباني ،

تحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الالباني ،

ط/ المكتب الاسلامي ببيروت ،الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ.

- كتاب السنن الكبرى ،
للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي ،
ط/ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ .
- كتاب الضعفاء الصغير ، تأليف : الامام الحافظ محمد بن إسماعيل البخارى ،
ويليه كتاب الضعفاء والمتروكين للامام النسائي ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد .
ط/ دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- كتاب الضعفاء الكبير ،
تصنيف الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي .
حققه ووثقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ،
ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- كتاب الضعفاء والمتروكين ،
تأليف أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ،
تحقيق بوران الضناوى وكمال يوسف الحوت ،
ط/ مؤسسة الكتب الثقافية ،
الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ،
المؤلف الامام الحافظ محمد بن حبان بن احمد أبي حاتم التميمي البستي ،
تحقيق محمود ابراهيم زايد ،
ط/ الاولى ١٣٩٦هـ - الناشر دار الوعي - بحلب .
- كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ،
تأليف الفخر الدين الرازى ،
ط/ المطبعة الحسينية المصرية الطبعة الاولى بدون تاريخ .
- كتاب الموضوعات ،
للامام أبي الفرج الجوزى ،
ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،
الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ط/ مطبعة المجد .

- كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ،

لموءلفه الامام عبد الكريم الشهرستاني ، تحرير الفرد جيوم .

- كتاب الوافي بالوافيات ،

لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفوى ،

الطبعة الثانية غير المنقحة باعتناء هامت ريتر ،

ط/ دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- الكامل في التاريخ ،

الموءلف عزالدين أبي الحسن بن الاثير ،

ط/ دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

- الكامل في ضعفاء الرجال ،

للامام الحافظ أبي احمد عبدالله بن عدى الجرجاني ،

تحقيق وضبط ومراجعة لجنة من المختصين باشراف الناشر ،

ط/ دار الفكر بيروت لبنان ،الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث ،

تأليف برهان الدين الحلبي ،

تحقيق صبحي السامرائي ، ط/ مطبعة العاني ببغداد .

اللآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ،

للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،

ط/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

- اللباب في تهذيب الانساب ،

لموءلفه عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الاثير ،

ط/ مكتبة القدسي ، ١٣٥٧هـ .

- لسان العرب ،

للامام ابن منظور الافريقي ،

ط/ دار صادر بيروت ، الطبعة الاولى القاهرة يقع في ٦ مجلدات والمقدمة.

- لسان الميزان ،

المؤلف الحافظ ابن حجر ،

الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت .

- لوامع الأنوار ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية ،

للشيخ محمد بن احمد السفاريني ، جزئين في مجلد ،

ط/ المكتب الاسلامي - مكتبة اسامة - الرياض بيروت ،

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيميه ،

تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ،

تحقيق عبد الصمد شرف الدين ،

ط/ مطبعة "ف" بمباى " الهند ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

- مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد ١٢ رسالة ،

المؤلفون : جماعة من العلماء ،

الناشر : مكتبة المعارف الطائف ،

ط/ مطابع دار السعادة بالقاهرة.

- مجموعة الرسائل المنيرية ،

الفها مجموعة من العلماء ،

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣هـ

ادارة الطباعة المنيرية ، ط/ دار احياء التراث العربي ،

- مجموعة الرسائل والمسائل ،

للامام العلامة تقي الدين ابن تيمية ،

صححه جماعة من العلماء باشراف النشار ،

ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ،
جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد وابنه ،
طبعت في ٣٧ جزءا ،
ط/ الرياض ١٣٨١هـ/ ١٣٨٩هـ .
- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ،
للشيخ محمد الحضرمي بك ،
ط/ المكتبة البخارية الكبرى ، الطبعة السابعة
ط/ مطبع الاستقامة بالقاهرة .
- مختار الصحاح ،
لمحمد بن أبي بكر الرازى ،
عني بترتيبه محمود خاطر بك
راجعته وحققته لجنة من علماء العربية ،
ط/ دارالفكر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- مختصر سنن أبي داود ،
للحافظ المنذرى ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي ،
وتهذيب الامام لابن قيم الجوزية ،
تحقيق احمد محمود شاكر ،ومحمد حامد الفقي ،
ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان .
- مختصر العلا للعلي الغفار ،
تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي ،
اختصره وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ،
ط/ المكتب الاسلامي دمشق ،
الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر في حوادث الزمان ،
للامام أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي اليمني المكي ،
ط/ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،
الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- المسند ،
للامام أحمد بن حنبل ،
تحقيق وشرح ووضع فهارس للشيخ أحمد محمد شاكر ،
ط/ دار المعارف ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- معارج القبول ،
للشيخ حافظ بن احمد حكمي ،
ط/ المطبعة السلفية .
- معجم البلدان ،
للشيخ ياقوت الحموى ،
ط/ دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- معجم مقاييس اللغة ،
لابي الحسين أحمد بن فارس ،
تحقيق عبد السلام محمد هارون ،
ط/ دار احياء الكتب العربية ،
الطبعة الاولى بالقاهرة .
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ،
عمر رضا كحالة ،
ط/ مكتبة المثنى ببيروت ، ودار احياء التراث العربي ببيروت .

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ،
للامام ابو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية ،
الطبعة الاولى ١٣٢٣ هـ
ط/ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل ،
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ،
المؤلف : احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ،
تحقيق : كامل كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور ،
ط/ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ،
تأليف : شيخ أهل السنة والجماعة ابي الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ،
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
ط/ مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلي باشا القاهرة ،
الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،
تأليف : ابي الفرج ابن الجوزى ،
الطبعة الاولى ،
ط/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد ، سنة ١٣٥٨ هـ .
- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ابي داود ،
مذيلا بالتعليق المحمود على منحة المعبود ،
تأليف العبد الخاضع لمولاه أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ،
ط/ المطبعة المنيرية بالازهر ، الطبعة الاولى ١٣٧٢ هـ .
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ،
لشيخ الاسلام ابن تيميه ،
دار الكتب العلمية ببيروت ، طبع في أربعة اجزاء في مجلدين .

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ،
لشيخ الاسلام ابن تيمية ،
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ،
ط/ ادارة الثقافة والنشر بالجامعة الامام محمد
٤٠٦ ١هـ/ ٩٨٦ ١م الطبعة الأولى .
- النبوات لشيخ الاسلام ابن تيميه ،
ط/ المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة ٣٨٦ ١هـ.
- النجوم الزاهرة ،
لجمال الدين ابي المحاسن الاتابكي ،
ط/ وزارة الثقافة والارشاد القومي ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- نفائس ،
لشيخ الاسلام ابن تيميه وغيره ،
تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ،
ط / مطبعة السنة المحمدية القاهرة ،
الطبعة الثانية ٣٧٢ ١هـ/ ٩٥٣ ١م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،
تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمساني ،
حققه الدكتور احسان عباس ،
ط/ دار صادر بيروت ٣٨٨ ١هـ/ ٩٦٨ ١م.
- النهايـة في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ،
تحقيق طاهر احمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي ،
ط/ دار احياء الكتب العربية ،الطبعة الاولى ٣٨٣ ١هـ/ ٩٦٣ ١م.
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ،
حققه الدكتور احسان عباس ،
ط/ دار صادر بيروت .

ملحق المصادر والمراجع

- الابانة عن أصول الديانة
تأليف الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى
تقديم فضيلة الشيخ حماد محمد الأنصارى
ط/ مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ
- أسد الغابة في معرفة الصحابة
تأليف عز الدين ابن الأثير
ط/ الشعب القاهرة .
- الامام ابن تيمية في قضية التأويل
تأليف الدكتور محمد السيد الجليند
ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م
- تاج العروس
تأليف محمد مرتضى الزبيدى
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام
تأليف مؤرخ الاسلام الحافظ الناقد الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - مخطوط في دار الكتب المصرية .
- تاريخ دمشق
تأليف علي بن الحسن بن عساكر
مصور الجزء الحادى عشر رقم ٦٠٤ مخطوطات المكتبة المركزية بجامعة أم القرى
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه
تأليف ابن حجر العسقلاني
تحقيق علي محمد البجاوى راجعه محمد علي النجار
ط/ الدار القومية العربية ميدان الجيش القاهرة ١٩٦٤م

- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن أبي الوردى)

تأليف الاستاذ زين الدين عمربن الوردى

اشراف و تحقيق احمد رفعت البدراوى

ط/ دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

- التعريفات

تأليف شريف على الجرجاني

ط/ المطبعة الوهبية ،مصر سنة ١٢٨٣هـ

- تهافت الفلاسفة

تأليف الامام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي

تحقيق د . سليمان دنيا

- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين

تأليف ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دقماق

تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ،مراجعة الدكتور أحمد السيد دراج ،ط/ مطبوعات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م

- دائرة المعارف

بادارة فؤاد افرام البستاني

ط/ بيروت ١٩٧٣م.

- الرد على الجهمية

تأليف الحافظ أبو سعيد الدارمي

تحقيق زهير شاويش ،تخريج محمد ناصر الدين الألباني

ط/ المكتب الاسلامي بيروت ط/ ٤ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها

تأليف محمد ناصر الدين الألباني

ط/ المكتب الاسلامي

- الشعر والشعراء

تأليف ابن قتيبة تحقيق وشرح احمد محمد شاكر

ط/ دارالمعارف ١٩٦٦م

- صحيح البخارى بحاشية السندى

للامام الحافظ المتقن محمد بن اسماعيل البخارى

ط/ دارالمعرفة بيروت لبنان

- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الاسلامي.

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)

تحقيق محمد ناصرالدين الألباني

ط/ المكتب الاسلامي ١

- طبقات الصوفية

تأليف أبو عبدالله عبد الرحمن السلمي

تحقيق : نور الدين شريبه

ط/ دار الكتاب العربي بمصر الطبعة الاولى ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف بدر الدين العيني ، مخطوط نسخة كتبت بخط المؤلف

سنة ٨٣١ في ١٩ مجلد من مكتبة احمد الثالث ٢٩١١

معهد المخطوطات بمصر.

- العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

تأليف الدكتور محمود محمد خفاجي طبع سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- العقيدة الطحاوية

شرح وتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

ط/ المكتب الاسلامي الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

- فوات الوفيات والذيل عليها

تأليف محمد بن شاكر الكتبي

تحقيق الدكتور احسان عباس ط/ دار صادر بيروت.

- القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى

تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين

ط/ دار الأرقم الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة

تأليف الامام الحافظ الذهبي

تحقيق و تعليق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموسى

ط/ دار التأليف بالمالية بمصر

- كتاب اثبات العلو

تأليف الامام ابن قدامة

تحقيق بدر بن عبدالله بن بدر

- كتاب تهذيب الكمال في اسماء الرجال

تأليف الامام الحافظ جمال الدين ابي الحجاج يوسف المزى

قدم له عبد العزيز رباح ، احمد يوسف دقاق

ط/ دار المأمون للتراث بدمشق .

- كتاب صفة الصفوة للامام جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزى

ط/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند

الطبعة سنة ١٣٥٥هـ .

- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون

تأليف العلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطني الرومي

الحنفي والمعروف بحاجي خليفة ط/ دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيميه

تأليف شيخ الاسلام ابن تيميه

ط/ دار احياء التراث العربي بيروت لبنان

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

للامام ابن القيم الجوزية اختصره الشيخ محمد بن الموصلي

توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض

- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)

تأليف الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبي الفداء

ط/ دار المعرفة بيروت لبنان

- مسند الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي

ترتيب و تعليق محمد زاهر بن حسن الكوثرى

نشر وتصحيح ومراجعة السيد يوسف على الزواوى والسيد عزت العطار

ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي ، طبعة قديمة

- المغني في الضعفاء للامام الحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان الذهبي

حققه وعلق عليه الدكتور نور الدين عتر .

- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيميه

تحقيق فضيلة الاستاذ الشيخ جميل أفندى السطى

ط/ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م

الطبعة الأولى

- الملل والنحل

تأليف أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

صححه وعلق عليه الاستاذ أحمد فهمي محمد

ط/ مطبعة حجازى بالقاهرة ط/ أولى ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

- منهاج السنة في نقد كلام الشيعة والقدرية

لشيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مجلدين

ط/ مطبعة المدني بالقاهرة ، سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م

- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات

تأليف : الشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي

ط/ مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

أعيد طبعه عام ١٤٠١هـ

- الموسوعة العربية الميسرة

باشراف محمد شفيق غربال

ط/ دار نهضة لبنان - بيروت - لبنان

- نشأة الفكر الفلسفي ،

تأليف الدكتور النشار علي سامي

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

*